

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190670

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية التلاذذ

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب النخعي

السفر العاشر

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م

فهرست

السفر العاشر

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

ذكر ما وصفت به العرب الخيل

من ترتيبها في السن، وتسمية أعضائها، وأبعاضها، وألوانها،

وشياتها، وغررها، وحجولها الخ

صفحة

- | | | |
|----|--------|---|
| ١ | | أما ترتيبها في السن |
| ١ | | وأما ما قيل في تسميتها، وتسمية أعضائها وأبعاضها |
| ٢ | | وأما الوجه وما فيه مما لم يذكر في خلق الانسان |
| ٣ | | وأما العنق وما فيه |
| ٤ | | وأما الظهر وما اتصل به من الوركين |
| ٥ | | وأما الصدر وما اتصل به من البطن |
| ٥ | | وأما الذراعان وما دونهما |
| ٥ | | وأما ألوانها وشياتها وغررها وحجولها وعصمها وما فيها من الدوائر |
| ١٢ | | وأما الشية |
| ١٦ | | وأما ما في الفرس من الدوائر |
| | | وأما ما قيل في طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها ومحاسنها والعلامات |
| ١٩ | | الدالة على جودة الفرس ونجاسته |

صفحة

- ومما يستحب من أوصافها في الخلق ٢٢
- وأما عيوبها التي تكون في خلقها وفي جريها والتي تطرأ عليها وتحدث فيها... ٢٧
- فأما التي في خلقها ٢٧
- وأما العيوب التي في جريها ٣٠
- وأما العيوب التي تطرأ عليها وتحدث فيها ٣١
- ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٣
- ذكر أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب ٣٩
- ذكر ما قيل في أوصاف الخيل وتشبيهها نظماً ونثراً ٤٨
- طريف في ذم الخيل بالهزال والمعجز عن الحركة ٦٥
- ذكر ما وصفت به في الرسائل المنثورة ٦٧

الباب الثاني

من القسم الثالث من الفن الثالث في البغال والحمير

- ذكر ما قيل في البغال ٧٩
- ذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨٠
- ذكر شيء مما وصفت به البغال ٨٥
- ذكر ما قيل في الحمير الأهلية ٩٣
- ذكر ما يتأمل به مما فيه ذكر الحمير ٩٥
- ذكر شيء مما وصفت به الحمير على طريق المدح والذم ٩٧

الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الثالث في الإبل والبقر والغنم

- ذكر ما قيل في الإبل ١٠٣
- أما تسميتها من حين تولد الى أن تنتهى سنها ١٠٤
- وأما أسماء ما يركب منها ويحمل عليه ١٠٥

صفحة

١٠٦	وأما ما اختصت به النوق من الأسماء والصفات
١٠٧	ومن أوصافها في السير
١٠٨	وأما ألوان الإبل
١٠٨	وأما ترتيب سيرها
١٠٩	وأما ما قيل في المسير عليها والتزول للراحة والإراحة
١٠٩	ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طبائعها
١١١	ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل
١١٥	ذكر شيء مما وصفت به الإبل نظماً ونثراً
١٢٠	ذكر ما قيل في البقر الأهلية
١٢٤	ذكر ما قيل في الجاموس
١٢٥	ذكر ما قيل في الغنم الضأن والمعز
١٢٧	ذكر ترتيب سنّ الغنم

القسم الرابع

من الفن الثالث في ذوات السموم، وفيه بابان

الباب الأول

ويشتمل على ما قيل في الحيات والعقارب

١٣٣	ذكر ما قيل في الحيات
١٤٠	ذكر ما في لحوم الحيات من المنافع والأدوية
١٤٣	ذكر شيء مما وصفت به الأفاعي
١٤٧	ذكر ما قيل في العقارب

الباب الثاني

من القسم الرابع من الفن الثالث فيما هو ليس قاتلا بفعله من ذوات السموم

ويشتمل على ما قيل في الخنافس والوزغ والضب وآبن عرس

والحرباء والقنافذ والقراد والنمل والذر والقمل والصوآب

صفحة

فأما الخنافس وما قيل فيها	١٥٢
وأما الوزغ وما قيل فيه	١٥٤
وأما الضب وما قيل فيه	١٥٥
وأما الحرباء وما قيل فيها	١٥٩
وأما آبن عرس وما قيل فيه	١٦١
وأما القنافذ وما قيل فيها	١٦٢
وأما القراد وما قيل فيها وأنواعها	١٦٦
فأما الجرذ والفأر	١٦٦
وأما الزباب	١٧٠
وأما الخلد	١٧٠
وأما اليربوع	١٧٠
وأما فأرة المسك	١٧١
وأما فأرة الإبل	١٧٢
وأما القراد وما قيل فيه	١٧٢
وأما النمل والذر وما قيل فيهما	١٧٣
وأما القمل والصوآب وما قيل فيهما	١٧٧

القسم الخامس

في أجناس الطير وأنواع السمك

وفيه سبعة أبواب : ستة منها في الطير وباب في السمك وذيل لذكر شيء

مما قيل في آلات صيد البر والبحر وهو باب ثامن

الباب الأول

من القسم الخامس من الفن الثالث في سباع الطير، ويشتمل على ما قيل

في العقاب والبزاة والصقور والشواهين وأصناف ذلك

صفحة

١٨١	ذكر ما قيل في العقاب
١٨٤	وأما الزج وهو الصنف الثاني من العقاب...
١٨٦	ذكر ما قيل في البازي وأصنافه
١٨٦	فأما البازي
١٩١	وأما الزرق...
١٩١	وأما الباشق
١٩٣	وأما العفص
١٩٤	وأما البيدق
١٩٥	ذكر ما قيل في الصقر وأصنافه
١٩٥	فأما الصقر
١٩٨	وأما الكونج وهو الصنف الثاني من الصقر
١٩٩	وأما اليؤؤ وهو الصنف الثالث من الصقر
٢٠٠	ذكر ما قيل في الشاهين وأصنافه
٢٠٠	فأما الشاهين
٢٠٣	وأما الأنبيق وهو الصنف الثاني من الشاهين
٢٠٤	وأما القطامي وهو الصنف الثالث من الشاهين
٢٠٤	فصل في ذكر ما ناسب الجوارح في الاقتراس وأكل اللحم الحى

الباب الثانى

من القسم الخامس من الفن الثالث فى كلاب الطير، ويشتمل
على ما قيل فى النسر والرخم والحدأة والغراب

صحة	
٢٠٦	ذكر ما قيل فى النسر
٢٠٧	ذكر ما قيل فى الرخم
٢٠٩	ذكر ما قيل فى الحدأة
٢٠٩	ذكر ما قيل فى الغراب وأصنافه

الباب الثالث

من القسم الخامس من الفن الثالث فى بهائم الطير، ويشتمل على ما قيل
فى الدراج والحبارى والطاوس والديك والدجاج والمجل والكركى
والإوز والبط والنحام والأنيس والقائند والخطاف والقيق
والررزور والسمانى والمهدد والعقق والعصافير

٢١٤	فأما الدراج وما قيل فيه
٢١٥	وأما الحبارى وما قيل فيه
٢١٦	وأما الطاوس وما قيل فيه
٢١٧	وأما الديك والدجاج وما قيل فيهما
٢١٩	ذكر ما جاء فى الديكة من الأحاديث وما عد من فضائلها وعاداتها ومنافعها
٢٢٦	ذكر شئ مما وصفت به الشعراء البيضة والدجاجة والديك
٢٢٧	ومما قيل فى الدجاجة والديك
٢٣٣	وأما المجل وما قيل فيه
٢٣٤	وأما الكركى وما قيل فيه
٢٣٥	وأما الإوز وما قيل فيه وأصنافه
٢٣٦	وأما البط وما قيل فيه وأصنافه

٢٣٧ وأما النحام وما قيل فيه
٢٣٨ وأما الأنيس وما قيل فيه
٢٣٨ وأما القاوند وما قيل فيه...
٢٣٨ وأما الخطاف وما قيل فيه
٢٤١ وأما القيق والزرزور وما قيل فيهما
٢٤١ ما قيل في القيق ..
٢٤٢ وأما الزرزور
٢٤٥ وأما السمانى وما قيل فيه...
٢٤٦ وأما الهدهد وما قيل فيه...
٢٤٨ وأما العقعق وما قيل فيه
٢٤٩ وأما العصافير وما قيل فيها وأنواعها
٢٤٩ فأما العصافير البيوتى ..
٢٥٠ وأما عصفور الشوك...
٢٥٠ وأما عصفور النيلوفر
٢٥١ وأما القبرة
٢٥١ وأما حسون
٢٥٢ وأما البلب

الباب الرابع

من القسم الخامس من الفن الثالث فى بغاث الطير

ويشتمل على ما قيل فى القمرى والدبى والورشان والفواخت
والشفنين واليعبط والنواح والقطا واليمام وأصنافه والبيغاء

٢٥٨ أما القمرى وما قيل فيه
٢٥٨ وأما الدبى وما قيل فيه
٢٥٩ وأما الورشان وما قيل فيه

صفحة	
٢٥٩	وأما الفواخت وما قيل فيها
٢٦٠	وأما الشفتين وما قيل فيه
٢٦١	وأما اليعبط وما قيل فيه
٢٦١	وأما النواح وما قيل فيه
٢٦١	وأما القطا وما قيل فيه
٢٦٥	ذكر شيء من الأوصاف والتشبيهات الشعرية الجامعة لمجموع هذا النوع
٢٦٨	وأما الحمام وأصنافه وما وصف به وما قيل فيه
٢٦٨	فأما الرواعب
٢٦٨	وأما المراعيش
٢٦٩	وأما العتاد
٢٦٩	وأما الميساق
٢٦٩	وأما الشداد
٢٦٩	وأما القلاب
٢٦٩	وأما المنسوب
٢٧٧	ذكر ما قيل فى طوق الحمامة
٢٧٩	ذكر شيء مما وصفت به هذا النوع نظما ونثرا
٢٨٠	وأما البغاء وما قيل فيها

الباب الخامس

من القسم الخامس من الفن الثالث فى الطير الليلى ويشتمل على ما قيل
فى الخفاش والكروان والبوم والصدى

٢٨٣	فأما الخفاش وما قيل فيه
٢٨٥	وأما الكروان وما قيل فيه

٢٨٥	وأما اليوم وما قيل فيه
٢٨٦	وأما الصدى وما قيل فيه

الباب السادس

من القسم الخامس من الفن الثالث في الهمج وهو مما يطير كالنحل
والزنبور والعنكبوت والجراد ودود القز والذباب
والبعوض والبراغيث والخرقوص

٢٨٧	فأما النحل وما قيل فيه
٢٨٩	وأما الزنبور وما قيل فيه
٢٩٠	وأما العنكبوت وما قيل فيه
٢٩٢	وأما الجراد وما قيل فيه
٢٩٧	وأما دود القز وما قيل فيه
٢٩٨	وأما الذباب وما قيل فيه
٣٠١	وأما البعوض وما قيل فيه
٣٠٣	وأما البراغيث وما قيل فيها
٣٠٥	وأما الخرقوص وما قيل فيه

الباب السابع

من القسم الخامس من الفن الثالث في أنواع الأسماك

٣١٢	ذكر شيء من أنواع الأسماك
٣١٣	فأما الدلفين
٣١٣	وأما الرعاد
٣١٤	وأما التمساح
٣١٥	وأما السقنقور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وصفت به العرب الخيل :

من ترتيبها في السن، وتسمية أعضائها، وأبعاضها، وألوانها،
وشياتها، وغررها، وججوها، وعصمها، ودوائرها، وما قيل
في طبائعها وعاداتها، والمحمود من صفاتها ومحاسنها، والعلامات
الدالة على جودتها ونجابتها، وعد عيوبها التي تكون في خلقها
وجريها، والعيوب التي تطرأ عليها وتحدث فيها

أما ترتيبها في السن — فالعرب تقول : سن الفرس إذا وضعته أمه
فهو "مهر"، ثم هو "فلو"^(١)، وإذا استكمل سنة فهو "حوي"، ثم هو في الثانية
"جدع"، ثم في الثالثة "تتي"، ثم في الرابعة "رباع"، ثم في الخامسة "فارج"،
ثم هو الى نهاية عمره "مدك".

وأما ما قيل في تسميتها، وتسمية أعضائها وأبعاضها — فقد قالوا :
الخليل مؤنثة، ولا واحد لها من جنسها، وجمعها خيول. ويقال في صفاتها : "أذن مؤنثة"
و"مرفقة"، أي محددة الطرف. قال عدي بن الرقاع :

ملاحظة — يتبدى هذا الجزء في صفحة ٤٨ من الجزء التاسع المتوفر في من هذا الكتاب وهو أحد
أراء النسخة التي اصطلاحاً على تسميتها بالحرف « ا » والتي سيزد ذكرها كثيراً في التعليقات .

(١) ويقال فيه أيضاً "فلو" (وزان حمل) .

(١) تَحْوُضُ فِي فُرْجَاتِ النَّعَمِ دَائِمَةً * كَأَنَّ أَذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ
وَوَحْشَةٍ: صَغِيرَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ . وَ"مَقْدُودَةٌ": مُدَوَّرَةٌ . وَأُذُنٌ "غَضَنَفَرَةٌ"
أَي غَلِيظَةٌ . وَ"زَبْرَاهُ" أَي غَلِيظَةٌ شَعْرَاءُ . وَ"خُذَاوِيَّةٌ" أَي خَفِيفَةُ السَّمْعِ .
قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

• لَهُ أَذْنَانِ خُذَاوِيَّتَانِ * نِ وَالْعَيْنُ تُبْصِرُ مَا فِي الظُّلَمِ
ثمَّ "النَّاصِيَةُ" هِيَ الشَّعْرُ السَّائِلُ عَلَى الْجَبْهَةِ ، يُقَالُ : "وَارِدَةٌ" هِيَ الطَّوِيلَةُ .
وَوَجْهَةٌ هِيَ الْكَثِيرَةُ الْمَلْتَفَّةُ . وَ"الْفَاشِغَةُ" وَ"الْغَمَاءُ" (٣) هِيَ الْكَثِيرَةُ الْمُنْتَشِرَةُ .
وَوَالسَّقَوَاءُ (٤) هِيَ الْقَلِيلَةُ . وَ"عُصْفُورُهَا" : أَصْلُ مَنِيتِ شَعْرِهَا . وَ"قَوْنِسُهَا" (٥) :
الْعَظْمُ الْبَاقِي بَيْنَ الْأُذْنَيْنِ (٦) .

١. وَأَمَّا الْوَجْهُ وَمَا فِيهِ مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ — "النَّوَاهِقُ" (٧)
وَهُمَا عَظْمَانِ شَاخِصَانِ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْجَبْهَةِ إِلَى الْمَنْخَرَيْنِ . وَ"الْأَهْزِمَتَانِ" : مَا أَجْتَمَعَ
مِنَ اللَّحْمِ فِي مُعْظَمِ الْحَيَيْنِ . وَ"عَيْنٌ مُغْرَبَةٌ" أَي بَيْضَاءُ الْحَمَالِيقِ وَمَا حَوْلَهَا .
وَ"خَيْفَاءُ" : إِذَا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا سُودَاءَ وَالْأُخْرَى زُرْقَاءَ . وَ"الْمُحْمَاقَةُ" : الَّتِي
حَوْلَ مُقْلَتَيْهَا بَيَاضٌ لَمْ يُخَالِفِ السُّودَّ .

١٥ (١) وَرَدَ هَذَا الشَّرْطُ فِي تَجَنُّبِ رَشْحَاتِ الْمَادِّاتِ فَمَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّافَاتِ الْجَيَادِ لِلْجَمْعِ (ص ٢٤ طَبْعُ حَلَب)
هَكَذَا : «يَخْرُجُ مِنْ مَسْطَرِيقِ النَّعَمِ... الخ» . (٢) فِي التَّكَلُّفِ لِلصَّاعِي : «وَالْعَيْنُ يَبْصُرُ... الخ» .
(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : «الْفَمُ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : «الشَّقَوَاءُ» بِالشَّيْنِ وَالْعَيْنِ
الْمُعْجَمَتَيْنِ ، وَهُوَ تَصْغِيرٌ . (٥) فِي الْأَصْلَيْنِ : «قَوْنِسُهَا» بِالْيَاءِ الْمُنْتَهَا بَدَلُ الْوَاوِ ، وَهُوَ تَصْغِيرٌ .
(٦) فِي الْأَصْلَيْنِ : «مِنْ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٧) عِبَارَةُ الْقَامُوسِ : «وَالنَّوَاهِقُ : عَظْمَانِ
شَاخِصَانِ مِنْ ذِي الْحَافِرِ فِي مَجْرَى الدَّمِ وَيُقَالُ لَهَا : النَّوَاهِقُ أَيْضًا» .

٢٠

و«أَنْفٌ مُصَفَّحٌ» أى مُعْتَدِلُ الْقَصَبَةِ . و«السَّمُّ» : نَقْبُهُ ، قال : ^(١)

* وَمَنْخِرًا وَاسِعَةً سُمُومُهُ *

وقال مُزَاهِمُ بْنُ طُفَيْلٍ الْغَنَوِيُّ ، وقيل : العباس بن مرداس السَّامِيُّ ، :

مِلءُ الْحِزَامَيْنِ وَمِلءُ الْعَيْنِ * يَنْفُشُ عِنْدَ الرِّبْوِ مَنْخَرَيْنِ ^(٢)

* كَنْفَشُ كَبِيرَيْنِ بَكْفَى قَيْنِ ^(٣) *

و«الْحَافِلَةُ» : الشَّفَّةُ . و«الْفَيْدُ» : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَلَيْهَا . و«الشَّدْقَانُ» :

مَشَقُّ الْقَمِّ إِلَى حَدِّ الْجَامِ .

وأما العُنُقُ وما فيه — «فالمَعْرِفَةُ» : موضعُ الْعُرْفِ . و«الْعُرْفُ» :

شَعْرُ أَعْلَى الْعُنُقِ . و«الْعُدْرَةُ» : ما على الْمِنْسَجِ يَقْبِضُ عَلَيْهِ الْفَارَسُ إِذَا رَكَبَ .

و«الْعُرْشَانِ» : اللِّحْيَانِ مِنْ جَانِبَيْ الْعُرْفِ . و«الْحِرَارَاتُ» ^(٤) : جِلْدُ أَسْفَلِ الْعُنُقِ .

و«الدَّيْسِيعُ» : مُرَكَّبُ الْعُنُقِ فِي الْكَاهِلِ . قال سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ : ^(٥)

يَرَقُّ الدَّيْسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ يَتَّعِ * فِي جَوْجُؤٍ كَمَا ذَاكَ الطَّيِّبُ مَخْضُوبِ ^(٦)

(١) في الأصلين : «قبا» بالون وهو تحريف . قال الأصمعي : «سمومه مسخراه وعياه وأذناه

وكل نقب سم» . (٢) في الأصلين : «يقال» .

(٣) نسب هذا الشعر في ديوان الماعاني لأبي هلال العسكري (ح ٢ ص ٧٤ من النسخة المخطوطة

المحمولة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب) للعباس بن مرداس . ونسب فيه لمزاحم بن طغيلة

شاهد آخر وهو : * من مسخر كوجار الثعلب الخرب *

وقال : «بمفعلة خربا ليكون أوسع» .

(٤) الزربو : البهر واتمناخ الجوف . (٥) القين : الحداد .

(٦) كذا في المخصص ولسان العرب (مادة جرد) . وفي أ : «الحراز» . وفي ب : «الحراز» ،

وكلاهما تحريف . (٧) الزيادة عن المخصص ولسان العرب مادة «بتع» .

(٨) كذا في المخصص ولسان العرب مادة «بتع» وتجاب الحيل للاصمعي (ص ١٣ طبع أوربا) .

والبتع (بالتحريك) : شدة العنق وإشراقها . والوصف منه أبتع وبتع (وزان فرح) . وفي رواية أخرى :

«تلع» والتلع : طول العنق . وفي الأصلين : «بتع» بتقديم التاء المشاة على الباء الموحدة ، وهو تصحيف .

(٩) الجؤجؤ : الصدر . والمذاك : مجرى سيق عليه الطيب .



و"الْبَّانَ": ما جرى عليه اللَّبُّ . ويقال : "عُقَّ قَوْدَاءُ" أى طويلةٌ . و"سَطْعَاءُ" أى طويلةٌ . مُتَّصِبَةٌ غليظةٌ . و"تَلْعَاءُ" : متَّصِبَةٌ غليظةٌ الأصل مجذولةٌ الأعلى . و"دَنَاءٌ" أى مطمئنةٌ من أصلها . و"هَنَعَاءُ" : مُطْمَئِنَّةٌ من وَسَطِهَا . و"وَقْصَاءُ" : قصيرةٌ . و"مُرْهَقَةٌ" : رَقيقَةٌ^(١) .

وأما الظهر وما اتصل به من الوركين — فنه : "الْمَتْنَانِ" وهما
لحمان يكتنفان الظهر من مُرْكَبِ العُقِّ الى علو ظهر الذنب . و"الحَارِكُ" : عَظْمٌ
مُشْرِفٌ من بين رَوْعِي الكَتِفَيْنِ . و"الْقُرْدُودَةُ" : حَدُّ الْفَقَارِ . و"الْفَقَارُ" : المنتظمة
في الصُّلْبِ . و"الصَّهْوَةُ" : مَقْعَدُ الْفَارِسِ . و"الْقَطَاةُ" : مَقْعَدُ الرِّدْفِ خَلْفَهُ .
و"الْمَعْدَانِ" : موضع السَّرج من جَبِيهَةٍ . قل شاعرٌ^(٢) :

فَلَمَّا زَالَ سَرَجِي عَنْ مَعْدٍ^(٣) . وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا^(٤)
و"الْعَرْدُ" : بَيَاضٌ عَلَى الظَّهْرِ . و"الْفُرَايَانِ" : مُلْقَى أَعَالَى الْوَرَكَيْنِ فِي نَاحِيَةِ
الصُّلْبِ . و"الصَّلَوَانِ" : مَا أَسْهَلَ مِنْ جَانِبِ الْوَرَكَيْنِ . و"الْعَجْبُ" : مَا أَرْتَفَعَ
مِنْ أَصْلِ الذَّنْبِ . و"الْعُلُوَّةُ" : أَصْلُهُ . و"الْعَسِيبُ" : عَظْمُ الذَّنْبِ . وَالْأَعْوَجُ
الْعَسِيبُ : "أَعْرَلُ" .

(١) لعلها «دقيقة» بالدال المهملة . (٢) هو عمرو بن أحر الباهلي يحاطب امرأته ، كما
في لسان العرب (مادة معد) . (أصدر ترجمته في الشعر والشعراء ص ٢٠٧ طبع أوروبا) .
(٣) في الأصلين : «سرج» بالخاء المهملة . والتصويب عن لسان العرب . ثم استغرد صاحب
اللسان في تفسير البيت قائلا : «وقال ابن الأعرابي : معاد إن عزي فرسي من سرجي ومث . وحواب
الشرط مذكور في البيت بعده وهو :

فلا تصلي بمطروق إذا ما
سرى في القوم أصبح مستكينا
(٤) في الأصلين : «ماحدر» بالناء بدل الواو، وهو تحريف .
(٥) في الأصلين : «بيص» وهو تحريف .

وأما الصدر وما اتصل به من البطن — فنه: «الكَكَلُ»: مامس الأرض من قهده. و«الْفَهْدَان»: اللّحمتان اللّتان في الصدر. و«المَحْزِمُ»: ما شدّ عليه الحزام. و«الباِحِرَان»^(١): عِرْقَانِ يُوَدِجُ منهما.

وأما الذّراعان وما دونهما — «المِرْفَقَانِ»: مَآخِرُ رُؤُوسِ الذّراع. و«الحَصِيلَةُ»^(٢): لُحْمَةُ الذّراع مع العَصَب. و«الصّافِنُ»: عِرْقُ الذّراع. و«الحِبَالُ»: عَصَبُهَا. و«الرِّفْتَانِ»: لَحْمَتَانِ فِي بَاطِنِهَا لَا تَبْنَانِ شَعْرًا. و«الرَّكْبَةُ»^(٣): مَوْصُلُ مَا بَيْنَ الذّراعِ وَالْوِطِيفِ. و«الْوِطِيفَانِ»: الْعِظَامَانِ تَحْتَ الرِّكْبَتَيْنِ وَالْعُرْقُوبَيْنِ. و«الرَّضْفَتَانِ»: عِظَامَانِ مُسْتَدْبِرَانِ عَلَى الرَّكْبَةِ. و«السَّنْبُكُ»^(٤): طَرَفُ مُقَدِّمِ الْحَافِرِ. و«النَّمْرُ»: مَا يَتَطَايَرُ مِنْ أَسْفَلِهِ كَالنَّوَى. و«الْمُسْقَلُ»: مُجْتَمَعُ الْحَافِرِ مِنْ بَاطِنِهِ. وَذَلَالَةُ الْحَافِرِ: مُؤَخَّرُهُ. وَيُقَالُ: حَافِرُ أَرَحَ: مُنْبَطِحُ السَّابِكِ. و«فَرَشَاحُ»^(٥) أَيْ مُنْبَطِحٌ. و«وَأَبُ»: مُقَعَّبٌ. و«مَضْرُورٌ»: مَضْحُومٌ صَغِيرٌ. و«مُكْنَبٌ»^(٦) أَيْ كَثِيفٌ. وَاللّهِ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.



وأما ألوانها وشيأتها وغررُها وجوؤها وعصمُها وما فيها من الدوائر — من ألوانها: «الْبَهْمُ وَالْمُضَمَّتُ»: كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَاحِدٍ لَا شَيْءَ فِيهِ.

(١) في الأصلين: «الباِحِرَان» اللّحم والراى المجمعين. وهو تصحيف.

(٢) في الأصلين: «الحصيلة» ماله المهجلة، وهو تصحيف.

(٣) في الأصلين: «والرقة» جئ في باطنها لا يبنان شعرا.

(٤) في الأصلين: «الركبة» وهو تحريف.

(٥) في الأصلين: «الرضفتان» بالصاد المهملة، وهو تصحيف.

(٦) في الأصلين: «أزح» الراى والحيم المجمعين، وهو تصحيف.

(٧) في الأصلين: «مكنب» بالسين المعجمة. وهو تحريف.

إلا الأشهب فإنه لا يقال له بَهِيمٌ . يقال : فرسٌ مُصَمَّتٌ ، والأُنثى مُصَمَّتَةٌ ، والجمع مُصَامِتٌ . وكذلك يُقال في قوائم الفرس إذا لم يكن بهنٌ تحجِيلٌ^(١) . قال أبو حاتم :
* مُبَهَمَةٌ مُصَمَّتَةٌ القوائم *

ومن ألوان الخيل : "الأدهم" ، وهى ستة : "أدهمٌ غَيَبٌ" وهو أشدها سودا ، والأُنثى غَيَبَةٌ . والغَيَبُ : الظلمة ، والجمع غَيَاهِبٌ . وكذلك "الغريْدُبُ" .
و"الحالكُ" . و"أدهمٌ دَجُوجِيٌّ" : صافى السَّوَادِ ؛ وقيل : هو مأخوذ من الدَّجَّةِ ، وهى شدة السواد والظلمة . و"أدهمٌ يَحْمُومٌ وأدهمٌ أَحْمٌ" وهو الذى أُشْرِيتْ سِرَاتُهُ^(٢) ومُجَزَّتُهُ حُمْرَةٌ . قال أبو تمام :

أو أدهم فيه كَنَّةٌ أَمٌّ* كأنه قطعةٌ من الغليس

ثم "أدهمٌ أَكْهَبٌ" وهو إلى الكدرة .

ثم "أحوى" والجمع حُؤٌّ ، وهو أهونُ سودا من الجَوْنِ ، ومَنَاحِرُهُ حُمْرَةٌ ، وشَاكِتُهُ مُصَفَّرَةٌ . والأحوى أربعة ألوان : "أحوى أَحْمٌ" وهو المشاكِلُ للدَّهْمَةِ والخضرة ؛ ولا فرق بينه وبين الأخضرِ الأحمرِ إلا بآحمرارِ منَاحِرِهِ وأَصْفِرارِ شَاكِتِهِ .
و"أحوى أَصْبَحٌ" وهو الذى يَقُلُّ حُمْرُهُ فتصيرُ إلى السواد ويكون البياض فيه غالبا على أطرافِ المَنَاحِرِ . و"أحوى أَطْحَلُ" وهو الذى تَعْتَرِيهِ صُفْرَةٌ وخضرةٌ

(١) فى كتاب فصل الخيل للإمام الحافظ شرف الدين الديلمى المصرى المتوفى سنة ٧٠٥ هـ

(ص ٤٨ طبع حلب) : «أشدها أبو حاتم» .

(٢) سرة الفرس : أعلى منه . وفى الأصلين «سراة» ، وهو تحريف .

(٣) كذا فى ديوانه المطبوع ببيروت سنة ١٨٨٩ م (ص ١٥٠) وشرحه للعلامة التبريزى (نسخة

مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش ص ٣٢٨) . وفى الأصلين : «أدهم
فى كَنَّةِ تَرْيَنِهِ» ، وهو تحريف .

مُحاطَّانٍ لِكُدْرَةٍ. و"أَحْوَى أَكْهَبُ". والكَهَبُ: قَلَّةُ مَاءِ اللَّوْنِ وكُدْرَتُهُ في موضع
المتخزين في حرتهما وفي سواد السَّرَاةِ في بياض الأقرباب .
ومنها الخُضْرُ - وهي أربعة^(١): "أخضرُ أحْمُ" وهو أدناها إلى الدُّهْمَةِ . قال
الشاعر :

* خَضْرَاءُ حَمَاءُ كُلِّونِ الْعَوْهَقِ *

وهو اللَّازَوْرُدُ . و "أخضرُ أدغم" وهو الأخطَبُ لونٍ وجهه وأذنيه وَمَنَاحِرِهِ .
وهذا اللَّوْنُ يُسَمَّى بالفارسيَّةَ "دِيزْجَا"^(٢) . و"أخضرُ أطلح" وهو الذي تعلو خُضْرَتُهُ
صُفْرَةً . و"أخضرُ أورتى" وهو الذي كلون الرَّمَادِ .



ومنها الكُمَيْتُ - والجمع كُمَيْتٌ، والذكر والأنثى فيه كُمَيْتٌ، وهي تسعة .
قالوا: وكُمَيْتٌ من الأسماء المصغرة المرتفعة التي لا تكبير لها، من أَكَمْتُ بمنزلة حميدٍ
من أحد، غير أن أَكَمْتُ لم يُسْتَعْمَلْ . والكُمَيْتُ بين الأَحْوَى والأَصْدَأْ، وهو أَقْرَبُ
من الشُّقْرِ والوَرَادِ إلى السَّوَادِ وأشدُّ منها حمرةً . والفرق ما بين الكُمَيْتِ والأشقرِّ
بالعُرفِ والدَّنبِ، فإن كانا أَحْرَيْنِ فهو أَشقرُّ، وإن كانا أَسْوَدَيْنِ فهو كُمَيْتٌ، والوَرْدُ
بينهما . والكُمَيْتُ أَحَبُّ الْأَلْوَانِ إلى الْعَرَبِ . ومن ألوانه : "كُمَيْتُ أَحْمُ"
وهو الذي يُشَابِهُ كُلَّ الْأَحْوَى، غير أنه تَفْصِلُ بينهما حمرةُ أَقْرَابِهِ وَمَرَاقِهِ وَمُرَبَّطَاتِهِ .
والمُرَبَّطَاءُ: الجلدة التي بين العانةِ والمُسرَّةِ . والأقربابُ: من الشاكلة التي هي الخاصرةُ

(١) في الأصلين: «ومنها الحصرة» . وقد حذفنا الناء ليتسق كلام المؤلف؛ فقد ذكر سائر الألوان
بصفة الوصف .

(٢) جاء في كتاب قطر السبيل في أمر الخليل للبلقيني (نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم ٢١٤ فون حربية) : «ويقال: إنَّ الجلاج قال لصاحب دوابه: أسرح الأدم - فخرج الرجل
لا يدري ما قال له، فسأل يزيد بن الحكم (لهه يبنى يزيد بن أبي مسلم كاتب الجلاج ومستشاره) . فقال :
أفي دوابه ديزج؟ قال: نعم فيها ديزج . قال: أسرجه له» .

الى مَرَأَقِ البطن، واحدها : قُرْبٌ وَقُرْبٌ . قال الأصمعي : أشد الخيل جُلُودًا
وحوافر الكُتِّ الحُمْ . و «كُتِّ أَصْحَمٌ»^(١) وهو الأسود الذي يضرب الى الصفرة .
و «كُتِّ أَطْحَمٌ» والطَّحْمَةُ : سَوَادٌ في مُقَدِّمِ الأنف . و «كُتِّ مُدَمِّي» وهو الشديد
الحمرة وكلما انحدر الى مَرَأَقِ البطن يزدادُ صفاءً . و «كُتِّ أَحْمَرٌ» وهو أشد حمرة
من المدمى ، وهو أحسن الكُتِّ . و «كُتِّ مُذْهَبٌ» وهو الذي تعلو حرته صفرة .
و «كُتِّ مُحْلَفٌ» وهو أدنى الكُتِّ الى الشقرة وظاهر شعر ذنبه وعُرفه كلون جسده
وباطنه أسود ، والآنثى مُحْلَفَةٌ . وأنشدوا :^(٢)

كُتِّ غَيْرُ مُحْلَفٍ وَلَكِنْ كَلَوْنُ الصَّرِفِ عَلَّ بِهِ الْأَدِيمُ^(٣)

قال أبو خيرة : المُحْلَفُ بين الأصهب والأحمر ، وهو من الإبل الأصحَر . و «كُتِّ
أَكْلَفٌ» وهو الذي لم تصف حمرته ويرى أطراف شعره سواد . و «كُتِّ أَصْدَأٌ»
وهو الذي فيه صدأة أى كُدرة بصفرة قليلة ، شَبَّهت بلون صدأ الحديد .

ومنها الْوَرَادُ — وهى جمع وَرْدٍ وهى ثلاثة — وَالْوَرْدُ هو الذى تَعْلُوهُ حرّة
الى الشقرة الْخُلُوقِيَّةُ وَجِلْدُهُ وَأَصُولُ سَعْرِهِ سُودٌ . وقيل : الْوَرْدَةُ : حرّة تضرب

(١) فى الأصلين : « أَصْحَمٌ » بالمعجمين . وهو تصحيف .

(٢) قائل هذا البيت هو ابن كحجة البيربوعى وأسمه حدة بن عبد مناف وكاحمة أمه ، كما فى لسان
العرب مادة « حلف » .

(٣) قال صاحب المسان فى تفسير كلمة محافة : « يعنى أنها حالصة اللون لا يخلط عليها أنها ليست
كذلك » .

(٤) الصَّرف (الكسر) : صغ أحمر يصع به شرك العال . يعنى أنها حالصة الكنة كالون الصَّرف .

(٥) الْخُلُوقِيَّةُ (بالخاء المعجمة) : نسبة الى الخلق ، وهو صرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من
نواع الطيب .

إلى الصفرة . وتحقيقه أنه بين الكميت الأحمر وبين الأشقر — منها : ”وردٌ خالصٌ“
و ”وردٌ مصاصٌ“ وهو الخالص أيضا ، والأشقر مصاصٌ . و ”وردٌ أغبسٌ“
تدعوه العجم ”السند“ وهو الذي لونه كلون الرماد .

ومنها الشقر — وهي تسعة — والأشقر : أشدُّ حمرةً من الورد — يقال : ”أشقر
أدبسٌ“ وهو الذي لونه بين السواد والحمرة . و ”أشقر خلوق“ . و ”أشقر أصبح“ وهو قريب
من الأصهب . والصبغة : الشقرة في شعر الرأس . و ”أشقر سلغد“ وهو الذي خلصت
شقرته ، والأشقر سلغدة ، والجمع سلغدات . قال شاعر :

أَشْقَرُ سَلْغَدٍ وَأَحْوَى أَدَجٍ ۖ أَصْكُ أَطَى وَحَيْفَسُ أَفْلَجٍ^(١)
^(٢) ^(٣) ^(٤)

و ”أشقر قرف“ والأشقر قرفة ، والجمع قروف وقرف وأقراف وهو كاسلغد .
و ”أشقر مدعى“ وهو الشديد الحمرة . و ”أشقر أقهب“ . والقهبة : غبرة إلى سواد .
وقال ابن الأعرابي : الأقهب : الذي فيه حمرة فيها غبرة . و ”أشقر أمغر“ ،
وهو الذي نعلو شقرته مغرة ، أى كدرة . و ”أشقر أفصح“ : بين الفصححة ، وهي
البياض ليس بالشديد .

ومنها الصفقر — وهي أربعة : ”أصقر فاقع“ . و ”أصقر أعقر“ وهو
بياض تعلوه حمرة . و ”أصقر ياصع“ . و ”أصقر ذهبي“ وهو الذي يضرب إلى
البياض ، وهو السوسني .

- (١) في الأصلين : «أعش» بالعين والشين المعجمتين ، وهو تصحيف .
- (٢) كذا في كتاب فصل الحيل للدمياط والأطلسي : أندي ليس به رهل (استرحا) اعجم من السمن) .
- وفي الأصلين : «أطلى» بفتح الهمزة ، وهو تصحيف .
- (٣) كذا في كتاب فصل الحيل للدمياط ومعجم اللغة . والحيفس : التصغير العليظ . وفي الأصلين :
«وحفيس» بالشين المعجمة وتقديم الداء على الباء ، وهو تحريف . (٤) الناج : تباعد ما بين الساقين .
- (٥) كذا في كتاب حلية الفرسان وشمس الشهبان لاس هديل الأندلسي (ص ٢٢ طبع باريس ١٩٢٢ م)
والسوسني : نسمة إلى السوسن ، وهو نبات طيب الرائحة ، وأجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض .
وفي الأصلين : «السوسى» بدون النون ، وهو بحر ياف .

ومنها الشَّهْبُ — وهي خمسة . والأشهبُ : كلُّ فرس تكونُ شعرُهُ على لونين ثم تفرق شعرانهُ فلا يجمع واحداً من اللونين شعراتٌ تَخْلُصُ بلون كَقَدَرِ الثَّكْثَةِ^(١١) فما فوقها . وقيل : الأشهبُ الأبيضُ الشعرُ ليس بالبياض الصَّافِي القِرطَاسِيَّ وجلده أسودُ يقال له "أشهبُ أبيضُ" . والشَّهْبَةُ في الألوان : البياضُ الذي يَقلبُ على السَّوَادِ . ويقال للأشهب أيضاً : أَخْضَى ، والأثني ضحيان . وأسماء ألوانه :
 • "أشهبُ ناصعٌ" . و"أشهبُ أحمرٌ" وهو أسودُ تَفْدُهُ شعراتٌ بيضٌ . و"أشهبُ زُرْزُورِيٌّ" وهو الذي اعتدل فيه السواد والبياض . و"أشهبُ مَقْلَسٌ" وهو الذي خالط بياضه سوادٌ أو حُمْرة . و"أشهبُ سامِرِيٌّ" وهو الذي شُهِبَتْه بسواد أَوْرَق .
 ومنها الجَلُونُ^(١٢) — وهو اختلاط بياض بُحْمرةٍ أو الأشقر أو الكَيْت .

ومنها الصَّنَابِي — وهو دُهمَةٌ فيها شُهْبَةٌ ، أو كُتْنَةٌ فيها شُهْبَةٌ أَقلُّ من بياض الأشهب . تُسَبَّ إلى الصَّاب وهو الحَرْدَل بالزبيب .
 ومنها الأَغْبَرُ — وهو أَشقرُ شَمِلَتْ شُقرته شُهْبَةٌ .

ومنها الأَبْرَشُ — وهو الذي فيه لَمَعٌ بياض كالرُّقْطِ ، وقيل : هو الذي يكون في شعره نُكْتٌ صِغارٌ تُخالفُ سائرَ لونه ، وإنما يكون ذلك في الدُّهم والشُّقر خاصةً ، وربما أصابها ذلك من شدة العطش . فإذا عَظُمَتِ النُّكْتُ فهو "مُدْرٌ" . وإذا كان في جسده بَقَعٌ مُتَفَرِّقَةٌ مخالِفةٌ لونه فهو "مُلَمَعٌ" و"مُأْبَقِعٌ" و"أَشِيمٌ" . وقيل : الأَشِيمُ : أن تكون

(١) كذا في كتاب رِشحات المِداد فيما يتعلق بالصافات الجِباد . وفي الأصلين : « هرق شعرته » .

(٢) كذا في كتاب فصل الحِلل للديباط وقطر السيل للباقني . وفي الأصلين : « كدده » ، وهو تحريف .

(٣) كذا في ب . وفي أ : « أحر » بزيادة الزاء المهملة .

(٤) في الأصلين : « الجَلُون » ، وهو تحريف .

(٥) كذا في اللسان والمخصص . وفي الأصلين : « لدع » .

(٦) الرقطة : جمع أرقط ، والرقطة : سواد يشوبه نقط بياض أو بياض يشوبه نقط سواد .

فيه شامة بيضاء؛ وقيل : قد تكون الشامة غير بيضاء . وإذا كان في الشامة استطالة فهو "مُولَعٌ" . وقال ابن بنين : إذا كانت في الدابة عدة ألوان من غير بَلَقٍ فذلك النولعُ ، يقال : يَرْدُونَ مَوْلَعًا . وإذا كانت الشامة في مؤخره أو شِقِّه الأيمن كُرِهَتْ . ومنها العَرَسِيَّةُ — وهو الذي يشبه لَوْنَ ابنِ عِرْس .

ومنها الأَنْمُرُ — وهو الذي يكون فيه بقعة بيضاء وبقعة أخرى من أى لَوْن كان . ومنها الأَبْلَقُ — وهو ما يكون نصف لَوْنِه أو ما قارب النصف أبيض ، والنصف الآخر أسود أو أحمر .

ومنها الأَغْشَى (بالعين المعجمة) — وهو ما أبيض رأسه دون جسده مثل الأَرْحَمِ .

ومنها الأَبْيَضُ — وهو الذي أبيض شعره بياضا مثل بياض الأوضح أشد ما يكون من البياض وأصفاه لا يخالطه شيء من الألوان فيقال ، فيه : أبيض قرطاسي . وربما كان أزرق العين أو أسود أو أَكْثَلُ^(٣) . ويدعى بما في عينه من زُرْقَة وَسَوَادٍ وَكَلٍّ ؛ ولا يكون أَكْثَلٌ حتى تسود أشْفَارُ عينيه وجفونه .

قال الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه "[فضل] الخيل" : «وألوانُ الخيل أدهم ، وأخضر ، وأخوى ، وكُمَيْت ، وأشقر ، وأصفر ، وأشهب ، وأبرش ، ومُلمَع ، ومُولَع ،

(١) هو سليمان بن بيش بن حلف النحوي المصري المتوفى سنة ٥٦١ هـ له عدة مؤلفات ذكرها السيوطي في كتابه بعية الوعاة : منها كتاب آلات الجهاد وأدوات الصاعقات الحيات الذي نقل عنه الحافظ الديلماني في كتابه فصل الخيل . (٢) أورد صاحب اللسان للأغنى معنيين أولها : الذي غشيت عرته وجهه وأصمعت وثانيتها ما ذكره المؤلف . (٣) كذا في كتاب رشحات المداد . وقد ورد في الأصل وكتاب فصل الخيل هكذا «... لا يخالطه شيء من الألوان وربما كان أزرق العين أو أسود أو أَكْثَلُ فيقال فيه أبيض قرطاسي . ويدعى ... الخ » . (٤) المراد به الامام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الديلماني المصري المتوفى سنة ٧٠٥ هـ مؤلف كتاب فصل الخيل . وقد طبع بمدينة حلب سنة ١٣٤٩ هـ . وما ساقه عنه المؤلف هنا يقع في ص ٤٧ من الكتاب المذكور .

وأشبه . هذا قول أبي عبيدة . وقال الأسيوردي في رسالته : الدُّهْمَةُ ، ثم الحُوَّةُ ، ثم الصُّدَاةُ ، ثم الخُضْرَةُ ، ثم الكُتْنَةُ ، ثم الوردَةُ ، ثم الشُّقْرَةُ ، ثم الصُّفْرَةُ ، ثم العُفْرَةُ ، ثم الشُّهْبَةُ . هذا ما وقفنا عليه من ألوانها . والله أعلم .



- وأما الشَّيَّةُ وجمعها شَيَات — فقالوا : كل لون يُخَالَفُ مُعْظَمَ لَوْنِ الْفَرَسِ فهو "شَيَّةٌ" . فإذا لم يكن فيه شَيَّةٌ فهو "أصم" و"بهم" من أى الألوان كان ، والأُنثى أيضا بهم . وكذلك فرس "مُضْمَتٌ" بمنزلة البهم من أى لون كان ، والأنثى مُضْمَتَةٌ . والجمع مَصَامِثُ . وقد تقدّم ذكر ذلك . فلندكر الشَّيَاتِ .

- من الشَّيَّةِ — : الغُرَّةُ ، والقرْحَةُ ، والرُّنْمَةُ ، واليَحْيِيلُ ، والسَّعْفُ ، والْبَطُّ ، والصَّيغُ ، والشَّعْلُ ، والْبَطُّ ، واليعسوبُ ، والعميمُ . والباقي .

- فالغُرَّةُ — : البياضُ في الوجه ، وهى أنواع : أطيَمُ ، وشادخةٌ ، وسائلةٌ ، وشِمْرَاحٌ ، ومُتَقَطَّعةٌ ، وشَهَاءٌ .

- "الْأَطِيَمُ" : الذى يَصِيبُ الْبَيَاضَ عَيْنَهُ أَوْ إِحْدَاهُمَا أَوْ خَدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ، وَالْأُنْثَى أَيْضًا لَطِيْمٌ . فإذا فَتَشْتَ فِي الْوَجْهِ وَلَمْ تُصِبْ الْعَيْنَ فَهِيَ "سَادِخَةٌ" . فإذا اَعْتَدَلَتْ عَلَى قَصَبَةِ الْأَنْفِ وَإِنْ عَرُضَتْ فِي الْجَبْهَةِ فَهِيَ "سَائِلَةٌ" . وإذا دَقَّتْ وَسَالَتْ فِي الْجَبْهَةِ وَعَلَى قَصَبَةِ الْأَنْفِ وَلَمْ تَبْلُغْ الْجَحْفَلَةَ فَهِيَ "شِمْرَاحٌ" . وكلُّ بَيَاضٍ فِي جَبْهَةِ [الفرس] فَشَا أَوْ قَلَّ يَنْحَدِرُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمَرْسِينَ ثُمَّ يَنْقَطِعُ فَهِيَ غُرَّةٌ "مُتَقَطَّعَةٌ" . وإذا كَانَ الْبَيَاضُ فِي مَنْخَرَيْهِ ثُمَّ ارْتَفَعَ مُصْعِدًا حَتَّى يَبْلُغَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ يَبْلُغْ جَبْهَتَهُ فَهِيَ أَيْضًا غُرَّةٌ مُتَقَطَّعَةٌ .

(١) كذا في لسان العرب والفاوس (مادة قطع) . وفي الأصل : «متقطعة» بالو ، وهو تصحيف .

(٢) النكلة من كتاب فصل الخيل وكتاب قفل السيل .

(٣) المرسن (منح الميم وكسر السين) : موضع الرسن من أنف الفرس .

وإذا كان في العزة شعر يخالف البياض فهي غرة "شهباء" . وقال ابن قتيبة : «إن سالت غرته ودقت فلم تجاوز العينين فهي "العصفور" . وإن أخذت جميع وجهه غير أنه يئطر في سوادٍ فهي "المبرقة" . فإن قست حتى أخذ العينين فبيض أشفارهما فهو "مغرب" . فإن كانت إحدى عينيه زرقاء الأخرى كحلاء فهو "أخيف" .

وأما القرحة — وهي دون العزة؛ فقال ابن قتيبة : العزة ما فوق الدرهم ، والقرحة : قدر الدرهم ما دونه . قالوا : والقرح : كل بياض كان في جهة الفرس ثم أقطع قبل أن يبلغ المرسن . وتنسب القرحة إلى خلقتها في الاستدارة والتثليث والتربيع والاستطالة والعلة ؛ فإذا قلت قيل : "خنة" . وإذا كان في القرحة شعر يخالف البياض فهي "قرحة شهباء" .

وأما الرثمة (بالراء المثلثة) — فكل بياض أصاب الخجلة العليا قل أو كثر فهو "رثم" إلى أن يبلغ المرسن . ونسب الرثمة إذا هي قست إلى الشدوخ . وإذا لم تجاوز المخرين نسبت إلى الاعتدال . وإذا قلت واشتد بياضها نسبت إلى الاستنارة . وإذا لم يظهر بياضها للناظر حتى يدنو نسبت إلى الخفية .

والأمظة — كل بياض أصاب الخجلة السفلى قل أو كثر فهو "لمظ" والفرس المظ .

واليعسوب — كل بياض يكون على قصبة الأنف قل أو كثر ما لم يبلغ العينين . وإذا شاب الناصية بياض فهو "أسعف" . فإذا حلص البياض في الناصية فهو "أصبع" . فإذا آنحدر البياض إلى منبت الناصية فهو "المععم" . وإذا كان في عرض الذنب بياض فهو "أشعل" . والعرب تتركه شعلة الذنب . وإذا كان في قمة الذنب ، وهي طرته ، بياض فهو "أصبع" . وإذا ارتفع البياض حتى يبلغ البطن

فهو "أَنْبِط"، وإذا ظهر البياض وزاد فهو "أَبْلَقُ". وقال ابن قُتَيْبَةَ ^(١) وآبن الأجدابي ^(٢): إذا كان الفرس أبيضَ الظهر فهو "أَرْحَلُ"، وإن كان أبيضَ البطن فهو "أَنْبِطُ". وقال غيرهما: "الأدرع" من الخيل والشاة: الذي أسودَ رأسه ولونُ سائرهِ أبيضُ، والآنثى "دَرَعَاءُ"، من الدُرْعَةِ ^(٣). و"الأخصفُ" من الخيل والغنم: الأبيضُ الخاصرتينِ الذي أرتفعَ البَلَقُ من بطنه إلى جنبه، ولونه كلون الرماد فيه سوادٌ وبياضٌ. وقيل: كلُّ ذى لونينِ مجتمعين فهو خَصِيفٌ وأخصفُ؛ وأكثر ذلك السوادُ والبياضُ. ويقال: فرسٌ "آزَرُ"، إذا كان أبيضَ العَجَزِ.



ومن الشِّبَةِ التَّحْجِيلُ — وهو البياضُ في قوائم الفرس الأربع، أو في ثلاثٍ منها، أو في رجله قل أو أكثر إذا استدار حتى يُطِيفَ بها. وأصل التَّحْجِلَةُ من التَّحْجِلِ (بفتح الحاء وكسرهما) وهو القيدُ والخلخالُ. قال ابنُ الأجدابي: فإن كانت قوائمه الأربعُ بيضاء لا يبلغُ البياضُ منها الركبتين فهو "مُحَجَّلٌ" ^(٤). وطلَبُ اليدِ وطلق اليدَ (بفتح الطاء وإسكان اللام وبضمهما أيضا): إذا كانت على لون البدن ولم يكن بها بياضٌ. فإذا أصاب البياضُ القوائم كلها فهو "مُحَجَّلٌ أربع". وإن

- (١) راجع كتابه أدب الكاتب (ص ٤٩ طبع مطبعة الوطن بمصر سنة ١٣٠٠ هـ).
- (٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الأجدابي الطرابلسي. (راجع ما كتبه على ألوان الخيل في كتابه كفاية المتحفظ ونهاية المطلع ص ٢٦ طبع مطبعة وادي النيل).
- (٣) الدرعة: اسم من الدرع (بالتحريك) وهو سواد مقدم الفرس أو الشاة وبياض سائرهما؛ وقيل: هو سواد الجسد وبياض الرأس. وإنما سميت بذلك تشبيها بالليالي الدرع وهي ليلة ست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة أسودت أراثلها وأبيض سائرهما. أو هي الليالي التي يطلع القمر فيها عند وجه الصبح وسائرهما أسود مطلم.
- (٤) كذا في كفاية المتحفظ لابن الأجدابي وكتاب فضل الخيل للدهلي. وفي الأصلين:

«الوردين» وهو تحريف.

كان في ثلاث قوائم فهو "مُجَبَّلُ ثَلَاثٍ" مُطْلَقٌ يَدٌ أَوْ رِجْلٌ يُنْيَى أَوْ يُسْرَى . وكلَّ قَائِمَةٍ بِهَا بَيَاضٌ فَهِيَ "مُتَسَكِّةٌ" . وكلَّ قَائِمَةٍ لَيْسَ بِهَا وَضْعٌ فَهِيَ "مُطْلَقَةٌ" . فإن كان البياض في الرجلين جميعا فهو "مُجَبَّلُ الرَّجْلَيْنِ" . وإن كان في إحداهما فهو "الأَرْجُلُ" ؛ وقد ذكرناه .

ولا يَكُونُ التَّحْجِيلُ واقعا بِيَدٍ مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا رِجْلٌ أَوْ رِجْلَانِ ، ولا بِيَدَيْنِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا رِجْلٌ أَوْ رِجْلَانِ أَوْ وَضْعٌ بِالْوَجْهِ . فإن كان التَّحْجِيلُ في يدٍ وَرِجْلٍ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ فَهُوَ مُتَسَكِّةٌ الْيَاسِرُ مُطْلَقُ الْيَاسِرِ مُطْلَقُ الْيَاسِرِ ، ويقال : الْيَمِينِ وَالْأَيْسَرِ . وإن كان مِنْ خِلَافٍ قَلٌّ أَوْ كَثْرَتُهُ "مَشْكُولٌ" ؛ وهو مكروه في الحديث . وقد تقدّم ذكره .



ومنها الْعَصَمُ — وهو إذا كان البياض بإحدى يديه قَلٌّ أَوْ كَثْرَتُهُ "أَعَصَمُ" اليمنى أَوْ اليسرى . وأسمُ الْعَصْمَةِ أَخُوذٌ مِنَ الْمِعَصَمِ وَهُوَ مَوْضِعُ السَّوَارِ مِنَ السَّاعِدِ . فإن كان البياض في يده اليسرى قيل : "مَنْكُوسٌ" ؛ وهو مكروه . وإن كان البياض بيديه جميعا فهو أَعَصَمُ الْيَدَيْنِ ، إلا أن يكون بوجهه وَضْعٌ فَهُوَ "مُجَبَّلٌ" ذهب عنه الْعَصَمُ . فإن كان بوجهه وَضْعٌ وَبِأَحَدِي يَدَيْهِ بَيَاضٌ فَهُوَ أَعَصَمٌ ، لَا يُوقَعُ عَلَيْهِ وَضْعُ الْوَجْهِ أَسَمُ التَّحْجِيلِ إِذَا كَانَ الْبَيَاضُ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ .

وَوَضْعُ الْقَوَائِمِ : الْخِلَاطُ ، وَالْإِنْعَالُ ، وَالتَّحْدِيمُ ، وَالصَّبْعُ ، وَالتَّجْيِيبُ ، وَالْمُسْرُولُ ، وَالْأَنْحَرَجُ ، وَالتَّسْرِيجُ . فَأَقْلُ وَضْعِ الْقَوَائِمِ "الْخِلَاطُ" وَهُوَ شَعْرَاتٌ بَيَضٌ . فإذا جاوز ذلك حتى يكون البياض واضحا فهو "إِنْعَالٌ" ، مَا دَامَ فِي مَوْخَرِ رُسْغِهِ مِمَّا عَلَى الْخَافِرِ . فإذا جاوز الْأَرْسَاعَ فهو "تَحْدِيمٌ" . وإذا أَبْيَضَتِ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا وَلَمْ يَتَّصِلْ

(١) لعله يريد ما رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الشكل في الخيل . (٢) الثلة : الشعرات التي في مؤخر رسع الدابة .

(١) بياضها بياض التحجيل فهو "أصبغ"، وإذا ارتفع البياض في القوائم إلى الجنب فما فوق ذلك ما لم يبلغ الركبتين والعرقوين فهو "التجيب"، فإذا بلغ التجيب الركبتين والعرقوين فهو "مُسْرَوَّلٌ" حتى يخرج من الذراعين والساقين . فإذا خرج من الذراعين والساقين فهو "أُخْرِجَ" . وكل بياض في التحجيل مُسْتَطِيلٌ فهو "نَسْرِيحٌ" . والله أعلم .



وأما ما في الفرس من الدوائر — منها : "دائرة الحيا" وهي الالاصقة بأسفل الناصية . و"دائرة اللطمة" في وسط الجبهة ، فإن كانت دائرتان في الجبهة قيل : فرسٌ ^(٢)نَطِيحٌ . و"دائرة اللأهين" : التي تكون في اللأهزيمة . و"دائرة العمود" وتسمى العمود أيضا وهي في موضع القلادة . و"دائرة السمامة" في وسط العنق .
١٠ . و"دائرتا البينقين" ^(٣) وهما اللتان في بحر الفرس . و"دائرة الناحر" : التي في الجحان إلى أسفل من ذلك . و"دائرة الفاليع" : التي تكون تحت اللبد . و"دائرة الحقعة" في الشقين ^(٤) ، وتدعى النافذة أيضا . وقيل : هي التي تكون في عرض زوره . و"دائرة النافذة" وهي دائرة الحزام . و"دائرتا الصقرين" في الحجبين والقمرين —

- (١) الجبة : معزز الوطيف في الحافر .
١٥ (٢) في الأصل : « بطيح » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .
(٣) كذا في ١ وقد جاء في المخصص (ج ٦ ص ١٤٧) : « والدائرتان اللتان في بحر الفرس يقال لهما : البينقان ، الواحدة بيقه بالهاء ، والثنية بغيره » . وفي ب واللسان (مادة بق) : « البينقتين » بإثبات هاء التأنيث في الثنية .
٢٠ (٤) الناحران (بالحاء المهملة) : عرقان في صدر الفرس . والجحان : باطن العنق ، وقيل : مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره .
(٥) كذا في لسان العرب (مادة هذ) ونجاب فضل الحبل للديماطي . وفي الأصلين : « الشفتين » بالفاء والذال ، وهو تحريف .

والجَبَّةُ : رأس الـوَرِك . والقُصْرَى : الضِّلَع التي تلى الشاكلة — و"دائرة الخَرْب" تكون تحت الصَّغْرَيْن . و"دائرة النّاخِس" تكون تحت الجّاعِرَيْن الى الفائلَيْن . وهما عِرْقَان في الفِخْذ . والجّاعِرَان : حَرَفَا الـوَرِكَيْن المُشْرِفَان على الفِخْذَيْن ، وهما مُصْرِبُ الفرس بذنبه على نِخْذيه ، وهما موضع الرُّقَّتَيْن من آسِتِ الحمار .

وكانت العرب تَسْتَحِبُّ من هذه الدوائر : المَعُوْذُ ، والسَّامَةُ ، والحَقَّة . وقيل : اسْتَجَبُوا الحَقَّةَ ثُمَّ كَرِهُوهَا . يقال : إن المهقوع لا يَسْبِقُ أبداً . وكانوا يَكْرَهُونَ النَّطِيحَ ، وَاللَّاهِزَ ، والقَالِيعَ ، وقيل : النّاخِس أيضا . وما سوى هذه الدوائر فغير مَكْرُوه .



وقال ابنُ قُتَيْبَةَ : «والدوائر ثمانى عشرة دائرة . تُكره منها "الحَقَّة" وهي التي تكون في عُرْض زوره ، ويقال : إنَّ أبى الخليل المهقوع . و"دائرة القَالِيع" هي التي تكون تحت اللِّبْد . و"دائرة النّاخِس" هي التي تكون تحت الجّاعِرَيْن الى الفائلَيْن . و"دائرة اللّطَاة" في وسط الجَمْهَةِ ، وليست تُكره إذا كانت واحدة ، فإذا كانت هناك دائرتان قالوا : فرس نَطِيحٌ ؛ وذلك مَكْرُوه . وما سوى هذه الدوائر غير مَكْرُوهة .»

ومن الدوائر التي ذكّرتها الهند في البركة والشَّوْم — قالوا : إذا كان في موضع حَكَمَتِهِ دائرةٌ أو على جَحْفَلَتِهِ العُلْيَا دائرةٌ كان مَمْرُوتاً . وما كان منها ليس في وجهه ولا في صدره دائرةٌ فمَكْرُوهٌ أَرْتَباطُهُ . وما كان في صدره دائرةٌ الى التَّرْبِيعِ ، أو كان في رأسه دَارَتَان ، أو على خَاصِرَتِهِ أو على مَذْبَحِهِ دائرةٌ ، أو في عنقه أو على خَطْمِهِ أو على أُذُنِهِ شَعْرٌ نَابَت كَرَهْرَةِ النَّبَات ، كان ذلك مَمْرُوتاً ويُقْضَى عليه الحَوَائِجُ ، ويكون صاحبُهُ مَظْفُوراً في الحروب ولا يرى في أموره إلا خيراً .

(١) راجع كتابه أدب الكاتب (ص ٥١ طبع مصر) . (٢) الدائرة بمعنى الدائرة .

وذكروا أيضا : أنه لا ينبغي أن يرتبط من الدواب ما كان منها في مُقدّم يده
 دائرة ، وما كان أسفل من عينيه دائرة ، أو في أصل أذنيه من الجانين دَارتان ،
 أو على مَإْيِضِهِ ^(١) دائرة ، أو على مَحِجْرِهِ ^(٢) دائرة ، أو في خَدِّهِ أو في بَحْفَلَتِهِ السُّفْلَى أو على
 ملتقى لَحْيَيْهِ دائرة ، أو في بطنه شعر منتشر ، أو على سُرَّتِهِ دائرة ، أو كانت أسنانه طالعة
 على بحفَلته ، أو له سنان ناتان بمنزلة أنياب الخنزير ، أو لسانه خُطَط سُودٌ لا خُضْر ،
 وما كان منها أَدْبَسُ أو أبيض أو أصفر أو أشهب تعلوه حرّة وداخل بحافله وَلَهَوَاتِهِ ^(٤)
 وخارج لَحْيَيْهِ سواد ، وما كان منها أدهم وداخل بحافله أبيض ، أو في لهواته وداخل
 شِدْقِهِ نُقْطٌ سُودٌ وَبَحْفَلَتُهُ خَارِجُهَا مُنْقَطَحُ السَّمِمْ ، أو على مَنَسِجِهِ دَارتان ،
 أو على خُصْيَيْهِ وَبَرٍّ أَسْوَدٌ مُخَالِفٌ لِلْوَنَةِ ، أو كان في جَبْهَتِهِ شَعْرَاتٌ [مُخَالِفَةٌ لِلْوَنَةِ] ^(٥) ،
 أو ما كان منها حين يَنْتُجُ رِيَّ خُصْيَاهُ ظَاهِرِينَ ^(٦) — فهذه العلامات زعم حنة الهندى ^(٧)
 أنه لا ينبغي لأحد أن يرتبط دابة بها شيء منها . وزعم أنه يُسْتَحَبُّ أن يرتبط ما كان
 في صدره أَرْبَعٌ قُطَيْطٍ في أربعة مواضع ، أو شَعْرٌ مُلْتَفٌّ عَرَضًا وطولًا ،
 أو شعر ملتو .

(١) المأبض : اطن الركبة .

(٢) محجر العين (بتقديم الحاء على الجيم مثال مجلس) : ما يبدو من القاب .

(٣) الدبسة : حرّة مشربة سوادا ، وتكون في الشاء والخليل .

(٤) اللهوات جمع الهواة : لحمه حمراء في الخنك معلقة على عكدة اللسان .

(٥) التكللة عن كتاب رشحات المداد .

(٦) في الأصلين : «ظاهرة» .

(٧) كذا في كتاب فضل الخيل للديلمي (ص ٦٩) ورشحات المداد (ص ١٠٣) . وفي الأصلين : ٢٠



وأما ما قيل في طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها، ومحاسنها،
والعلامات الدالة على جودة الفرس ونجابهته :

قالت العرب : والخيل نوعان : عتيق وهو المسمى فرسا، وهجين وهو المسمى
برذونا . والفرق بينهما أن عظم البرذون أغلف من عظم الفرس ؛ وعظم الفرس
أصلب وأثقل من عظم البرذون ؛ والبرذون أحمل من الفرس ، والفرس أسرع من
البرذون ؛ والعتيق بمنزلة الغزال ، والبرذون بمنزلة الشاة .

وفي طبع الفرس : الزهو، والخيلاء، والعجب، والسرور بنفسه، والمحبة لأصحابه .
وفي طبعه : أنه لا يشرب الماء إلا كدرا ؛ حتى إنه يرد الماء وهو صاف فيضرب
بيده فيه حتى يكدره ويعكره . وربما ورد الماء الصافي وهو عطشان فيرى خياله
فيه فيتحماه ويأباه، وذلك لفرقه من الخيال الذي يراه في الماء . وهو يوصف بحمة
البصر . وفي طبعه : أنه متى وطئ أثر الذئب خدرت قوائمته حتى لا يكاد يتحرك،
ويخرج الدخان من جلده ؛ وإذا وطئته الأنثى وهي حامل أزلفت^(١) . والأنثى من الخيل
تحمل سنة كاملة ؛ هذا هو المعروف من عاداتها . وأخبرني بعض من أتق إلى قوله
أنه كان يملك جحرًا تحمل ثلاثة عشر شهرا . وسمعت أن عند التتر جنسا من خيلها^(٢)
تحمل الفرس منها تسعة أشهر وتضع . وقال لي الناقل : إن هذا أمر مشهور عندهم
معروف مألوف لا ينكره ولا يتعجبون .



(١) أزلفت العرس : أسقطت حملها لغير تمامه .

(٢) الجحر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

(٣) كذا في شرح القاموس ، وهم جبل بأفصى بلاد المشرق يتاحون الترك . وفي الأصلين :

فصل - والعلامات الجامعة لنجابة الفرس الدالة على جودته، ما ذكره أيوب^(١) ابن القيرية وقد سألته الحاجج عن صفة الجواد من الخيل فقال : القصيرُ الثلاث، الطويلُ الثلاث، الرُحْبُ الثلاث، الصافي الثلاث. فقال : صِفْهُنَّ ؛ فقال : أما الثلاث الطوال فالأذن^(٢) والعنق والذراع . وأما الثلاث القصار فالظُهر والساق والعَسيب . وأما الثلاث الرُحبة فالجبهة والمنخر والجوف . وأما الثلاث الصافية فالأديم والعَيْنان والحافر . وقد جمع بعضُ الشعراء ذلك في بيت واحد فقال :

وقد اغتدى قبل ضوء الصَّباح * ووردَ القَطَا في القَطَاطِ الحِثَاث^(٣)

بصافي الثلاث عريض الثلاث * قصيرِ الثلاث طويلِ الثلاث

وهذه الحكاية أيضاً نقلت عن صَعَصَعَةَ بنِ صُوحَانَ وقد سألته معاوية : أتى الخيل أفضل؟ فقال : الطويلُ الثلاث، العريضُ الثلاث، القصيرُ الثلاث، الصافي الثلاث. قال معاوية : فسّر لنا؛ قال : أما الطويل الثلاث فالأذن والعنق والحِزَام. وأما القصير الثلاث فالصُلب والعَسيب والقَضيب . وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخَر والوَرِك . وأما الصافي الثلاث فالأديم والعين والنافر .

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه لعمر بن مَعْدِ يَكْرِب : كيف معرفتك بعَرَابِ الخيل ؟ قال : معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده؛ فأمر بأفراسٍ فُعِرَضَتْ ١٥

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس، والقيرية أمه . وهو من بني هلال . وكان لساناً خطيباً . قتله الخوارج لاتباعه بالميل إلى ابن الأشعث . (راجع ترجمته في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ١١٥ طبع بولاق) .

(٢) كذا في كتاب نخبة عقد الأجياد في الصفات الجياد (ص ١١١ طبع بيروت) . وفي الأصلين :

« فالأف » .

(٣) القَطَاط : ضرب من القطا، الواحدة غطاطة .

عليه؛ فقال : قَدَّمُوا إِلَيْهَا الْمَاءَ فِي التَّرَاسِ^(١)، فَن شَرِبَ وَلَمْ يَكْتَفِ^(٢) فَهُوَ مِنَ الْعَرَابِ،
وَمَا تَنَّى سُنْبُكَ^(٣) فَلَيْسَ مِنْهَا .

وقيل : أهدى عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان ثلاثين فرساً من خيل
مصر؛ فعرضت عليه وعنده عتبة بن سفيان بن يزيد الحارثي؛ فقال له معاوية : كيف
ترى هذه يا أبا سفيان؟ إن عمراً قد أظنبت في وصفها؛ فقال : أراها يا أمير المؤمنين
كَمَا وَصَفَ؛ وإِنهَا لَسَامِيَةُ الْعَيُونِ، لَاحِقَةُ الْبَطُونِ؛ مُضْغِيَةُ الْآذَانِ، قُبَاءُ الْأَسْنَانِ؛
ضَخَامُ الرُّجَبَاتِ، مُشْرِفَاتُ الْجَحْبَاتِ؛ رِحَابُ الْمَنَاحِرِ، صِلَابُ الْخَوَافِرِ؛ وَضَعُهَا تَحْلِيلُ^(٤)،
وَرَفْعُهَا تَقَايِلُ؛ فَهِيَ إِنْ طُلِبَتْ سَبَقَتْ، وَإِنْ طُلِبَتْ لَحِقَتْ . فقال معاوية :
إِصْرِفْهَا إِلَى دَارِكَ، فَإِنْ بَنَّا عَنْهَا غَنَى، وَبَقِيَّتَانِكَ إِلَيْهَا حَاجَةٌ .

وقال أبو عبيدة : يُسْتَدَلُّ عَلَى عِتْقِ الْفَرَسِ بِرُقَّةٍ جِجَافِلَةٍ وَأُرْنَبَتِهِ، وَسَعَةٍ مَنَخَرِيهِ،
وَعُرِّي نَوَاقِيقِهِ، وَدِقَّةِ حَقْوِيهِ وَمَا ظَهَرَ مِنْ أَعَالَى أُذُنَيْهِ، وَرُقَّةٍ سَالِفِيهِ وَأَدِيمِهِ،
وَلَيْنِ شَعْرِهِ؛ وَأَبْنُ مَنْ ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْنٌ شَكِيرٌ نَاصِيَتُهُ وَعُرْفُهُ^(٥) .

(١) التراس : جمع ترس وهو صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ومحوه .

(٢) كنف الخيل : ارتفعت وروع أكتافها .

(٣) قال ابن عبدربه في العقد الفرید (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) بعد سياقه هذا الخبر : « قلت :
إنما المحفوظ أن عمر شك في العناق والحن فذاع سلمان بن ربيعة الناهلي بطست من ماء فوضع بالأرض
ثم قدم إليها الخيل فرسا فرسا ، فأتى سنبله وشرب همه » اهـ .

(٤) في الأصلين : « أقبا » وهو تحريف . يقال : قت نابه إذا صوتت وقمقت .

(٥) يريد : أن مواصلها بين حطواتها كواصله الخائف بينه بالثعلب لا تراخي بينهما . والثعلب قول

الخائف : ان شاء الله عقب اليمين . (عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري — الكتاب العاشر) .

(٦) كذا في كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي (ص ١٧) . وقد ورد

في الأصلين محزفاً . والشكير : ما أطاف بالناصية من قصير الشعر ، وهو ما يستدل به على العتق .

وكانوا يقولون : إذا اشتدَّ نَفْسُهُ ، وَرَحِبَ مُتَنَفِّسُهُ ، وطال عنقه ، وآشندت حَفْوُهُ ، وَأَثَرَتْ شِدْقُهُ ، وَعَظُمَتْ نِحْدَاهُ ، وَأَنْشَجَتْ أُنْسَاؤُهُ ، وَعَظُمَتْ فَصْوَصُهُ ، وَصَلَبَتْ حَوَافِرُهُ وَوَحَّتْ^(٢١) ، لَحِقَ بِجِيَادِ الْخِيلِ . والله أعلم .

ومما يستحب من أوصافها في الخلق — الأذن المؤلمة ، والناصية المعتدلة

- التي ليست بسَفْوَاء ولا غَمَاء ، والجهة الواسعة ، والعين الطامعة السامية ، والخذ الأسيل ، وَرُحِبَ الْمُتَخَرِّينَ ، وَهَرَّتِ الشَّدَقِينَ — قال الشاعر^(٣) :

هَرَيْتُ قَصِيرُ عِذَارِ الْجَّامِ * أَسِيلُ طَوِيلِ عِذَارِ الرَّسَنِ^(٤)

قوله : "قصير عذار الجمام" : لم يرد به قِصَر خذّه ، وإنما أراد طولَ شِقِّ الفمِّ ، ويدلُّ على ذلك قوله في البيت :

١٠ * أَسِيلُ طَوِيلِ عِذَارِ الرَّسَنِ *

(١) الشج : تقلص الجلد والأصابع وغيرهما . يقال : فرس شبح النسا : متقبضه . وهو مدح له .
والنسا بالفتح : عرق من الورك إلى الكعب .

(٢) كذا في كتاب العقد العريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) . ووحَّت (من ماب ضرب وعلم وكرم) : صلبت . ووردى الأسيل محرفا .

١٥ (٣) هو تميم بن أنف بن مقبل ، كما في شرح القاموس (مادة قبل) ولبان العرب (مادة رسن) وهو أحد شعراء الجاهلية ، محصرم عاشر مائة وعشرين سنة .

(٤) الحريرت : الواسع الشدقين الطويل شق الفم ، كما في كتاب شرح أدب الكاتب لموهوب بن أحمد ابن محمد الجواليقي (ص ١٩٢ من السعة المتنوعرافية المخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢٦ أدب) . وقد جاء هذا البيت في كتاب الخليل للأصمعي طبع فينا هكذا :

٢٠ وأحوى قصير عذار الجمام * م وهو طويل عذار الرسن

(٥) هذا التفسير لأن قتيبة في كتابه أدب الكاتب (ص ٤٢) طبع مطبعة وادي النيل . وقد نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد العريد (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) .

يريد طولَ خَدِّه — وَقَوْدَ العنق (لِئَنها حَتَّى لَا تَكُونَ جاسِئَةً) ، وَرِقَّةَ الجَحْفَلَتَيْنِ ،
وَأَرْتِفَاعَ الكَتِفَيْنِ والحَارَكِ والكاهِلِ .

قالوا : وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَشْتَدَّ مُرَكَّبُ عُنُقِهِ فِي كَاهِلِهِ لِأَنَّهُ يَتَسَانَدُ إِلَيْهِ إِذَا
أَخْضَرَ ، وَعِمْرَضُ الصَّدْرِ ، وَضَيْقُ الزُّورِ ، وَأَرْتِفَاعُ اللِّسَانِ ، وَأَنْ يَشْتَدَّ حَقْوُهُ
لِأَنَّهُ مُعَلَّقٌ وَرِكَيْنُهُ وَرَجْلِيهِ فِي صُلْبِهِ ، وَعِظْمُ جَوْفِهِ وَجَنِيهِ ، وَأَنْطَوَاءُ كَتِفَيْهِ ،
وَإِشْرَافُ الْفُطَاةِ ، وَقَصْرُ الْعَسِيبِ ، وَطُولُ الذَّنْبِ ، وَشَجُّ النِّسَاءِ ، وَأَسْتَوَاءُ الْكَفَلِ
حَتَّى لَا يَكُونَ أَقْرَنَ ، وَمَلَأَسَةُ الْكَفَلِ ، وَقَصْرُ السَّاقَيْنِ ، وَطُولُ الْفَخِذَيْنِ ، وَتَوَتِيرُ
الرَّجْلَيْنِ حَتَّى لَا يَكُونَ أَفْسَطَ ، وَتَأْنِيفُ الْعِرْقَوَيْنِ حَتَّى لَا يَكُونَ أَقْعَ ، وَغِلْظُ الرُّسْغِ ،
وَأَنْ تَكُونَ الْحَوَافِرُ صَلَابًا سُودًا أَوْ خُضْرًا .

- ١٠ وحكى أن هارون الرشيد ركب في سنة خمس وثمانين ومائة الى الميدان لشهود
الحلبة ، قال الأصمعي : فدخلت الميدان لشهودها ، فجاء فرسٌ أدهمٌ لهارون الرشيد
سابقا يقال له "الربد" ، فسرَّ به الرشيد وآتتهج وقال : على "الأصمعي" فنوديتُ من كل
جانب ، فأقبلتُ سريعا حتى مثلتُ بين يديه ، فقال : يا أصمعي ، خذ بناصية "الربد"
ثم صمَّه من قَوْنِسِهِ الى سُنْبُكِهِ ، فإنه يقال : إن فيه عشرين أسما من أسماء الطير ،
فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأنشدك شعرا جامعا لها من قول أبي حُرَّة ^(٦) :
فأنشدنا لله أبوك ! فأنشدته :

(١) كذا في كتب اللغة . وإجاسة : الصلبة الخشنة . ووردت في الأصلين محرفة .

(٢) سيذكر المؤلف « الأفسط » و يفسره في العيوب التي تكون في الخلقة .

(٣) تأنيف العرقوين : تحديد طرفيهما . ويستحب في الفرس أن يكون حديد طرف العرقوب .
والقمع في العرقوب : غلط قمته (رأسه) ، وهو عيب .

(٤) في العقد الفريد لاس عبد ربه (ح ١ ص ٦١ طبع بولاق) : « ... لشهودها فيمن شهد من خواص
أمير المؤمنين ، والحلبة يومئذ أفراس للرشيد وولديه الأمين والمأمون ولسليان بن أبي جعفر المصور ولبني
ابن جعفر بجاء ... الخ » . (٥) كذا في الأصلين وحلية العرسان لابن هذيل . وفي العقد الفريد :
« الربد » . ولعل صوابه « الربد » (وزان فرج) . بالبدال المعجمة . والربد من الحيل : السريع .
(٦) هي كنية جرير بن عطية الخطمي الشاعر المشهور .

وأَقْبَ كَالسَّرْحَانِ تَمَّ لَهُ * مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى النَّسْرِ
الهَامَةُ : أعلى الرأس . والنَّسْر : ما أَرْتَفَعَ مِنْ بَطْنِ الْحَافِرِ مِنْ أَعْلَاهُ . وهما من
أَسْمَاءِ الطَّيْرِ .

رَحِبَتْ نَعَامَتُهُ وَوَفَّرَ فَرْخُهُ * وَتَمَكَّنَ الصُّرْدَانِ فِي النَّحْرِ
النَّعَامَةُ : جلدة الرأس التي تَغْطِي الدِّمَاغَ . والفَرْخُ : الدِّمَاغُ . والصُّرْدَانُ :
عِرْقَانِ فِي أَصْلِ اللِّسَانِ ، وَيُقَالُ : لِمَنْهَا عِرْقَانِ يَكْتَتِفَانِ بِأُطْنِ اللِّسَانِ . وَفِي الظَّهْرِ
أَيْضًا صُرْدٌ يَكُونُ فِي مَوْضِعِ السَّرْجِ مِنْ أَثَرِ الدَّبْرِ . والنَّعَامَةُ والفَرْخُ والصُّرْدَانُ مِنْ
أَسْمَاءِ الطَّيْرِ .

وَأَنَافٌ بِالْعَصْفُورِ فِي سَعَفٍ - هَامٍ أَشْمٌ مَوْثِقُ الْجَذْرِ^(٤)
العصفور : أَصْلٌ مَنِيَتْ شَعْرُ النَّاصِيَةِ ، وَهُوَ أَيْضًا عَظْمٌ نَاقٍ فِي كُلِّ جَبِينٍ ،
وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْغُرْرِ . وَالسَّعَفُ : يُقَالُ : فَرَسٌ أَسْعَفٌ إِذَا سَالَتْ نَاصِيَتُهُ . وَهَامٌ
أَي سَائِلٌ . وَالشَّمُّ : ارْتِفَاعُ قِصْبَةِ الْأَنْفِ . وَمَوْثِقُ الْجَذْرِ أَي شَدِيدٌ . وَالْجَذْرُ :
الْأَصْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وَأَزْدَانٌ بِالذِّبْكِينِ صَلَّصَلُهُ - وَنَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصُّدْرِ^(٥)
الذِّبْكَانُ : وَاحِدُهُمَا ذِيكٌ وَهُوَ الْعَظْمُ النَّاقِءُ خَلْفَ الْأُذُنِ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ
الْخُشَاءُ وَالْخُشَّاءُ . وَالصَّلْصَلُ : بَيَاضٌ فِي طَرَفِ النَّاصِيَةِ ، وَيُقَالُ : هُوَ أَصْلُ

(١) الْأَنْفُ : الصَّامِرُ . وَالسَّرْحَانُ : الدِّبْ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي كِتَابِهِ الْعَقْدُ الْغَرِيدُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ
وَشَرَحَ الْأَلْفَاظَ الْعَرَبِيَّةَ وَأَيَّابَتَهَا عَدَّ ذَكَرَهُ «سَوَاقُ الْخَلِيلِ» (رَاحِعُ ج ١ ص ٦١ - ٦٣ طبع بولاق) .

(٢) رَحِبَ : اتَّسَعَ . وَوَفَّرَ : تَمَّ وَكَلَّ .

(٣) أَنْأَفَ : أَشْرَفَ . وَيُرْوَى : «هَادِ أَشْمٌ» ، يَرِيدُ عَقَا مَرْتَعَا .

(٤) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ : هُوَ بِالْفَتْحِ ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : هُوَ بِالْكَسْرِ .

(٥) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْغَرِيدِ وَحَلِيَّةِ الْفَرَسَانِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «عَلِ» .

الناصية . والدَّجاجة : اللحم الذى على زَوْرِهِ بين يديه . والدَّيْكُ والصلصلُ والدَّجاجةُ من الطير .

والنَّاهِضَانِ أَمِرَ جَزَئُهُمَا * فكأنما عُنِيَا على كَسَرٍ

الناهضان : واحدهما ناهض ، وهو لحم المنكبين ، ويقال : هو اللحم الذى يلى العَضْدَيْنِ من أعلاهما . والناهض : فرخ العُقَاب . وقوله : « أَمِرَ جَزَئُهُمَا » أى قُلَّ وأَحْكِمَ ، يقال : أَمَرْتُ الجبلَ أى فَتَلْتُهُ . والجَلَزُ : الشَّد . وقوله :

* فكأنما عُنِيَا على كَسَرٍ *

أى كأنهما كُسِرَا ثم جُبرَا . والعَمَمُ : الجبر على عُقْدَةٍ وَعَوَجٍ .

مُسْحَنِفِرَ الجَنِينِ مُلْتَمٌ * ما بين شِمْتِهِ الى الفَرْ

١٠ قوله : « مسحنفر الجنين » أى متفخضهما . ملتئم أى معتدل . والشيمة : من قولك : فرس أشيم : بين الشامة . والفَرْ فى الطير الأغلب الذى يسمَّى الرَّنْجَمَةَ . وهى من الفرس عَصْلَةُ السَّاقِ .

وَصَقَّتْ سُمَامَاهُ وَحَافِرُهُ * وأديمه ومنابت الشعر

١٥ السَّمَائى : طائر وهو موضع من الفرس ربما أراد به السَّامَةَ ، وهى دائرة تكون فى سالفَةِ الفرس . والسَّامَةُ أيضا من الطير . وأَيْمُهُ : جِلْدُهُ .

(١) عبارة ابن عبد ربه فى العقد الفريد : « وشيمته : مسخره ، والشيمة أيضا من قولك فرس بين الشيمة وهى بياض فيه » .

(٢) عبارة العقد : « والفَرْ فى الأغلب على الذى يسمى الرنجة من الفرس وهى عصلة الساق » . وكنتا العبارتين غير واضحتين .

٢٠ (٣) عبارة ابن عبد ربه فى كتاب العقد : « وهو موضع من الفرس لا أحفظه إلا أن يكون أراد السامة وهى دائرة... الخ » .

(٤) فى الأصلين : « السامة » بالنون ، وهو تحريف .

وسما الغراب لموقعيه معاً * فأبين بينهما على قدر
 الغراب : رأس الورك ، ويقال للصَّلوَيْن الغرابان ، وهما مُكْتَنِفَا عِجْمِ الذنب ^(١) ،
 ويقال : هما ملتق أعلى الوركين . والموقعان : ما في أعلى الخالصرتين . وقوله :
 * فأبين بينهما على قدر *

أى فرق بينهما على استواء واعتدال .

وأكنن دون قبيحه خطافه * ونات سماته على الصقر
 قوله : واكنن أى أستتر . والقبيح : ملتقى الساقين ، ويقال : إنه مُرتكب
 الذراعين فى العُصْدَيْن . والخطاف : هو حيث أدركت عَقِبَ الفارس إذا حرك
 رجليه ، ويقال لهذين الموضعين من الفرس المُرْكَلَان . ونات أى بُعِدَتْ .
 والسمامة : دائرة تكون فى عنق الفرس . والصقر : دائرة فى الرأس . والخطاف ^(٢)
 والسمامة والصقر من أسماء الطير .

وتقدّمت عنه القطاة له * فئات بموقعها عن الحُرّ
 القطاة : متّعدّ الدف . والحُرّ : سواد فى ظاهر أذن الفرس . وهما من الطير .
 يقال : إن الحُرّ ذكر الحمام .

وسما على تقويه دون حداته * نحرّبان بينهما مدى الشبر
 التقويات : واحدهما تقو والجمع أنقاء ، وهو عظم ذو مخ . وعنى هاهنا عظام
 الوركين ، لأن الحرب هو الذى تراه مثل المدهن فى ورك الفرس . وهو من الطير
 ذكر الجبارى . والحدّاة : سائلة الفرس . وهى من الطير .

(١) المحم : أصل الذنب ، وهو العصص ، لغة فى «العجب» بالاء الموحدة .

(٢) العقب : مؤنر أقدم .

٢٠

(٣) عبارة ابن عبد ربّه فى كتاب العقد : «والصقر : أحسبها دائرة فى الرأس وما وقعت عليها» وقد
 جاء فى اللسان : أن الصقرين : دائرتان من الشعر عند مؤخر اللبد من ظهر الفرس .
 (٤) كذا فى العقد المريد . والمدهن : ما يحمل فيه الدهن . وفى الأصلين : «الدهن» بدون ميم .

يدع الرِّضِيمَ اذا جَرَى فِلَقًا * بَتَوَائِمَ كمواسمِ شُمَيْرِ

الرِّضِيمُ : الحجارة ، يَقْلِقُهَا بَتَوَائِمَ أى بحوافره . والمواسم : جمع مَيْسَمَ الحديد ؛ أى أنها كمواسم الحديد فى صلابتها . وقوله : شُمَيْرِ أى لون الحافر . والحافر الأسمَر هو الصُّلْب .

رُكْبَنٌ فى مَحِضِ الشَّوَى سَيْطُ * كَفَّتِ الرُّثُوبَ مُشَدِّدِ الأَسْرِ

الشَّوَى هاهنا : القوائم ، يقال : فرس مَحِضُ الشَّوَى إذا كانت قوائمه معصوبة . سَيْطُ : سهل . كَفَّتِ الرُّثُوبَ أى جُمِعَتْ . مشدد الأَسْرِ أى الخَلْق .

قال الأصمعى : فأمر لى بمشرة آلاف درهم .

فهذه جُلٌّ من أوصاف محاسنها . وسند كرايت شاء الله تعالى ما وصفها به الشعراء فى أشعارها والفضلاء فى رسائلها ، على ما تقف على ذلك فى موضعه .
فلنذكر عيوب الخيل :



وأما عيوبها التى تكون فى خَلْقَتِها ، وفى جَرِيها ، والتى تطرأ عليها وتحدث فيها — فهى مائة نذكرها :

فأما التى فى خَلْقَتِها — فهى أن يكون الفرس ”أَخْدَى“ وهو المُسْتَرْتَحَى أصول الأُذْنَيْنِ . و”أَمَرٌ“ ^(١) وهو الذى ذهب شعر ناصيته . و”أُسْفَى“ وهو الخفيف الناصية ، وهو محمود فى البغال . و”أَغْمٌ“ وهو الذى غَطَّتْ ناصيته عينه . و”أَسْعَفٌ“ وهو الذى فى ناصيته بياض . و”أَحْوَلٌ“ وهو الذى أبيض

(١) فى الأصلين : « أَمَر » بالراء المعجمة ، وهو تصحيف .

مُؤَنَّرٌ عَيْنُهُ وَغَارُ السَّوَادِ مِنْ قَبْلِ مَا قَبِيهِ . و "أَزْرَقَ" وهو الذى فى إحدى عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ أَوْ زُرْقَةٌ . و "أَقْفَى" وهو الذى فى أَنْفِهِ أَحَدِيدَابٌ . و "مُغْرَبًا" وهو الذى أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ بَيَضٌ مَعَ زُرْقَتِهَا . و "أَدْنَى" وهو الذى أَطْمَأَنَّتْ عُنُقُهُ مِنْ أَصْلِهِ . و "أَدْنَعَ" وهو الذى أَطْمَأَنَّتْ عُنُقُهُ مِنْ وَسْطِهَا . و "أَوْقَصَ" وهو الذى فى عُنُقِهِ قِصْرٌ وَيُسُّ مَعْطَفٌ . و "أَكْتَفَى" وهو الذى فى أَعَالَى كَتِفَيْهِ أَنْفَرَجٌ . و "أَزُورَرٌ" وهو الذى تَدْخُلُ إِحْدَى فَهْدَتَيْ صَدْرِهِ وَتَخْرُجُ الْآخَرَى . و "أَقْمَصَ" وهو المَطْمُئِنُّ الصُّلْبُ مِنَ الصَّهْوَةِ الْمَرْتَفِعِ الْقَطَاةِ . و "مُحْطَمًا" وهو الذى لَحِقَ مَا خَلْفَ مَخْزَمِهِ مِنْ بَطْنِهِ . و "أَهْضَمَ" وهو الْمُسْتَقِيمُ الضَّلُوعِ الذى دَحَلَتْ أَتَالِيهِ . و "صَقَلًا" وهو الطَّوِيلُ الصَّقَلَةِ . و "أَنْجَلَ" وهو الذى نَحَرَجَتْ خَاصِرَتُهُ رِيقَ صَقَاقِهِ . و "أَفْرَقَ" وهو الذى قَدْ أَشْرَفَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْآخَرَى . و "أَرْتَعَ" وهو قَلِيلُ لَحْمِ الصَّلَا . و "أَعَزَلَ" وهو الْمُتَوَى عَسِيبُ الذَّنَبِ حَتَّى يَبْرُزَ بَعْضُ بَاطِنِهِ . و "أَكْشَفَ" وهو الذى آلَتَوَى عَسِيبُ ذَنْبِهِ . و "أَصْبَغَ" وهو الْمُبْيَضُّ الذَّنَبُ . و "أَشْمَلَ" وهو الذى فى عُرْضِ ذَنْبِهِ بَيَاضٌ . و "أَشْرَجَ" وهو الذى بَدِئَتْهُ وَاحِدَةٌ . و "أَحْجَجَ" وهو الذى تَبَاعَدَ كَعْبَاهُ . و "أَبَدَّ" وهو الذى تَبَاعَدَتْ

- ١٥ (١) فى الأصلين : «أذن» بزيادة الميم ، وهو تصحيف .
 (٢) المعنى يذكر ويثبت .
 (٣) كذا فى لسان العرب (مادة زور) . وفى الأصلين : «أحدى هدى صدره» ، وهو تحريف .
 (٤) فى الأصلين : «هضم» بزيادة الميم ، وهو تحريف .
 (٥) الصقلة : الحاصرة .
 (٦) فى الأصلين : «أنجل» بالواو والخاء المهملة ، وهو تصحيف .
 (٧) الصفاق : حبل البطن .
 (٨) فى الأصلين : «أرشح» بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .
 (٩) فى الأصلين : «أشرح» بالخاء المهملة ، وهو تصحيف .
- ٢٠

يَدَاهُ . و "أَصَكُّ" وهو الذى تَصَكُّ كَعَبَاهُ إِذَا مَشَى . و "أَحَلَّ" وهو مُتَمَسِّحُ النِّسَاءِ ^(١)
رِخْوُ الْكَتَمِبِ . و "أَقْفَدَ" وهو الْمُتَنَصِّبُ الرُّسْعَ الْمُقْبِلَ عَلَى الْحَافِرِ وَيَكُونُ فِي الرَّجْلِ
خَاصَّةً . و "أَصْدَفَ" وهو الذى تَدَانِي ذِرَاعَاهُ وَتَبَاعَدَ حَافِرَاهُ . و "مَوْجَهَا" وهو
الذى بِهِ صَدْفٌ يَسِيرُ . و "أَفْطَ" وهو الذى رَجَلَاهُ مَتَصَبَّتانِ غَيْرِ مَنَحْنَتَيْنِ .

و "أَمْدَشَ" وهو الْمُصْطَكُ بِوَاطِنِ الرُّسْعَيْنِ . و "أَحْنَفَ" وهو الْمُتَسَوِّى الْحَافِرَيْنِ ^(٢)
يُقْبِلُ كُلُّ مَنَّهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ . و "مُتَلَقِّفًا" وهو الذى يَحْطِ بِيَدِهِ . و "أَرْجَرَ" ^(٣)
^(٤)

وهو الْمُضْطَرِبُ الرَّجْلَ وَالْكَفْلَ فَإِذَا قَامَ أَضْطَرَبَتْ نَفْذُهُ . و "تَنَحَّطَّ" وهو الْفَلِيلُ
الْعَظْمِ الْحَمِيشِ الْعِظَامِ ^(٥) . و "رَطَلًا" وهو الضَّعِيفُ الْخَفِيفُ . و "مَكْبُونًا" وهو

الْقَصِيرُ الدَّوَارِجِ الْفَرِيبِ مِنَ الْأَرْضِ الرَّحِيبِ الْجُوفِ . و "عَشًّا" وهو الصَّاحِى ^(٦)
الْعِظَامِ لِقَلَّةِ لَحْمِهِ . و "سَغَلًا" وهو الصَّغِيرُ الْحَرْمِ . قَالَ الْوِاسِئِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : ^(٧)

لَيْسَ بِأَسْفَى وَلَا أَحَقَّ وَلَا * أَهْضَمَّ طَاوَى الْحَسَا وَلَا سَفِيلَ ^(٨)

و "جَابِيًا" وهو الْقَصِيرُ الْغَلِيظُ . و "مِلْوَاحًا" وهو السَّرِيعُ الْعَطِشُ . و "صَلُودًا" وهو
الْبَطِيءُ الْعَرَقُ . و "ضَاوِيًا" وهو الذى أَضْوَاهُ أَبْوَاهُ . و "مُقْرِفًا" وهو الذى أَهْ

(١) متمسح النسا : ضعيف النسا .

(٢) فى الأصلين : « أخيف » بالخاء المعجمة والياء المتناة ، وهو تصحيف .

(٣) فى الأصلين : « بقتل » بالفاء والتاء ، وهو تصحيف .

(٤) كذا فى كتاب رجمات المداد . وفى الأصلين : « أ ر » ، وهو تحريف .

(٥) الحميش العظام : دقيقها .

(٦) دوارج الدابة : قوائمها ، الواحدة دارجة .

(٧) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن وإسانه بن محمد المعروف بالواساني ، أعجوبة الزمان وأدرته ،

ومريد عصره وبقائه ؛ وهو أحد الصلابة المحيدين فى الهجاء ؛ وكان فى زمانه ، كابن الرومى فى أوانه .

(راجع ترجمته فى نيمه الدهر للثعالبي ج ١ ص ٢٦١ طبع بيروت) .

(٨) الأحق : الذى يصح حافر رجله موضع يده .

عتيقة وأبوه غير عتيق . و"هَيْئَنَا" وهو الذى أبوه عتيق وأمه رِدْوَنَة . و"مُحَيِّقًا" وهو الذى لَا يُنتَج منه [إلا أحق] . و"كُوسِيًا" وهو الذى إذا جرى نكس كالخمار . و"جَاسِيًا" وهو الذى تُرى معاقدُه وفقارُ ظهره وعنقه جَاسِيَةً غيرَ لَيِّنَةٍ . والله أعلم .



- وأما العيوب التى فى جريها - فنها : "الطَّمُوحُ" وهو السامى ببصره .
 صُعْدًا . و"الْمُنَكَّسُ" وهو الذى يُطَاوئُ رأسَه إذا جرى . و"الْمُعْتَرِمُ" وهو الذى يَمَحُحُ أحيانًا . و"الْجَمُوحُ" : الضَّلْبُ الرأس . و"الْقَرُبُ" : المذاد المَرَامَى . و"الشُّمُوسُ" : الذى يمتنع السرج والمس . و"الحُرُونُ" : الذى إذا أدَّرَ جَرِيَه قام لا عن كلال .
 و"الْبَالِحُ" إذا قطع جَرِيَه ضَعْفًا . و"الضَّيْفُنُ" هو الذى يَتَلَكَّا [فى] الحُضْرَةِ وَيَقْصُرُ عَنِ الْحِرَانِ . و"الْحَفَاشُ" هو الذى يَسْبُ حُضْرًا ثم يرجع الفَهْقَرَى . و"الرَّوَاغُ" هو الذى يَمْبِدُ فى حُضْرِهِ يَمِينًا وشمالًا . و"الْقَبُوشُ" هو الذى يُظَنُّ به الجرى وليس عنده شيء منه . و"الْحَيُوصُ" وهو الذى يَعْدِلُ يَمِينًا وشمالًا فى استقامة حُضْرِهِ .

(١) الكلمة عن رنجات المذاد (ص ٢٥) .

(٢) فى الأصلين : « كوشيا » بالثين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٣) فى الأصلين : « حاشا » بالحاء المهملة والثين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) فى الأصلين : « حاشية » بالثين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٥) يريد : إذا طلب منه الجرى وقف عصيانًا لا إغواء . وفى الأصلين : « إذا دَرَّ جريه فام إلا عن كلال » .

(٦) فى الأصلين : « النابج » ، وهو تحريف .

(٧) زيادة يقتضها السياق .

(٨) كذا فى الأصل ورنجات المذاد . والذى فى كتب اللغة أن الحفاش هو الذى يعقب جريًا بعد جرى ولم يرد إلا بوجه .

(٩) فى الأصلين : « يستب » .

(١٠) فى الأصلين : « الرواغ » بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(١١) عبارة رنجات المذاد : « فى حضره » .

و"المُشْتَقُّ" هو الذى يَدْعُ طريقَه وَيَعْدِلُ ثم يَمْضِ على عُدُولِهِ لَيَرْوِغُ . و"الشُّبُوبُ" :
الذى يقوم على رجلَيْهِ ويرْفَعُ يَدَيْهِ . و"العَاجِرُ" و"المُعَاجِرُ" : الذى يَعْجُرُ بِرِجْلَيْهِ كَقِمَاصِ
الحمار . و"العَدُومُ" و"العَضُوضُ" : الذى يَعْضُ مَا سِوَهُ . و"الشَّادِخُ" :
يَعْدِلُ عن طريقِهِ وَلَا يُبَالِي مَا رَكِبَ . و"الجُرُورُ" : البَطِيُّ . و"المُنْعَثِلُ" : الذى يَفَرِّقُ
بين قَوَائِمِهِ إِذَا رَفَعَهَا فَكَأَنَّمَا يَنْزِعُهَا مِنْ وَحْلِ يَحْفَقُ بِرَأْسِهِ وَلَا تَتَّبِعُهُ رِجْلَاهُ . و"المُجْرِدُ"^(١) :
الذى يُقَارِبُ الْخَطُوطَ يَقْرُبُ سَنَابَكُهُ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا يَرْفَعُهَا رَفْعًا شَدِيدًا . و"المُسَاعِرُ"^(٢) :
الذى يُطِيعُ قَوَائِمَهُ جَمِيعًا مُتَفَرِّقَةً وَلَا ضَبْرَ لَهُ . و"المُتَرَادُ"^(٣) : الذى سَقَصَ حُضْرَهُ مِنْ
ابْتِدَاءِ جَرِيهِ . و"الفَاتِرُ"^(٤) : إِذَا فَتَرَ حُضْرَهُ وَلَمْ تَسَاعِدْهُ قَوَائِمُهُ عَلَى مَا تَطَالِبُهُ بِهِ
نَفْسُهُ . و"المُؤَاكِلُ" : الذى لَا يَسِيرُ إِلَّا بِسِيرِ غَيْرِهِ . و"الخُرُوطُ" : الذى يَنْحَرِطُ
رَسَنَهُ عَنْ رَأْسِهِ . و"الرُّومُحُ"^(٥) : الذى يَرْحُحُ بِأَحْدَى رِجْلَيْهِ . و"الضَّرُوحُ" : الذى
يَرْحُحُ بِكِلْتُمَا . قال : وهذه الزيادة على الأربعة والعشرين إنما هى من سوء العادة
وفساد الرياضة .



وأما العيوبُ التى تَطَرَأُ عَلَيْهَا وَتُحْدِثُ فِيهَا — فَنهَا : "الانْتِشَارُ"
وهو انْتِفَاحُ الْعَصَبِ . و"الشَّطْيُ"^(٦) : تَحَوُّكُ الْعِظَمِ اللَّاصِقِ بِالرُّكْبَةِ . و"الْفُتُوقُ" : ١٥

- (١) فى الأصلين : « المجرد » بالدال المهملة ، وهو تصحيف .
- (٢) كذا فى لسان العرب مادة « سمر » ويقال فيه : « سمر » (كبير) . وفى « والشاعر » .
وفى ب : « والشاعر » بالشين المعجمة ، وكلاهما تحريف .
- (٣) كذا فى لسان العرب . والصبر (بالصاد المعجمة) : الوثب مع جمع القوائم . وفى الأصلين :
« صبر » بالصاد المهملة ، وهو تصحيف .
- (٤) هذه عبارة وشحات المداد . وفى الأصلين : « والفاتر إذا عجز عن نفسه وفتر ... الخ » .
- (٥) يرشح : يصرب .
- (٦) فى الأصلين : « تحريك » .

- أفتنق من العصب على الأَرْضِفة ^(١) . و "الدَّخْسُ" ^(٢) : ورم في [أُطْرَة] الحافر .
 و "الزوائد" : أطراف عصب تَفْتَرِق عند العُجَاية ^(٣) [وتقطع عندها وتَلَصِّق بها] .
 و "الْعَرْنُ" ^(٤) : جُسُوءٌ في رُسْغ الرَّجُل خاصَّة لشُقَاقٍ أو مشقة . [و "الشُقَاقُ" :
 يَصِيبه في أرساغه] وربما أرتفع الى أوظفته ، [وهو تشقق يصيبها] ^(٥) ، وتسمى
 الحلامة . « والجُرد » ^(٦) ، ما حُدث في عُرْض عُرْقُوبَيْهِ ظاهراً وباطناً من تزيّد
 وَاَتَفَاخ عَصَبٍ ويكون مع المِفْصَل طولا كالْمَوْزَة . و "الملح" ^(٧) : أَتَفَنُّق من
 العَصَب أسفل العُرْقُوب لمادّة تَنْصَب إليه كالْبَلُوطَة ^(٨) . و "الْقَمَع" هو عِظَم
 قَمْعَة العُرْقُوب . و "المَشْشُ" : كلّ ما شَخَص في الوظيف وله حَجْمٌ وليست
 له صلابَةُ العظم . و "الْأَرْتِهَاشُ" : أن يَصْكَ بعُرْض حافره عُرْض عُجَايَتِهِ من اليَدِ
 الأُخْرَى . و "الرَّهْصَة" ^(٩) : ما يَصِير في الحافر . و "الْوَجَا" : ما يُصِيب الحافر من

- (١) رَضف الزكبة ورضاها : ما كان تحت الداعسة (علم يوج فوق رأس الزكبة) .
 (٢) التكلة عن المخصص وأدب الكاتب . وأطرة الحافر : ما أحاط به من اللحم .
 (٣) في الأصلين : « الفحانة » . والصويب والتكلة عن المخصص وأدب الكاتب . والعجاية :
 عصبه مائل الوظيف من الفرس .
 (٤) في الأصلين : « حشو » ، وهو تحريف .
 (٥) التكلة عن المخصص وأدب الكاتب .
 (٦) كذا وردت هذه الجملة في أ . وفي ب : « وتسمى الخلقة » . ولم نجد في المخطوط
 ما يوضح هذه العبارة أو يبرر وجودها في هذا الموضع .
 (٧) ويقال فيه « الجرد » بالمدال المعجمة أيضا . وفي الأصلين : « الجرد » بزيادة ألف بعد الزاء ،
 وهو تحريف .
 (٨) في اللسان : « والملاح (بالتحريك) : ورم في عرقوب الفرس دون الجرد ، فإن اشتد فهو الجرد » .
 (٩) البلوط : ثمر شجر يؤكل ويدبغ بقشره .
 (١٠) في العبارة قصور . وفي اللسان « ... والرهصة أن يدري باطن حافر الدابة من يمر تطؤه مثل
 الوقرة » . وفي الأصلين : « الرهضة » بالمعجمة ، وهو تصحيف .

الخشونة . و "الرَّقُّقُ" : صَغُفٌ ورِقَّة في الحافر . و "الْمُتَمَلَّةُ" : شَقٌّ في الحافر من الأشعر^(١) إلى طرف السَّنْبُك . و "السَّرَطَانُ" : دَاءٌ يأخذ في الرُّسْغ فيُبَسِّس عروقه حتى يقلب حافره . و "العَزَلُ" : أن يعزل ذنبه في شَقٍّ عَادَةً^(٢) . و "الحَمَاقُ" : صوت من ظبية الأثني^(٣) . و "البَجَرُ" : أن تكون الرِّهَابَةُ غير مُتَمَتِّة فيعظم ما والاها من جلد الشَّرة .

وحيث ذكرنا العيوب فلنذكر الخيل النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرسُ آتباعه بالمدينة من رحل من بني قَزَارة بعشر أواق^(٥) ، وكان اسمه عند الأعرابي "الضَّرِيسُ" فسماه النبي صلى الله عليه وسلم "السَّكْبُ" . فكان أول ما غزا عليه أحدًا ، ليس مع المسلمين فرس غيره وفرس

(١) أشعر الفرس : ما يس حافره الى منتهى شعر أرسائه .

(٢) لا خلقة .

(٣) الطيبة : الحياء من المرأة وغيرها . وعبارة أبي عبيدة في كتاب الخيل : «الحقاق صوت يكون في ظبية الأثني من الخيل من رحاوة حلقها وارتهاغ ملتقاها» . وإذا تحزكت لعق أو غيره احتشت رحما الريح وصوتت فذلك الحقاق ، و يقال للفرس من ذلك الحاق » .

(٤) الرهابة (بضم الزاء وفتحها) : نعروف كاللسان معلق في أسفل الصدر مشرف على البطن .

(٥) الأواق بالتحفيف ومثله الأواق بالتشديد : جمع أوقية بالتشديد ، وهي أربون درهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة» . وهي مائتا درهم ، والدرهم = ٣٥٠٨٩٨ من الجرامات كما قدره رجال المجمع العلمي المصري الذي اتفق في عهد محمد علي باشا للبحث في ذلك . (راجع رسالة مخطوطة للاءم تقي الدين أحمد الشهير بأم القري في المكييل والأوزان الشرعية مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥ ورسالة في المقاييس والمكييل العملية بالديار المصرية لمؤلفها محمود باشا الحلبي طبع مطبعة الحواسب بالأستانة) . و يقدر في كتب الحساب المتداوله الآن ب ٣١٢ من الجرامات .

لأبي بريدة بن نيار يقال له مُلَاج . وكان السَّكْبُ كُنْيَا أَعْرَجٍ مُجَلًّا مُطْلَقَ الْبَنِي ،
وقيل : إنه أدهم . رواه الطَّبْرَانِي فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ .

وعن عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عَمَّهُ حَدَّثَهُ — وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ ، فَاسْتَبَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقْبِضَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ ، فَاسْرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْيَ وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ ؛

فَطَفِقَ رَجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ فَيَسْأَلُونَهُ بِالْفَرَسِ وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاعَهُ ، حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمُ الْأَعْرَابِيَّ فِي السَّوْمِ عَلَى ثَمَنِ الْفَرَسِ الَّذِي أَتَاعَهُ بِهِ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ

مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسَ فَأَتْبَعَهُ وَلَا بَعْتَهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” بَلَى قَدْ أَتْبَعْتُهُ “ ؛

فَطَفِقَ النَّاسُ يَلُودُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْأَعْرَابِيِّ وَهُمَا يَتَرَا جَعَانٌ ، وَطَفِقَ

الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ : هَلُمَّ شَهِيدًا يَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَايَعْتُكَ . فَمِنْ جَاءَ مِنَ النَّاسِ قَالَ

لِلْأَعْرَابِيِّ : وَيْلَكَ ! إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ لِيَقُولَ إِلَّا حَقًّا ! حَتَّى جَاءَ

خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ فَاسْتَمَعَ لِمُرَاجَعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُرَاجَعَةِ الْأَعْرَابِيِّ ؛ فَطَفِقَ

الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ : هَلُمَّ شَهِيدًا يَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَايَعْتُكَ ؛ فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ : أَنَا أَشْهَدُ

أَنْتَ قَدْ بَايَعْتَهُ . فَأَقْبَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ : ” يَمَّ تَشْهَدُ “ ؟

فَقَالَ : بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” شَهَادَةُ

(١) هو الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ المتوفى سنة ٣٦٠ هـ كان ثقة صدوقا

واسع الحفظ بصيرا بالعلم . ومعجبه الكبير رتبته والصعابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسة عشر وعشرين ألف حديث . والطبراني نسبة الى طبرية مدينة بالأردن . وفي الأصلين : « الطبري » ، وهو خطأ .

(٢) هو سواء بن قيس المخاري ، كما في أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري في ترجمته له

والخرقة بن ثابت .

(٣) يتراجمان : يخاوران .

خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين“، وفي لفظ : فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنه قد باعك الفرس يا رسول الله ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” وهل حَضَرْتَنَا يا خزيمة ؟ “ فقال : [لا ؛ فقال : ^(١)] ” فكيف شهدت بذلك “ ؛ فقال خزيمة : بأبي أنت وأُمِّي ! يا رسول الله ، أَصَدَّقَكَ على أخبار السماء وما يكون في غَدٍ ولا أَصَدَّقَكَ في آبتِباعك هذا الفرس ! . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” إنك لذو الشهادة تين يا خزيمة “ .

وقد اختلف في اسم هذا الفرس ، فقال محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَتمَةَ : هو ” المُرْتَجِزُ “ ؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه المُرْتَجِزُ . قال ابن الأثير : وكان أبيض . وقال ابن قتيبة في المعارف : المرتجز ، وفي أخرى : ” الطرف “ ، وفي أخرى : ” النجيب “ . ١٠

ومنها ” البحر “ ، وهو الذى سبق الخيل لما سبق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسماه البحرَ فى ذلك اليوم . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتراه من تَجَرٍّ قَدِمُوا من اليمن ، فسَبَقَ عليه مرَّات . قال ابن الأثير : وكان ثَمِينًا ، وقيل : كان أدهم .

ومنها ” سَبْحَة “ ، ذكرها ابن بنين فقال : وكانت فرسًا شقراء ابتاعها النبي صلى الله عليه وسلم من أعرابي من جُهينة بعشر من الإبل ، وسابق عليها يوم خميس ١٥

(١) الكلمة عن كتاب فضل الخيل للدهياطى ورمحات المداد فيما يتعلق بالصافات الجياد للحشى .

(٢) سمى المرتجز لحسن صهيله .

(٣) هذا يوافق ما في كتاب وصل الخيل الذى ينقل عنه المؤلف . ويلاحظ أن المؤلف لم يذكر

« الطرف » ضمن جملة خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها فى آخر كلامه عليها . ٢٠

ومد الحبل بيده ثم خلى عنها وسبح عليها؛ فأقبلت الشقراء حتى أخذ صاحبها العلم وهي تنبر^(١) في وجوه الخيل؛ فسميت سبعة . وسبعة من قولهم : فرس ساج إذا كان حسن مَدَّ اليدين في الجرى . وسبحُ الفرس : جريه .

ومنها ”ذو الله“، ذكره ابن حبيب في أفراس النبي صلى الله عليه وسلم .

ومنها ”ذو العقال“، قال بعض العلماء : كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له ذو العقال . وكان له صلى الله عليه وسلم فرس يقال له ”الخييف“^(٢) وقيل : ”الخييف“ بالخاء، وقيل فيه : ”الخييف“ . أهده له فروة^(٣) بن عمرو من أرض البلقاء، وقيل : أهده له ابن أبي البراء^(٤)، وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في مَداهبه . وسمي الخييف أطول ذنبه .

١٠ و روى ابن منده من حديث عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس يسميهن : ”الراز“ و ”الخييف“ و ”الظرب“ . فإنا رَاز فأهده له الموقس . وأما الخييف فأهده له ربيعة بن أبي البراء^(٥)، فإثابه عليه فرائض من نعم بني كلب . وأما الظرب فأهده له فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي . الظرب واحد الطراب وهي الروابي^(٦) | الصغار . سمي به لكبره وسمته، وقيل : لقوته وصلابة حافره .

١٥

(١) تنبر في وجوه الخيل : تسبقها .

(٢) في كتاب فضل الخيل : « ... وقيل فيه أيضا : الخييف بضم اللام وفتح الحاء . مصرا ... الخ » .

(٣) كان فروة هذا عاملا للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام . فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه .

(٤) أبو البراء : كنية لملاع الأسرة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

(٥) جمع فريضة وهي ما فرض في السائمة من الصدقة .

(٦) في الأصلين : « الروامي » بالسین المهملة . والتصويب والتكلمة عن كتاب فضل الخيل ومعاجم اللغة .

٢٠

وأهدى تميم الدَّارِيَّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً يقال له "الورد"؛
فأعطاه عمر بن الخطاب عليه عمر رضى الله عنه في سبيل الله .

وذكر علي بن محمد بن حنين بن عبدوس الكوفي في أسماء خيل النبي صلى الله عليه
وسلم قال : وكانت له أربعة أفراس : أحدها يقال له "السكب" و "المرتجز"
و "السجل" ^(١) و "البحر" . وقال ابن الأثير : وكان له أفراس : "المرتجز"
و "ذو العقال" و "السكب" و "الحيف" و "الزاز" و "الطرب" و "سبعة"
و "البحر" و "الشحاء" ^(٢) (بالشين المعجمة والحاء المهملة) .

وحكى ابن بَين عن ابن خالويه قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم من
الخيول : "سبعة" و "الحيف" و "زاز" و "الطرب" و "السكب" و "ذو اللثة"
و "السرحان" و "المرمجل" و "الأدهم" و "المرتجز" . وذكر في موضع آخر:
و "ملاوح" و "الورد" و "اليغسوب" .

وذكر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل : "اليغسوب" و "اليغوب" فوسين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن سعد في وفادات العرب عن محمد بن عمر

(١) كذا في شرح الرزقاني على المواهب (ج ٣ ص ٦٣ طبع بولاق) وورد فيه أنه : « اسم
للعط الوادي المذكور في القرآن » . يريد قوله تعالى : (و يوم حين إذا عجبتمكم كثيرتمكم) . وفي الأصلين :
« الحسن » وهو تحريف .

(٢) قال الإمام الديلماني في كتابه فصل الخيل : « ... والسجل بكسر السين المهملة وسكون الجيم ،
كذلك ألحقته مصبوفا . وإن كان محموفا غير مصحف فلعله مأخوذ من قولك : سجد الماء فانسجل ، أى
صببته فانصب ، وأسجدت الحوض : ملأته ... إلى أن قال : والشحاء بالشين المعجمة والحاء المهملة من
قولهم : فرس بعيد الشحوة ، أى بعيد الخطوة ... وأخاف أن يكون السجل مصحفاً من الشح
أو العكس . والله أعلم » . وفي اللسان (مادة شحا) : « ... كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يقال
لها الشحاء ، هكذا روى بالباء ، وفسر بالواضع الخطوة ... » .

قال : حدثني أسامة بن زيد عن زيد بن طلحة التيمي قال : قدم خمسة عشر رجلا من الرهاويين (وهم حتى من مذج) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فقرلوا (١)] دار رملة بنت الحارث ؛ فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم [فتحدث عندهم طويلا ؛ فأهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا ، منها فرس يقال له "المرواح" ؛ فامر به فُشور بين يديه فأعجبه ؛ فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائص ؛ وأجازهم كما يُجيز الوفد : أرفعهم ثني عشرة أوقية ونشأ وأخفَضهم خمس أواق .

فقد ظهر من مجموع هذه الروايات أن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تسعة عشر فرسا ، وهي : "السكب" و "المرتجز" و "البحر" و "سبعة" و "ذواللثة" و "ذوالأتمال" و "الخييف" — وقيل فيه بالخاء المعجمة ، وقيل : "الخييف" بالنون — و "اللزاز" و "الظرب" و "الورد" و "السجل" و "الشعاء" و "السرْحان" و "المرتجل" و "الأدهم" و "ملاوح" و "اليعسوب" و "اليعسوب" و "المرواح" . وقد يكون الأدهم هو السكب أو البحر ، فتكون ثمانية عشر فرسا . والله عز وجل أعلم .

(١) الزيادة عن طبقات ابن سعد (ج ١ قسم ٢ ص ٧٦ طبع أوروبا) .

(٢) شار الدابة وشورها : عرضها وأجراها ليعرف قوتها . وفي الأصلين : « فتور » بالثاء المتلثة ، وهو تحريف .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في طبقات ابن سعد . ووردت في الأصلين هكذا « ... لرقيمهم ثني عشرة أوقية ونشأ ولبعضهم ... الخ » .

(٤) النش : نصف أوقية والأوقية أربعون درهما ، سلت عاشة رضى الله عنها : كم كان صدائق

النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان صدائقه اثني عشرة ونشأ ، قالت : والنش نصف أوقية . وفي النش أقوال أخرى . (راجع لسان العرب مادة «نش») .

ذكر أسماء كرام الخليل المشهورة عند العرب

من أقدم خيل العرب "زادُ الرَّكَبِ"^(١)؛ وكان من خيل سليمان بن داود عليهما السلام . حكى محمد بن السائب الكلبي : أن الصافيات الجياد المعروضة على سليمان ابن داود صلى الله عليهما وسلم كانت ألف فرس ورثها عن أبيه ؛ فلما عُرضت عليه أُلْهِتْهُ عن صلاة العصر حتى توارت الشمسُ بالحجاب ، فردّها وعَرَقَها إلّا أفراسا لم تُعرَضْ عليه ؛ فوَدَّ عليه قوم من الأَزْدِ ، وكانوا أصهاره ، فلما فرغوا من حوائجهم قالوا : يا نبيَّ الله ، إن أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلِّغنا ؛ فأعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال : اذا نزلتم منزلا فأحملوا عليه غلاما وأحفظوا ، فإنكم لا تُورُون ناركم حتى يأتِيكم بطعام ؛ فساروا بالفرس ، فكانوا لا ينزلون منزلا إلّا ركبهُ أحدُهم للقنص ، فلا يُفْلِتُ شَيْءٌ تقع عينُه عليه من ظبي أو بقرة أو حمار ، إلى أن قدموا بلادهم ؛ فقالوا : ما لفرسنا هذا أسم إلّا "زاد الرّاكب" فسمّوه به . فأصلُ خول العرب من نتاجه .

ويقال : إن "أعوج" منها . قال امرؤ القيس :

إذا ما ركبنا قال ولَدانُ أهلنا * تماؤوا إلى أن يأتِيَ الصيْدُ نَحْطِبُ^(٢)

وقال عُمارة :

(١) كذا في الأصلين وأساب الخيل لأبن الكلبي والمقد الفريد (ج ١ ص ٥٩ طبع بولاق) وقطر السيل للبلقي . وفي كتاب أسماء الخيل لأبن الاعرابي (ص ٥٠ طبع ليدن) ولسان العرب مادة «زود» : «زاد الركب» . وقال : وإياه عن الشاعر بقوله :

فلما رأوا ما قد رآته شهوده * تادوا إلّا هذا الجواد المؤمل

أبوه ابن زاد الركب وهو ابن أخته * مع لعمري في الجياد ونحوه

(٢) راجع كتابه أساب الخيل (ص ١٢ طبع بولاق و ص ٤ طبع ليدن) .

(٣) في الأصلين «نحطب» وهو تحريف ؛ اذ هذا البيت من قصيدته التي مطلعها :

خليتي مراعي على أم جندب * لقضى حاجات المؤاد المعذب

(١) وأرى الوحش عن يميني إذا ما * كان يوماً عانته في شمالي
ومن خيل العرب المشهورة ما حكاها أبو علي الحسن بن رشيقي الأزدي في كتابه
المترجم بالعمدة عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال : ” الغراب ” و ” الوجيه ”
و ” لاحق ” و ” المذهب ” و ” مكتوم ” كانت كلها لغتي .

- ٥ . وقال أحمد بن سعد الكاتب : كان ” أعوج ” أولاً ليكنة ، ثم أخذته سليم ، وصار
لبنى [عامر]^(٢) ثم لبني هلال . قال ابن حبيب : ركب رطباً فأعوجت قوائمه ، وكان من
أجود خيل العرب . وأمه ” سبل ” لغتي . وأم سبل [” سودة ”^(٣) . وأم سودة [
” القسامة ”^(٤) ، وكانت لجندة .

- وحكى أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد في كتابه : أنه لما أنتجته أمه
بعض بيوت الحى نظروا الى طرف يضع جحفاته على كاذتها (على الفخذ مما يلي
١٠ الحياء)؛ فقالوا: أدركوا ذلك الفرس لا يتر وفرسكم؛ لعظم ” أعوج ” وطول قوائمه؛
فقاموا إليه فإذا هم بالمهر؛ فسَمَوْه ” أعوج ” . ولهم أيضاً ” الفياض ” .
قال ابن سعد : ” الوجيه ” و ” لاحق ” ابنى أسد ، ” وقيد ” و ” حلاب ”^(٥)
لبنى تغلب ، ” والصريح ” ابنى نهشل — وزعم غيره أنه كان لآل المنذر —

- ١٥ (١) فى الأصلين : « وأى » بدون راء مع تشديد الياء . والنصوب عن كتاب ديوان المعاني لأبى هلال
المسكى (مسة مخطوطة مخفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٧٤ أدب) .
(٢) النكبة عن كتاب العمدة لابن رشيقي (ص ١٨٢ ح ٢ طبع مصر) .
(٣) الكلمة عن كتاب أنساب الخليل (راجع فيه ص ١٥ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٣ طبع بولاق) .
(٤) وردت « القسامة » فى بعض أصول كتاب أنساب الخليل بالألف واللام كما فى الأصلين ها
وفى بعضها بدونها . وفى بعضها « القسامية » . وضبطها الفندجاني « قسام » بضم القاف . (راجع كتاب
٢٠ أنساب الخليل ص ١٥ ، ٢١) .
(٥) لكذا فى ب ، وهو الموافق لما فى القاموس . وفى أ : « حلاب » بالميم ، وهو تصحيف .

و"جَلَوَى" لبني ثعلبة بن يربوع، و"ذو العقّال"^(١) لبني رياح بن يربوع، وهو أبو "داحس"، وكان "داحس"^(٢) و"الغبراء" لبني زهير. والغبراء خالة داحس وأخته من أبيه. و"ذو العقّال" و"قرزل" و"الخطّار" و"الحنفاء"^(٣) لحديفة بن بدر. والحنفاء هي أخت داحس من أبيه وأمه. و"قرزل" آخر للطّيفل^(٤) بن مالك. و"حدفة"^(٥) لخالد بن جعفر بن كلاب. و"حدفة" أيضا لصخر بن عمرو بن الشريد. و"الشقراء" لزهير بن جذيمة العبسي.

(١) وفيه يقول جرير :

إنّ الحيات يبتى حول قبابنا * من نسل «أعوج» أو «لدى العقّال»
(راجع القفاص ص ٨٤ طبع أودبا).

- ١٠ (٢) راجع في القفاص (ص ٨٦) تفصيله الرافى لحديث «داحس» و «الغبراء» .
(٣) كذا في اللسان (مادة حف) . وفي الأصلين : «الحيفاء» بإلواء المثناة من تحت وهو تصحيف .
(٤) قال سلة بن الخرشب يخاطب عامرا ابنه :

فانك يا عام ابن فارس «قرزل» * معبد على قبيل الحنا والمواهر
وقال فيه ضبيعة بن الحارث العبسي :

- ١٥ وفعلت فعل أبيك فارس «قرزل» * إنّ السدود هو ابن كل بدود
الدود : المهرم الذي إذا لقي الحرب قز . ولصاحبه الطفيل يقول أوس بن حجر :
هربت وأسليت ابن أملك عامرا * يلاعب أطراف الوشيح المرعزع
ونجما تحت الليل شدّت «قرزل» * يمسر خذروف الوليد المقرع
المقرع : السريع الخفيف . ن كل شئ . (راجع كتاب أسماء حيل العرب لابن الأعرابي ص ٧٥ طبع ليدن،
٢٠ وكتاب أساب الخيل لابن الكلبي ص ٧٧ طبع بولاق و ص ٢٦ طبع ليدن) .
(٥) وفيها يقول خالد المذكور من قصيدة :

أرى ينفوني إراغتمكم فاني * و«حدفة» كالشجاعت الوريد
أسوقها بجارى أو يمجزه * وألحفها رداى في الجليد
(راجع أساب الخيل لابن الكلبي ص ٦٦ طبع بولاق) .

و"الزَّعْفَرَان" لِسَطَّامِ بْنِ قَيْسٍ . و"الْوَرِيْعَةُ"^(١) و"نِصَاب" و"ذَوَالْخَمَار"^(٢) لمالك بن نويرة . و"الشَّقْرَاء" أخرى لِأَسِيدِ بْنِ حِثَاءَ . و"الشَّيْطُ"^(٣) لِأَنْثِفِ بْنِ جَبَلَةَ الضَّبِّيِّ . و"الْوَحِيفُ"^(٤) لعامر بن الطفيل . و"الكَلْبُ" و"المَزْنُوقُ"^(٥)

(١) هذه الفرس وهما الأحوص بن عمرو لمالك بن نويرة ، فقال في ذلك مالك :

سأهـدى مدحى لبني عدى * أخص بها عدى بن جناب
شكوت اليهم رحلى فقالوا * لسيدهم أطما في الجواب
وردة حليفنا بطاء صدق * وأعقبه الوريعة من نصاب
تراث الأحوص الخير بن عمرو * ولأعنى الأحوص من كلاب
فأصبح خلتي قد حش سرجي * بسلهبة وساع في الجناب

(١٠ (راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ١٠٣ طبع بولاق وأسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٦٤ طبع ليدن) .
وفي الأصلين : «الوديعة» بالذال المهملة ، وهو تحريف .

(٢) قال فيه مالك المذکور :

حزاني ذواني ذوالخمار وصنعتي * اذا نام أطواء بن الأصاعر
(راجع أسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٦٤ طبع ليدن) .

(٣) كذا في كتاب أنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٧ طبع بولاق) وكتبت أسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٦٥ طبع ليدن) والقاموس (مادة شقر) . وفي أ : « حثارة » . وفي ب : « جثارة » وكلاهما تحريف .

(٤) كذا في المختصص (ج ٦ ص ١٩٥) وأنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٥ طبع بولاق) وأسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٥٨ طبع ليدن) . وفيه يقول أنثيف :
أضر بغير الشيط الطعن فأنسى * فأجشمته الإصعاب حتى تقدما

وفي الأصلين : « السايط » وهو تحريف .

(٥) كذا في كتاب أنساب الخليل لابن الكلبي وأسماء الخليل لابن الأعرابي والقاموس واللسان (مادة شيط) . وفي أ : « حلة » وفي ب : « حلقة » وكلاهما تحريف .

(٦) في شرح القاموس (مادة وحف) نقلا عن ابن الأعرابي أن الوحف فرس عامر بن الطفيل . وفيه يقول يوم الرقم :

(٢٥ ونحى «الوحف» والجملواط سينى * فكيف يمل من لوى المليم
ثم جاء فيه أيضا : «والوحيف كبر فرس عقيل بن الطفيل أو عمرو — وفي نسخة عامر — بن الطفيل .
والصواب الأول ، قال جبار بن سلى :

يدعو عقيلاً وقد مر الوحيف به * على طواله يمرى الركض بالعقب»

(٧) كذا في أنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٦٤ طبع بولاق) وأسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٧٦ طبع ليدن) والقاموس واللسان (مادة زني) . وفيه يقول عامر المذکور :

٣٠ =

و"الورد" له أيضا. و"الخشي" لعمر بن عمرو بن عدس. و"الهداج" فرس الريب^(٤).

لقد علم المزنوق أنى أكره * على جمعهم كرم المنيع المشير
إذا أزوز من وقع الرماح زجرته * وقلت له أربيع مقبلا غير مدبر
وأنبأته أن الفرار خزاية * على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر
ألت ترى أرماحهم في شرا * وأنت حصان ما جد العرق فاصبر
فبئس العتي إن كنت أعور عافرا * بجباننا فما أربى لدى كل محضر
لعمرى وما عمرى على بهين * لقد شاد حرا الوجه قطعة مسهر

وفي أ : «المرنون» . وفي ب : «المزنون» وكلاهما تحريف .

(١) وفيه تقول تيممة بنت أهبان العسبية في يوم الرقم :

ولولا نحا «الورد» لاشى غيره * وأمر الإله ليس لله عال
إذا لسكنت العام نقشا ومعسجا * بلاد الأعادي أو يكتك الحباب

(ممع : قرية في طريق البصرة إلى مكة . وفه : مكان بالقرب منها) . (راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ٦٥ طبع بولاق و ص ٢١ طبع لندن) .

(٢) لعمر بن عمرو بن عدس هذا فرسان : أحدهما هذه وهي التي طلبه عليها مرداس بن أبي عامر السلمي

يوم جيلة فعات ، فقال مرداس :

تمطت كيت كاهراوة صلدم * بعمر بن عمرو بعد ما مس باليد
فلولا مدى الخشي وطول حراثها * لرحت بطل المشى غير مقيد

والأخرى الحشا ، وكان لها ما للفحل وما للأنثى ، وكانت لا تجارى ، وكانت ضيوبا .

وقد أورد هاتين الفرسين صاحب شرح القاموس كل منهما في مادتها ، وأورد الأخيرة ابن الكلبي في كتابه أنساب الخليل .

(٣) وفيه تقول الحارثية ترثى من قتل من قومها في يوم أرمام وكان لباهلة على بن الحارث ومراد

وخشم :

شقيق وحرى أرقا دماءنا * وفارس «هداج» أشاب النواصيا

(راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ١٠١ طبع بولاق) .

(٤) كذا في كتاب المدة لابن رشيح الذي اعتمد عليه المؤلف في النقل وكتاب أنساب الخليل لابن الكلبي

(ص ١٠١ طبع بولاق و ص ٣٥ طبع لندن) والقاموس (مادة هدج) . وفي الأصلين : «لزيب بنت

شريق» ، وهو تحريف .

أَبْنُ شَرِيقِ السَّعْدِيِّ وَ"وَجْزَةُ"^(١) فَرَسُ يَزِيدَ بْنِ سِنَانِ الْمُرِّيِّ فَارِسُ غَطَفَانَ .
وَالنَّعَامَةُ"^(٢) لِلْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ . وَ"أَبْنُ النَّعَامَةِ"^(٣) لَمَنْتَرَةَ . وَ"النَّحَامُ"^(٤) فَرَسٌ لِلْسَّيْلِكِ
ابْنِ السُّلَيْكَةِ السَّعْدِيِّ . وَ"الْعَصَا"^(٥) فَرَسُ جَذِيمَةَ بْنِ مَالِكِ الْأَزْدِيِّ . وَ"الْهَرَاوَةُ"^(٦)
(١) وفيها يقول يزيد المذكور :

لَمَّا أَتَيْتُ رَأَيْتُ بَنِي حِمْيَ * عَرَفْتُ شَنَاةً فِيهِمْ وَرَتِي
رَمَيْتِهِمْ «بِوَجْزَةٍ» أَذْ تَوَاصَوْا * لِيَرْمُوا نَحْرَهَا كُتُبًا وَنَحْوِي
(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٦٩ طبع بولاق وأسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٧٠ طبع ليدن) .
وقال في اللسان : «سُمي من الوحز وهو السرعة» .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَكَتَبَ أَسْمَاءُ الْخَيْلِ لَابْنَ الْأَعْرَابِيِّ (ص ٧٠ طبع ليدن) وَالْأَعْنَى (ح ١٠
ص ٤٦ طبع بولاق) وَالْقَائِضُ (ص ٥٧٦ و ١٠٦٨ طبع ليدن) وَلِسَانُ الْعَرَبِ وَالْقَامُوسُ وَشَرْحُهُ (مادة
وجر) وَفِي أَسَابِ الْخَيْلِ لَابْنِ الْكَلْبِيِّ : «زَيْدٌ» .
(٣) وفيها يقول الحارث المذكور :

قَرَّبَا مَرِيضَ النَّعَامَةِ مَنَى * لَقِيتُ حَرْبَ وَائِلٍ عَنِ حِيَالِ
(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٨٤ طبع بولاق) .
(٤) قَدْ وَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ مَا يُوجِبُ هَذَا الصَّبْطَ فِي قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

تَرَكْتُ نَجْمَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسِ حَيَّةً * كَرَامَ بَنَاتِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ
(٥) وَفِيهِ يَقُولُ سَيْلِكُ الْمَذْكُورِ :
قَدَّمَ «النَّحَامَ» وَأَعْمَلَ يَا عَلَامَ * وَأَطْرَحَ السَّرْحَ عَلَيْهِمُ وَالْحَامَ
وَقَالَ فِيهِ :

قَطَعْتُ وَتَحْتَى «السَّحَامَ» يَهْوَى * كَمَا انْقَضَتْ عَلَى الْخَسْرِزِ الْعُقَابُ
(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٦١ و ٦٢ طبع بولاق، وأسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٦٢
طبع ليدن) .

(٦) وَلَهَا يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :
تَحْبِرْتُ «الْعَصَا» الْأَبْيَاءَ عَمَّ * وَلَمْ أَرْ مِثْلَ فَارِسِهَا مِجْنَا
(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٩٤ طبع بولاق) .

(٧) قَالَ فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ (مادة هرو) : الْهَرَاوَةُ فَرَسَانُ : إِحْدَاهُمَا مَرَسُ الرِّيَاحِ بْنِ حَوْيَصِ
الْعَبْدِيِّ ، وَالْأُخْرَى هَرَاوَةُ الْأَعْرَابِ لِعَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ أَحْصَى . وَقَالَ فِي (مادة عزرب) : هَرَاوَةُ الْأَعْرَابِ
فَرَسٌ لِلرِّيَاحِ بْنِ حَوْيَصِ الْعَبْدِيِّ ، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ وَسَيَذْكُرُهُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَفِيهَا يَقُولُ لَيْدٌ : :-

لعبد القيس بن أنصى . و "اليحموم" فرس الثعنان بن المنذر . و "كامل" فرس زيد الخليل . و "الزبد" فرس الحوفزان وهو أبو "الزعفران" فرس بسطام . و "الحائلة" فرس الكلبة اليربوعي . هذا ما أورده أحمد بن سعد .

لا تسقني بيدك إن لم أتمس * نعم الصبحوع بسارة أسراب
تهدى أوائلهن كل طموضة * جرداء مثل "هراوة الأعزاب"

وكانت لا تترك جعلها موقوفة على الأعزاب من قومه فكانوا يفزون عليها ويستعيدون المال ليرتجوا فادا استعاد واحد منهم مالا وأهلا دهبها الى آخرهم فكانوا يتداولوها كذلك فصربت مثلا فقيل : أعز من هراوة الأعزاب . وفي الأصلين : «اهراوة» .

(١) مسمى باليحموم لشدة سواده . وفيه يقول الأعشى :

وبأمر "اليحموم" كل عشية * بقت وتعلق فقد كاد يسق

ويسق ، أى تصببه شحمة من كثرة الشرب ومن كثرة الأكل . (راجع أساب الخليل لأم الكلى ص ٩٢ طبع بولاق) .

(٢) في الأصلين : «كامل» بالساء الموحدة وهو بحر يف ، والنصبوب عن القاموس وشرحه واللسان (مادة بكل) وإياه عن زيد الخليل بقوله :

* ما زلت أرميهم شفرة كامل *

وكامل أيضا أفراس لموسى بن ميمون المرقى والرقاد بن المنذر الضى وقد أورده ابن الأعرابي في أسماء الخيل ، واللقام الكلبى ، والحوفزان بن شريك الشيبانى ، وسنان بن أفى حارثة المرى ، وشيدان الهذلى ، وزيد العوارس الضى وقد أورده ابن الكلبى في أساب الخيل . واستشهد بقول العائف الضى فيه :

نعم العوارس يوم جيش محرق * لحقوا وهم يدعون بالصرار
زيد العوارس كروأبأ منذر * والخليل تصعبها بنو الأحرار
يرى بكرة "كامل" وبحمره * خطر العوس وأى حين حطار
ولعمركم أنك ما الرقاد بطائش * رعش بديهته ولا عتار

(٣) كذا في شرح القاموس (مادة زعفر) . وفي الأصلين : «الريد» بالراء المهملة والياء المشاء من تحت ، وهو تصحيف .

(٤) الذى أورده ابن الكلى وابن الأعرابي في كتابيهما أن لكلبة اليربوعى فرسا اسمه «المرادة»

وفيه يقول :

تسافنى نوحش من بكر * أغراء المرادة أم بهم

وقال ابن دُرَيْد: «الْقَطِيب»^(١) و«البَطِين»^(٢) فرسان كانا للعرب . و«اللَّعَاب»^(٣)
و«العَبَاة»^(٤) فرسا حَرَى بن صَمْرَةَ . و«الْمِدْعَاس»^(٦) فرس النَّوَّاس بن عامر^(٧)

== وأما الجمالة فأفراس لبني سالم والطفيل بن مالك (ثم صارت لابنهم عامر بن الطفيل) ومطر بن الأشيم
ولعباية بن شمس والطفيل بن خويلد (راجع القاموس وشرحه واللسان «مادة حمل» وأنساب الخيل
لابن الكلبي ص ١٠ و ١٢ و ٢٥ طبع ليدن وأسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٥٦ و ٧٢ و ٧٦ و ٨٣
طبع ليدن) .

(١) القطيب فرسان ، الأول وزان أمير وهو لصرد بن حمزة بن شداد البريوعي (عم مالك ومتمم
ابن نيرة) سابق به أبا سواح الصبي على فرسه بذوة فسبقه أبو سواح ؛ فقال :
ألم ترأت مذوة إذ جرينا * وحد الجسد منا والقطيبا
كأن قطيهم يتلو عقبا * على الصلواء وازمة طلوا
والآخر وزان زبير وهو لسابق بن صرد .

(٢) ضبطه شارح القاموس كأمير ، وذكر أنه وأماه بطانا (ككتاب) فرسان لمحمد بن الوليد بن عبد الملك
ابن مروان .
(٣) ذكره الهذلي في قوله :

وطاب عن «اللَّعَاب» فمسا وردية * وعادر قبسا في المكر وعمزرا
(اللسان مادة لعب) .

(٤) كذا في القاموس وشرحه (مادة عبي) . وفي الأصلين : «العباة» .
(٥) كذا في شرح القاموس (مادة عبي) والعمدة لابن رشي وأسماء الخيل لابن الأعرابي (ص ٦٦
طبع ليدن) وكذلك ورد في القانض (ص ٩٤٣ طبع أوربا) في بيت الفرزدق :
ولو كان حرى بن ضمرة فيكم * لقال لكم لستم على المتخير

وشرح أشعار الحماسة للبريزي (ص ٢٥٥ طبع أوربا) . وفي الأصلين وشرح القاموس واللسان (مادة هذح)
وأنساب الخيل لابن الكلبي (ص ١٠١ طبع بولاق) : «حري» .

(٦) والمدعاس أيضا فرس الأقرع بن حابس كما في القاموس وشرحه واللسان (مادة دعس) .
(٧) كذا في العمدة والقانض . وفي الأصلين : «لرايس» وهو خطأ .

المجاشعي. و"صهبي" فرس الثميرين تُولب. و"حافل" فرس مشهور. و"العسجدى" ^(٣)
 لبني أسد. و"الشموس" ^(٤) فرس يزيد بن خذّاق العبدي. و"الضيف" ^(٥)
 لبني تغلب. و"هراوة العزّاب" ^(٦) فرس الريّان بن حويص العبدي، يقال إنها
 جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة، فتصدق بها على العزّاب يتكسّبون عليها في السّباق

(١) ولها يقول النمر المذکور :

أيذهب باطلا عدوات "صهي" * وركض الخيل تختلج اختلاحا
 وكرى في الكريمة كل يوم * اذا الأصوات حاطت المعاجا
 كيت اللوت شائلة الدبابي * تحال يباض قرحتها مراحا

(راجع أسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٥٨ طبع ليدن وأساب الخيل لابن الكلبي ص ١١٠ طبع
 بولاق وص ٤٠ طبع ليدن) .

(٢) في كتاب العمدة : «فرس مشهور ذكره حرب بن ضرار في قوله :

كيت عبانة السراة نمي بها * الى نسب الخيل الصريح و«حافل»

(٣) وفيه قال الباقية الديباني :

فيهم نأت «العسجدى» و«لاحق» * ورق مراكلها من المضاير

ويروى : «ورقا» بالنصب . والمراكل : جمع مركل كتحفر وهو الموضع الذي يصيب رجل الفارس
 من الخانين اذا استوى على السرج . (راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٣٣ طبع بولاق) .
 (٤) وفيها يقول يزيد المذکور :

ألا هل أتاها أنت شكة حازم * لدى وأنى قد صنعت «الشموسا»

وداويتها حتى شئت حبشية * كأن عليها سندسا وسدوسا

(راجع هذين البيتين وتفسيرهما في لسان العرب مادة «سدس») .

(٥) كذا في لسان العرب وتاج العروس وأنساب الخيل لابن الكلبي وأسماء الخيل لابن الأعرابي .
 وفي الأصلين : «حلاق» وهو تحريف .

(٦) سيذكر المؤلف بعد أسطر قول الشمر دل البربوعى فيه .

(٧) راجع الحاشية (٥) ص ٤٤ من هذا الجزء .

(٨) كذا في كتب اللغة . وفي الأصلين : «العنبري» ، وهو تحريف .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

والفارات . و"الْحُرُون"^(١) فرس تنسب اليه الخيل، وكان لمسلم بن عمرو بن أسد الباهلي : و"الزائد" فرس مشهور وهو من نسل الحرون . و"مُنَاهِب" فرس تُنسب اليه الخيل أيضا، قال السَّمرْدل^(٢) :

[تَلَقَّى الْجِيَادَ الْمُقْرَبَاتِ فِينَا] * لِأَخْلِيلٍ ثَلَاثَةٌ يَمِينَا^(٣)

* "مُنَاهِبَا" و"الضَّيْفُ" و"الْحُرُونَا" *

و"الْعَلَّهَانُ"^(٤) فرس أبي مُلَيْلٍ عبد الله بن الحارث اليربوعي .

هذا ما أتفق إيرادُه من أسماء كرام الخيل ومشهورها . فلنذكر ماورد في أوصافها وتشبيهها .

ذكر ما قيل في أوصاف الخيل وتشبيهها نظما ونثرا

- ١٠ أول من شبه الفرس بالطي والسرحان والنعامة، ثم أتبعه الشعراء وحدّثوا مثاله وأقتدوا به، هو عمرو القيس بن مُجَر حيث قال :

(١) راجع ما ورد من الكلام عليه في كتاب أنساب الخيل لاس الكلبى (ص ١١٧ طبع بولاق)، ووجه يقول بعض الشعراء لما رأى علة مسلم بن عمرو على السبق :

إذا ما قرّيش حوى ملكها * فإنت الحلافة في باهله

لرب «الحرون» أبي صالح * وما تلك بالنسبة العادله

- ١٥ (٢) كذا في كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي (ص ١٢١ طبع بولاق) . وفي الأصلين : «السمول»، وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي .

(٤) المقربات من الخيل : التي صُفِّرت للركوب .

- ٢٠ (٥) كذا في شرح القاموس ولسان العرب (مادة عله) وأسماء الخيل لابن الأعرابي (ص ٦٤ و ٦٥ طبع ليدن) . وفي الأصلين : «الطها» وهو تحريف .

(٦) كذا في لسان العرب وشرح القاموس (مادة عله) وأسماء الخيل لابن الأعرابي . وفي الأصلين : «مايك» بالكاف في آخره، وهو تحريف .

له أَيْطَلَا ظَنِّي وساقا نعامية * وإرخاء سِرْحَانٍ وتقريبٌ مُشْمَلٍ ^(٢)
 كَأَنَّ عَلَى الْمُتَيْنِ منه إذا آتَيْتِي * مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَرَايَةَ حَنْظَلٍ ^(٤)
 مَكْرٌ مُقَرَّمٌ مُقْبِلٌ مُذِيرٌ مَعَا * بَحْلُمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ من عَلٍ ^(٥)
 دَرِيرٍ تَحْذَرُوفٍ الْوَلِيدِ أَمْرِهِ * تَقَلُّبُ كَفِّهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلٍ ^(٦)
 تُكْبِتُ يَزْلَ اللَّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ ^(٧) * كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ ^(٨)

وقال أيضا :

وَأَرْكَبُ فِي الرُّوْعِ خَيْفَانَةً ^(١١) * كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُتَشَتِّرٌ ^(١٢)

- (١) الأَيْطَل : الحاصرة ، وهى ما بين الأصلاخ الى الورك .
 (٢) الإرخاء : السير دون الحضر الشديد . والسرْحان : الدب .
 (٣) التقريب : ضرب من العدو . والتفعل : ولد الثعلب .
 (٤) كذا فى المخطوطات . وفى الأصلين : « الكتمين » . والمتنان : ما اكتنفا مقار الطهر . والانشاء :
 الاعتماد والقصد . واندك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب . والصراية : الحفلة الصغرى . الرفافة (كما فى شرح
 أبى جهمر الححاس لمعلقة امرئ القيس) أو هى الحفلة الصغرى (كما يقول الأصمعى) . ويروى : « صلابة
 حفل » . والصلاية : الحجر الأملس الذى يسحق عليه حب الحففل . ويروى الشطر الأول : « كأن سرائه
 لدى البيت فأتما » .
 (٥) الدرير : الفرس السريع العدو .
 (٦) الحذروف : عود أو قصبة مشقوفة يعرض فى وسطه ثم يشد بخيط فاذا أمر دار وسمعت له
 جميعا يلعب به الصبيان ويوصف به الفرس لسرعه . وهو الذى يسمى « الخفراة » .
 (٧) أمره : قلبه ثم أداره بين كفه . ويروى : « تتابع كفيه » .
 (٨) الحال : وسط الظهر . يريد أن لجمه قد اكتمل على طهره فأتمس ، فاذا ألقي عليه اللبد زل فلم
 يثبت عليه .
 (٩) الصفواء : الصخرة المساء التى لا يثبت فيها شئ .
 (١٠) المنتزل : الذى يزل . لهما فيزاق ضما .
 (١١) الخيفانة : الجراداة . شبه الفرس بها فى الخفة والسرعة .
 (١٢) السعف : يريد به الناصية . شبه ناصية الفرس بسعف النحل .

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوليدِ * مدُّ رُكْبٍ فيه وَطِيفٌ عَجْرٌ^(١)
 لها عَجْرٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيدِ * لِيْلُ أَرْزٍ عنها مِجَافٌ مُضِرٌّ^(٢)
 لها ذَنْبٌ مثلُ ذَيْلِ العرو * سَنَدٌ به فَرْجُها من دُبُرٍ^(٣)
 لها جَبْهَةٌ كَسَرَاةِ الْمِجَنِّ * حَدَفَةٌ الصَّائِعِ الْمُقْتَدِرِ^(٤)
 إذا أَقْبَلَتْ قَلَّتْ دُبَاةٌ * من الخُضَيْرِ مغموسةٌ في القُدْرِ^(٥)
 وإنْ أَعْرَضَتْ قَلَّتْ سُرْعُوفَةٌ * لها ذَنْبٌ خَلْفُها مُسَبِّطٌ^(٦)
 وإنْ أَدْبَرَتْ قَلَّتْ أَثْفِيفَةٌ * مَلَمَلَةٌ لَيْسَ فيها أُنْثَرُ^(٧)

(١) القعب : القدح . شبه حافر الفرس بقعب الوليد لأنه صغير لطيف .

(٢) الوطيف : عظم الساق والرجل .

(٣) العجر ككثف ورجل : الصلب الشديد .

(٤) صفاة المسيل : المجارة التي تكون في الماء ، وهي أصلب من غيرها .

(٥) أَرْز : كشف .

(٦) كذا في ديوانه ، أى عن الصفاة . وفي الأصلين : « عه » .

(٧) المِجَاف : السيل الذي لا يمر بشئ ، إلا حمله وقشره .

(٨) السراة : الطهر . والمجن : الترس .

(٩) حدفه : أخذ من جوانبه ما يسويه به . وقيل : هبأه وصنعه .

(١٠) الدبابة : واحدة الدباء ، وهو الفرع . وشبه الفرس بها لسعة مؤخرها ودقة مقدمها ، وذلك محبوب

في إناث الخيل . يقول : هي محتمة الخلق ، دقيقة الصدر ، عطيمة العجر ، مغموسة في العدر : يريد أنها ريا .

(١١) السرعوفة : الجرادة .

(١٢) مسبطر : طويل .

(١٣) الأنمية : الحمر المدقور الصلب الذي يوضع عليه القدر . والململة : المستديرة الصلبة .

يقول : مؤخرها كأنه صخرة مدورة مجتمعة . والأثر (بالضم وبضمين) : أثر الجرح . يريد أنها ليس بها خدش .

وقال أبو دؤاد الإبادي ^(١) [يصف فرسا] :

له ساقا ظليم خا ^(٢) * ضِب فَوْحِي بِالرَّغَبِ
حديد الطَّرْفِ والمِنَكِ : سب والعُرقوب والقلب

وقال آخر :

له صدر طائوس ونخذه نعامية * ووثبة نمرٍ وأنفاته غزال
وأعجب من ذا كلما حط حافرا * يخط هلالا من وراء هلال

وقال البحرى وكان وصافا للخيال :

وأغر في الزنن البهيم محجل * قد رُحمت منه على أغر محجل

كأنه يكل المبني إلا أنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل

دَبَّ كما يُحِب الرِّداءُ يَدْب عن * عُرف، وعُرف كالقناع المُسَبِّل

جدلان ينفُض عُذرة في غُرة ^(٣) * يقي ^(٤) تسيل مجولها في جندل

كالرايح النشوان أكثر مشيه * عرضا على السنن البعيد الأطول

تسوهم الجوزاء في أرساغه * والبدر غرة وجهه المتهلل ^(٥)

(١) في ب : « وقال زهير » . وقد سقط اسم الشاعر من أ . والتصويب والزيادة عن لسان

العرب (مادة خضب) وشرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ج ١ ص ١٩٠

من السحرة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢٦ : أدب) .

(٢) الخاضب : العليم الذي اغتم فاحرت ساقاه . وقيل : هو الذي قد أكل الربيع فاحمر ظنبويه

أو اصفرأ أو اخضرأ .

(٣) العذرة : عرف الفرس وناعيته .

(٤) اليقن (محركة وككتف) : المتأهى في البياض .

(٥) عرضا : يحمّل أن يكون بالفتح من قولهم : عرض الفرس يعرض عرضا إذا عدا عارضا

صدرة ورأسه مائلا من النخوة والنشاط ، وأن يكون بضمين وهو السير في جانب ، وهو محمود في الخيل

مذموم في الإبل .

(٦) رواية الديوان (ج ٢ ص ٢١٨ طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينية) :

* والبدر فوق جبينه المتهلل *

صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُنَيْتَ بِهِ * لَصَفَاءُ نَقَبْتِهِ مَدَاوِسُ صَيْقِلِ^(١)
وَكَأَنَّمَا نَفَضْتُ عَلَيْهِ صِبْغَهَا * صَهْبَاءُ لِلْبَرْدَانِ أَوْ قُطْرِبِلِ^(٢)
وَتَحَالَهُ كُيْسَى الْخُدُودَ نَوَاعِمًا * مَهْمَا تَوَاصَلْهَا بِلَحْظٍ تَحْجَلِ^(٣)
وَتَرَاهُ يَسْطَعُ فِي الْغُبَارِ لَهْيُهُ * لَوْنًا وَشَدًّا كَالْحَرِيقِ الْمُشْعَلِ^(٤)
هَزِجُ الصَّيْلِ كَأَنَّ فِي نَمَاتِهِ * نَرَاتٍ مَعْبُدٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ^(٥)
مَلَكُ الْعِيُونَ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَتْهُ * نَظَرَ [الْحَبِّ] إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ^(٦)
وَكُتِبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ [بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ] الطُّوسِيّ يَسْتَهْدِيهِ فِرْسًا ، وَوَصَفَ^(٧)
لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْخَيْلِ ، فَقَالَ مِنْ أُبَيَاتِ :

- (١) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « عيت له * بصفاء .. الخ » .
- (٢) القبة : اللون .
- (٣) المداوس : جمع مدوس وهو المصقلة . والصيقل شحاذ السيف وجلادوها .
- (٤) البردان : قرية من قرى بغداد على شاطئ دجلة الشرق وبينها وبين بغداد فراع .
- (٥) اسم قرية بين بغداد وعكبرا تسب إليها الخمر .
- (٦) رواية الديوان : « وكأنا » .
- (٧) شدا : مصدر ، وشدّت الارتفاعت . أى وترى لهيه يسطع في الغبار كالحرّيق المشعل .
في اللون والشّد أي ارتفاع اللهب ، وقد أجمعت كل نسخ الديوان المطبوعة والمخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية على هذه الرواية ، على أنه لا يبعد أن تكون الرواية فيه : « يسطع في الغبار إهابه » .
(٨) قال أبو العلاء المهرّز في كتابه عبث الوليد عند كلامه على هذا البيت (ص ١٢٧) : « الذى يوجبه رأى أهل البصرة كسر الدال في معبد ، ويجوز الفتح على مذهب أهل الكوفة » .
- (٩) النكلة عن ديوانه .
- (١٠) في الأصلين : « سعيد بن حميد الطوسى » والزائدة والنصوب عن الديوان . وقد ذكر في الديوان حلة قصائد مدح بها محمد بن حميد هذا ، ومنها هذه القصيدة التى اقتبس المؤلف بعض أبياتها ، وبين هذه القصائد قصيدة دالية صرح فيها باسم محمد هذا فى أحد أبياتها وهو :

محمد بن حميد أى مكرمة * لم تحوها بيد بيضاء بعد يد

فَاعِنَ عَلَى غَزْوِ الْعَدُوِّ بِمَنْطَوٍ * أَحْشَاؤُهُ طَى الرَّدَاءِ الْمُدْرَجِ
 إِمَّا بِاشْقَرِّ سَاطِعٍ أَغْشَى الْوَعَى * مِنْهُ بِمِثْلِ الْكَوْكَبِ الْمُنَاجِجِ
 مُتَسَرِّيلٍ شَيْئَةً طَلَّتْ أُعْطَافَهُ * بِدَمٍ فَمَا تَلْقَاهُ غَيْرَ مُضَرِّجِ
 أَوْ أَدْهِمٍ صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّهُ * تَحْتَ الْكَيْيِ مُظْهِرٍ يَبْرَنْدِجِ
 ضَرِيمٍ يَهْجِ السَّوْطُ مِنْ شُؤْبُوهِ * هَيْجَ الْجَنَائِبِ مِنْ حَرِيقِ الْعَرَجِ
 خَفَّتْ مَوَاقِعُ وَطْنِهِ فَلَوَّاهُ * يَجْرَى بِرَمْلَةٍ عَالِجٍ لَمْ يَرْهَجِ
 أَوْ أَشْبَهٍ يَبْقَى يُضَى، وَرَاءَهُ * مَتْنُ كَمَنْ الْجَبَّةِ الْمُتَرَجِّجِ
 تَحْنَى الْجَحْوَلِ وَلَوْ بَلَّغْنَ لَبَانَهُ * فِي أَبْيَضٍ مُتَالِقٍ كَالْمَلْجِجِ

(١) رواية الديوان : « طى الكتاب » .

(٢) في ديوانه : « صافي السواد » .

(٣) كذا في ديوانه ، واليردح : السواد يسوده الخف أو هو الراج يسوده . وفي الأصلين :

« بالنسرح » .

(٤) الشؤبوب : شدة العدو .

(٥) الجنائب : جمع جنوب وهي التي تقابل الشمال .

(٦) العرج : ضرب من البسات مملئ طيب الریح . قال أبو حبيسة : وأحبرني بعض الأعراب أن العرجة أصالها واسع بأحد قطعة من الأرض تمت له قصبان كثيرة بقدر الأصل ، وليس لها ورق له بال إنما هي عبيدان دقاق وفي أطرافها زرع يطهر في رومها شيء كالشعر أصغر ولهبه شديد الحمرة ويألع بجمرة فيقال كان لحينه ضرام عرجة .

(٧) عالج : رمال بين يدي والقربات ينزلها نوبخر من طى ، وهي متصلة بالعلبية على طريق مكة

لاماء بها ولا يقدر أحد عليهم فيها .

(٨) لم يرهج : لم يثر العبار من حفة وطنه .

(٩) اللبان : الصدر .

(١٠) الدملج : حلي يلبس في المعصم .

أَوْفَى بُعْرِيفٍ أَسْوَدٍ مُتَفَرِّدٍ^(١) * فِيمَا يَلِيهِ وَحَافِرٍ فَيْرُوزِيٍّ
 أَوْ أَبْلَقٍ مَلَأَ الْعَيُونَ إِذَا بَدَأَ * مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِمُؤَدَّجٍ
 جَدَلَانِ تَحْسُدُهُ الْحَيَاةُ إِذَا مَشَى * عَنَقًا بِأَحْسَنِ حُلَّةٍ لَمْ تُنَسَّجِ
 وَعَرِيضٍ أَعْلَى الْمَتْنِ لَوْ عَلِيَّتِهِ * بِالزَّبَقِ الْمُنْهَالِ لَمْ يَتَدَخَّرِ^(٢)
 حَاضَتْ قَوَائِمُهُ الْوَيْثِقُ بِنَاوُهَا^(٣) * أَمْوَاجَ تَحْنِيبٍ بَيْنَ مُدَرَّجٍ^(٤)
 وَلَانَتْ أَبْعَدُ فِي السَّاحَةِ هِمَّةٌ * مِنْ أَنْ تَضِنَّ بِمُلْجِمٍ أَوْ مُسَرَّجٍ^(٥)
 وَقَالَ أَيْضًا يَصِفُ فَرَسًا أَدَهَمَ :

بَادَهَمَ كَالظَّلَامِ أَغْرَى يَجْلُو^(٦) * بُغْرَتَهُ دَيَاجِيرَ الظَّلَامِ
 تَرَى أَجْجَالَهُ يَصْعَدُنْ فِيهِ * صُعُودَ الْبَرْقِ فِي جَوْنِ الْغَامِ^(٧)

- ١٠ (١) رواية الديوان : « متفرّب » .
 (٢) العنق (يفتحين) : ضرب من السير فيسيح سريع .
 (٣) في ديوانه : « يترجّج » .
 (٤) في الأصلين : « القويم » .
 (٥) التحنيب : احديداب في وظيفي يدى العرس وليس ذلك بالاعوجاج الشديد ، وهو مما يوصف صاحبه بالشدة . وقيل : هو بعد ما بين الرحلين من غير فجح ، وهو مدح .
 ١٥ (٦) رواية الديوان : « في المكارم » .
 (٧) رواية الديوان : « بموكف » والموكف : ما وضع عليه الوكاف (ويقال فيه الإكاف على الإبدال) وهو : البرذعة .
 (٨) كذا في ديوانه : وهو متعلق ببيت قبله وهو :
 ٢٠ أراجعتى يذاك بأعوجى * كقذح النبع في الریش التوام
 (الأعوجى : نسبة الى الأعوج وهو فرس لبنى هلال تنسب اليه الأعوجيات . وليس في العرب غل أشهر ولا أكثر نسلا منه) . وفي الأصلين : « وأدهم » بالوار .
 (٩) الجون : الأسود . ورواية الديوان : « في الغم الجهام » .

وقال أيضا في أدهم :

أما الجَـوَادُ فقد بَلَوْنَا يومَهُ * وكفى يسومُ غيْرًا عن عامِهِ
جَارَى الجِيَادِ فطار عن أوْهامِهَا * سَبَقًا وكاد يطيرُ عن أوْهامِهِ
جَذْلَان تَلَطَّطَهُ جَوَانِبُ غُرَّةِ^(١) * جاءتْ حَيْجَى البدرِ عندَ تَمَامِهِ
وَأَسْوَدَ ثُمَّ صَفَّتْ لَعَيْنِي نَاطِرِ * جَبَّاهُ فَأَضَاءَ في إظْلَامِهِ
مَالَتْ نَوَاحِي عُرفِهِ فَكَأَنَّهُ * عَذَّبَاتُ أَثَرِ مالٍ تَحْتَ حَمَامِهِ
ومَقْدَمُ الأذُنَيْنِ تَحَسَّبَ أَنَّهُ * بهما يرى الشَّخْصَ الَّذِي لَأَمَامِهِ
وَكَأَنَّ فَارِسَهُ وراءَ قَدَالِهِ * رَدْفُ فُلَسْتِ تراه من قُدَامِهِ
لَأَنْتَ معَاطِفُهُ نَغِيلِ أَنَّهُ * لَخَيْرُ زُرَّانِ مَنَاسِبُ لِعِظَامِهِ
في سُغْلَةٍ كَالشَّيْبِ مرَّ بِمُفْرِقِ^(٢) * غَزِيلِ لَهَا عن شَسِيهِ بِغَرَامِهِ
وَكأن صَهْلَتُهُ إِذَا أَسْتَعْلَى بِهَا * رَعْدٌ يَقْعِقُ في آزْدحامِ غَمَامِهِ
مِثْلُ الفَرَابِ غَدَا يُبَارَى صَحْبَهُ * بِسَوَادِ صِبْغَتِهِ وَحَسَنِ قَوَامِهِ
وَالطَّرْفُ أَجْلَبُ زَائِرِ لِمَوْئِدَةٍ * مالمْ نُزِرْهُ بِسِرْجِهِ وَيَلْحَامِهِ

وقال علي بن الجهم :

فوقِ طَرَفِ كَالطَّرْفِ في سُرْعَةِ الطَّرِّ * فِ وكالقلبِ قَلْبُهُ في الذِّكَايِ
لا تراه العيونُ إِلَّا خيالًا * وهو مِثْلُ الخيالِ في الانطواءِ

(١) لطعت الفرة الفرس : سالت في أحد شق وجهه فهو لطيم ، الذكر والأُنثى فيه سواء .

(٢) لها : من اللهو .

(٣) رواية الديوان : « شئى يباهى » .

(٤) الطرف (بالكسر) من الخيل : الكريم العتيق . والطرف (بالفتح) : العين . والطرف الأخيرة

(وهى بالفتح أيضا) : إطباق الجفن على الجفن . أى فوق جواد كريم يشبه في جريه البصر في سرعة القمض .

وقال العباس بن مرداس :

جاء كليم البرق سام ناطرة^(١) * تَسْبَحُ أولاه ويَطْفُو آخره
* فإِ يَمَسَّ الأرضَ منه حافرة *

وقال أبو الطيب المتنبي :

وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا * فَيَسْتَنُ خِفَافًا يَتَّبِعُ الْعَوَالِيَا^(٢)
تَمَاشِي بَأْيَدِ كُلِّ وَافِتٍ الصَّفَا * نَقَشَ^(٣) بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِيَا
وَيَنْظُرُنْ مِنْ سُودٍ صَوَادِقٍ فِي الدُّجَى * يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَ^(٤)
وَتَنْصَبُّ لِلْجُرْسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا * يَخْلَنُ^(٥) مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا
تُجَادِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعْنَةً^(٦) * كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا^(٧)

(١) كذا في المقد الفريد (ج ١ ص ٦٤) . وفي الأصلين : « جاش طاهره » وفي ديوان المعاني
لأبي هلال العسكري : « حاش طاهره » وجاش طاهره : اضطرب أو تدفق الماء .

(٢) الجرد من الخيل : القصار الشعر . والقا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما
يلى السنان .

(٣) الصما : الصخر، واحده صفاة . والبراة : جمع بار . وحوايا : جمع حاف نصب على الحال من
فاعل « تماشى » . أى إن هذه الخيل تمشى بأيدى ادا وطئت الصخر وهى حافية من غير نعال نفشت حوافرها
فيه أنرا مثل صدور البراة لشدة وطئها .

(٤) من سود، أى من أعين سود . أى وتطر هذه الجرد من عيون سود صوادق فيما تطره فى طلبه
الليل ، فترى الشخص البعيد عنها كهيئته اذا كان قريبا منها .

(٥) الجرس : الصوت أو الخفى منه . والسوامع : الآذان ، واحدها سامعة . ويخلن : يمسس .
وصفها بمجدة السمع ، فهى اذا سمعت الخفى نصبت آذانها فسمعت . وهذا من نادياتها أنها اذا سمعت أخفى
ما يكون نصبت آذانها حتى إن ما يناجى به الضمير عندها كالمادة لحدة سمعها .

(٦) المراد بالصباح هنا العارة لأنهم كانوا أكثر ما يغيرون فى ذلك الوقت ؛ فسميت الفارة به .
(٧) الأعة : سيور الخيل . يصف هذه الخيل بالقوة والنشاط وأنها تجاذب فرسها أعنتها . ثم
شبه أعنتها فى طولها وامتدادها بالأفاعى .

وقال أيضا :

وَجِيَادٌ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَغْمَرًا ^(٢) * ۞ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دِمٍ فِي جَلَالٍ ^(١)
وَاسْتِعَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَأَلْقَى * لَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ ^(٣)

وقال أبو الطيب أيضا :

وَيَوْمٍ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَتَبَتْهُ ^(٤) * أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ
وَعَيْنِي عَلَى أُذُنِي أَغْمَرًا كَأَنَّهُ ^(٥) * مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكْبُ
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ ^(٦) * تَجِيءُ عَلَى صَدْرِ رَجَبٍ وَتَذْهَبُ
تَشَقَّتْ بِهِ الظُّلُمَاءُ أُذُنِي عَنَانَهُ ^(٧) * فَيَطْفِئُ وَأَرْخِيهِ مِرَارًا فَيَلْبَسُ

(١) في شرح العكبري لديوان المتنبي : « لجياد » باللام الجارة ؛ إذ هو متصل بالبيت الذي قبله وهو

واعتتاروا لغير السخط منه * حُصِّلَتْ هَامِهِمْ نَعَالُ النَعَالِ

وعلى هذا فالجار والمحرور متعلق بالبيت الذي قبله ، ويكون فيه تضمين ، وهو مما عيب على المتنبي .

(٢) أغمرا : جمع غمرى (بالضم) . يقال : دابة غمرى ، وأفراس أغمرا ، ولا يقال : رجل غمرى ، وإنما يقال : رجل غمران وامرأة غمرانة إذا غمرها من ثيابها . ورجل غمران إذا غلقت أثوابه . (عن اللسان مادة غمر) . والجلال : ما يوضع على الدابة من غطاء . واحده جل . ويجمع جلال على أجلة .

(٣) يقول : إن السوف والرماح اكتست الدم لما ماشرت القتل فاستعارت لونا غير لونها ، وأقمت

لونها ، هو البياض ، في رؤوس الأطفال ؛ فانهم يشبهون من شدة ما يالهم من العزع .

(٤) يقول : رب يوم طال على كذا يطول ليل العاشقين اختفيت فيه خوفا على نفسي أراقب حين تعرب الشمس حتى أسير اليكم .

(٥) يقول : إنه كان ينظر الى أذن فرسه ؛ وذلك أن الفرس يُبصر شئ ، فإذا أحس بشخص من بعيد نسب أذنيه نحوه ، ويعلم الفارس أنه أبصر شيئا . ثم وصف فرسه بأنه أسود في وجهه عرة ؛ وذلك قوله : « ... كأنه » من الليل باق على عينيهِ كوكب « أى كأنه قطعة من الليل عمت نجوها فلم يبق فيها إلا كوكب .

(٦) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ . يريد أن يصف الفرس باتساع الجلد وأن له فصلة عن جسمه . في إهابه تحى . وتذهب على صدره الرحيب . واتساع الجلد مما يسر للحيوان شدة العدو .

(٧) يطعى ، أى يشط ويمرح . يقول : شقت ظلام الليل بهذا الفرس أجذب عنانه إلى يطعى . وينب مرحا وفشطا ، وأرخيه له فيلبس كما يشاء .

وَأَصْرَعُ أَى الْوَحْشِ قَفِيَّتُهُ بِهِ ^(١) * وَأَنْزِلَ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ ارْكَبُ
وقال أيضا يصف فرساً :

إِنْ أُدْبِرْتُ قَلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا ^(٢) * أَوْ أَقْبَلْتُ قَلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ
وقال أبو الفرج البيهقي :

• إِنْ لَاحَ قَلْتَ أَدْمِيَّةٌ أَمْ هَيْكُلُ * أَوْ عَنَ قَلْتَ أَسَاجِمُ أَمْ أَجْدَلُ ^(٣)
تَتَخَاذَلُ الْأَلْحَاظُ فِي إِدْرَاكِهِ * وَيَحَارُ فِيهِ النَّاطِرُ الْمُتَأَمِّلُ
فَكَأَنَّهُ فِي اللَّطْفِ قَهْمٌ نَاقِبٌ * وَكَأَنَّهُ فِي الْحَسَنِ حِطٌّ مُقْبِلُ ^(٤)
وقال أيضا من أبيات :

• رَمَاهُمْ بِالْحَظِائِرِ وَلَمْ تَكُنْ * لِيُنْأَى عَلَيْهَا الْمُنْزِلُ الْمُتَبَاعِدُ
مِنْ اللَّأَيِّ يَجْرِي الْمَاءُ لَدَى السَّرَى * وَيَعْتَضُنْ ثُمَّ الْجَوْ وَالْجَوْ رَاكِدُ
مَرْنٌ عَلَى لَذَعِ الْقَنَاءِ فَكُنَّا ^(٥) * عَلَيْنَ مِنْ صَنِيعِ الدَّمَاءِ مَجَاسِدُ ^(٦)
نَسْجُنُ مِلَاءَ النَّقْعِ ثُمَّ نَحْرِقُهُ ^(٧) * بَكَرَ لَهَا مِنْهُ إِلَى النَّصْرِ قَائِدُ
عَلَيْنَ مِنْ نَسْجِ الْغُبَارِ غَلَائِلُ * رِقَاقٌ وَمِنْ نَضْحِ الدَّمَاءِ قَلَائِدُ



(١) فقيته : أتبعته . يقول : إنه لاحق أى الوحش يتبعه به فيصرعه دون أن يناله تعب فهو حين ينزل عنه مثله حين يركبه .

(٢) التليل : العتق . يقول : إنها مشرفة الكمل مريضة الصدر ، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها ، وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها . (راجع شرح الديوان لليازجي ص ١٣٦ طبع بيروت سنة ١٨٨٣ م) .

(٣) الأجدل : الصقر .

(٤) كذا في بقية الدهر الثمالي (ج ١ ص ٢٠٤ طبع بيروت) . وفي الأصلين : « خيط يقتل » .

(٥) في الأصلين : « لدع » بالذال المهملة ، وهو تصحيف .

(٦) المجاسد : الثياب المصبوغة بالزعفران .

(٧) في أ : « حرفه » ، وفي ب « حرفه » وكلاما تصحيف .

وقال أبو الفتح كشاجم :

ماءٌ تَدَقَّقُ طاعةً وسَلَاسَةً * فإذا اسْتَدْرَجَ الحُضْرُ منه فَنَارُ
وإذا عَطَفَتْ به على نَاورِدِهِ * لَتُذِيرَهُ ^(٢) فكَأَنَّهُ يَرْكَارُ ^(٣)
قَصَّرَتْ قِلَادَةُ نَحْرِهِ وَعِذَارُهُ * والرُّسْخُ، وهي من العتيق قِصارُ
يَرِدُ الضَّحَايِخَ غَيْرَ ثَانٍ سُنْبُكًا * وَيُرَوِّدُ طَرْفَكَ خَلْفَهُ فَيَحَارُ ^(٤)
لَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْحَيْلِ نَسْبَةً خَلَقَهُ * خَالَتُهُ مِنْ أَشْكَالِهَا الْأَطْيَارُ ^(٥)

وقال آخر :

وأَقْبَ تَحْمِلُهُ رِيَّاحٌ أَرْبَعُ * لَوْلَا الْجَلَامُ لَطَارَ فِي الْمِيدَانِ ^(٦)
مِنْ جُمْلَةِ الْعِقْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ ^(٧) * مِنْ حُسْنِهِ فِي طَلْعَةِ الْغَزْلَانِ
يَمْشِي إِلَى مِيدَانِهِ مَتَبَخَّرًا * مِنْ تَيْهِهِ كَتَبَخَّرَ النَّشْوَانِ

وقال ابن المعتز :

وَحَيْلٌ طَوَاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَأَنَّهَا * أَنَا يَلِيبُ سَمَرٌ مِنْ قَنَا الْخَطِّ ذُبُلُ ^(٨)

(١) في شفاء الغليل : « ماورد : لفظ فارسي هو في لغتهم بمعنى القتال وجولان الخيل في الميدان .
وفي اللغة الجديدة ماورد جنك وجولان أسب . والمعنى الثاني استعماله المولدون كالبحترى وغيره » . واستشهد
بهذا البيت ، وورد الشطر الثاني فيه هكذا : « فكأنه من ليه بركار » .

(٢) كذا في ديوان كشاجم وفي الأصلين : « لترده » .

(٣) بركار (بالكسر) : آلة ذات ساقين ترمس بها الدوائر ، وهو فارسي معرب .

(٤) الضحايخ : جمع ضحصح وهو الماء القليل يكون في العذرو وغيره .

(٥) السنبك : طرف الحافر وجانباه من قدم ، وجمعه سنابك .

(٦) الأقب من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن .

(٧) العقبان : جمع عقاب وهو طائر من الجوارح تسميها العرب الكاسر . وقيل : تقع على الذكر والأنثى .

(٨) القود : قفيض السوق ، بقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها ، أو لعله يريد مطلق السير .
والأنابيت : الرماح ، واحداها أنبوب . والخط : موضع باليامة تنسب إليه الرماح الخطيصة . وذبل :
دقاق ، واحداها ذابل .

صَبَيْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا * فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلٌ^(١)
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّنَوْبَرِيُّ :

طَرَفٌ نَاتٍ سَمَاوُهُ عَنْ أَرْضِهِ * وَمَا نَأَى كَاهِلُهُ عَنِ الْكَفَلِ
ذُو أَرْبَعٍ مِنْ أَرْبَعٍ مِنَ الْقَبُورِ * لِـ وَالِدُورِ وَالْجَنُوبِ وَالشَّامِلِ
وَهُوَ إِذَا أَعْمَلَهَا أُلْفَى لَهَا * فَوْقَ الَّذِي يَطْلُبُهُ مِنَ الْعَمَلِ
كَالْبَرْقِ إِنْ أَوْمَضَ أَوْ كَالرَّعْدِ إِنْ * أَجْلَبَ أَوْ صَوَّبَ الْحَيَا إِذَا أَحْتَمَلَ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ :

يَجْرِي فَيَعُودُ مِنْ مَدَى مُتَقَارِبٍ * أَبَدًا وَيَدْنُو مِنْ مَدَى مُتَبَاعِدٍ^(٣)
إِنْ سَارَ فَهُوَ غَدِيرُ مَاءٍ مَائِجٍ * أَوْ قَامَ فَهُوَ غَدِيرُ مَاءٍ جَامِدٍ^(٤)

وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ :

خَيْرٌ مَا اسْتَطَرَفَ الْفَوَارِسُ طَرَفُ * كُلِّ طَرَفٍ بِحَسَنِهِ مَبْهُوْتُ
هُوَ فَوْقَ الْجِبَالِ وَعَلَى فِي السَّهْلِ * لِي نَعَامٌ وَفِي الْمَعَابِرِ حَوْثُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَطَرَفٌ إِذَا مَا جَرَى خَلَّتْهُ * عُقَابًا مِنَ الْوَكْرِ يَنْبِغِي الْمَزَارَا
تَرَى فِي الْجَبِينِ لَهُ سَوَسْنًا * وَتَلَمَحُ فِي أَوْنِهِ الْجُلُنَارَا^(٥)

(١) ذكر أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني في معنى هذا البيت مانضه : « ذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئا من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها » .

(٢) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « العاءها » ، وهو تحريف .

(٣) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « أو كالبرق إن » ، « أخلب... إلخ » ، نالها المعجمة ، وهو تحريف .

(٤) الحيا : المطار .

(٥) قام : وقف ولم يسر .

(٦) السوسن : نبات طيب الرائحة .

(٧) الجللار : زهر الرمان .

ويمشي على الماء من خَفَّةٍ * وَيَقْدَحُ فِي الْجَلَدِ الصَّخْرَانَا
فَلَوْ كَانَتْ نِيْنِي بِهِ رَاكِبٌ * إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ سَيِّراً لَطَارَا
وقال عبد الجبار بن حمديس :

وَجُرَّ فِي الْأَرْضِ ذَيْلُ عَسِيهِ * حَمَلُ الزَّرْجَدِ مِنْهُ جَسْمٌ عَقِيْقُ
يَجْرَى وَلَمْعُ الْبَرْقِ فِي آثَارِهِ * مِنْ كَثْرَةِ الْكَبَوَاتِ غَيْرُ مُفِيْقِ
وَبِكَادٍ يُخْرُجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ * أَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيْقِ
وقال ابن طباطبا :

عَجَبًا لَشَمْسٍ أَشْرَقَتْ فِي وَجْهِهِ * لَمْ تَمَحْ مِنْهُ دُجَى الظَّلَامِ الْمُطْبِقِ
وَإِذَا تَمَطَّرَ فِي الرَّهَانِ رَأَيْتَهُ * يَجْرِي أَمَامَ الرِّيحِ مِثْلَ مُطَرِّقِ
وقال تاج الملوك بن أيوب :

وَخَيْلٌ كَأَمْثَالِ السَّمَاءِ شَوَاظِبُ * تَكَادُ بِنَا قَبْلَ الْحَجَالِ تَجْحُولُ
سَوَابِقُ تَكْبُو الرِّيحُ قَبْلَ لَحَاقِهَا * لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِنَا وَصَهْلُ
وقال إبراهيم بن خفاجة يصف فرساً أشهباً :

رُبَّ طَرِفٍ كَالطَّرْفِ سَاعَةً عَدُوٍ * لَيْسَ يَنْبَرِي سُرَاهُ طَيْفُ الْخَيْالِ

(١) في الأصلين : « راجعاً » بالص.

(٢) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « فلع » .

(٣) هذه رواية الديوان . وفي الأصلين : « صديق » .

(٤) تمطرت الخيل : ذهبت بسرعة .

(٥) المطلق : الذي يبعد الطريق ليسلك .

(٦) السعال : الغيلان أو صحرة الجن .

(٧) الشواظب : الضواير من الخيل . وقد وردت في الأصلين : « شواظب » بالراء المهملة ،

وهو تصحيف .

(٨) المرح : التبعثر والاختيال .

إِنْ سَرَى فِي الدُّبْحِ فَبَعْضُ الدَّرَارِي * أَوْ سَعَى فِي الْقَلَا فِإِحْدَى السَّعَالِي
لَسْتُ أَذْرِي إِنْ قَبِدَ لَيْلَةً أُسْرَى * أَوْ تَمَطَّيْتُهِ غَدَاةً قِتَالِ
أَجْنُوبٌ يُقْتَادُ لِي أُمَ جَنْيَبٌ^(١) * أُمَ شِمَالٌ عِنَانُهَا بِشِمَالِي
أَشْهَبُ اللَّوْنِ أَنْقَلْتُهُ حُلِي^(٢) * خَبَ فِيهِنَّ وَهُوَ مُلْقَى الْإِلْهَالِ^(٣)
فَبَدَا الصَّبْحُ مُلْجَمًا بِالْثُرَيَّا * وَجَرَى الْبَرْقُ مُسْرَجًا بِالْهَلَالِ
وقال أيضا في أشهب :

وِظْلَامَ لَيْلٍ لَا شِهَابَ بَأْفِقِهِ * إِلَّا لَنْصَلِ مُهَنِّدٌ أَوْ لَهَنِّدٌ
لَا طَمْتُ بَلْحَتِهِ بِمَوْجَةِ أَشْهَبِ * يَرْمِي بِهَا بَحْرَ الظَّلَامِ فَيَرْثِي
قَدْ سَالَ فِي وَجْهِ الدُّجَى غُرَّةٌ * فَالْلَيْلُ فِي شَيْهِ الْأَغَرِّ الْأَذْهَمِ
أُطْلَعْتُ مِنْهُ وَمِنْ سِنَانِ أَرْزِقِ * وَمُهَنِّدٍ عَضْبٍ ثَلَاثَةُ أَنْجُمِ
وقال أبو الصلت يصف فرسا أشهب :

وَأَشْهَبٍ كَالشَّهَابِ أَضْحَى * يَجُولُ فِي مَذْهَبِ الْإِلْهَالِ
قَالَ حُسُودِي وَقَدْ رَأَى * يُجَنَّبُ خَافِي إِلَى الْقِتَالِ
مِنْ الْجَمِّ الصَّبْحَ بِالْثُرَيَّا * وَأَسْرَجَ الْبَرْقَ بِالْهَلَالِ
وقال ابن خفاجة وقد أهدى مَهْرًا بهيما :

تَقَبَّلِ الْمُهْرَ مَنْ أَنْحَى ثِقَةٍ * أَرْسَلَ رِيحًا بِهِ إِلَى الْمَطَرِ
مُتَشِمِلًا بِالظَّلَامِ مِنْ شَيْءٍ * لَمْ يَسْتَمَلْ لَيْلُهَا عَلَى تَحَرِّ
مُنْتَسِبًا لَوْنُهُ وَغُرَّتُهُ * إِلَى سَوَادِ الْفَوَادِ وَالْبَصْرِ

(١) الجنب : الفرس الذي يقاد الى جنب الراكب .

(٢) خب العرس : راوح بين يديه ورجليه أى قام على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة .

(٣) الإلهال (بالكسر) : جمع جل (بالضم) وهو ما تلبسه الدابة لسان به .

تَحْسِبُهُ مِنْ عِلَّاكَ مُسْتَرَقًّا * بهجة مَرَأَى وَحَسَنَ مُحْتَبِرٍ
حَنَّنَ إِلَى رَاحَةٍ تَفِيضُ نَدَى * فَالَ ظِلُّ بِهِ عَلَى نَهْرٍ
تَرَى بِهِ وَالنَّشَاطُ يُخْفِزُهُ * مَا شِئْتَ مِنْ خَمَةِ وَمِنْ شَرَرِ
لَوْحِلِ اللَّيْلِ حَسَنَ دُهِمِهِ * أَمْنَعُ طَرَفِ الْحَبِّ بِالسَّهْرِ
أَحْمَى مِنَ النِّجَمِ يَوْمَ مَعْرَكَةٍ * ظَهَرًا وَأَجْرَى بِهِ مِنَ الْقَدَرِ
إِسْوَدَّ ، وَأَبْيَضَ فَعَلُهُ كَرَمًا * فَالْتَفَتَ الْحَسَنُ فِيهِ عَنْ حَوَرِ
فَازْدَدَ سَنَا بِهِجَةٍ بِدُهِمِهِ * فَالْلَيْلُ أَذْكَى لِفُتْرَةِ الْقَمَرِ
وَمِثْلُ شَكْرَى عَلَى تَقَبُّلِهِ * يَجْمَعُ بَيْنَ النَّسِيمِ وَالزَّهْرِ

وقال في فرس أَشْقَر :

وَمُطَهَّمٌ شَرِيقُ الْأَيْدِيمِ كَأَنَّمَا * أَلْفَتْ مَعَاطِفُهُ النِّجِيعَ خَضَابَا
طَرِبْتُ إِذَا غَنَّى الْحُسَامُ ، مُمَزَّقُ * ثَوْبَ الْعَجَاجَةِ جَيْشَةً وَدَهَابَا
قَدَحْتُ يَدَ الْهَيْجَاءِ مِنْهُ بَارِقًا * مِثْلَهَا يُزْجِي الْقَتَامُ سَحَابَا
[وَرَمَى الْحِفَاطُ بِهِ شَيَاطِينَ الْعِدَا * فَأَقْتَصَّ فِي لَيْلِ الْغُبَارِ شَهَابَا]
بَسَامُ تُغَيِّرُ الْحَلِيَّ تَحْسَبُ أَنَّهُ / كَأَنَّ أَنْارَ بَهَا الْمِرْجَاجُ حَبَابَا

وقال في أدهم أغرَّ محجَّل :^(٤)

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ * فَأَقْتَصَّ مِنْهُ نَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

- (١) كذا في ديوانه (ص ٦٧ طبع مصر سنة ١٢٨٦ هـ) . وفي الأصلين : « لو وهب الليل
جوده منته » . (٢) النجيع : الدم ، وقيل : هودم الجوف خاصة ، وفيه أقوال غير ذلك .
(٣) زيادة عن ديوانه . (٤) السياق يدل على أن هذا البيت لابن حنيفة . والصواب أنه لابن نباتة
السعدي كما سيذكره له المؤلف بعد أسطر ضمن أبيات . وقد وردت هذه الأبيات في ديوانه (نسخة مخطوطة
محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢ أدب ش) كما وردت له في كتاب عنوان المرقصات والمطربات
(ص . ٥ طبع مصر) وابن خلكان والبيهقي ، يمدح بها سيف الدولة وقد حمله على فرس أدهم أغرَّ محجل .

وقال ابن نباتة السعدي^(١) في أدهم :

وأدهم يستمِد الليل منه * وتطلع بين عينيه النريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا * ويطوى خلفه الأفلاك طيا
فلما خاف وشك القوت منه^(٢) * تعلّق بالقوائم والمُحيا

وقال في فرس أدهم أغرَّ محجل أهدى له :

قد جاءنا الطَّرفُ الذي أهديته * هاديه يعقد أرضه بسائه^(٣)
أولايّة ولتنا فبعثته * رُحماً سيبُ العُرف عقد لوانه
تخال منه على أغرَّ محجل * ماء الدياجي قطرة من مائه
وكأنما لطم الصباح جبينه * فأقص منه نخاض في أحشائه
ثمّهلاً والبرق من أسمائه * متبرِّقاً والحسن من أكنائه
ما كانت النيران يكُن حرّها * أو أن للنيران بعض ذكائه
لا تعلّق الأحاط في أعطافه * إلا إذا كفكفت من غلوائه

(١) قال ابن خلكان في ترجمته (ح ١ ص ٤١٨ — ٤١٩) ما صه : « أو نصر عبد العزيز
عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدي . كان شاعرا مجيدا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، طاف
البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ، وله في سيف الدولة بن حمدان عرر القصائد ونخب المدائح ...
ومعظم شعره جيد وله ديوان كبير ، وكان قد وصل الى الرى وامتدح أبا الفضل محمد بن المعيد ... ولد
سنة ٣٢٧ هـ وتوفى في ثالث شوال سنة ٤٠٥ هـ ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران من الجانب الشرقى » . وراجع
ترجمته أيضا في يتيمة الدهر (ج ٢ ص ١٤٣ — ١٥٧)

(٢) كذا في الديوان . وفي الأصلين : « منها » .

(٣) ورد هذا البيت في عنوان المرقصات والمطربات هكذا :

قد جاءنا المهر الذي أهديته * جذلان يخلط أرضه بسائه

(١) وقال محمد بن الحسين الفارسي النحوي أحد شعراء اليتيمة في فرس أدهم أغر:
ومطهم ما كنت أحسب قبله * أن السروج على البوارق توضع^(٢)
وكانما الجوزاء حين تصوبت * لبب عليه والثريا برقع

طرائف في ذم الخليل بالهزال والعجز عن الحركة

كتب بعضهم إلى صديق له :
ما فعلت حَجْرُكَ^(٣) تلك التي * أفضل من فارسها التراجيل
عَهْدِي بها تبكى وتشكو الضنى * لما أحشاه البدن الناحل
وهي تغني غنا صَبَّةٍ * غايثها وجدان ما تأكل
يارب لا أقوى على كَلِّ ذا * موت وإلا فرج عاجل
وقال آخر :

يا نصر حَجْرُكَ ألبى الجوع جَدَّتْهَا * وأصبحت شبيها تشكو تجافيك

(١) هو أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي أحد أفراد الدهر ، وأعيان العلم ، وأعلام
الفصل ، وهو الامام اليوم في النحو بعد حاله أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ، ومنه أخذ ، وعليه درس ،
حتى استغرق عليه ، واستحق مكانه ... » وكان خاله أوفده على الصاحب بن عباد الى جهة الرى فأرضاه
وأكرم مثواه وقد نزل نيسابور دهات وأمل بها من الأدب والنحو ما سارت يدكره الزكيان وآل أمر
الى أن وزر للامير شاد عيسى سنان ثم اختص بالامير اسماعيل بن سبكتكين غزوة ووزر له ثم توجه الى عدة
جهات واستوطن جرجان الى أن مات وقرأ عليه أهلها ، منهم الامام عبد القاهر الجرجاني وليس له أستاذ
سواه . وللصاحب بن عباد مكاتبات اليه مدونة . مات سنة ٢١٤ هـ . (راجع يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٧٠
ومعجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٣ و بنية الوعاة للسيوطي) . وفي الأصلين : « الحسن » وهو تحريف .
(٢) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : « عن » وهو تحريف .
(٣) الحجر (بالكسر) : الأثني من الخليل .

إذا رَأَتْ تَبْنَةً قَالَتْ مُجَاهِرَةً * يَاتِينُ لِي حَسْرَةً مَا تَقْضِي فِيكَ
تَرْجُوهُ طَوْرًا وَتَبْكِي مِنْهُ آيَسَةً * حَتَّى إِذَا عَرَضَتْ بَاتَتْ تَغْنِيكَ:
هَيْدَى - فَدَيْتُكَ - حَالِي قَدْ عَلِمْتَ بِهَا * فَلَيْمَ يَكُونُ الْجَفَا أَفْدِيكَ أَفْدِيكَ
وقال آخر :

أَعْطَيْتَنِي شَهْبَاءَ مَهْلُوبَةٍ ^(١) * تُدْرِكُ مُمَرُّوذَ بَنِ كَنْعَانٍ ^(٢)
سَفِينَةُ الْحَشْرِ إِلَى عَدُوِّهَا * أَسْبَقُ مِنْ أَشْقَرِ مَرْوَانَ ^(٣)
كَأَنِّي مِنْهَا عَلَى زَوْرَقٍ * بَلَا مَجَادِيفَ وَسُكَّانٍ ^(٤)
فَأَنْظُرُ إِلَى حِجْرِي تَرَى شَهْرَةً * أَخْبَارُهَا جَامِعُ سُفْيَانٍ ^(٥)

وقال آخر :

حَمَلْتَنِي فَوْقَ مُقْرِيفِ زَمِينٍ * لَيْسَ لَذِي رِحْلَةٍ بَدْفَاعٍ ^(١)
جِلْدٌ عَلَى أَعْظَمِ مَحَلَّةٍ * فَلَيْسَ يَمْشِي إِلَّا بَدْفَاعٍ ^(٢)
كَأَنِّي إِذْ عَلَوْتُ صَهْوَتَهُ * رَكِبْتُ مِنْهُ سَرِيرَ فُقَاعٍ ^(٣)

(١) يقال : فرس مهلوب : مستأصل شعر الذنب ، قد هلب ذنبه ، أى استؤصل جزاء .

(٢) اسم ملك من الجبابرة معروف .

(٣) أشقر مروان فرس مشهور كان لمروان بن محمد آخر ملوك بني مروان ، وكان يبدل شديدزأبروز
في الحسن والكرم واستيعاف أقسام الجودة والعنف ثم في اشتباه الذكر حتى صار مثلاً لكل طرف عتيق وفرس
كريم . ويريد به هنا السخرية (راجع ما يقول عليه في المضاف والمضاف إليه للحي المحفوظ منه نسخة
خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ أدب م) .

(٤) السكان : ذنب السمكة الذى به تعدل .

(٥) هو جامع سفينان الثوري وهو كتاب في الفقه كبير يضرب به المثل للشيء الجامع كل شيء ، وكان
أبو بكر الخوارزمي إذا رأى جامعاً أو كتاباً قال : ما هو إلا سفينة نوح ، وجامع سفينان ، ومخلط خراسان .
(راجع ما يقول عليه في المضاف والمضاف إليه) .

(٦) الفقاع : نبات يابس .

وكتب زهير بن محمد الكاتب :^(١)

وفرس على المسّا * وى كلّها مُحْتَوِيَةٌ
راكبها في تَجْمَلَةٍ * كأنه في مُحْزِيَةٍ
مُسْتَقْبَحًا رُكُوبَهَا * مثل رُكُوبِ الْمُعْصِيَةِ
فما مَسَاوِيها لَمَنْ * عددها مُسْتَوِيَةٌ
يا قُبْحَهَا مُقْبِلَةٌ * وقبحها مَوْلِيَةٌ

وقال برهان الدين ابن الفقيه نصر :

لصاحب الديوانِ رِثْوَنَةٌ^(٢) * بعيدة العهد من القُرْطِ^(٣)
إذا رأت خيلاً على مَرَبِيطٍ * تقول سُبْحَانَكَ يا مُعْطِ
تمشي إلى خَلْفِ إذا ما مَشَتْ * كأنها تكتب بِالْقَبْطِطِ



هذا ما آتفق إيرادُه مما قيل في أوصاف الخيل من النظم . فلنذكر ما وُصِفَتْ
به في الرسائل المشورة، والفقر المسجوعة، والألفاظ المزدوجة؛ مع ما يتصل بذلك
من الأبيات في ضمنها .

(١) قال ابن خلكان في ترجمته (ج ١ ص ٢٧٢ — ٢٧٥) ما نصه : «أبو الفضل زهير بن محمد
ابن علي الملقب بهاء الدين الكاتب، من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً ونثراً وحطاً، ومن أكرمهم مروءة .
كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب بن الملك الكامل بالديار المصرية،
وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية ... أسدنى شيئاً كثيراً من شعره، وشعره كله لطيف، وهو كما يقال السهل
المتنع . وأجازني رواية ديوانه، وهو كثير الوجود بأيدي الناس ... توفي رابع ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ
ودفن بالقرافة الصغرى بترابته بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه في جهتها الغربية .»

(٢) في الأصلين : « يوذونه » وهو تحريف .

(٣) القروط : نبات تألفه الدواب وهو شبيه بالرطبة إلا أنه أجل منها وأعظم ورقاً .

فمن ذلك ما حكي أن المهدي سأل مطرب دَرَّاج عن أي الخيل أفضل ؛ فقال : الذي إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استدبرته قلت زائر ، وإذا استعرضته قلت زافر . قال : فأي هذه أفضل ؟ قال : الذي طرفه إمامه ، وسوطه عنانه . ومن هذا أخذ المتنبي وعلي بن جبلة والعسكري . فقال المتنبي :

* إن أدبرت قلت لا تَلِيل لها *

وقد تقدّم .

وقال علي بن جبلة :

تحسبه أقعد في استقباله * حتى إذا استدبرته قلت أكب

وقال أبو هلال العسكري :

١٠ طرف إذا استقبلته قلت حبا * حتى إذا استدبرته قلت كبا

ووصف أعرابي فرسا أبري في حلبه فقال لما أرسات الخيل : جاءوا بشيطان ، في أشطان ؛ فأسلوه فلمع ألمع البرق ، وأسّهل أسهل الودق ؛ فكان أقرب الخيل إليه ، تقع عينه من بعده عليه .

(١) كذا في العقد المرید (ج ١ ص ٥٨) . وفي أ : « باجر » وفي ب : « باجر »

وكلاهما تحريف .

١٥

(٢) كذا في ديوان المعاني . وفي الأصلين : « زائر » بالخاء المعجمة .

(٣) كذا في ديوانه شرح المكبري وفيما تقدّم من هذا الكتاب . وفي الأصلين هنا : « أقبلت »

وهو خطأ .

(٤) أشطان : جمع شطن ، وهو الخيل الطويل الشديد العنق يستقي به وقشه به الخيل .

٢٠

(٥) الودق : المطر كله ، شديده وهينه .

١٧

ووصف محمد بن الحسين بن الحرثون فرسا فقال : هو حسن القميص ، جيد^(١) القصص ، وثيق^(٢) القصب ، نقي العصب ، يبصر بأذنيه ، ويتبوع^(٣) بيديه ، ويداخل رجله .

ووصف آخر فرسا فقال : الريح أسيرة^(٤) يديه ، والظلم^(٥) فريسة رجله ؛ إن حرّ استمر في آلتها به ، وإن جدّ مرق من إهابه .

وكتب عبد الله بن طاهر إلى المأمون مع فرس أهده اليه : قد بعثت إلى أمير المؤمنين فرسا يلحق الأرنب في الصعداء ، ويجاوز^(٦) الطبء في الاستواء ، ويسبق في الحدور بحرّى المساء ؛ إن عطف حار ، وإن أرسل طار ، وإن حُسِ صفن ، وإن استوقف^(٧) فطن ؛ فهو كما قال نابط شرا :

ويسبق وقد الريح من حيث ينتحي * بمخزيق من شدّه المتابع^(٨)
ووصف آخر فرسا فقال : كأنه إذا علا دعاء ، وإذا هبط قضاء . كأنه محلول من قول الشاعر في صفة فرس :

مثل دعاء مستجاب إن علا * أو كقضاء نازل إذا هبط

ووصف أيوب بن القريّة فرسا فقال : أسيل الخلد ، حسن القد ، يسبق الطرف ، ويستغرق الوصف .

(١) القصص من العرس : مفاصل رجب وأرساعه ، وفيها السلاميات وهي عظام الرعس . (راجع لسان العرب مادة فصص) .

(٢) تبوع الفرس في جريه : أبعد الخطو بيديه . قال الخيلاني : والله لا تبلمون تبوعه ، أي لا تلحقون شأوه في خطاه .

(٣) الظلم : الذكر من النعام .

(٤) كذا في ١ وحز : اشتد . وفي ب : « حرك » .

(٥) يقال : أكمة ذات صعداء : يشتد صمودها على الراق .

(٦) صفن الفرس : قلب أحد حوافره وقام على ثلاث قوائم .

وقال محمد بن عبد الملك لصديق له : أبغ لي فرساً يردونا، وثيق اليدين، قائم الأذنين، ذكر العينين، يأنف من تحريك الرجلين .

ومن الكلام الجيد في وصف الخيل ما أنشأه الشيخ ضياء الدين بن القُرطبي من رسالته التي كتبها إلى صاحب الوزير شرف الدين الفايزي ، وقد تقدم ذكرها في باب الكتاب في الرسائل، فلا فائدة في إعادة ما أوردها ؛ وإنما أردنا ذكر الخيل هناك لأن الرسالة تشتمل على أوصاف الخيل والعساكر والسلاح وغير ذلك، فأردنا بإيرادها بجملة ما أن يكون الكلام فيها سياقاً يتلو بعضه بعضاً . وهذه الرسالة في السفر السابع ^(١) من هذه النسخة .



١٠ ومن إنشاء المولى الفاضل العالم الأديب البليغ شهاب الدين أبي التَّناء محمود ابن سليمان الحلبي الكاتب رسالة ^(٢) في الخيل عملها تجربة ورياضة لخاطره، ولم يكتب بها سمعها من لفظه، ونقلها من خطه ؛ وهي :

أدام الله إحسان الجناب الفلاني، ولا زالت الآمال في أمواله مُحْكَمَةً، والأمانى كالحامد في أبوابه مَحِيْمَةً، والمعالي كالعوالي إليه دون غيره مسأمة، والمكارم تُغْزِيهِ في الندى حتى يسئَلُ مَحْبَبَ إِيَّاهُ من الخيل المسومة . المملوك يقبل اليد التي ما زالت بَسْطَتِهَا في الكرم عَلَيْهِ ، وَقَبَضَتْهَا بِتَصْرِيفِ أَعْنَةِ الزَّمنِ مِلْيَةً ، ومواهبها تنفوخ في الندى، ومذاهبها في الكرم تهب الأولياء ماتها به العدا . وينبئ وصول

(١) راجع هذه الرسالة ونسب منشأها في الجزء الثامن من هذه الطبعة (ص ٦٣)

(٢) راجع هذه الرسالة في كتاب حسن التوسل إلى ساعة الترسل لمشئ هذه الرسالة (ص ٩٩ طبع

٢٠ المطبعة الوهية بمصر سنة ١٨٨١ م) وصحح الأعشى للقلقيشندى (ج ٨ ص ٣٨٦ طبع بولاق) .

(٣) في العبارة قصص . والذي في حسن التوسل « ... فن ذلك كتاب أنشأه في أوصاف الخيل، ولم يكتب به على وجه امتحان الخاطر وهو ... » .

ما أنعم به من الخيل التي وُجِدَ الخَيْرُ في نَوَاصِيهَا، وأُدْخِرَتْ صَهَوَاتُهَا حَصُونًا يَعْتَصِمُ
في الوَعَى بِصَيَاصِيهَا :

فمن أشهبَ غَطَاهُ النهارُ بَحُثْته ، وأوطاه الليلُ على أَهْلته ؛ كَأَنَّهُ أَذْنُهُ حِلْفَةٌ ^(١)
قَلَمٌ ، أو شَقَّةٌ جَلَمٌ ، يُدْرِكُ بها الوَهْمُ ، ويَحَقِّقُ في الليلِ البَهِيمِ مواقعَ السَّهْمِ ؛ يَتَوَجَّحُ
أَدِيمُهُ رِيًّا ، وَيَتَارَجُ رِيًّا ، ويقولُ مَنْ أَسْتَقْبَلَهُ في حَلِيٍّ لِحَامِهِ : هذا الفجرُ قد طَلَعَ
بِالْغُرْيَا ؛ إِنْ أَلْتَقَتِ الْمَضَاقِقُ أَنْسَابَ أَنْسَابِ الْأَيِّمِ ، وَإِنْ أَنْفَرَجَتِ الْمَسَالِكُ مَرَّ
مَرُورِ النَّيِّمِ ؛ كَمْ أَبْصَرَ فَارِسُهُ يَوْمًا أبيضَ بَطْلَعَتِهِ ، وَكَمْ عَايَنَ [طُرْفُ السَّنَانِ] ^(٢) مَقَاتِلَ
الْعِدَا في ظِلَامِ النَّفْعِ بنورِ أَشْعَتِهِ ؛ لَا يَسْتَنُّ دَاحِسُ في مِضْمَارِهِ ، وَلَا تَطْمَعُ الْغَبْرَاءُ
في شَقِّ غُبَارِهِ ، وَلَا يَظْفَرُ لَاحِقٌ من لَحَاقِهِ يَسْوِي آثَارَهُ ؛ تُسَابِقُ يَدَاهُ مَرَامِي طَرَفِهِ ،
وَيُدْرِكُ شَوَارِدَ الْبُرُوقِ ثَانِيًّا من عِطْفِهِ .

ومن أَدْهَمَ حَالِي الشَّكِيمِ ، حَالِكِ الْأَدِيمِ ، لَهُ مَقْلَةٌ غَانِيَةٌ وَسَالِفَةٌ رِيمٌ ؛ قَدْ أَلْبَسَهُ
الْإِلَّيْلُ بُرْدَهُ ، وَأَطْلَعَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَعْدَهُ ؛ يَظُنُّ مَنْ نَظَرَ إِلَى سَوَادِ طُرَّتِهِ ، وَبَيَاضِ حُجُولِهِ
وَعُغْرَتِهِ ؛ أَنَّهُ تَوَهَّمَ النَّهَارَ نَهْرًا خَافِضَهُ ، وَأَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ نَقْطَةً من رَشَاشِ تِلْكَ الْخَافِضَةِ ؛
لَيْتَ الْأَعْطَافِ ، سَرِيعِ الْأَتْعَافِ ؛ يُقْبِلُ كَاللَّيْلِ ، وَيُكْرُجُ كَالْجُمُودِ صَخِيرَ حَطَّةِ السَّيْلِ ؛
يَكَادُ يَسْبِقُ ظِلَّهُ ، وَإِذَا جَارَى السَّهْمَ إِلَى غَرَضٍ بَلَغَهُ قَبْلَهُ .

ومن أَشْقَرَ غَشَاهُ الْبَرْقُ بِلَهْيِهِ ، وَوَشَاهُ الْأَصِيلُ بِدَهَبِهِ ؛ يَتَوَجَّسُّ مَا لَدَيْهِ
بَرَقِيقَتَيْنِ ، وَيَنْفُضُ وَقَرَّتَيْهِ عَنْ عَقِيقَتَيْنِ ، وَيُثْرِلُ عَذَارَ لِحَامِهِ من سَالَفَتَيْهِ عَلَى

(١) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى . وفي الأصلين : « حصنها حصونا » ، وهو تحريف .

(٢) الحلقة من القلم : من مبراه الى سه .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(٤) داحس والغبراء ولاحق : أسماء أفراس تقدم الكلام عليها .

شقيقتين؛ له من الراح لونها، ومن الرياح لينها؛ إن جرى فبرق خفق، وإن أسرع
فهلل على شفق؛ لو أدرك أوائل حرب أبى وأئيل لم يكن للنعمانة نباها، ولا للوجيه
وجاهه، ولكن ترك إغارة سكايب^(٤) لؤماً وتحريم بيعها سفاهه؛ يركض ما وجد
أرضاً، ولو أعترض [به] رأكبه^(٥) بحراً وثبه عرضا .

ومن ثكيت نهد، كأن راكبه في مهد؛ عندى الإهاب، شمالي الذهب؛ "يزل
الغلام الخلف عن صهواته"، وكانت نعم الغريض ومعيد في هواته؛ قصير المطأ^(٦)،
فسيح الخطأ؛ إن ركب لصيد قيد الأوايد، وأجمل عن الوثوب الوحش اللوايد؛
وإن جنب إلى حرب لم يزور من وقع القنا بلبانه، ولم يشك لو علم الكلام بلسانه،
ولم يردون بلوغ الغاية — وهى ظفر راكبه — ثانياً من عيانه؛ وإن سار في سهل
أختال براكبه كالتميل، وإن أقعد في جبل طار في عقابه كالعقاب وأنخط في مجاريه
كالوعيل؛ متى ما ترق العين فيه تسهل، ومتى أراد البرق مجارته قال له الوقوف
عند قدره : ما أنت هناك فتمهل .

(١) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى . وفي الأصلين : « أصرح » بالخاء المهملة .

(٢) النعمانة : فرس الحارث بن عباد . والوجيه : من خيل عني بن أعصر .

(٣) في الأصلين : « ولكن ترك إغارة ... » ، وهو تحريف .

(٤) سكايب (كقطام) : فرس عيدة بن ربيعة . وهو يشير إلى قوله فيها :

أبيت اللعن إن سكايب ليست * بعلى يستعار ولا يساع

سليمة سابقين تاجلاها * يصمهما إذا سببا كراع

ولا تطلع أبيت اللعن فيها * ومعكها بوحه يستطاع

(٥) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(٦) هذا شطر بيت من معلقة امرئ القيس ، وهو :

يزل الغلام الخلف عن صهواته * ويلوى بأثواب العنيف المنقل

(٧) المطأ : الظاهر .

ومن حبشي أصفر يروق العين ، ويشوق القلب بمشابهته العين ؛ كأن الشمس
ألقَتْ عليه من أشعتها جلالاتها ، وكأنه نفر من الدُّجى فأعْتَق منه عُرْفًا وأعْتَق
أُنْجَالًا ؛ ذى كَفَلٍ يَزِين سَرَجَه ، وذَلِيلٌ يُسَدُّ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ مِنْ فَرْجِه ؛ قد أطلعتَه
الرياضةُ على مُرَاد فَارِسِه ، وأغناه نُضَارُ لَوْنِه ونَضَارَتُهُ عن تَرْصِيعِ قَلَائِدِه وتَوْشِيعِ
مَلَابِسِه ؛ له من الْبَرَقِ خِفَّةٌ وَطَيْهٌ وَخَطْفُهُ ؛ ومن النِّسَمِ لِينٌ طُرُوقُهُ ^(١) وَلُطْفُهُ ، ومن
الريحِ هَيْزُهَا إِذَا مَا جَرَى شَاوِينَ وَأَبْتَلَّ عِطْفُهُ ؛ يطير بالغَمْزِ ، ويُدْرِك بِالرَّيَاضَةِ
مَوَاقِعَ الرُّمَزِ ، ويغدو كَأَلِفِ الْوَصْلِ فِي اسْتِغْنَائِهِ مِثْلَهَا عَنِ الْهَمَزِ .

ومن أَخْضَرَّ لَهُ مِنَ الرُّوِضِ تَقْوِيْفُهُ ، ومن الْوَشْيِ تَقْسِيمُهُ وتَأْلِيْفُهُ ؛ قد كساه
الليلُ والنَّهَارُ حُلَّتًى وَقَارٍ وَسَاءً ، وَاجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ ضِدَانٌ لَمَّا اسْتَجْمَعَا
حَسَنًا ؛ وَمَنْحَهُ الْبَازِي حَلَّةً وَشِيَه ، وَأَعْطَتْهُ نَفُوحُ الرِّيَاحِ وَتَسَاهَاتُهَا قُوَّةَ رَكْبِيْهِ وَخِفَّةَ
مَشْيِهِ ؛ يُعْطِيكَ أَفَانِينَ الْجُرَى قَبْلَ سُؤَالِهِ ، وَلَمَّا لَمْ يُسَاقِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْلِ أَغْرَاهُ
حُبُّ الظَّفَرِ بِمَسَابَقَةِ خَيَالِهِ ؛ كَأَنَّهُ تَهَارِيْقُ شَيْبٍ فِي سَوَادِ عِدَارٍ ، أَوْ طَلَابِيعُ بَحْرِ
حَالِطٍ بِيَاضِهِ الدُّجَى ، فَمَا سَجَى ، وَمَازَجَ ظِلَامُهُ النَّهَارَ ، فَمَا أَنْارَ ؛ يَخْتَالُ لِمُشَارَكَةِ
أَسْمِ الْجُرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ فِي شِدَّةِ السَّيْرِ كَالسَّيْلِ ، وَيُدَلُّ بِسَبْقِهِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَشْتَرَكِ
بَيْنَ الْبُرُوقِ الْآلَوَامِجِ وَبَيْنَ الْبَرْقِيَّةِ مِنَ الْخَيْلِ ، وَيُكْذِّبُ الْمَانَوِيَّةَ ^(٢) تَتَوَلَّدُ أَيُّهَا فِي بَيْنِ
إِضَاءَةِ النَّهَارِ وَظُلْمَةِ اللَّيْلِ .

ومن أَبْلَقَ ظَهْرُهُ حَرَمَ ، وَجَرِيَهُ ضَرَمَ ؛ إِنْ قَصَدَ غَايَةَ فَوْجُودِ الْفَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا
عَدَمَ ، وَإِنْ صُرِّفَ فِي حَرْبٍ فَعَمَلُهُ مَا يَشَاءُ الْبَنَانُ وَالْعِنَانُ وَفِعْلُهُ مَا تَرِيدُ الْكَفُّ

(١) العين هنا : الذهب المصروب .

(٢) في حسن التوسل وصبح الأعشى : « مروره » .

(٣) في حسن التوسل وصبح الأعشى : « ونحلتها الرياح ... » .

(٤) المانوية : قوم ينسبون إلى ماني ، وهو رجل يقول : الخ من النهار والشر من الليل .

- والقدّم؛ قد طابَقَ الحسنُ البديعُ بينَ ضِدَّتَي لَوْنِهِ، ودَلَّتْ على أَجْتِمَاعِ النَّقِیْضَیْنِ عِلَّةٌ كَوْنُهُ؛ وَأَشْبَهَ زَمَنَ الرَّیْبِ بِاعْتِدَالِ اللَّیْلِ فِيهِ وَالنَّهَارَ، وَأَخَذَ وَصَفَ حُلَّتِي الدُّجَى فِي حَالَتِي الْإِبْدَارِ وَالسَّرَادِ؛ لَا تَكِلُ مَنَازِلُهُ، وَلَا يَضِلُّ فِي سَجَرَاتِ الْجِيُوشِ رَاكِبُهُ، وَلَا يَحْتَاجُ لِيَلِهِ الْمَشْرِقُ بِمَجَاوِرَةِ نَهَارِهِ إِلَى أَنْ تُسْتَرَشَدَ فِيهِ كَوَاكِبُهُ؛ وَلَا يُجَارِيهِ الْخِلَالُ فَضْلًا عَنِ الْخِلَالِ، وَلَا يَمَلُّ السَّرَى إِلَّا إِذَا مَلَّ مُشِبَّاهُ: النَّهَارُ وَاللَّيْلُ، وَلَا تَمَسُّكَ الْبُرُوقُ اللَّوَامِعُ مِنْ حَلَاقِهِ بِسُوءِ الْأَثْرِ فَإِنْ جَهِدَتْ فَبِالذَّلِيلِ؛ فَهُوَ الْأَبْقَى الْقَرْدُ، وَالْجُودُ الَّذِي لُجْبَارِيهِ الْعَكْسُ وَلَهُ الطَّرْدُ؛ قَدْ أَغْنَتْهُ شُهْرَةٌ نَوْعِهِ فِي جِنْسِهِ عَنِ الْأَوْصَافِ، وَعَدَلَ بِالرِّيَاحِ عَنْ مَبَارَاتِهِ سَلُوكُهَا لَهُ فِي الْإِعْرَافِ جَادَّةُ الْإِنْصَافِ .
- فَتَرَقَّى الْمَمْلُوكُ إِلَى رُتَبِ الْعِزِّ مِنْ ظُهُورِهَا، وَأَعَدَّهَا لِحُطْبَةِ الْجَنَانِ إِذَا الْجِهَادُ عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَنْفَسِ مُهُورِهَا؛ وَكَلَّفَ بِرُكُوبِهَا فَكَلَّمَا أَكَلَهُ عَادَ، وَكَلَّمَا أَقْلَهُ شَرَّ إِلَيْهِ فَلَوْ أَنَّهُ زَيْدُ الْخَيْلِ لَمَّا زَادَ؛ وَرَأَى مِنْ آدَابِهَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ أَكْرَمِ الْأَصْنَافِ، وَعَلِمَ أَنَّهَا لِيَوْمَيِّ سَلَمِهِ وَحَرْبِهِ حَنِينَةُ الصَّائِدِ وَجَنَّةُ الصَّائِلِ؛ وَقَابَلَ إِحْسَانَ مُهْدِيهَا بِثَنَائِهِ وَدُعَائِهِ، وَأَعَدَّهَا [فِي الْجِهَادِ] لِمُقَارَعَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا وَأَعْدَائِهِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى

- (١) الْإِبْدَارُ : امْتِلَاءُ الْقَمَرِ وَكُلُّهُ ، وَ يَكُونُ ذَلِكَ لَيْلَةً يَكُونُ الْقَمَرُ بِدَرَا . وَالسَّرَادُ : اللَّيْلَةُ الَّتِي يَسْتَسِرُّ فِيهَا الْقَمَرُ ، أَيْ يَغِيبُ ، وَهِيَ آخِرُ لَيْلَةٍ فِي الشَّهْرِ . (٢) الْحِجْرَةُ (بِالْفَتْحِ) : السَّاحَةِ .
- (٣) كَذَا فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ وَصَبَّحَ الْأَعْشَى . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «سَلُوكُهُ فِي الْإِعْرَافِ لَهُ» .
- (٤) فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ وَصَبَّحَ الْأَعْشَى : «إِذَا الْجِهَادُ عَلَيْهَا» .
- (٥) هُوَ زَيْدُ بْنُ مَهْلَهْلٍ مَنَ يَزِيدُ ، كَانَ فَارِسًا مَقْوَرًا مَظْفَرًا شَجَاعًا عَبْدَ الصَّوْتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَوَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيَهُ وَسَرَّ بِهِ وَقَرَّضَهُ وَسَمَاهُ زَيْدَ الْخَيْرِ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مَقْلٌ خَفِضَ مَعْدُودُ فِي الشُّعْرَاءِ الْفَرَسَانِ . وَاسْمُ زَيْدِ الْخَيْلِ لِكَثْرَةِ خَيْلِهِ (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَغَانِي ح ١٦ ص ٤٧ - ٦٢ طَبْعُ بُولَاقِ) .
- (٦) الْحَنِيتُ : الْقَوْسُ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «حَنَّةٌ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَلَعَلَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْنَيْتَاهُ .
- (٧) الزِّيَادَةُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ وَصَبَّحَ الْأَعْشَى .

يشكره الذى أفردته فى الندى بمدّاهيه ، وجعل الصّافنات الحيات من بعض مواهبه .
والله أعلم بالصواب .



ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد البغدادى رسالة^(١)
فى مثل ذلك أنشأها فى سنة ست أو خميس وسبعائة . وسمعتها من افظه ، ونقلتها
من إملائه ؛ وهى :

يقبل اليد العالصة الفلانية ، لا زالت تُرسل إلى الأولياء صحائب كرمها ، وتقلد
الأوداء فلاندا نعيمها ، ولا برح المرهفان طرازى حاشيتها وخديها ، حتى ينوب القلم
عن صليل مرهفها والصمصام عن صيرير قلبها ، لتساوى فى الإنفاذ مواقع كلمها
ومراسيم كلمها ؛ ولا قتي ظاهرها قبلة القبل وغاية الآمال ، وباطنها مورد الكرم
ومصدر الأموال .

وينبئ أنه لما كانت العزائم الفلانية طامحة إلى أسنى المعالى ، مُطلعة من مناقبها
أهلة تُحجل بدور اللبلى ، متيعة بأكتساب المفارح ، عميدة بتشديد المآثر ؛ ماثلة^(٢)
إلى مايزن المقائب ، ويطرز الكائب ؛ مُضغية إلى ما يرد جنباتها من جناتها لاغير ،^(٣)

(١) هو الأديب البارع تاج الدين أبو الحاس عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله . ولد بمكة المشرفة
فى رجب سنة ٨٦٨ . وكان إماما فاضلا أديبا بليغا . قدم القاهرة ثم رحل إلى دمشق وأقام بها مدة سبع
سنتين بقرى الطلبة المقامات الحرية والعروض وغير ذلك من علوم الأدب ، ثم سافر إلى اليمن وأقام بها
مدة ، وولى الوزارة ثم عزل وصور ، ثم عاد إلى القاهرة وولى التدريس بالمشهد الفيضى وشهادة البازرستان
المصورى ، ثم توجه إلى طرابلس ودمشق فلم تطل مدته وعاد إلى القاهرة ومات بها سنة ٧٤٣ وله عدة
تأليف منها : مطرب السمع فى شرح حديث أم زرع ، ولقطة العجلان المختصر فى وفيات الأعيان . وعمل
تاريخا للنعاة واخصر الصحاح . وسمع منه البرازلى والدهي — وذكراه فى معجمهما — وابن رافع
وخلاق وكتب عنه الشيخ أبو حيان وأثنى عليه كثيرا (راجع شذرات الذهب والمهل الصافى) .

(٢) المقائب : جمع مقنب ، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل : زهاء الثلاثمائة .

(٣) كذا بالأصليين .

وكيف لا تكون كذلك وحب الخيل من الخير ، ناظرة إلى ما يصل من كرائمها ،
مهتدية بنجوم غررها مشغوفة بتججيل قوائمها ، عاشقة لاتساع صدورها ، وريقة
نحورها .

- خدم المملوك الركاب العالي بإنفاد خيل أتحدت في الصفات ، وتباينت
في الشيات ؛ وصدرت كروضة تمتح أزهارها ، وزها نوارها ، وأشرقت أنوارها ؛
بل كعراس تحال في برودها ، أو بكواهر تنافست في عقودها ؛ ملكتها ميم المملوك
فكانت كعدد أصابعها ، وأحرزتها همتة فتزعت في الخزم إلى منازعها ؛ لها من الطباء
أعناقها ، ومن النعام أسواقها^(١) ؛ ومن البأس قوة جنانها ، ومن الظفر مثنى عنانها ؛
ومن الإقبال غرر نواصيها ، ومن إدراك الغرض جل أمانها ؛ ذوات ضبح^(٢) ،
وموريات قرح^(٣) ؛ تكبو الريح في غاياتها ، ويقر البرق بمحجزاتها ؛ مداخلة الخلق رجة^(٤)
اللبان ، مستغنية عن الهمز بتحرك العنان ؛ تقارب ما بين قطاها ومطاهها ، وتباعد
ما بين قذالها وصلاتها^(٥) ؛ سماء عنقها وأطرق جبينها^(٦) ، وتزهد عن المعايب فلا صكك^(٧)
يسينها ؛ يا حبذا أشهبها وقد تجللت بالشهب ذاته ، وآدعت أشهب الصبح شياتها ؛
زبرجدي الحافر لؤلؤي الأديم^(٨) ، له أبطالا ظبي وسافا ظليم^(٩) ؛ كغامة بارقها قذح^(١٠)
سنابكه ، أو كسيل طم مقعمه واسع مساليكه ؛ استغنى بجوهر شياتها عن كل مذهب ،
١٥

(١) لم يصح في كتب اللغة على هذا الجمع - والذي فيها سوق وسوقا وأسوق .

(٢) الضبح : صوت أنفاس الخيل عند عدوها . (٣) الايراء : إخراج النار . والقذح :

الضرب ، أي التي تورى النار من صدم حوافرها للحجارة . (٤) اللبان : الصدر .

(٥) القطا : العجز ، وقيل : هو ما بين الوركين ، وقيل : هو مقعد الردف .

(٦) المطا : الظهر . (٧) القذال : جماع مؤخر الرأس . (٨) الصلا : وسط الظهر .

(٩) في الأصلين : « أطرب حنينها » . (١٠) الصكك : اضطراب الركبتين والعروق بين .

(١١) الظليم : ذكر العام .

فما لَمُدَّهَبٌ فِي الْإِنْتِسابِ عَنْهُ مَذْهَبٌ ؛ إِنْ أَمْتَعَلَى الْفَارُسُ قَطَاثَهُ طَارَ بِأَسْرِ حَافِرِهِ ،
وإن أشار إلى غَرَضٍ أدركه مجرَّد الوَهْمِ لَا بِالنَّظَرِ إِلَى نَظَرِهِ ؛ أَمْيَالُ الْيَدَاءِ كَيْلٌ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ ، وَتَرَادُفٌ رَمَالُهَا كَدُرُورٍ بَيْنَ جَفْنَيْهِ ؛ إِنْ سَوَّلَى عَلَى السَّبْقِ (١) وَأَحْرَزَ خَصْلَهُ ، وَكَيْفَ
لَا وَقَدْ حَازَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَصْلَهُ .

يَتْلُوها أَشْفَرُهَا وَقَدْ تُجَدُّ عَقِيْقًا ، أَوْ أَلْتَحَفَ شَقِيْقًا ؛ أَوْ كَوَجَنَةً قَدْ أَحْمَرَتْ مِنْ
الْخَلْجِ ، أَوْ كوردة ناظرت بِحَفْرِهَا تَرْجَسُ الْمَقْلَ ؛ تَنَاسَبَتْ أَجْزَاؤُهُ فِي الْمَلَاَحَةِ ، وَتَسَاوَتْ
مِرَاتِبُهُ فِي الصَّبَاحَةِ ؛ وَجَاهَةُ الْوَجْهِ نَاطِقَةٌ مِنَ الْحَيَا ، وَمَسِيلُ غُرَّتِهِ كَتَصْوِيبِ الْاِثْرِيَا ؛
مُجَلٌّ بِالْجُوزَاءِ وَأُسْرِجٌ بِالْهِلَالِ ، وَأَلْجَمُ بِالْمَجْرَةِ فَمَا لَآبِنُ دُكَّاءَ فِي الْإِشْرَاقِ عَلَيْهِ جَمَالٌ ؛
إِنْ أُطْلِقَ وَالرَّيْحُ فِي سَنَنِ مَيْدَانٍ ، رَأَيْتَ الرِّيحَ كَكَتَبَتْ خَفَقَتَهُ الْجِيَادُ يَوْمَ الرِّهَانِ ؛
تَنْهَبُ الْفَلَاةَ حَوَافِرُهُ ، وَتُحَرِّزُ قَصَبَ السَّبْقِ بَوَادِرِهِ . يَتَّبِعُهُ كَتَبَتْ كَقِطْعَةِ جَهْرٍ ،
أَوْ كَكَأْسِ نَحْرٍ ؛ اسْوَدَّ ذَنْبُهُ وَغُرْفُهُ ، وَآخَتَالَ كَالنَّشْوَانِ فَكَأَنَّمَا أَسْكَرَهُ وَصْفُهُ ؛
حَكَتْ أَذْنَاهُ قَادِمَتَيْ حَمَامَةٍ ، أَوْ الْمُحَرِّفُ مِنْ أَفْلَامٍ قُدَّامَهُ ؛ قَصُرَتْ عَنْ سَعْيِهِ الْحَيُولُ
فَسَابَقَ الظَّلَالُ ، وَنَشَأَ مَعَ الْعَامِ فَلَا يَأْلَفُ غَيْرَ الرِّثَالِ ؛ كَأَنَّ الصَّبَا أَلْقَتْ إِلَيْهِ عِنَانَهَا
فَسَرَا ، فَتَحَبَّبَ بِسَرَجِهِ مَرَّةً وَتَنَافَلَ أُخْرَى . مَقْرُوءًا بِأَصْفَرِ كَالدَّيْنَارِ ، قَدْ أُفْرِغَتْ
عَلَيْهِ حُلَّةٌ نُورٍ لَانَارٍ ؛ طَالَ مِنْهُ الذَّيْلُ وَاتَّسَعَ الْآبَانُ ، فَكَأَنَّمَا هُوَ نَارٌ عَلَى
بَقَاعٍ شُبَّتْ لِلضَّيْفَانِ ؛ جَلَّتْهُ الشَّمْسُ بِأَوَارِهَا ، وَأَهْدَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاضُ
أَصْفَرَارَ أَزْهَارِهَا ؛ تُشْهِدُكَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ يَوْمَ الْعَرْضِ ، فَرُوجُ قَوَائِمِهِ سَمَاءٌ عَلَى
أَرْضٍ ؛ إِنْ هَمَّ لَجَّ لَا ذِي الرِّيحُ بِالشَّجَرِ ، وَإِنْ عَدَا قَصُرَ عَنْ إِدْرَاكِهِ رُؤْيُهُ

(١) السبق (محركة) : الخطر يوضع بين أهل السباق وهو ما يتراهنون عليه . وأحرز حصله : غلب

٢٠ . على الرهان . (٢) نجد : ريس . (٣) الشقيق : نور أحر . (٤) اس دكا .
الصبيح .

(٧٠) البصر، نَجَاشِي النِّجَار، وَحَلِيف الْوَجَار؛ كَأَنَّمَا خُلِقَ مِنَ الْحَزْمِ شَطْرُهُ، وَمِنَ الْعِزِّ ظَهْرُهُ؛ وَمِنَ الْإِقْبَالِ غُرَّتُهُ، وَمِنَ كُنُوزِ الْمَفَاحِرِ سُرَّتُهُ؛ يُقَرِّزُ أَعْوَجُ بْنُ هَلَالٍ بِفَضْلِهِ، وَيَقْفُو حُرُونُ مُسْلِمٍ أَرْضَ ظَلِّهِ. مَخْتُومًا بِأَدْهَمِ كَصَخْرَةِ سَيْلٍ، أَوْ كَقِطْعَةِ لَيْسَلٍ؛ خَاضَ فِي أَحْشَاءِ الصَّبَاحِ فَلَطَمَ جَبِينَهُ، وَسَاقَى الْفَلَكَ فَقَيْدَ بِالْجُوزَاءِ رِجْلَيْهِ وَيَسَارَهُ وَأَطْلَقَ يَمِينَهُ؛ عَرِيضُ الْكَفَلِ وَالْمُنْتَخَرِينَ، دَقِيقُ الْقَوَائِمِ وَالسَّاقِينَ؛ كَأَنَّمَا أَشْرَبَ لَوْنُهُ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ، وَكَأَنَّمَا النَّصْرُ قَيْسٌ وَهُوَ لَيْلِي يَحْضُرُهُ حَيْثُ حَضَرَ؛ لَوْ كُتِبَ أَسْمُهُ عَلَى رَايَةٍ لَمْ تَزَلْ تَقْدُمُ فَتُوحَا، أَوْ لَمَعَتْ بِوَارِقٍ سَنَابِكُهُ رَأَيْتَ زَيْجِيًّا بَارِحًا؛ طَابَقَتْ أَخْبَارُهُ لِمُخْبَرِهِ، وَسَبَقَتْ رِجْلَاهُ فِي الْعَدُوِّ مَوَاقِعَ نَظَرِهِ؛ لَا يَبْلُغُ غُرَابٌ بِغَارَهُ، وَلَا تَسْتَنُ النَّعَامَةُ فِي مَضَاهِهِ.

١٠ وَلنَخْتَمَ هَذَا الْبَابَ بِذِكْرِ فَائِدَةٍ، وَهِيَ دَوَاءُ الْخُلْدِ: يُؤْخَذُ خَمْسُونَ طَائِرًا مِنْ الْأَدْرَارِ يُسْحَقُ بِحَجَرٍ وَلَا تُمَسَّ بِالْيَدِ، وَيَجْعَلُ فِي قَدَرٍ صَغِيرَةٍ جَدِيدَةٍ، وَيُصَبَّ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ وَالزَّيْتِ مَا يَغْمُرُهُ، وَيُغَلَى عَلَيْهِ حَتَّى يَنْعَقِدَ، وَيُضَافُ إِلَيْهِ يَسِيرٌ مِنَ الْقَطِرَانِ الْأَسْوَدِ، وَيَوْضَعُ عَلَى النَّارِ؛ فَإِذَا فَتَرُ فُتِلَفَ مُشَاقَّةً عَلَى عُدُوِّهِ وَيُدْهَنُ بِهِ أُمُّ الْخُلْدِ قَبْلَ قِطْعِهِ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ يُدْهَنُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِالشَّيْرَاجِ وَالصَّبْلَقُونِ وَمَاءِ الْوَرْدِ؛ فَإِنَّهُ مَجْزُبٌ.

- (١) النِّجَار: الْوَلَن، وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْأَصْلِ وَالْحَسَبِ.
- (٢) كَذَا بِالْأَصْلَيْنِ، وَالْوَجَار: الْجَرُّ لِلضَّيْعِ وَالْأَسَدُ وَنَحْوُهُمَا مِنَ الْوَحُوشِ.
- (٣) فَرَسٌ اخْتِجَتْ مِنْهُ خَيُْولُ الْعَرَبِ، وَعَامَةٌ جِيَادُهَا تَنْسَبُ إِلَيْهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.
- (٤) كَذَا فِي أَنْسَابِ الْخَيْلِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ وَالْمُخْتَصَصِ وَاللَّسَانِ وَتَاحِ الْعُرُوسِ، وَهُوَ فَرَسٌ مُسْلِمٌ بَنَ عَمْرُو الْبَاهِلِيِّ (وَالِدُ قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ) وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ. وَفِي الْأَصْلَيْنِ: «آخِرُونَ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.
- (٥) يَرِيدُ يَدِ بْنِ الْمُلُوحِ وَهُوَ مَجْنُونٌ بَنَى عَامِرٌ صَاحِبُ لَيْلٍ. (٦) غُرَابٌ: اسْمُ فَرَسٍ لَفْتَى.
- (٧) يُقَالُ: اسْتَنَ الْفَرَسُ فِي الْمَضَارِ: إِذَا جَرَى فِي شَطَاطٍ.
- (٨) الْخُلْدُ: دَاءٌ مِنْ أَخْطَرِ الْأَدْوَاءِ، وَهُوَ فِي الْفَرَسِ بِمِزَلَةِ الْجَذَامِ فِي الْإِنْسَانِ.

الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثالث في البغال والحمير

ذكر ما قيل في البغال

قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: إن البغل لا يعيش له ولد، وليس بعقيم؛ ولا يبقى للبغلة ولد، وليست بعاقرة. وهو أطول عمرا من أبويه وأصبر. ويقال: إن أول من نتج البغال "قارون"، وقيل: "أفريدون" أحد ملوك الفرس الأول. والبغل يوصف برداء الأخلاق والنون. ومن أخلاق البغال الإنف لكل دابة. ويقال: إن أبوال الإناث تنقية لأجسادها. والإناث أجمل من الذكور. قال بعض الشعراء: ^(١)

عليك بالبغلة دون البغل * فإنها جامعة للشمل
مركب قايض وإمام عدل * وعالم وسيد وكهمل
تصلح للرهل وغير الرهل

والبغال من مراكب الرؤساء، والسادة النجباء، والقضاة والعلماء. وهم يرحجون إناثها على ذكورها؛ حتى إن المغاربة لا يركبون البغال الذكور آلبة وإنا

(١) في الأصل: «اسحب» ولعلها محرفة عما أثبتناه. (راجع حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ١٧٣ طبع بولاق).

(٢) أمر يدون هو سادس ملوك الطبقة الأولى من الفرس وهي العيشدادية. وفي نسبة اختلاف. وهو الذي قتل الضحاك الطالم ونمرود بن بالث وشرد البط. وهو أول من ذل القيلة وامطاطها، وأنتج البغال وأخذ الازر والحمام وعمل الترياق، وردة الطالم، وأمر الناس بعبادة الله تعالى والإنصاف والاحسان، وردة على الناس ما كان الضحاك قد غصبه من الأرض، وجعل دارملكته بابل. (راجع دائرة المعارف البستاني ج ٤ ص ٢٦).

(٣) كان الأنسب أن يقال: «بعض الرجاز».

يحملونها برسم حمل الزَّيْل . أخبرني قاضي القضاة جمال الدين أبو محمد بن سليمان بذلك ، وقال : وإذا طلب ولّى الأمر البغل لأحد كان ذلك دلالةً على إشتهاره وتجريسه عليه . قال : فلا يركب البغل الذكّر عندنا إلا زبالٌ أو مجرّس . وأعظم ما تُفَضَّلُ به إناثُ البغال على ذكورها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبها وملكها ، وما ورد أنه ملك بغلاً ولا ركبها .

ولنذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضيلاً لهذا الحيوان وتشريفاً ، وتنوياً بذكره وتعريفاً ، والله أعلم .

ذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلةً شهباء يقال لها "دُلْدُل" ، أهداها له المَقْوِيس . ذكر ذلك ابن قُتَيْبَةَ وآبن سعد ، فقال آبن سعد ما هذا نصه : "وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطِبَ بن أبي بَلْتَعَةَ الحُخَمِي ، وهو أحد الستة ، إلى (١) في شرح القاموس (مادة شهر) : « ومن الحجاز أشهرت فلانا استخففت به وفضحته وجعلته شهرة » ٥ . (٢) التجريس بالقوم : التسميع بهم والتشهير .

(٣) هم كما أوردتهم البخشي في رشحات المداد : عمرو بن أمية الصمري بعثه إلى نخاشي الحبشة ، ودحية بن خليفة الكلبي بعثه إلى هرقل الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي بعثه إلى كسرى ملك فارس ، وحاطب بن أبي بلتعة الحُخَمِي بعثه إلى مقوقس مصر ، وشجاع بن وهب الأسدي بعثه إلى الحارث ابن شمر النساني ملك دمشق ، وسليط بن عمرو العامري بعثه إلى هودذة بن علي الحبلي باليمامة . وزاد آبن هشام في السيرة أنه بعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياذ ابني الحليدي الأزديين ملكي عمان ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن .

قال البخشي : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية سنة ست أراد أن يكتب إلى الأطراف فاتخذ خاتماً من فضة نقشه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر وختم به الكتب ووجه بها الرسل ، فخرج منهم سنة في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع . وقد أورد من هذه الكتب كتابه إلى النجاشي وكسرى والحارث النساني وهودذة بن علي . فارجع إليها فيه (ص ١٢٩ - ١٣٣) .

المُقَوِّس صاحب الإسكندرية عظيم القبط يدعو إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً؛ فأوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأه وقال له خيراً؛ وأخذ الكتاب فجعله في حَقٍّ من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته؛ وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «قد علمتُ أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك يجاريين لهما مكان في القبط عظيم، وقد أهديت إليك كسوة وبغلة تركبها». ولم يزد على هذا ولم يُسلم. فقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته، وأخذ الجاريتين: مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأختها سيرين. وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذ غيرها وهي «دُلْدُل». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضنّ الخبيث بملكه ولا بقاء لمملكه».

وذكر ابن سعد أيضاً قال: كانت «دُلْدُل» بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول بغلة رُئيت في الإسلام، أهداها له المُقَوِّس وأهدى معها حماراً يقال له «عُفَيْر»؛ فكانت البغلة قد بقيت حتى كان زمن معاوية. وفي لفظ: وكانت

(١) نص هذا الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم كل القبط بأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا أنا مسلمون». قال المرحوم حنفي بك ناصف في كتابه تاريخ الأدب أو حياة الله العربية: وقد عثر الباحثون على الكتابين المرسلين إلى المقوقس والمنذر بن ساري وأخذوا صورتيهما بالتصوير الشمسي وطبعوهما. أما الكتابان أنفسهما محفوظان في الآستانة وفيها، في الأول كتاب المقوقس وفي الثانية كتاب المنذر. ونسخة كتاب المقوقس محفوظة بدار الآثار النبوية وكان قد عرطها عالم فرنسي في دير بمصر قرب إخم في زمن سعيد باشا إلى مصر. وجمع بجدتها السلطان عبد الحميد فاستقدم ذلك العالم وعرضها على العلماء فقرروا أنها هي بيننا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، فاشترأها منه بمال عظيم.

شبهاء، وكانت يَنْبُغُ حتى ماتت ثم . وفي لفظ : وكانت قد كَثُرَتْ حتى زالت أسنانها، وكان يُجَمَّسُ لها الشعر .

وروى ابن سعد أيضا عن محمد بن عمر الأسلمي قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله ابن أبي سبرة عن زامل بن عمرو قال : أهدى فروة بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها " فِضَّة " فوهبها لأبي بكر . وكذلك قال البلاذري .
وقد يقال : إن " دُلْدُل " من هدية فروة، وإن " فِضَّة " من هدية المقوقس .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهداها له كسرى ؛ فركبها بجمل^(١) من شعر ثم أُرْدِفِي خَلْفَهُ . رواه الثعالبي في تفسيره في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْسَكَ اللَّهُ بُصْرًا فَلَا يَكْشِفْ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ . قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي رحمه الله : قوله « أهداها له كسرى » بعيد ؛ لأنه مَرْقُ .
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وأمر عامله باليمن بقتله وبعث رأسه إليه ؛ فأهلكه [الله] بكفره وطغيانه .

وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله من حديث أبي حميد الساعدي قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك ؛ فذكر الحديث ؛ وقال فيه : وجاء رسول ابن العلاء صاحب أيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء ؛ فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له بردا . رواه البخاري في كتاب الجزية والمواذعة بعد الجهاد ؛ ورواه أبو نعيم في المستخرج .
ولفظهما : " وَأَهْدَى مَلِكٌ أَيْلَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَلَةٍ بَيْضَاءَ فَمَكَّسَاهُ بَرْدًا " ؛ وقال أبو نعيم : بُرْدَةٌ .

(١) كذا في كتاب فضل الخيل للدمياطي (ص ١٢٤ طبع حلب) . والجل (بالضم والفتح عن ابن دريد) : ما تلبسه الدابة لتصان به . وفي الأصلين : « بجمل » .

وقال ابن سعد : وبعث صاحب دومة الجندل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ببغلة وجبة من سندس .

وروى إبراهيم الخريفي في كتاب الهدايا عن علي رضي الله عنه قال : وأهدى
محنة بن روبة^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء .

وروى يوسف بن صهيب عن ابن بريدة^(٤) عن أبيه قال : انكشف الناس
عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته
الشهباء التي أهداها له النجاشي وزيد أخذ بركاب بغلته . وذكر علي بن محمد بن
حنين بن عبدوس الكوفي في أسماء خيله وسلاحه وأنائه : وكان اسم بغلته
« دُلْدُل » أهداها إليه المقوقس صاحب الإسكندرية وكانت شهباء ؛ وهي التي
قال لها يوم حنين : « أريضي » فربضت . ويقال : إن علياً ركبها بعد النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ركبها الحسن ثم ركبها الحسين ثم ركبها محمد بن الحنفية

(١) هو أكيدر بن عبد الملك ، كما في شرح المواهب .

(٢) دومة الجندل (بضم أوله وفتحه وقد أنكر ابن دريد الفتح وفتح من أعلات المحققين) : على سبع
مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبنى
بالجندل .

(٣) ضبطه الزرقاني بالعبارة فقال : بضم التحتانية وفتح المهملة وتشديد النون . وروبة بضم الواو
وصكون الواو بعدها موحدة . وهوا بن « العلماء » صاحب أيلة المتقدم . قال في فتح الباري : ولعل « العلماء »
اسم أمه . وهو الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى تبوك وصاحبه وأعطاه الجزية وأهدى
له البيضاء ، وكانت طويلة مخندفة حسنة السير ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له برداً . (راجع
شرح الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٤٦٥ طبع بولاق) . وقد ورد في الأصلين : « يوحنا بن روزة » ،
وهو مخريف . (٤) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب .
(٥) كذا في المواهب (انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٧ من هذا الجزء) . وفي الأصلين : « الحسين » ،
وهو تحريف .

رضى الله عنهم؛ ثم كبرت وعُميت، فوقعت في مَبْطَخَةٍ لبعض بني مُدَجَجٍ فَبَطَّتْ فيها^(٢)،
فرماها بسهم فقتلها .

وكانت له بغلة يقال لها ”الأَيْلِيَّة“؛ أهداها إليه ملكُ أَيْلَةَ، وكانت طويلة
مُخَنَّفَةً^(٣) كأنما تقوم على رِمالِ حَسَنَةِ السَّير؛ فأعجبته ووقعت منه . وهي التي
قال له فيها علي بن أبي طالب رضى الله عنه حين خرج عليها : كأن هذه البغلة
قد أعجبتك يا رسول الله؟ قال : ”نعم“ قال : لو شئنا لكان لك مثلها؛ قال :
”وكيف“؛ قال : هذه أمها فرس عربية وأبوها حمار، ولو أنزينا حماراً على فرس
لجاء بمثل هذه؛ فقال : ”إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون“ .

وعن دحية بن خليفة الكلبي رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ،
ألا أحمل لك حماراً على فرس فتنتج لك بغلة ؟ فقال : ”إنما يفعل ذلك الذين
لا يعلمون“ . رواه ابن منده في كتاب الصحابة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبداً مأموراً ، ما اختصنا دون الناس بشيء إلا بثلاث : أمرنا أن نُسَبِّحَ
الْوُضوءَ ، وألا نأكل الصَّدَقَةَ ، وألا نُتَزَّى حماراً على فرس . رواه الترمذي
في الجهاد . وفي لفظ آخر عنه رضى الله عنه : كان عبداً مأموراً بَلَّغَ ما أُرْسِلَ به ،
وما اختصنا دون الناس بشيء إلا بثلاث خصال : أمرنا أن نُسَبِّحَ الوُضوءَ ،
وألا نأكل الصَّدَقَةَ ، وألا نُتَزَّى الحمارَ على الفرس . وهذا على هذين الحدين
يختص بآل النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرهم .

(١) المبطخة : منبت البطين . (٢) خبطت : مشت على غير هدى لا تتوق شيئاً .

(٣) كذا في شرح المواهب . والخنف : مثبته كالهرولة . وفي الأصلين : «مخدرة» ، وهو محريف .

والذى يظهر من مجموع هذه الأحاديث المروية التى أوردناها أن بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سبعا، وهى : «الدُّلْدُل» التى أهداها له المَقْوُوس ، و«فِضَّة» التى أهداها له قُروة بن عمرو ، وبغلة أهداها له كسرى ، وبغلته الأيلىة التى أهداها له ابن العلماء صاحب أيلة ، وبغلة بعثها له صاحب دومة الجندل ، وبغلة أهداها له يُحَنَّة ابن رُوبَةَ ، وبغلة أهداها له النِّجَاشَى صاحب الحبشة . والله تعالى أعلم بالصواب .

ذكر شئ مما وُصفت به البغال

قد ألفت الجاحظ كتابا فى البغال مفردا عن كتاب الحيوان ، قال فيه ما نصه :
 « نبدأ إن شاء الله بما وُصف الأشراف من شأن البغلة فى حسن سيرتها ، وتمايم خلقتها ، والأمور الدالة على السرى جوهرها ، وعلى وجوه الارتفاق بها ، وعلى تصرفها فى منافعها ، وعلى خفة مؤتمتها فى الثقل فى أمكنتها وأزممتها ، ولم كلف الأشراف بارتباطها مع كثرة ما يزعمون من عيوبها ، ولم آثروها على ما هو أدوم طهارة خلق منها ، وكيف ظهر فضلها مع النقص الذى هو فيها ، وكيف آغفروا مكره ما فيها لما وجدوا من خصال المحبوب فيها .

قال : ولقد كلف بارتباطها الأشراف حتى لُقِب بعضهم من أجل آشتها به
 ١٥ بِ «رَوَاضِ الْبِغَالِ» ؛ ولقبوا آخر بِ «عَاشِقِ الْبِغْلِ» . فبسط القول فى الترجمة ثم لم يأت من أخبار البغال بطائل ، بل اقتصر على حكايات وأستطرد منها إلى غيرها ، على عادته فى مصنفاته . فكان مما حكاه من ذلك :

قال مسامة بن عبد الملك : ما ركب الناس مثل بغلة طوبلة العنان ، قصيرة العذار ، سَفَوَاءِ الْعُرْفِ ^(١) ، حَصَاءِ الدَّنَبِ ^(٢) .

٢٠ (١) السفاء (مقصورا) : خفة شعر الناصية ، وهو يستحب فى البغال دون الخيل ، والوصف للذكر منه أسنى . وفى استعمال «سواء» مه للائق بهذا المعنى خلاف بين أئمة اللغة (راجع معاجم اللغة مادة سى) .
 (٢) حصاء الدنب : قليلة شعره .

قال : وكتب رَوْحُ بن عبد الملك إلى وكيل له : ابغني بغلةً حصاةً الذنب ، عظيمةً التحزيم ، طويلةً العنق ، سوطها عنانها ، وهواها إمامها .

قال : وطاب صفوان بن عبد الله بن الأَهمم عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب في ركوب البغال ، وكان رَكَّابًا للبغلة ، فقال له : مالك ولهذا المركب الذي لا يدرك عليه النار ، ولا يُجَيِّك يومَ الفِراق ؟ ! فقال : إنها نزلت عن خيلاء الخيل ، وارتفعت عن ذِلةِ العير^(١) ، وخير الأمور أوساؤها . فقال صفوان : إنا نعلمكم ، فإذا علمتم تعلمنا منكم . وهو الذي يلقب "رَوَّاضَ البِغال" ، لحذقه بركوبها ، ولشففه بها ، وحُسن قيامه عليها . وكان يقول : أريدها واسعة الجفرة^(٢) ، مُندحة السرة^(٣) ، شديدة الغلوة^(٤) ، بعيدة الخطوة^(٥) ، لينة الظهر ، ملوية الرُسخ ، سفواء جرداء عتقاء ، طويلة الأُنقاء .

١٠

قال : وقال ابن ثَكَّامة : سمعتُ رجلاً يقول : إذا اشتريت بغلةً ، فاشتريها طويلةً العنق^(٦) ، تجده في نجاحها ، مُشرفة الهادي^(٦) ، تجده في طباعها ، ضخمة الجوف^(٦) ، تجده في صبرها .

قال : ولما خرج قطري بن الفُجاءة أحب أن يجمع إلى رأيه رأى غيره ؛ فَدَسَّ إلى الأحنف بن قيس رجلاً يُجْرى ذكره في مجلسه ويحفظ عنه ما يقول ؛ فلمَّا قعد قال الأحنف : أما إنهم إن جنبوا بنات الصَّهال ، وركبوا بنات النِّهاق ، وأمسوا بأريض وأصبحوا بأرض ، طال أمرهم .

١٥

(١) كذا في مباح المکر . وفي الأصلين : « دكة » ، وهو تحريف . (٢) الجفرة : وسط الفرس . وفي الأصلين : « الحفرة » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (٣) مندحة : منسعة . (٤) الغلوة : أمد جرى الفرس وشوطه . (٥) الأُنقاء : العظام ذوات المخ ، معردها فقروني . (٦) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « نجدة » . (٧) يلاحظ أن المؤلف عقد هذا الفصل للكلام في البغال ، و بنات الصهال الخيل ، و بنات النهاق الحمير ؛ وأما البغال فبنات الشَّحاج .

٢٠

قال الجاحظ : فلا ترى صاحب الحرب يستغنى عن البغال ، كما لا ترى صاحب السلم يستغنى عنها ، وترى صاحب السفر كصاحب الحضرة انتهى كلام الجاحظ .

وحكى أن عبد الحميد الكاتب سائر مروان بن محمد الجعدي على بغلة ؛ فقال له : لقد طالت صحبة هذه الدابة لك ! ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، من بركة الدابة طول صحبتها . فقال : صفها ؛ فقال : همها إمامها ، وسوطها زمامها ، وما ضربت قط إلا ظلما .

وقال بعض الكتاب من رسالة : " قد اخترت لسيدى بفسلة وثيقة الخلق ، لطيفة الخרט ، رشيقة القد ، موصوفة السير ، ميمونة الطير ، مشرفة العنق ، كريمة التجار ، حميدة الآثار .

إن أدبرت قلت لا تلل لها * أو أقبلت قلت ما لها كفل
قد جمعت إلى حسن القميص ، سلامة الفصوص ؛ ^(٢) فسميت قيد الأوايد ، وقرة عين الساهد ؛ تزيى في أنطلاقها ، بالبروق في أنطلاقها .

قال البحتري يصف بغلا :
وأقب ^(٣) نهد للصواهل شطره * يوم الفخار وشرطه للشحج
حرق يتيه على أبيه ويدعى * عصية لني الضبيب وأعوج ^(٤)

(١) يقال لهر إذا توجه لشيء من حسن السير : قد وصف ، معناه : أنه قد وصف المشي أى أجاده ، فالسير موصوف ، ومنه قول الشماخ :

إذا ما أدلت ووصفت يداها * لها الإدلاج لبلة لا هجوع
يريد : أجادت السير (راجع لسان العرب مادة وصف) .

(٢) الفصوص من الفرس : معاصر ركبيه وأرساغه . (٣) الصواهل : الخيل . والشحج : البغال .

(٤) كذا في ديوانه (طبع مطبعة الجواب ج ٢ ص ٢٠) . وفي الأصلين : « بنه » وهو تحريف .

(٥) كذا في ديوانه . والضبيب : فرس حسان بن حنظلة الطائي . وهو الذي كان حمل عليه كبرى أبريز حين انهزم من بهرام جو بين يوم التهرؤان فنج . وفيه يقول حسان :

مثل المذرع جاء بين عُمومية * في غَافِقٍ (٢) وخُؤولة للخَزَجِ

وقال أبو الفرج الوَّاء من قصيدة يشكر بعض أصحابه وقد أهدى له بغلة :

قد جاءت البغلة السَّفواء يَجْنُها * للبرق غيثٌ بدا ينهل ما طهره
عَرِيقَةً ناسبتُ أحوالها فلها * بالعتق (٤) من أكرم الجنسين فأنحره
ملء الحزام وملء العين مُسْفِرَةً * يُريك غائبها في الحسن حاضره
أهدى لها الرُّوض من أوصافه شَيْبَةً * خَضراء ناضرة إن زال ناضره
ليست بأول حُمْلانٍ شَرِيتَ به * حمدي ولا هي إذا الجودِ آخِره
كم قد تقدّمها من سابج بيدي * عِنائُه وعلى الجَوْزا حوافِره
وقال أبو المكارم بن عبد السلام :

١٠ كأنها النارُ في الحلفاء إن ركضت * كأنها السيلُ إن وافقتُ من جبل
كأنها الأرض إن قامت لمُعْتافٍ * كأنها الريح إن مرّت على القلَلِ
ما يعرف الفكرُ منها منتهى حُصير * ما صور الوهمُ فيها وضمة الكسَلِ
إذا اتمعدت مطاها وهي ماشية * ثَهلانُ تُبصره في زى مُتَقِلِ
هذا ما آتفق إirاده من صفات البغال التي تقتضى المدح .

١٥ = تلافيت كسرى أن بصام ولم أكن * لأتركه في الخيل يثر راحلا
بدلت له صدر الصيب وقد بدت * مسومة من حيل ترك وكالا

(انظر أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٩٥ طبع بولاق) وفي الأصلين : « الصيب » بالصاد المهملة ، وهو تصحيف . (١) المذرع : الذي أمه أشرف من أبيه . (٢) عاقق : قبيلة من الأزد .

(٣) في الأصلين : « أحوالها » بالخاء المهملة ، وهو تصحيف .

٢٠ (٤) في الأصلين : « العتق » بالنون ، وهو تصحيف .

(٥) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

فأتما ما جاء في ذمها فالمثل المضروب في بغلة أبي دلّامة . وقال أبو دلام

في بغلته :

أبعد الخيل أركبها وراداً * وشقراً في الرّيعل إلى القتال^(١)
 رزقتُ بُغيلةً فيها وَكَالُ^(٢) * وخيرُ خصالها قرطُ الوكّالِ
 رأيتُ عيوبها كثرُتْ وعالتُ * ولو أَفْنَيْتُ مجتهداً مقالي^(٣)
 تقومُ فما تَريمُ إذا اسْتَحْثْتُ * وترَحُّ باليمينِ والشّمالِ
 رياضةُ جاهلٍ وعُلَيجُ سَوْءٍ * من الأَكْرَادِ أَحَبُّ ذِي سُعالِ^(٤)
 شَتِمْ الوجهَ هَبْجاً هَذَانِ^(٥) * نَعُوسٍ يَوْمَ حِلٍّ وآرْتَحَالِ^(٦)
 فاذنِها بأخلاقٍ سَمَاجٍ * جزاءُ الله شراً عن عِيَالِ
 فلما هَدَنِي ونَفَى رُقَادِي * وطال لذاك هُمِّي واشتغالي^(٧)
 أتيتُ بها الكَّاسَةَ مستغنياً^(٨) * أَفْكَرُ دَائِباً كيفَ أَحْتِيَالِ
 بعَهْدَةٍ سَلْعَةٍ رُدَّتْ قَدِيماً^(٩) * أَطُمُّ بها على الداءِ العُضَالِ

(١) الرّيعل : القطعة المتقدمة من الخيل . (٢) الوكال : البطء والبلادة . (٣) فاتريم :

فاتبرح مكاتها . (٤) الأحن : المغلّيم البطن . وفي الأصلين : «أجن» بالجم ، وهو تصحيف .

(٥) شتم الوجه : كره الوجه قبيحه . (٦) الهلباج : الوخم الأكل الشروب .

(٧) الهدان : الوخم الثقيل في الحرب . (٨) الكاسة : اسم موضع بالكوفة .

(٩) في الأصلين : «ودت» بالواو ، وهو ظاهر التحريف والعهد : الرحمة . وفي حديث عتبة

ابن عامر : عهددة الرقيق ثلاثة أيام . هو أن يشتري الرقيق ولا يشترط البائع البراءة من العيب ، فأصاب

المشتري من عيب في الأيام الثلاثة (وهي مدّة الخيار في البيع) فهو من مال البائع ويرد إن شاء بلا بينة ، فإن

وجد به عيباً بعد الثلاثة فلا يرد إلا ببينة . وطم الركبة : دفعها وسواها ، يريد به ستر هذا الداء وإخفاؤه .

والمنى كيف يحتال في هذه السلعة التي ردت عليه قديماً بعد تجرّبها والتي كان يرجع بها عليه المشتري عند

معاينة عيوبها ، فهو لذلك يؤدّ اخلاص منها بحيلة ليتخلص من هذا الداء المضال وهو ارتباط هذه البغلة

وصحبها .

(٧٤)

- فبينما فكّرني في القوم تُسَدِّي * إذا ما سُمْتُ أُرِخْصُ أم أُنْغَالِي
 أَنَانِي خَائِبٌ حِمَقٌ شَقِيٌّ * قَدِيمٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ^(١)
 وَرَأَوْغَنِي لِيَخْلُو بِي خِدَاعًا * وَلَا يَذِرِي الشَّقِيُّ بِي يَحَالِي
 قَلْتُ بَارِعِينَ فَقَالَ أَحْسَنُ * فَإِنَّ الْبَيْعَ مَرْتَحُصٌ وَغَالِي
 فَلَمَّا أَتْبَاعَهَا مَنَى وَبُنْتُ * لَهُ فِي الْبَيْعِ غَيْرِ الْمُسْتَقَالِ
 أَخَذْتُ بِشُوبِهِ وَبَرْتُ مِمَّا * أَعُدُّ عَلَيْكَ مِنْ شَنِيعِ الْخِصَالِ
 بَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَسْشِ قَدِيمٍ^(٢) * وَمِنْ جَرْدِ وَتَحْرِيقِ الْحِلَالِ^(٣)
 وَمِنْ قَرُوطِ الْحِرَارِ وَمِنْ جَمَاج * وَمِنْ ضَعِيفِ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي
 وَمِنْ عَقْرِ اللِّسَانِ وَمِنْ بَيَاضٍ * بِنَازِلِهَا وَمِنْ حَلِّ الْحَبَالِ
 وَعُقَالٍ يُلَازِمُهَا شَدِيدٍ * وَمِنْ هَذْمِ الْمَعَالِفِ وَالرِّكَالِ^(٤)
 تُقَطِّعُ جِلْدَهَا جَرَبًا وَحَكًّا * إِذَا هُزِلْتُ وَفِي غَيْرِ الْهَزَالِ
 وَمِنْ شَدِّ الْعِضَاضِ وَمِنْ شَبَابٍ^(٦) * إِذَا مَا هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّقَالِ^(٧)

(١) ورد هذا البيت والخمسة الأبيات التي بعده في الأغاني (ج ٩ ص ١٣٦ طبع بولاق) باختلاف في بعض الكلمات . ولم يذكر صاحب الأغاني غيرها من هذه القصيدة ، فرأينا إثباتها هنا إتماماً للقائده :

- ١٥ أَنَانِي بِفَسْلَةٍ يَسْتَامُ مَنِي * عَرِيقٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
 فَقَالَ تَبِعْهَا قَلْتُ ارْتَبِطْهَا * بِحَمَكِكَ إِنَّ بَيْعِي غَيْرُ غَالِي
 فَأَقْبَلَ ضَاحِكًا يَحْوِي سُرُورًا * وَقَالَ أَرَأَيْكَ سَمِيعًا ذَا جَمَالِ
 هَلُمَّ إِلَيَّ يَحْلُو بِي خِدَاعًا * وَمَا يَذِرِي الشَّقِيُّ لِمَنْ يَحَالِي
 قَلْتُ بَارِعِينَ فَقَالَ أَحْسَنُ * إِلَيَّ فَإِنَّ مِثْلَكَ ذُو سَمِجَالِ
 فَأَتَرَكَ مَحْصَةً نَبْهَا لَمَلِي * بِمَا يَمِيزُهُ بِصِيرٍ مِنَ الْخَبَالِ
 (٢) المشى : ورم بإحد في مقدم عظم الوظيف أرباطن الساق في إنسيه .
 (٣) الجرد في الدراب : ورم في مؤخر عروق الفرس يعظم حتى يمنه المشى والسعى .
 (٤) العقال : داء يأخذ في قوائم الدابة . (٥) الركال : أن يضرب برجله الأرض .
 (٦) يقال : برئت إليك من العضاض : إذا باع دابة ويرى إلى مشترىها من عضها الناس .
 (٧) الشباب (بالكسر) : رفع الفرس يديه جميعاً من الأرض .

وَأَقْطَفَ^(١) مِنْ دَيْبِ الذَّرْ مَشِيًّا * وَتَحَطُّ^(٢) مِنْ مُتَابَعَةِ السُّعَالِ
وَتَكْسِرُ سِرْجَهَا أَبَدًا شِمَاسًا^(٣) * وَتَسْقُطُ فِي الْوُحُولِ وَفِي الرِّمَالِ
وَيَهْزِلُهَا الْجَمَامُ^(٤) إِذَا خَصَبْنَا * وَيُذِيرُ ظَهْرَهَا مَسُّ الْجَلَالِ
تَقْطُلُ لِرَكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيدًا^(٥) * يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ الطَّحَالِ
وَتَضْطَرُّ أَرْبَعِينَ إِذَا وَقَفْنَا * عَلَى أَهْلِ الْمَجَالِسِ لِلسُّؤَالِ
فَتُخْرِسُ مَنْطِقِي وَتُحُولُ بَيْنِي * وَبَيْنَ كَلَامِهِمْ قَمَا تُوَالِي
وَقَدْ أَعَيْتُ سِيَاسَتَهَا الْمُكَارِي * وَبَيَّطَارًا يُعْقَلُ بِالشُّكَالِ
حُرُوقٌ حِينَ تَرْكِبُهَا لِحُضِرٍ * جَمُوحٌ حِينَ تَعَزِّمُ لِلتَّرَالِ
وَذُبٌّ حِينَ تُدْنِيهَا لِسَرِّجٍ * وَلَيْثٌ عِنْدَ خَشْخَشَةِ الْحَيَالِ
وَفَيْلٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا بُكُورًا * خَدُولٌ عِنْدَ حَاجَاتِ الرِّجَالِ
وَأَلْفُ عَصَا وَسَوَاطِ أَصْبَحِي^(٦) * أَلْدُّهَا مِنَ الشَّرْبِ الزُّلَالِ
وَتُصْعَقُ مِنْ صِيَاحِ الدَّيْكِ شَهْرًا * وَتُذْعَرُ لِلصَّافِرِ وَلِلنَّيَالِ
إِذَا اسْتَعْجَلَتْهَا رَاثٌ وَبَالَتْ * وَقَامَتْ سَاعَةٌ عِنْدَ الْمَبَالِ^(٧)
وَمِنْفَارٌ^(٨) تَقْدُمُ كُلَّ سَرِّجٍ * تَصِيرُ دَفَّتِيهِ عَلَى الْقَدَالِ^(٩)

- ١٥ (١) القَطَافُ مِنَ الدَّوَابِّ : الْبَطِيءُ السَّيْرِ . (٢) التَّحَطُّ : صَوْتُ الْخَيْلِ مِنَ النُّقْلِ وَالْإِعْيَاءِ .
(٣) يُقَالُ : شَمِسَتْ الدَّابَّةُ إِذَا شَرِدَتْ وَجَحَّتْ . (٤) الْجَمَامُ (بِالْفَتْحِ) : الرَّاحَةُ . يُقَالُ :
جَمَ الْفَرَسُ بِجَمٍّ : إِذَا تَرَكَ فَلَمْ يَرْكَبْ مِمَّا مِنْ تَعَبِهِ وَذَهَبَ إِعْيَاؤُهُ . (٥) الْوَرَمُ : الشَّدِيدُ مِنَ الْمَرَضِ .
(٦) نِسْبَةٌ إِلَى ذِي أَصْبَحٍ : مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرَ ، وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ السِّبَاطُ الْأَصْبَحِيَّةُ .
(٧) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكَرِ الَّتِي أَوْرَدَ مُؤَلِّفُهُ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَعْضَ آيَاتِ اخْتَارِهَا . وَقَدْ وَرَدَ
هَذَا الْبَيْتُ فِي الْأَصْلَيْنِ هَكَذَا :
٢٠ إِذَا اسْتَعْجَلَتْهَا عَثَرَتْ وَقَامَتْ * سَاعَةٌ عِنْدَ الْمَبَالِ

(٨) الْمُنْفَارُ : الدَّابَّةُ تَرْمِي بِسِرْجِهَا إِلَى الْوَرَاءِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «مَنْقَارٌ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَيُرِيدُ
الشَّاعِرُ بِوصفِهَا بِأَنَّهَا تَقْدُمُ كُلَّ سَرِّجٍ التَّهَكُّمَ . (٩) الْقَدَالُ : جَمَاعٌ مِنْ خَيْرِ الرُّؤُسِ ، وَفِيهِ مَعَانٍ أُخْرَى .

وَتَحْفَى فِي الْوُقُوفِ إِذَا أَقْنَا * كَمَا تَحْفَى الْبِغَالُ مِنَ الْكَلَالِ
 وَلَوْ جَمَعْتَ مِنْ هُنَا وَهُنَا * مِنَ الْأَتْبَانِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ
 فَإِنَّكَ لَسْتَ عَالِفَهَا ثَلَاثًا * وَعِنْدَكَ مِنْهُ عُدٌّ لِلْخِلَالِ
 وَكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كِسْرَى ^(١) * وَتَذَكَّرُ تَبَعًا قَبْلَ الْفِصَالِ ^(٢)
 وَقَدْ قَرَحْتَ وَلَقْنَاهُ فِطِيمٌ * وَذُو الْأَكْنَفِ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِ
 وَقَدْ أُلِيَّ بِهَا قَرْنٌ وَقَرْنٌ * وَآخِرُ يَوْمِهَا لِهَلَاكِ مَالِي
 فَأَبْدِنِي بِهَا يَا رَبِّ بَقْلًا * يَزِينُ بَحَالُ مَرْكَبِهِ بَحَالِي
 كَرِيمٌ حِينَ يُنْسَبُ وَالِدَاهُ * إِلَى كَرَمِ الْمُنَاسِبِ فِي الْبِغَالِ

وقال القاضي بهاء الدين زهير الكاتب :

١٠ لك يا صديق بقلَّةٌ * ليست تُساوِي خَرْدَلَةٌ
 مقدار خُطُوبِهَا الطَّوِيلِ * لَمَّا حِينَ تُسْرِعُ أُمُومَلَةٌ
 وَمُخَالٌ مُدِيرَةٌ إِذَا * مَا أَقْبَلَتْ مُسْتَعْجَلَةٌ
 تَمْشِي فَتَحْسِبُهَا الْعِيُو * نٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُشْكَلَةٌ
 تَهْتَرُ وَهِيَ مَكَانَهَا * فَكَأَنَّمَا هِيَ زَلْزَلَةٌ

(٧٥)

١٥ (١) القارح من ذى الحافر : الذى شق نابه وطلع ، وهو بمنزلة البازل من الإبل .
 (٢) الفصال : الفطام من الرضاع .

(٣) ذو الأكناف : ملك من ملوك الفرس وأسمه سابور بن هرمز ، مات أبوه وهو حمل ، فقد
 التاج على بطن أمه يرتقبون ولادته رجاء أن يكون ذكرا ، وإنما سمي ذا الأكناف لأنه كان مشترا بعلم
 الكنف مما يقال . وقيل : خرج عليه قوم من العرب فسار إليهم ونزع أكنافهم فسمي به . (راجع ما يقول
 عليه في المضاف والمضاف إليه) .

ذكر ما قيل في الحمير الأهلية

قال المتكلمون في طبائع الحيوان : إن الحمير لا يولد له قبل أن تتم له ثلاث سنين ونصف . قالوا : والحمير إذا شتم رائحة الأسد رمى بنفسه عليه لشدة خوفه منه . ولذلك قال أبو تمام [يخاطب عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه] :

أقدمت وبلك من هجوى على خطر * والعير يقدم من خوف على الأسد

والحمير يوصف بحدة حاسة السمع . وهو إذا نهق أضرب بالكلب ؛ قالوا : حتى إنه يحدث له مغسا ؛ فلذلك يطول نباحه . والبرد يضرب الحمير ويؤذيه ؛ ولهذا لا يوجد في بلاد الصقالية . وقال الجاحظ : وحلف أحمد بن العزيز أن الحمير ما ينام . فقيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأني أجد صياحه ليس بصياح من نام وأنتبه في تلك الساعة ، ولا هو صياح من يريد أن ينام بعد أنقضاء صياحه .

وأجود الحمير المصرية . وأهل مصر يعتنون بتربيتها ، ويحتفلون بأمرها ويسابقون عليها ، ويسمون مكان سباقها "الطابق" . والجيد منها يُباع بالثمن الكثير . نقل صاحب كتاب مباحج الفكر ومناجج العبر في كتابه قال : لقد بيع منها حمير بمائة دينار وعشرة دنانير . وأما الذي رأيناه نحن فابيع بألف درهم ، وربما زاد بعضها على ألف . وكثير من أهل مصر يركبونها ويتركون الخيل والبغال . فمن ركبها من الأغنياء مع وجود القدرة والإمكان على ركوب الخيل والبغال ، يقصد بذلك التواضع وعدم الكبرياء . ومن أركبها من ذوى الأموال وترك الخيل والبغال

(١) الزيادة عن حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ١٩٧ طبع بولاق)

(٢) المغس : لغة في المص بالصاد . (٣) من أباع بزيادة الألف وهي لغة في باع وردت

عن ابن القطاع كما في المصباح المئير . وربما كان من أباعه إذا عرضه للبيع . قال الحمداني :

فرضيت آلا الكيت من بيع * فرسا طيس جوادنا ببيع

ربما يفعل ذلك توفيراً لماله وِضْنَةً به . وَمَنْ ركبها من الشباب والسُّوقَة يقصِد
بذلك التَّزَه عليها لِقَرَّاهْتها وسرعة مشيتها .

وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمارٌ من حمير مصر اسمه ”يَعْفُور“
وقيل : ”عُقَيْر“؛ أهْداه له الْمُقَوْس صاحب الإسكندرية مع ما أهْدَى . وقد
ورد أيضاً في الحديث أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حماران : ”يَعْفُور“
و ”عُقَيْر“ . فأما ”عُقَيْر“ فأهداه له المقوقس . وأما ”يَعْفُور“ فأهداه له قُرَّة
ابن عمرو الجَدَّامِي . ويقال : إن حمار المقوقس ”يَعْفُور“ وحمار قُرَّة ”عُقَيْر“ .

قال الواقدي : مات ”يعفور“ عند مُنْصَرَفِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من حِجَّة
الوَدَاع . وذكر السَّهْبِيلِي^(١) : أن ”يعفوراً“ طرَح نفسه في بئر يوم مات النَّبِيُّ صلى الله
عليه وسلم فمات . وذكر ابن فُورَك^(٢) [في كُتُب الفُصول] أنه كان في مَغَامِر خَيْبَر ،
وأنه كَلَّمَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، أنا زياد بن شهاب ، وقد كان^(٣)
١٠

(١) هو الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب الخنمى ثم السهيلي مؤلف كتاب
«الروض الأنف» . ولد بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ هـ وتوفي بمراكش في شعبان سنة ٥٨١ هـ

(٢) هو الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن مورك المتكلم الأصولي النحوي الواعظ الأصبهاني المتوفى
سنة ٤٠٦ هـ . أقام بالعراق مدة يدرس العلم ، ثم توجه الى الرى فسمعت به المبتدعة ، فراسله أهل نيسابور
والتمسوا منه التوجه اليهم ففعل ، وورد نيسابور فبنى له بها مدرسة وداراً وأحيا الله تعالى به أنواعاً من
العلوم . (راجع ترجمته في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٦٨٧ طبع بولاق) .

(٣) الزيادة عن كتاب فضل الخليل للديلمى . (٤) قال في المواهب اللدنية وشرحها للزرقاني
في كتاب معجرات النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه (ج ٥ ص ١٧٥ طبع بولاق) بعد أن ذكر هذا الخبر
بتفصيل : لكن هذا الحديث مطعون فيه . أخرجه ابن حبان في الضعفاء وقال : لا أصل له وليس سنده
بشيء . وقال أبو موسى المديني : هذا حديث منكراً جداً إسناده ومثلاً لأحد أن يرويه عن الإمام
كلامي عليه . وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . وتلقب بأنه شديد الضعف فقط كما قال في الإصابة :
إسناده واه لا موضوع . (٥) في المواهب اللدنية : «يزيد» .

في آباء ستون حماراً كلهم ركبهم نبي^(١)، فأركبني أنت . وزاد الجويني^(٢) في كتاب الشامل : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل هذا الحمار إليه ؛ فيذهب حتى يضرب برأسه الباب ؛ فيخرج ذلك الرجل ، فيعلم أنه أرسل إليه ، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الحمار منافع طيبة ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا ، قال : رماد كبد الحمار بالزيت ينفع من الخنازير^(٣)، قال : ويبرئ من الجذام^(٤) . وهذا دواء رخيص إن صح . قال : وكبد مشوية على الرقيق تنفع من علة الصرع . قال : والمكروز من اليبوسة يجلس في مرفة لحمه . وقيل : إن بوله نافع من وجع الكلى . قال : وبول الحمار الوحشي يفتت الحصاة في المثانة .

ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الحمار

تقول العرب : « العير أوقى لدمه » . وقالوا : « تجي عيراً سمنه » . وقالوا :

(١) قال في شرح المواهب اللدنية : « عبر بكلهم بجمع الموضوعة للعقلاء تشبهاً لأصوله بالعقلاء لشرفهم يركب الأنبياء لهم » اهـ . (٢) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ هـ . كان أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق ، جمع على إمامته ، متفق على غزارة مادته وتفنته في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك . وله عدة مؤلفات ، منها كتابه الشامل في أصول الدين . والجويني : نسبة إلى جوين ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور .

(٣) في الأصلين « طيبة » بتقديم الياء المشاة من تحت على الباء الموحدة وهو تصحيف .

(٤) الحمازير : علة معروفة وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة .

(٥) المكروز : من أصابه الكزاز ، وهو تشنج يصيب الإنسان من البرد الشديد أو من خروج دم كثير . (٦) كذا في جمع الأمثال للبدائي (ج ١ ص ٤٠١ طبع بولاق) . وقال : يضرب للوصف بالحذر ؛ وذلك أنه ليس شيء من الصيد يحذر العير إذا طلب . ويقال : هذا المثل لرقاء الإمامة ، وذلك أنها نظرت جيش العدو على بعد مغيرا على قومها ، لحذرهم فلم يستمعوا لها ، ففر حمار ، فقالت : « العير أوقى لدمه من راع في عنه » فذهبت مثلا . وفي الأصلين : « أوقى لدمة » وهو تصحيف .

(٧) في جمع الأمثال للبدائي (ج ٢ ص ٢٤٤) : « قال أبو زيد : زعموا أن حمارا كانت هزلي فهلك في جذب وبجها معها حمار كان سميها فضرب به المثل في الخزم قبل وقوع الأمر ، أي أع قبل ألا تقدر على ذلك . ويصرب لمن حلصه ماله من مكروه » اهـ .

«الْمَجْشُ إِذَا فَاتَكَ الْأَعْيَارُ»^(١) . وقالوا : «أَحْبَبُّ مِنْ عَيْرٍ أَبِي سَيَّارَةٍ» ؛ لأنه كان دفع بأهل الموسم على ذلك العير أربعين عاما . وقالوا : «إِنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ فِي الرِّبَاطِ»^(٢) . وقالوا : «الْعَيْرُ يَضْرِبُ وَالْمَكْوَةُ فِي النَّارِ»^(٣) . وقالوا : «حَمَارٌ يَجْلُ سِفْرًا»^(٤) .

(٧٦)

ومن أنصاف الأبيات :

* وقد جيل بين العير والتَّروان^(٥) *

(١) في جمع الأمثال للبدائي : « ... لما فاتك ... » يصرب في قاعة الرجل ببعض حاجته دون بعض . ونصب الجش بفعل مضمر ، أى اطلب الجش .

(٢) كذا في جمع الأمثال للبدائي . وفي الأصلين : «أَصْر» . وأبو سيارة رجل من بني عدوان اسمه عيسلة بن خالد بن الأزحل ، وكان له حمار أسود ، أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى منى أربعين سنة .

(٣) الرِّبَاط هنا : حباله الصائتة . يقال للصائد : ان ذهب عير فلم يعلق في الحباله فاقصر على معلق . يضرب في الرضا بالخاضر وترك الغائب .

(٤) الذي في جمع الأمثال : « قد يضرب العير ... الخ » قاله عرفة بن عريضة الخمراني سيده بنى هزان في رجلين أمر بقتلهما من بني عكل في حرب كانت بينهما ، فلما تقدّم أحد الرجلين ليقتل جعل الآخر يضرب ، يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قلبه وقوه فيه . (راجع الكلام عليه مفصلا في جمع الأمثال ج ٢ ص ٣٥) .

(٥) أول من قال ذلك صهر بن عمرو أخو الخنساء حين ملته امرأته وكان يكرهها وقد لبث حولا مريضا . وهو من قصيدة مظلّما :

أرى أم صخر لا تمس عيادتي * وملت سليمي مضجعي ومكاني

وصدر البيت : * أمهم بأمر الحزم لو أستطيعه *

(راجع الكلام عليه مفصلا في جمع الأمثال للبدائي ج ٢ ص ٣٦) .

ذكر شيء مما وصفت به الحمير على طريق المدح والذم
قال أبو العيْناء لبعض سماسرة الحمير : اشترى لي حماراً لا بالطويل اللّاحق ،
ولا بالقصير اللّاصق ؛ إنّ خلّاً الطريقُ تدفق ، وإن كثُر الزّحامُ ترقق ؛ لا يُصادِمُ بي
السّوّارى ، ولا يدخل تحت البوّارى ؛ إن كثرتُ علفه شكر ، وإن قلّته صبر ؛ وإن
ركبته هام ، وإن ركبته غري قام . فقال له السمسار : إنّ مسخ الله بعض قضائنا
حماراً أصبتُ حاجتك ، وإلا فليست موجودة .

قيل للفضل الرّقاشي : إنك لتؤثر الحمير على جميع الدواب ؛ قال : لأنها أرفق
وأوفى ؛ قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأنها لا تستبدل بالمكان ، على طول الزمان ؛ ثم قال :
هي أقل داءً ، وأيسر دواءً ، وأخفص مهوى ، وأسلم صرعاً ؛ وأقلّ جماحاً ، وأشهر
فرهاً ، وأقلّ بطراً ؛ يزهي راكبه وقد تواضع بركوبه ؛ ويعتد مقتصدًا وقد أسرف
في ثمنه .

وقال أحمد بن طاهر يصف حماراً :

شية كأن الشمس فيها أشرقت * وأضاء فيها البدر عند غمّاه
وكانه من تحت راكبه إذا * ما لاح ، برق لآح تحت غمّاه
ظهور بحرّ المياء لين ركوبه * في حاتئ لناعاه وبجّاه
سفهت يداه على الثرى فتلاعبت * في جريه بسؤله وإكّاه

(١) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد الضرير مولى أبي جعفر المنصور ، صاحب النوادر والشعر
والأدب ، كان نظرها ماجنا . انظر ترجمته في ابن حلكان (ج ١ ص ٧١٩ طبع بولاق) .

(٢) البوارى : جمع بارية (فارسي معرب) ، وهي الحصير المنسوج من القصب . ولعله يريد بالبوارى
هنا مفلّات كانت تصنع من الحصر وتثبت الى وجوه الحوانيت أو أخرى تنشر على السوارى في الأسواق .
يريد حماراً يسلك به وسط الطريق ويتجنب السير تحت هذه البوارى حتى لا تصادمه وهو راكب عليه .
(٣) قام : وقف . (٤) في الأصلين : « صريما » .

عن حافِرٍ كالصَّخْرِ إِلَّا أَنَّهُ * أَقْوَى وَأَصْلَبُ مِنْهُ فِي أَسْتَحْكَامِهِ
 مَا الْخَيْرُ إِنْ إِذَا أَتَيْتَ أَعْطَاكَ * فِي لَيْنٍ مَعْطَفِهِ وَلَيْنٍ عَظَامِهِ
 عَنَقٌ يَطُولُ بِهَا فَضُولُ عِنَانِهِ * وَمَحْزَمٌ يَغْتَالُ فَضْلَ حِرَامِهِ
 وَكَأَنَّهُ بِالرَّيْحِ مُتَعَلِّقٌ، وَمَا * جَرَى الرِّيحَ بِجَسَدِهِ وَدَوَامِهِ
 أَخَذَ الْحَاسِنَ آمِنًا مِنْ عَيْنِهِ ^(١) * وَحَوَى الْكَمَالَ مُبَرَّأً مِنْ ذَامِهِ ^(٢)
 وقال آخر :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى هُزَالِ حِمَارِي * وَأَنْظُرْ إِلَى تَجَرَّاهُ فِي الْأَخْطَارِ ^(٣)
 مُتَوَقِّدٌ جَعَلَ الذِّكَاءَ إِمَامَهُ * فَكَأَنَّمَا هُوَ شُعْلَةٌ مِنْ نَارِ
 عَادَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ عِنْدَ هُبُوبِهَا * فَكَأَنَّهُ رِيحَ الدَّبُورِ يُسَارِي
 هذا ما ورد في مدحها .



وَأَمَّا مَا جَاءَ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الذَّمِّ — فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : «أَصْلُ مِنْ
 حِمَارٍ أَهْلُهُ» . وقولهم : أَخْرَى اللَّهُ الْحِمَارَ مَالًا ، لَا يُزَكِّي وَلَا يُدَكِّي . ومنه قول
 جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : لَا تَرْكَبْ حِمَارًا ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ حَدِيدًا أَتَعَبَ يَدَيْكَ ^(٤) ، وَإِنْ كَانَ
 بَلِيدًا أَتَعَبَ رِجْلَيْكَ ^(٥) .

- (١) في الأصلين : «عينه» بالون ، وهو تصحيف . (٢) الدمام : العيب والدم . معله : دام يذم .
 (٣) كذا في مباحج الفكر . والأخطار : جمع خطر وهو ما يترأس عليه . وفي الأصلين : «الإحصار» .
 (٤) ورد في مباحج الفكر ما نصه : «سئلت أعرابية عه فقالت : لعنه الله لا يذكى ولا يزكى ،
 وإن أطلعتني ، وإن ربطتني أدلى ؛ عظيم الحرارة ، بطيء العارة ؛ لا ترقأ به الدماء ، ولا تهمر به النساء ،
 ولا يجلب في الإباء» . (٥) في مباحج الفكر : «جرير بن عبد الحميد» . (٦) في مباحج الفكر :
 «فارها» . (٧) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «بدلك» ، وهو تصحيف .

والمثلُ مضروبٌ في الحمير المهزولة بحمار طيّاب^(١) ، كما يُضربُ المثلُ ببغلة .
أبي دلّامة .

قال شاعر :

وحمارٍ بكتْ عليه الحميرُ * دَقَّ حتى به الرياحُ تطيرُ
كَانَ فيما مَضَى يسيرُ بضعفٍ * وَهُوَ اليومَ واقِفٌ لا يسيرُ
كيف يمشي وليس شيءٌ يراه * وهو شيخٌ من الحميرِ كبيرُ
لَمَحَ القَتَ مرةً فتَغَنَّى * بحنينٍ وفي الفؤادِ زفيرُ :
« ليس لي منك يا ظلومُ نصيبٌ * أنا عبدُ الهوى وأنتَ أميرُ »

وقال خالد الكاتب :

وقائلُ إك حماري غدا * يمشي إذا صَوَّبَ أو أضعدا
فقلتُ لكنَّ حماري إذا * أَخْثَثُهُ لا يَلْحَقُ المُقْعَدَا
يَسْتَعِذُّ الضربَ فإن زُدْتُهُ * كاد من اللذة أن يرقدا
وقال أبو الحسين الجزار :

هذا حماري في الحمير حمارُ * في كلِّ خطوٍ كِبُوءٌ وعشارُ

(١) هو طيّاب السقاء ، شاعر . وله مقاطيع مشهورة في حمارة القديم الصلبة الشديد الخزال . (انظر شرح القاموس مادة طيب) . (٢) رواية مبايح الفكر : * كيف يمشي وليس يطف شيئا * (٣) القت : علف الدواب . (٤) هو خالد بن يزيد ويكنى أبا الهيثم ، من أهل بغداد ، وأصله من نراسان . وكان أحد كتّاب الجليش ، ووسوس في آخر عمره . (انظر ترجمته في الأغاني ج ٢١ ص ٤٥ — ٤٤ طبع ليد) . (٥) هو أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار المصري ، ختمت به دولة شعراء الفسطاط . كان في أوّل أمره قصابا مثل أبيه وقومه ، ثم اشتغل بالأدب والشعر ففارق أهل عصره وكان متعا بالحياة في سنة ٦٤٦ هـ . ونزل ضيفا عليه ابن سعيد المغربي المؤرّخ المشهور فأكرمه ، وأفرده له ترجمة وافية وأثنى عليه ثناء جليلا في كتابه « المشرق في محاسن أهل المشرق » واختار له من شعره جملة صالحة مما أورده في ديوانه المسمى : « تقطيط الجزار » وذكره أيضا ابن شاكر الكنبي في الجزء الثاني من كتابه فوات الوفيات (ص ٣٩٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) .

قنطارُ تَيْنٍ فِي حَشَاةِ شَعِيرَةٍ * وَشَعِيرَةٌ فِي ظَهْرِهِ قنطارُ
ولما مات حمار هذا الشاعر داعبه شعراء عصره بمرثيات وهزليات ؛ فقال بعضهم :

مات حمارُ الأديبِ قَلْتُ قَضَى * وفات من أمره الذي فاتنا
مات وقد خَلَفَ الأديبَ وَمَنْ * خَلَفَ مِثْلَ الأديبِ ما ماتنا
ونحو هذين البيتين قولُ الآخر :

قال حمارُ الحكيمِ توما^(١) * لو أنصفوني لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لأنني جاهلٌ بَسِيطٌ * وصاحبي جاهلٌ مُرَكَّبٌ^(٢)

وكتب أبو الحسن بن نصر الكاتب إلى صديق له اشترى حمارة ، يداعبه .
قال من رسالة : « قد عرفت — أبقاك الله — حين وجدت من سكرة الأيام
إفاقه ، وأنست من وجهها العبوس طلاقه ؛ [كيف^(٤)] أجبته داعي همتك ،
وأطعت أمر مرؤوتك ؛ فسُرت بكُون هذه المنقبة إلى أضمرها الإعدام ، وتم
على كريم سِرّها الإمكان ؛ وأستدلت منها على خبايا فضل ، وتنبّهت منها على مزايا
نُبُل ؛ كانت مأسورة في قبضة الإعسار ، وكاسفة عن سُدفة الإقتار ؛ وقلت : أيُّ^(٥)
نُبُل ؛ كانت مأسورة في قبضة الإعسار ، وكاسفة عن سُدفة الإقتار ؛ وقلت : أيُّ^(٦)

١٥ (١) هو طيب يتأمل بحماره في الجهل . وقيل فيه :

إليه بالجهل راح يوما * مثل حمار الطيب توما

(انظر المضاف والمضاف إليه في حرف الحاء) . (٢) في أ : « جهله » .

(٣) لم نوفق إلى مصدر آخر لهذه الرسالة ، وقد صححنا ما صححناه منها اعتماداً على الدوق فيما يقتضيه

السياق وبهنا على ذلك في مواضعه . (٤) هذه الكلمة ساقطة في الأصلين والسياق يقتضيها .

٢٠ (٥) في الأصلين : « استدلكت » . (٦) السدفة (بالفتح ويضم في لغة بني تميم) : الظللة ، وفي لغة

قيس الضوء . وحكى الجوهري عن الأصمعي أنها في لغة نجد الظللة وفي لغة غيرهم الضوء ، وهو من

الأضداد . والمراد هنا الظللة .

قَدِمَ أَحَقُّ بُولُوجِ الرُّكْبِ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَحَازَ أَوَّلَى بَيْطُونِ الْقَبِّ مِنْ حَازِيهِ ؛ وَأَيُّ
أَنَامِلٍ أَبْهَى مِنْ أَنَامِلِهِ إِذَا تَصَرَّفَتْ فِي الْأَعْنِيَةِ يَسْرَاهَا ، وَتَحْتَمَّتْ بِالْمَخَاصِرِ يُمَاهَا ؛
وَكَيفَ يَكُونُ ذَلِكَ الْخُلُقُ الْعَظِيمُ ، وَالْوَجْهُ الْوَسِيمُ ؛ وَقَدْ بَهَرَ جَالِسَا ، إِذَا طَلَعَ فَارَسَا ! .
ثُمَّ أَتَهَمْتُ آمَالِي بِالْفَلَوِّ فَيْكَ ، وَأَسْتَبَعْدْتُ مُنَاقَضَةَ الزَّمَانِ بِإِنْصَافٍ مَعَالِيكَ ؛
فَقَبِضْتُ مَا أَنْبَسْتُ مِنْ عَنَانِهَا ، وَأَحْدَثْتُ مَا أَشْتَعَلَ مِنْ نِيرَانِهَا ؛ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى
صَحِيحَةِ الشَّكِّ . أَرْجُو عُلُوِّ هَتَمِكَ بِحَسْنِ اخْتِيَارِكَ ، وَأَخْشَى مُنَافَسَةَ الْإِيَّامِ فِي دَرْكِ
أُوطَارِكَ ؛ فَإِنَّهَا كَالظَّنَّانَةِ فِي وَلَدِهَا ، وَالْمُجَادِبَةِ بِالسُّوءِ فِي وَاحِدِهَا ؛ يُدْنِي الْأُمْلَ
مَسَازَرَهَا ، وَيُرْجِي الْقَلْقَ حِذَارَهَا ؛ حَتَّى أَتَنَّا الْأَنْبَاءُ تَتَنَّى رَأْيَكَ الْفَائِلَ ، وَتَقُلُّ^(٥)
عَزَمَكَ الْآفِلَ ؛ بِوُقُوعِ اخْتِيَارِكَ عَلَى فَاضِحٍ صَاحِبِهِ ، وَمُسْلِمٍ رَاكِئِهِ ؛ الْجَامِدِ فِي حَلَبَةِ^(٦)
الْحِيَادِ ، وَالْحَاقِظِ بِالْحِرَانِ وَالْكِيَادِ ؛ السُّومُ دَيْنُهُ وَدَابُّهُ ، وَالْبِلَادَةُ طَبِيعَتُهُ وَشَأْنُهُ ؛
لَا يُصْلِحُهُ التَّأْدِيبُ ، وَلَا تُفَرِّعُ لَهُ الظَّنَّائِبُ ؛ إِنْ لَحَظَ عَيْرًا نَهَقَ ، أَوْ لَمَحَ أَتَانًا شَبِقَ ،
أَوْ وَجَدَ رَوْنًا شَمَّ وَأَنْتَشَقَ ؛ فَكَمْ هَتَمٌ سِنًا لِصَاحِبِهِ ، وَكَمْ سَعَطَ أَنْفَ رَاكِئِهِ ؛ وَكَمْ
أَسْرَدَهُ خَائِفًا فَلَمْ يَرُدَّهُ ، وَكَمْ رَامَهُ خَاطِبًا فَلَمْ يُسْعِدْهُ ؛ يَجْعَلُ إِنْ أَحَبَّ الْأَنَاءَةُ وَالْإِطَاءُ ،

(١) الحاذ : واحد الحاذين وهما الحتان في ظاهر الفخذين تكويان في الانسان وعيره . وفي الأصلين :

« حاد ... حاديه » وهو تصحيف . (٢) القب : جمع أقب وقباء وهو الدقيق الخصر الضامر ١٥

البلن من الخيل . (٣) كذا في الأصلين ولعله : « تحكمت » . (٤) في الأصلين :

« أبهمت » . (٥) الرأي القائل : الخاطي الضعيف . فعله : قال فيل . (٦) في الأصلين :

« تزل » بالثاء المثلثة . (٧) في الأصلين : « ناصح » بالنون ، وهو تحريف . (٨) الحران

وكذلك الحرون : كلاهما مصدر لحرنت الدابة إذا وقفت ولم تنقد . وفي الأصلين : « بالحرن » ، وهو تحريف .

(٩) الكياد : المكر والخبث . وفي الأصلين : « الكجاد » (بالباء الموحدة) وهو تصحيف . ٢٠

(١٠) في الأصلين : « السؤم » . (١١) الظنايب : جمع طنبوب وهو حرف الساق

من قدم ، وقيل : عظمه اليابس من قدم ، وقيل : حرف عظمه . وقرع الطنبوب : أمت بقرع الرجل

ظنبوب راحلته بعصاه إذا أتاخها ليركبها ركوب الجاذ المسرع إلى الشيء .

ويرتفع إن حاول الحث والنَّجاء^(١)، مطبوعٌ على الكَيْدِ والخلاف، موضوع للضَّعة والاستخفاف؛ عزَّزُ حتى تُهِنَّه السَّيَّاطُ، كسولٌ ولو أبطره النَّشَاطُ^(٢)؛ ما عرَفَ في النَّجاةِ أبا، ولا أفاد من الوَعْيِ أدبا؛ الطالبُ به محصور، والهايرُ عليه مأسور؛ والممتطي له راجل، والمستعلي بذروته نازل؛ له من الأخلاق أسوؤها، ومن الأسماء أشنعها، ومن الأذهان أصدؤها، ومن القُدود أحقرها؛ تجحده المَرَاكِبُ، وتجهله المَوَاكِبُ^(٣)؛ وتعرفه ظهورُ السَّوَابِكِ^(٤)، وتالفه سَبَاطَاتُ الْمَبَارِكِ . والله الموفق .

(١) في الأصلين : «الحديث» ولا معنى له .

(٢) في الأصلين : «بطره» .

(٣) كذا في الأصلين ولم يتبين المراد منها .

(٤) السبابة : الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكتس من المازل، وقيل : هي الكاسة

هـ . وفي الأصلين : « سباطات » بالياء المشاة من تحت ، وهو تصحيف .



الباب الثالث من القسم الثالث من القرن الثالث في الإبل والبقر والغنم

ذكر ما قيل في الإبل

الإبل جمع لا واحد لها من لفظها . والدَّكَرُ منها جَمَلٌ ، والأُنثى ناقة . والبعير يقع عليهما . ودليل ذلك قول بعض الشعراء :

لا تَسْتَهِي لِبَنِ البعيرِ وعُندنا * عَرَقُ الزَّجَاجَةِ واكْفُ المِصْصَارِ^(٣)

والإبل من من الله الحسيمة على خلقه، ومما منحهم به من إرفاقه ورزقه . قال الله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا لِيُقِضَ الْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

ولنذكر ما جاء من لغة العرب في الإبل من تسميتها من حين تُولد إلى أن تنتهي سِنُها ، وأسماء ما يُركب منها ويُحمل عليه ، وما اختصت به النوق من الأسماء والصفات ؛ ونذكر ألوان الإبل وما قالوه في ترتيب سَيْرِها ، وفي المسير عليها والنزول ؛ ثم نذكر بعد ذلك

(٣) عرق الزجاج : ما نتج به من الشراب وغيره مما فيها . يريد به الخمر . وقد ورد هذا البيت في الأعاني (ج ٤ ص ٣٧٣ طبع دار الكتب المصرية) هكذا :

لا تَسْتَهِي لِبَنِ البعيرِ وعُندنا * ماء الزبيب وناطف المِصْصَارِ

(٤) في الأصلين : «نسبتها» .

أصناف الإبل وما قيل في عاداتها وطبائعها . فإذا [أوردنا^(١)] ذلك، ذكرنا ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وما جاء في أوصاف الإبل من الشعر؛ فنقول وبالله التوفيق .



- أمّا تسميتها من حين تولّد إلى أن تنتهى سنّها — فقد قالت العرب : ولدها حين يُسلّ من أمّه "سَلِيلٌ"^(٢) ثم "سَقَبٌ"^(٣) و"حُوَارٌ"^(٤) إلى سنة، وجمعه أخويرة وحيران . وهو "فصيل" إذا فُصل عن أمّه . وهو في السنة الثانية "أَبْنُ مَخَاضٍ" — لأن أمّه تَلَقَح فتَلَحِق بالمَخاض وهي الحوامل، وواحدتها من غير لفظها "حَلَفَةٌ" — والأُنثى "بنت مخاض" . فإذا دخل في الثالثة فهو "أَبْنُ لَبُونٍ"، والأُنثى "بنت لبون"؛ لأن أمّه صارت ذات لبن . وهو في الرابعة "حِقٌّ"؛ لأنه آستحق أن يُحمل عليه . وهو في السنة الخامسة "جَدَعٌ"^(٥) . وفي السادسة ["نَتْنِي"] لأنه يُلْقَى^(٥) نَتْنَتَهُ والأُنثى "نَتْنِيَّةٌ" . و [هو في] السابعة "رَبَاعٌ" . وفي السنة الثامنة "سَدِيسٌ"
- ١٠

(١) في ب : « فإذا أقر . ذلك ذكرنا ... » . وفي أ : « فإذا . ذلك ذكرنا .. » . ولعل الكلام محذوف عما أئتمناه .

(٢) في الأصلين : « من حيث » .

١٥

(٣) إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليل قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى . فإذا علم، فإن كان ذكرا فهو سقب . ولا يقال للأُنثى سقبة، ولكن حائل . (راجع المخصص ج ٧ ص ١٩ واللسان مادة سقب) .

(٤) في المخصص : « ويسمى حوارا من حين يولد الى حين يفطم » .

٢٠

(٥) الكلمة عن المخصص (ج ٧ ص ٢٢) ومعاجم اللغة .

و"سَدَس" للذكر والأُنثى . وهو في التاسعة "بازل" إذا فَطَرَ نابه، أى طَلَعَ .
قال الشاعر ^(٢) :

وَأَبْنُ الْقَبْصِ إِذَا مَا لُزِّي قَرْنٌ * لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيْسِ ^(٤)

ثم هو بعدها بسنة "مُخْلِفٌ عَامٍ" و"بازلٌ عَامٍ" ثم "مُخْلِفٌ عامين" و"بازلٌ عامين"؛ ثم يُعوَدُ، أى يصير عَوْدًا وَهَرَمًا وَمَا جَا .

قالوا : وَالْقُلُوصُ مِنْهَا كَالْجَارِيَةِ مِنَ النَّاسِ ، وَالْقَعُودُ كَالْغَلَامِ ، وَالْجَمْعُ قَلَائِصُ وَقَعْدَانُ ^(٧) . وَالْبَكْرُ الْقَيْءُ ، وَالْبِكَارَةُ جَمْعُ ، وَالْأُنْثَى بَكْرَةٌ . وَيُقَالُ : جَمَلٌ رَأْسٌ ^(٨) وَنَاقَةٌ رَأْسَةٌ ^(٨) إِذَا كَثُرَ الشَّعْرُ فِي آذَانِهَا .



وَأَمَّا أَسْمَاءُ مَا يُرَكَّبُ مِنْهَا وَيُجْمَلُ عَلَيْهِ — فَقَدْ قَالُوا : الْمَطِيَّةُ أَسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُمْتَطَى مِنَ الْإِبِلِ . فَإِذَا اخْتَارَهَا الرَّجُلُ لِمُرْكَبِهِ لَتَمَامِ خَلْقَتِهَا وَنِجَابَتِهَا فَهِيَ رَاحِلَةٌ .

(١) الموث في جميع أساس الابل بالهاء الا السدس والسديس والبالز والمخلف فانها في الموث بغير ها . (راجع المحصص ج ٧ ص ٢٥) .

(٢) هو جرير بن عطية الخطمي الشاعر الإسلامي المشهور .

(٣) لز : قرن وشدة . والقرن : جبل يجمع به البعيران .

(٤) القنعايس (والجمع قناعيس) : الناقة العطيمة الطويلة السنمة ، وقيل : الجمل العظيم .

(٥) المساج : الذي سال لعابه من الكبر .

(٦) القلوص : أول ما يركب من إناث الابل الى أن تنثى ، فإذا أنثت فهي ناقة . والقعود :

أول ما يركب من ذكور الابل الى أن ينثى ، فإذا أنثى فهو جمل . (راجع اللسان مادة قلص ونثى) .

(٧) ويجمع أيضا على قلاص وقلص ، وقلصان جمع الجمع . كما يجمع قعود أيضا على أقعدة وقعد وقعدان .

(٨) في الأصلين : « راس ... راسة » بالسين المهملة فيهما ، وهو تصحيف . (راجع شرح

القاموس مادة روش) .

وفي الحديث النبويّ صلوات الله تعالى وسلامه على قائله : "الناس كإبل مائة لا يكاد يوجد فيها راحلة". فإذا استظهر صاحبها بها وحمل عليها فهي "زاملة" — والناس يقولون في الرجل العاقل الثابت في أموره : رجل زاملة، يريدون بذلك مدحه .
وصف ابن بشير رجل فقال : ليس ذلك من الزواجل إنما هو من الزواجل —
فإذا وجهها مع قوم يمتاروا عليها فهي "عَلِيْقَةٌ".



وأما ما اختُصّت به النوق من الاسماء والصفات — فإنهم يقولون فيها : "كَهَاءٌ" و "جُلَالَةٌ" وهي العظيمة ، و "عُظْمُوسٌ" و "دِعْبِلَةٌ" وهي الحسنة الخلفة الناقة الجسم ، و "كُومَاءٌ" وهي الطويلة السام ، و "وَجْنَاءٌ" وهي الشديدة القوة اللحم . وأشتقاقه من الوجين ، وهي الحجارة . فإن أزدادت شدتها فهي "عِمرِيسٌ" .

(١) كذا في الأصلين . وقد ورد هذا الحديث في النهاية واللسان (مادق أبل ورحل) هاتين الروايتين : "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة" و "تجدون الناس بعدى كإبل مائة ليس فيها راحلة" . وقيل في شرحه : يعني أن المرضى المنتخب من الناس في عزة وجوده كالإبل القوي على الأحوال والأسفار الذي لا يوجد في كثير من الإبل . وقال الأزهري : الذي عند الله أن الله ذم الدنيا وحلزل العباد سوء مقبها وضرب لهم فيها الأمثال ليعتبروا ويحذروا ... وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحذرهم ما حذرهم الله ويهدمهم بها فرب أصحابه بعده فيها وتنافسوا عليها حتى كان الزهد في التادير القليل منهم ، فقال الرسول : « تجدون ... الخ » أي إن الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة قليل كقلة الراحلة في الإبل . والراحلة : البعير القوي على الأسفار والأعمال النجيب التام الخلق الحسن المنظر . ويقع على الذكر والأنثى . والهاء فيه للبالغة . (٢) استظهر : استعان .

(٣) في الأصلين : « دغلة » (بالدال المهملة والعين المعجمة) ، وهو محريف . والتصويب عن اللسان (مادة دعليل) والمخصص (ح ٧ ص ٦٢) . والشرح الذي ذكره المؤلف لهذه الكلمة يبعد أن تكون مصحفة عن دغلة بالدال المعجمة والعين المهملة ، وهي الناقة السريعة .
(٤) في الأصلين : « عرسن » ، وهو محريف .

و"عَيْرَانَةٌ". فإذا كانت شديدة كثيرة اللحم فهي "عَتَرِيْسٌ" و"عَرَنْدَسٌ" و"مُتْلَحِكَةٌ". فإذا كانت خفمة شديدة فهي "دَوَسْرَةٌ" و"عُدَاْفَرَةٌ". فإذا كانت حسنة جميلة فهي "شَمْرَدَلَةٌ". فإذا كانت عظيمة الجوف فهي "مُجْفِرَةٌ". فإذا كانت قليلة اللحم فهي "مُحْرُوجٌ" ^(١) و"حَرْفٌ" و"زَهَبٌ".



ومن أوصافها في السَّير — إذا كانت لينة اليدين في سيرها فهي "خَنُوفٌ". فإذا كان بها هَوَجٌ من سرعتها فهي "هَوَجَاءٌ" و"هَوَجَلٌ". فإذا كانت تُقَارِبُ انْخَطُو فهي "حَاتِكَةٌ". فإذا كانت تَمْشِي وكأنها مقيدة الرجل وهي تضرب بيديها فهي "رَاتِكَةٌ". فإذا كانت سريعة فهي "عَصُوفٌ" و"مُشْمَعَلَةٌ" و"عَيْهَلٌ" و"شِمْلَالٌ" و"يَعْمَلَةٌ" و"مَرْجَلَةٌ" ^(٢) و"شَمَذَرٌ" ^(٣) و"شِمْلَةٌ" و"شَمْرَدَلَةٌ". فإذا كانت تَجْتَزِجُ رجليها في المشي فهي "مِرْزَحَافٌ" ^(٤) و"زُحُوفٌ". فإذا كانت لا تَقْصِدُ في سيرها من نشاطها فهي "عَجْرَفِيَّةٌ". قال الأعشى :

وفيها إذا ما هَجَرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ * إذا خَلَّتْ حَرْبَاءَ الظَّهيرة أَصِيدَا

(١) ومن معاني «الحرجوج» — كما ورد في اللسان (مادة حرج) — الافة الحسمة الطويلة

على وجه الأرض . (٢) في الأصلين : «مرجلة» ، وهو تحريف .

(٣) كذا في اللسان والمختص . وفي الأصلين : «سمدر» ، وهو تحريف .

(٤) كذا في المختص . وفي الأصلين : «مرحاف ورحوف» بالراء المهملة في الكتبتين ،

وهو تصحيف .

(٥) هجرت : سارت في المسابرة . والعجرفية كما تطلق على السرعة في المشي تطلق أيضا على النافذة

التي لا تقصد في سيرها من نشاطها . والحرياء : دوية أكبر من الغناء شيئا ، يستقبل الشمس برأسه

ويكون معها كنفها دارت . يقال : إنما يفعل ذلك ليقى جسده برأسه . ويتنزل ألوانا بجز الشمس .

والأصيد : الذي لا يستطيع الالتفات .



- وأما ألوان الإبل — فإنهم قالوا: إذا لم يُخالط حمرة البعير شيء فهو "أحمر".
 فإن خالطها السواد فهو "أرمك". فإذا كان أسود يخالط سواده بياض كدخان
 الرمث فهو "أورق"^(١). فإذا اشتد سواده فهو "جون"^(٢). فإن كان [أبيض]^(٣) فهو
 "آدم". فإن خالط بياضه حمرة فهو "أصب". فإن خالطه شقرة فهو
 "أعيس"^(٤). فإن خالطت خضرته صفرة وسواد فهو "أحوى". فإذا كان أحمر
 يخالط حمته سواد فهو "أكلف".



- وأما ترتيب سيرها — "فالعنق" وهو السير المُسَبَّط^(٦). فإذا ارتفع عنه قليلا
 فهو "التريد". فإذا ارتفع عن ذلك فهو "الذميل". فإذا ارتفع فهو "الرسم"^(١).
 فإذا دارك المشي وفيه قرصة فهو "الحفد"^(٧). فإذا ارتفع عن ذلك وضرب بقوائمه
 كلها فذاك "الإرتباع" و"الإلتباط". فإذا لم يدع جهدا فذاك "الإدْرِناق".

- (١) الرمث (من الحمض): شحريشه الفضي لا يطول ولكنه ينسط ورقه، وله هذب طوال دفاق
 وله حطب وخشب، ووقوده حار، وينفع بدخانه من الزكام.
- (٢) كذا في المخصص. وفي الأصلين: «أزرق»، وهو تحريف.
- (٣) مكان هذه الكلمة بياض بالأصلين. وقد وضعناها لاطرادها مع السياق. وفي المخصص
 واللسان: «والآدم من الإبل: الأبيض. فإن خالطته حمرة فهو أصب».
- (٤) في ب «أعيس» وفي أ: «أعيس»، وكلاهما تصحيف.
- (٥) في الأصلين «حمرة»، وهو تحريف. (راجع شرح القاموس واللسان والصحاح مادة حوى
 والمخصص ج ٧ ص ٥٦).
- (٦) المسبتر: السريع، يقال: اسبطرت الإبل في سيرها إذا أسرعت وامتدت.
- (٧) القرصة: مقاربة الخطو.



وأما ما قيل في المسير عليها والنزول للراحة والإراحة — فقد قالوا : إذا سار القوم نهارا ونزلوا ليلا فذاك "التأويب". فإذا ساروا ليلا ونهارا فذاك "الإسآد". فإذا ساروا من أول الليل فهو "الإدلاج". فإذا ساروا من آخر الليل فهو "الإدلاج". فإذا ساروا مع الصبح فهو "التغليس". فإذا نزلوا للاستراحة في نصف النهار فهو "التغوير". فإذا نزلوا في نصف الليل فهو "التعريس".

ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طبائعها

والإبل ثلاثة أصناف : يمانى، وعمرابي، ومُخَي. فاليماني هو النجيب، ويُزَل بمزلة العتيق من الخيل. والعمرابي كاليردون. والبُخَي كالبلع. ويقال : البُخَي (١) ضأن الإبل. وهي متولدة عن فساد منى العراب. وحكى الجاحظ أن منهم من يزعم أن في الإبل ما هو وحشي وأنها تسكن أرض وبار، وهي غير مسكونة بالناس. وقالوا : ربما نذ الجمل منها في الهياج فيحمله ما يعرض له منه على أن يأتى أرض (٢)

(١) البخى : واحد البخت وهي الإبل الحراسانية تنج من بين عربية وفالج (والعالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للصحة).

(٢) كذا في مباح الفكر. وفي الأصلين : «النجيب» ، وهو تحريف.

(٣) وبار : أرض ما بين الشحر الى صنعاء ، مساحتها زهاء ثلثة فرسخ. وزعم علماء العرب أن الله تعالى لما أهلك عادا وثمود أسكن الحى في مازلم ، وهي أرض وبار، فحمها من كل من يردها ، وأنها أخصب بلاد الله وأكثرها شجرا وبخلا وخيرا .

(٤) حاج العجل هياجا : هدر وأراد الضراب .

عُمَانٌ، فَيَضْرِبَ فِي أَدْنَى هَجْمَةٍ مِنَ الْإِبِلِ؛ فَالْإِبِلُ الْمَهْرِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ النَّجَاحِ . وَتُسَمَّى
الْإِبِلُ الْوَحْشِيَّةُ ^(٢) «الْجَوْشُ»، وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا بَقَايَا إِبِلِ عَادٍ وَثَمُودَ وَمَنْ أَهْلَكَ اللَّهُ مِنْ
العرب . وَالْمَهْرِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَهْرَةٍ (قَبِيلَةِ الْيَمَنِ)؛ وَهِيَ سَرِيعَةُ الْعَدُوِّ . وَيَعْلِفُونَهَا
مِنْ قَدِيدِ سَمَكٍ يُصَادُ مِنْ بَحْرِ عُمَانَ .

وَأَمَّا الْبُخْتُ — فَهِيَ مَا يَرْهَوْكُ مِثْلَ الْبَرَادِينِ ، وَمِنْهَا مَا يَجِيزُ جَمْرًا ^(٣) وَيَرْقُلُ ^(٤)
إِرْقَالًا . وَفِي الْبُخْتِ مَالُهُ سَنَامَانٌ فِي طُولِ ظَهْرِهِ كَالسَّرَجِ، وَلِبَعْضِهَا سَنَامَانٌ فِي الْعَرْضِ
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ، وَتُسَمَّى «الْخُرَّاسَانِيَّةُ» .

قَالُوا: وَالْجَمْلُ لَا يَتَزَوَّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً يُقِيمُ فِيهَا النَّهَارَ أَجْمَعُ وَيُنْزِلُ فِيهَا مِرَارًا
كَثِيرَةً، فَيَجِيءُ مِنْهَا وَلَدٌ وَاحِدٌ . وَهُوَ يَخْلُو فِي الْبَرَارِيِّ حَالَةَ التَّزْوِ، وَلَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَاعِيَهُ الْمُلَازِمَ لَهُ . وَذَكَرَهُ صُلْبٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَصَبٍ . وَالْأَنْثَى
تَحْمِلُ سَنَةً كَامِلَةً؛ وَتَلْقَحُ لِمَضَى ثَلَاثِ سَنِينَ، وَكَذَلِكَ الذَّكَرُ يَتَزَوَّ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ،
وَلَا يَتَزَوَّ عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ يَوْمِ وَضْعِهَا . وَفِيهِ مِنْ كَرَمِ الطَّبَّاعِ أَنَّهُ لَا يَتَزَوَّ عَلَى
أُمَّهَاتِهِ وَلَا أَخَوَاتِهِ . وَمَتَى حُمِلَ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ حَقْدَ عَلَى مَنْ أَلْزَمَهُ؛ وَرَبَّمَا قَتَلَهُ .
وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ مَنْ يَحْقِدُ حَقْدَهُ . وَقَدْ قَالُوا: إِنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا آكَسَتِ الْأَحْقَادَ
لَأَكْلِهَا لَحُومَ الْجَمَالِ وَمِدَاوِمَتِهَا .



(١) الهجعة من الابل: أولها أربعون إلى مئاة، أو ما بين السبعين إلى المائة، أو إلى دونها .

(٢) في أ: «الجوش» بالجمع المعجمة . وفي ب: «الجوشى» ، وكلاهما تحريف .

(٣) هو مهرة بن حيسدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة أبو قبيلة وهم حنظلي عظيم ، تسمى الهم الابل
المهرية ، وهي نجائب سبق الحيل . وقيل : لا يعدل بها شيء في سرعة ربانها . ومن غريب ما ينسب
إليها أنها تهمهم ما يراد منها بأقل أدب تعلبه . ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعاً .

(٤) الزهوكه : مشى الذي كأنه يموج في مشيته .

(٥) جز : عدا وأسرع . (٦) أرقل : أسرع .

وفي طبع الجمل آلا هتداءً بالنجم، ومعرفة الطُّرُق، والفترة، والصولة، والصبر
على الجمل الثقيل وعلى العطش . والإبل تميل إلى شرب المياه الكدرة الغليظة ؛
وهي إذا وردت ماء الأنهار حركته بأرجلها حتى يتكدر . وهي من عشاق الشمس .
وهي تتعرف النبات المسموم بالشم من مرة واحدة فتجنبه عند رعيه ولا تغلط
إلا في اليبس^(١) خاصة . وزعم أرسطو : أنها تعيش ثلاثين سنة في الغالب .
وقال صاحب كتاب مباحج الفكر ومناجح العبر ينقل عن غيره : وقد رُئِيَ منها ما عاش
مائة سنة . وكانت للعرب عوائد في إبلها أنها إذا أصاب إبلهم العزك^(٢) أو السليم
ليذهب العر عن السقيم . وكانوا إذا كثرت إبلهم فبلغت الألف فقشوا عين الفحل ؛
فإن زادت على الألف فقشوا عينه الأخرى . وقد ذكرنا ذلك في أوابد العرب ،
وهو في الباب الثاني من الفن الثاني من هذا الكتاب في السفر الثالث من هذه
النسخة . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل

كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها "القَصْواء" . ذكر ابن سعد
عن محمد بن عمر قال حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : كانت
القَصْواء من نَم بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر رضي الله عنه وأخرى معها بثمانمائة درهم
فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بأربعائة ؛ فكانت عنده حتى نفقت . وهي
التي هاجر عليها صلى الله عليه وسلم . وكانت حين قَدِم المدينة رَباعيةً ، وكان اسمها
"القَصْواء" و"الجَدعاء" و"العَضباء" ، وكان في طَرَف أُذُنِها جَدْع^(٤) ، وكانت لا تُسَبَق

(١) اليبس : ما يبس من العشب ، والبقول التي تنثر إذا يست ، وقيل : عام في كل نبات يابس .

(٢) العزك : هلك .

(٣) حقت : هلك .

(٤) الجدع : القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد .

- كلما دُفِعَتْ في سِباق . فلما كان في سنة ستٍّ من الهجرة سابقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الرّواحل ، فسبقَ قَمُودٌ لأعرابيٍّ "القَصُوءَ" ، ولم تكن تُسَبِّقُ قبلها ؛ فشَقَّ ذلك على المسلمين ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حقُّ على الله ألا يرفعَ شيئاً من الدنيا إلّا وضعه" . وعن قُدّامة بن عبد الله قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجَّتِهِ يرمي على ناقه صَهْبَاءَ . وعن سَلَمَةَ بن نُبَيْطٍ عن أبيه قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجَّتِهِ بعرفة على جملٍ أحمر . وذكر أبو إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثَّقَلَبِيُّ في تفسيره : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث يوم الحديبية نِجْرَاشَ بن أُمَيَّةَ الْخَزَاعِيَّ قَبْلَ عَثْمَانَ ^(١) إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له "الثَّعْلَبُ" ؛ ليبلغَ أشرافهم عنه ما جاء له ؛ فعقرّوا جملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ؛ فبغته الأَحَابِيشُ ^(٢) ، فخلّوا سبيلَه . وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عشرون لِقْعَةً ^(٣) بالغابة (وهى على بَرِيدٍ من المدينة من طريق الشام) وكان فيها أبو ذَرٍّ ، وكان فيها لقائِحُ غَزَرٌ ^(٤) : الحَنَاءُ "و" السَّمْرَاءُ "و" العُرَيْسُ "و" السَّعْدِيَّةُ "و" البَغُومُ " ^(٥)

- (١) يريد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً للبيت ومغظاً لحرمته .
- (٢) الأحابيش : جمع أحبوش (بضم الهزنة والباء) وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل تحت جبل يقال له الحبشى أسفل مكة ، وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أى تعجمهم .
- (٣) اللقعة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .
- (٤) الغزرة : (جمع غزيرة) ، وهى الكثيرة الدر من الإبل والشاة وغيرهما من ذوات اللبن .
- (٥) كذا ورد مضبوطاً بالعارة في شرح المواهب اللدنية للرفقاني (ج ٣ ص ٦٨) ، وضبط في طبقات ابن سعد بالقلم (ج ١ ق ٢ ص ١٧٧) بفتح العين وكسر الراء المهملتين . (٦) كذا وردت مضبوطة بالقلم في تاريخ الطبري (ص ١٧٨٥ من القسم الأول) وطبقات ابن سعد وشرح المناوى على ألفية العراقي (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٠٨ حديث) بفتح الموحدة وضم المعجمة . وضبطت بالعارة في شرح المواهب للرفقاني (بضم الموحدة والفتح المعجمة) . ونحن نستبعد هذا الضبط .

و"الْيُسَيْرَةُ" و"الرَّيَا" ^(٢) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فزقها على نساءه ؛ فكانت "السَّمَاءُ" لقحة غزيرة لعائشة ؛ وكانت العُرَيْسُ لأمِّ "سَلَمَةَ" ؛ فأغار عليها عُيَيْنَةُ بِنُ حِصْنٍ في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ^(٣) ابن أبي ذرٍّ ؛ ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى آتوها إلى ذى قرد فاستنقذوا منها عَشْرًا ^(٤) وأقلت القوم بما بقي ؛ وقيل : بل استنقذها كلها منهم سَلَمَةُ بِنُ الْأَكْوَعِ حين يقول : ما خلق الله شيئاً من ظهر النبي ^(٥) صلى الله عليه وسلم إلا خلقتُه وراء ظهرى واستنقذته منهم ؛ وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست .

وكانت لِقَاحُهُ صلى الله عليه وسلم ، التي كان يرعاها يسارٌ مولاه . ذى الجَذَرِ نَاحِيَةً قُبَاءً قَرِيبًا من عَيْرٍ على ستة أميال من المدينة ، خمسَ عَشْرَةَ لِقْحَةً غَزَارًا استاقها

- ١٠ (١) كما وردت مضبوطة بالعارة في شرح المواهب للرقافى (بباء مضمومة في أوله ، وقيل بالعين المهملة ، وفتح السين المهملة) والقلم في شرح المناوى على ألفية العراق كذلك (بهم الياء وفتح السين المهملة) . وضبطت بالقلم في طبقات ابن سعد والطبرى (بفتح الياء) .
- (٢) كما وردت في تاريخ الطبرى مضبوطة بالقلم بدون مد . ووردت مضبوطة بالعارة في شرح الرزاقى (ج ٣ ص ٦٨ طبع بولاق) وبالقلم في شرح المناوى على ألفية العراق بفتح الراء وتشديد الياء ومد . وضبطت بالقلم في طبقات ابن سعد بالدال المهملة وتشديد الياء الموحدة ومد .
- ١٥ (٣) هو دُر بن أبي ذر الغفارى ، وكان هو وأبوه وزوجته (زوجة أبي ذر واسمها ليلى) يرعون اللقاح معاً ، كما جاء في شرح المواهب اللدنية (ج ٢ ص ١٧٩) .
- (٤) ذو قرد (بالجر يك وقيل بصمتين) : ماء على ليلين من المدينة بينها وبين حير .
- (٥) هوسلة بن عمرو ، والأكوع لقب جدّه وأسمه سنان . وفي يوم ذى قرد هذا يقول مسلمة وهو يرى :
- ٢٠

خذها وأنا ابن الأكوع * واليوم يوم الرضع

(٦) الظهر : الأبل والغنم .

(٧) كذا في ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى . وغير : جبل بناحية المدينة . وفي أ : « عيز » بالزاي . وفي ب : « غير » بالعين المعجمة والراء . وكلاهما تصحيف .

الْعُرَيْنُونَ وَقَتَلُوا يَسَارًا وَقَطَعُوا يَدَهُ وَرَجَلَهُ وَغَرَزُوا الشَّوْكَ فِي لِسَانِهِ وَعَيْنَيْهِ حَتَّى مَاتَ .
فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْرِهِمْ كُرْزَ بْنَ جَابِرِ الْفَهْرِيُّ^(٢) فِي عَشْرِينَ فَارَسًا ؛
فَأَدْرَكُوهُمْ وَرَبَطُوهُمْ وَأَرْدَفُوهُمْ عَلَى الْخَيْلِ حَتَّى قَدِمُوا بِهِمَ الْمَدِينَةَ ، فَقَطَّعَتْ أَيْدِيَهُمْ
وَأَرْجُلَهُمْ . وَسُمِّتَ أَعْيُنُهُمْ وَصَلَبُوا . وَفِيهِمْ نَزَلَ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ ﴾ الْآيَةُ ؛ وَذَلِكَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سِتٍّ . وَفَقَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْهَا لِقْحَةً تُدْعَى «الْحَنَاءُ» ؛ فَسَأَلَ عَنْهَا فَقِيلَ : نَحْرُوهَا .

وَقِيلَ : كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ لِقَاحٍ تَكُونُ بِذِي الْجَدَرِ ؛
وَتَكُونُ بِأَجْمَاءٍ^(٥) : لِقْحَةٌ تُدْعَى «مُهْرَةً» وَكَانَتْ غَزِيرَةً ، أُرْسِلَ بِهَا سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ مِنْ
نَعْمَ بْنِ عُقَيْلٍ ، وَلِقْحَةٌ تُدْعَى «بُرْدَةً» تُحْلَبُ كَمَا تُحْلَبُ لِقْحَتَانِ غَزِيرَتَانِ ، أَهْدَاهَا لَهُ
الضُّتَاكُ بْنُ سُفْيَانَ الْكِلَابِيُّ ، «وَالشُّقْرَاءُ» «وَالرَّيَّا» «وَالسَّمْرَاءُ» «وَالْعُرَيْسُ»
«وَالْيُسَيْرَةُ» «وَالْحَنَاءُ» يُحْلَبْنَ وَيُرَاحُ إِلَيْهِ بِلَبْنٍ كُلِّ لَيْلَةٍ .

وَفِي غَزَاةِ بَدْرَ غَنِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمْلَ أَبِي جَهْلٍ وَكَانَ مَهْرِيًّا
يَغْزُو عَلَيْهِ وَيَضْرِبُ فِي لِقَاحِهِ . ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ .

- (١) العرينون : قوم ارتدوا ، ينسبون إلى عرينة (بكهنة) قبيلة من العرب في بجيلة .
(٢) كذا في الطبري والسيرة لابن هشام والاستيعاب والقاموس (مادة كرز) . وفي الأصلين :
« كرز » ، وهو تحريف . (٣) سماه عنه : فقاها .
(٤) كذا في الأصلين وفي طبقات ابن سعد (القسم الثاني ج ١ ص ١٧٨) . ويلاحظ أن اللقائح
التي ذكرت هنا وهالك ثمان لا سبع .
(٥) كذا في سيرة ابن هشام (ص ٩٩٨) والطبري (ص ١٧٨٥ من القسم الأول) وطبقات ابن
سعد (ج ١ ص ٢) . والجاء . اسم لمواضع كثيرة بجوار المدينة . وفي الأصلين : « بالحمى »
وهو تحريف .
(٦) كان اسمه المكتسب (على صيغة اسم المفعول) . (راجع شرح المواهب للزرقاني) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى
 عام الحُدَيْيَةِ في هداياه جملاً لأبى جهل في رأسه ^(١) برة من فضة ؛ ليغيظ بذلك
 المشركين . ذكره ابن إسحاق .

وقيل : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم لُقمة اسمها "مروّة" .

• وقال ابن الكلبي : إن عيَّاض بن حمَّاد أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 نَجِيبَةً ، وكان صديقاً له إذا قدم عليه مكة لا يطوف إلا في ثيابه ؛ فقال له : "أسألت" ؟
 قال : لا ؛ قال : "إن الله نهانى عن زبد المشركين" ^(٢) . فأسلم ؛ فقبلها .

ذكر شيء مما وُصِفَتْ به الإبل نظماً ونثراً

قال بعض من عظم شأن الإبل : إن الله تعالى لم يخلق نِعْماً خيراً من الإبل ؛
 ١٠ إن حملت أثقلت ، وإن سارت أبعدت ، وإن حُلِبَتْ أروث ، وإن نُحِرَتْ أشبعث .
 وقال بَشَّامَةُ ^(٤) يصف ناقَةً :

كَأَنَّ يَدِيهَا إِذَا أُرْقِلَتْ * وَقَدْ حَزَنَ ثَمَّ أَهْتَدِينَ السَّبِيلَا
 يَدَا سَابِحٍ تَحَرَّى عَمْرَةٍ * وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلَا

(١) الهدى (بالتحفيف و بتشديد الياء ، ويقال فيه هديّة) : ما يقدم الى البيت الحرام من التمر لتتحرر .

(٢) البرة : حلقة تكون في أنف البعير .

(٣) الرد : الردف والعطاء .

(٤) هو بشامة بن الغدير . وقد عده ابن سلام الجمعي في تحابه طبقات الشعراء في الطبقة الثامنة من

الشعراء الاسلاميين وذكره شعرا . (راجع ص ١٤٦ — ١٤٨ من كتاب طبقات الشعراء طبع أوروبا) .

إذا أقبلت قلت مشحونة * أطاعت لها الرجح قلما جفولا
وإن أدبرت قلت مذعورة * من الربد تبع هيقاً ذمولا^(١)

وقال أبو تمام :

وبدأ السرى بالجهل حتما * وقد أديها قد الأديم
بدت كالبدري في ليل بهم * وآبت مثل عرجون قديم^(٢)

وقال الخطيم الخزرجي^(٣) :

وقد ضمرت حتى كان وضيئها * وشاح عروس جال منها على خصر^(٤)

وقال ابن دريد :

خوص كاشباح الحنايا ضمير * يرعن بالأمشاج من جذب البري^(٥)
يرسبن في بحر الدجى، وفي الضحى * يطفون في الآل إذا الآل طفا^(٦)

وقال عبد الجبار بن حمديس :

ومن سفين البر سباحة * من الآل بحراً إذا ما أعترض

(١) الربد : النعام ، من الربدة وهي لون بين السواد والغبرة . والبيق : الطليم (ذكر النعام) .

وفي الأصلين : « هيقاً » بالناء ، وهو تصحيف . والدمول : السريع .

(٢) العرجون : أصل العذق الذي يهوج وتقطع منه الشرايح . يريد أنها عادت مهولة مقوسة .

(٣) كذا في مباح الفكر وشرح الفاموس (مادة خطم) . وفي الأصلين : « الخطيم الجزري »

وهو بحريف . (٤) الوضين : طائر عريض منسوج من سيور أو شعر ، وهو للرحل بمنزلة الخزام للسر .

(٥) خوص : غائرات العيون جمع خصوصاً . والأشباح : الأشخاص ، واحداً شبح (فتح الباء وسكونها) .

والحنايا : جمع حنية ، وهي القوس لأنها منحنية أى معطوفة . ويرعن : من الرعاف وهو انبعاث الدم

من الأنف . والأمشاج : ما يسيل من أنوفها من المخاط المتغير اللون . والبري : جمع برة وهي حلقة تكون

في أف البحر من فصة أخرىها .

(٦) رسبن : ينصن . ويطفون : يعلون . والآل : السراب .

لَهَا شِرَّةٌ لَا تُبَالِي بِهَا * أَطَالَ بِهَا سَبَسَبٌ^(٢) أَمْ عَرَضُ
إِذَا خَفَقَ الْبُرْدُ^(٣) بِي خِلْتَنِي * عَلَى كُودِهَا طَائِرًا يَنْتَفِضُ
وَأِنْ يَعْرِضُ الْبَعْضُ^(٤) مِنْ سَيْرِهَا * تَرَى الْعَيْسَ^(٥) مِنْ خَلْفِهَا تَنْقَرِضُ
هِيَ الْقَوْسُ إِنْ لَسَّهْمُ^(٦) لَهَا * أُصِيبُ بِكُلِّ فَلَاةٍ غَرَضُ
وقال الشريف البياضي :

نُوقُ تَرَاهَا كَالسَّفِيدِ * مِنْ إِذَا رَأَيْتَ الْآلَ بَحْرًا
كَتَبَ الْوَجَا^(٧) بَدْمَانَهَا^(٨) * فِي مُهْرَقِ الْبَيْدَاءِ سَطْرًا
لَا تَسْتَكِينُ مِنَ اللَّغْوِ * بَ إِذَا وَلَا يَعْرِفُنْ زَجْرًا
وَكُنْ أَرْجُلَهُنْ تَط * لَبْ عِنْدَ أَيْدِيهِنْ وَثْرًا

١٠ (١) كذا في ديوانه (المطبوع برومة ص ٢٥٦) . وفي الأصلين وهامش ديوانه : « سيرة »
بالسين المهملة والياء المثناة .

(٢) السبب : القفر والمعازة .

(٣) كذا في الديوان . وفي الأصلين : « البردي » وهو تحريف .

(٤) كذا في ديوانه . وفي أ : « نفض البعض » . وفي ب : « نقر البعض » ، وكلاهما تحريف .
ولعله « وإن تعرض البعض الخ » بناءً التانيث . ١٥

(٥) كذا في ديوانه . وفي الأصلين وهامش ديوانه : « تنقرض » بالفاء . وهو تصحيف .

(٦) الوجا : الخفا وهو أن يشكى البعير باطن حقه . وفي الأصلين : « الوحى » بالخاء المهملة ،
وهو تصحيف .

(٧) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « بزمامها » .

(٨) المهروق (بضم أوله وتسكين ثانيه وفتح ثالثه) : الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب . ٢٠
وفي أ : « المهرب » بالباء . وفي ب : « مهرات » ، وكلاهما تحريف .



وقال أبو عبادة البُحْتَرِيّ :

وَحَدَّانَ الْفِلَاصِ حُولاَ إِذَا قَا * بَيْنَ حُولاَ مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ^(١)
يَتَرَفَّقْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ * بِنِ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي^(٢)
كَالْقَيْسِ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْ * مُمِ مَبْرِيَّةَ بِلِ الْأَوْتَارِ

وقال ذو الرُّمَّةِ يصف ناقةً :

رَجِيْعَةُ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا * شُجَاعٌ عَلَى سُرى الذَّرَاعِينَ مُطْرِقُ^(٣)^(٤)

ومنه اخذ المتنبي فقال :

* كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا الْأَفَاعِيَا *

وقال أبو نُوَاسٍ يصفها بالسرعة :

وَتَجَشَّسْتُ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنَوُّفَةٍ * هَوَجَاءُ فِيهَا جُرْأَةٌ إِقْدَامُ^(٥)^(٦)
تَدَّرُ الْمِطْيُ وَرَاءَهَا وَكَأَنَّهَا * صَفٌّ تَقْدُمُهُنَّ وَهِيَ إِمَامُ^(٧)

(١) وخد البعير وخدا ووخدا : أسرع ووسع الخطو . وهذا البيت مرتبط بيت قبله وهو :

وإذا ماتت كنت لي بلاد * أو خليل فإنني بالخيار

(٢) كذا في ديوانه (ج ٢ ص ٣٠ طبع مطبعة الجوائب) . وفي الأصلين : « بالسحاب » .

(٣) رجيعة أسفار : معاودة أسفار . والشجاع : الحية الذكر . ومطرق : ساكن لا يهجر .

(٤) رواية ديوانه المطبوع بأوربا : « لدى » .

(٥) التئوة : الأرض القفرة ، وقيل : العيدة الماء .

(٦) الذي ظهر لنا هو نصب « جرأة » على أن تكون مفعولا لأجله . ويكون المعنى : فيها

إقدام لجرأتها .

(٧) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « أمامها » وهو محريف .

وقال الفرزدقُ منشدا :

تَتَفَى بِدَاها الحَصَى في كُلِّ حَاحِرَةٍ * قَتَى الدَّرَاهِمُ تَتَقَادُ الصَّيَارِفُ^(٣)

وقال آخر :

تَطِيرُ مَنَاسِمُهَا بِالْحَصَى * كَمَا تَقْدُ الدَّرَاهِمُ الصَّيْرَفُ

وقال الفطَّمُشُ^(٤) :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا * يَدَا سَامِجٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَّبِعُ^(٥)

وقال آخر في نُوقٍ :

خُوصٌ نَوَاجٍ إِذَا حَتَّ الحُدَاةُ بِهَا * حَسِبْتَ أَرْجُلَهَا قُدَامَ أَيْدِيهَا

وقال القَطَامِيُّ :

يَمِشِينَ رَهْوَا فَلَلا الأَعْجَازُ خَاذِلَةً * وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الأَعْجَازِ تَتِكَلُّ^(٦)

فَهِنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمِصٌ * وَالرَّيْحُ سَاكِنةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ^(٧)

(١) في الأصلين : « من كل » ، وهو تحريف .

(٢) كذا رواه سيبويه باثبات الياء في « الدراهم » ، على أنه جمع لدرهم لغة في درهم أو جمع شاذ لدرهم . ويروي « نفى الدنانير » كما في شواهد العيني لشروح الألفية .

(٣) كذا في اللسان ، وقد جئ به هنا لجمع على الضرورة ، لأنه لما احتيج إلى تمام الوزن أشبعت الحركة ضرورة حتى صارت حرفا . وفي الأصلين : « التصاريف » ، وهو تحريف .

(٤) هو الفطمش بن عمرو بن عطية من بني شقرة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة . وقال ابن الكلبي : هو من بني معاوية بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ضبة . والفطمش يعنون به الطالم .

(٥) يتبوع : يدبأه .

(٦) الرهو : السير السهل المستقيم .

(٧) كذا في الأصلين (بالضاد المعجمة) . والظاهر أنها مصحفة عن « معترصات » بالصاد المهملة .

والاعتراض : الأرن والنشاط .

(٨) الرمض (التحريك) : حرا الحجارة من شدة حر الشمس .

وقال أبو نؤاس :

ولقد تَجَوَّبَ بَنَى الْفَلَائِةَ إِذَا * صَامَ النَّهَارُ وَقَالَتِ الْعَفْرُ^(١)
شَدْنِيَّةٌ رَعَتِ الْحِمَى فَاتَتْ * مِثْلَ الْجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصْرُ^(٢)
وقال الأحمر :^(٣)

• حمراءُ من نَسَلِ الْمَهَارَى نَسْلُهَا * إِذَا تَرَامَتْ يَدُهَا وَرَجْلُهَا^(٤)
حَسِبْتُهَا غَيْرِي أَسْتَفِزَّ عَقْلُهَا * أَتَى^(٥) الَّتِي كَانَتْ تَخَافُ بَعْلُهَا

ذكر ما قيل في البقر الأهلية

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فصر بها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقتنا للحوث“؛ فقال الناس : سبحان الله بقرة تكلم ! قال : ”فإني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر“^(٦)
وما هما ثم .

(١) صام النهار : اعتدل وقام قائم الظهيرة .

(٢) قالت : سكنت وقت القائلة . والعفر من الظباء : ما يملو بياضها حمرة ، وقيل : البيضاء التي

ليست شديدة البياض . (٣) شدنية : فوق تنسب إلى شدن (موضع باليمن) .

١٥ (٥) في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ج ١ ص ٨٣ من السعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أ د ب) : «وقال الآخر» .

(٦) كذا في ديوان المعاني . وصر أبو هلال البيت بقوله : «أى كآسها من عملها يديها ورجلها وسرعة تحركها يكها إياها عيرى تخاصم وتشير يديها لا تقتر» . وفى الأصلين : «أى» . وقد ضبطناه بهذا الضبط ، على أن يكون «أتى» مصدرا منصوبا على أنه مفعول له ، مضافا لمفعوله ، وقاعله «بعلها» ،

و يكون المعنى : استفزع عقل هذه المرأة الغيرة من أجل إتيان بعلها ضررها التي تخافها .

(٦) قوله : «وما هما ثم» يعنى أن العبرين لم يكونا حاضرين هناك . (انظر هامش صحيح الامام

مسلم ج ٧ ص ١١١ طبع مصر) .

وقال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان : إن الفحل من البقر يزو إذا تمت له سنة من عمره ؛ وقد يزول عشرة أشهر . والبقرة إذا ولدت تحدر لبنها من يومها ، ولا يوجد لها لبن قبل أن تضع . وهي تحمل تسعة أشهر وتضع في العاشر ؛ فإن وضعت قبل ذلك لا يعيش ولدها . وربما وضعت آئين ، وهو نادر . وهم يتشاءمون بها إذا وضعت آئين . وإذا مات ولدها أو ذبح لا يسكن خوارها ولا يدثر لبنها ؛ ولذلك الرعاء يسلخون جلد ولدها ويحشونه لئلا تسكن ، ويسمون « البو » .
والبقر يحب الماء الصافي ، بضد الخيل والجمال . وقال المسعودي في كتابه المترجم بروج الذهب : رأيت بالرّي نوعاً من البقر تبرك كما تبرك الإبل وتحمل فتثور بحملها ، والغالب عليها حمرة الحديق . وحكى أسامة^(١) بن مقيذ^(٢) في كتابه أن في بعض البلدان بقرأ لها أعراف كالخيل . ولعلها الأبقار التي توجد فيها البراجم . والبراجم في أطراف أذناها وفي أكفافها . ويقال : إن أبقار البراجم تخرج من بحر الصين

(١) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن صبر بن منقذ الكافي ، كان من مشهورى الكتاب والشعراء . وقد ترجم له ابن حلكان في تاريخه وقال : إنه من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم ، له تصنيف عديدة في فنون الأدب . وذكره العماد الكاتب في الخريدة وقال بعد الثناء عليه : سكن دمشق ثم نبت به كما تنبوا الدار بالكرام ، فانتقل إلى مصر فبقى بها مؤمراً مشاراً إليه بالتعظيم إلى أيام الصالح بن رزك ، ثم عاد إلى الشام وسكن دمشق ، ثم رماه الزمان إلى حصن كيفا فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى دمشق فاستدعاه وهو شيخ قد حاوز الثمانين . وقال عبر العماد : إن قدومه مصر كان في أيام الظاهر ابن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فأحسن إليه . ولد سنة ٥٨٨ هـ وتوفي سنة ٥٨٤ هـ دمشق . (راجع تاريخ ابن حلكان ج ١ ص ٨٨ — ٩٠ طبع بولاق) .

(٢) اسمه : « أزهار الأنهار » ، كما في مباحج الفكر وكشف الظنون .

(٣) وردت هذه العبارة في كتاب مباحج الفكر مقلاً عن ابن منقذ هكذا : « أن في بعض البلدان بقرأ لها أعراف كالخيل » قال ابن منقذ : وأظنها الأبقار التي يوجد فيها البراجم ، وسمعت من يقول : إنها أبقار عمالة في بلاد يقال لها « جم وتانة وبلخشان » وهي ملونة : بيض وسود وبنق . والبراجم تكون في رؤوس أذناها وهي الكبار وعلى كتفيها وهي الصغار ؛ وسمعت من يقول : إنها أبقار تخرج من بحر الصين .

وهي تَلد وتُرضع^(١)؛ ولذلك يقال البراجم البحرية . وأرض مصر بناحتي دُمياط
وتيس بقر تُسمى بقر الخيس^(٢)، ضخامُ حسانُ الصُور والشَّيات، ولها قرون كالآهلة،
وفيها نفورٌ وتوحشٌ، لا ينفع بها في العمل وإنما يُنتفع بالبانها . وهي لا تُعَلَف
الحَب، وماواها حيث يكون العُشبُ والماء الدائم؛ ولها أسماء يدعونها بها إذا أرادوا
حلبها، فتتقدم إليهم .

وقد وصف الشعراءُ البقرَ في أشعارها ؛ فمن ذلك قولُ أحمد بن حنبل^(٣) علّويه
الأصبهاني :

يا حَبْذا مُحضها ورائِئها * وحَبْذا في الرجال صاحبها
عَجُولَةٌ سَمَحَةٌ مَبَارَكَةٌ * مَيْمُونَةٌ طَفَّحٌ مَحَالِئُهَا
تُقِيلُ لِلْحَلَبِ كُلِّهَا دُعَيْتُ * وَرَامَهَا لِلْحَلَابِ حَالِئُهَا
فَتِيَّةٌ سِنَهَا، مَهْدَبَةٌ * مَعْنَفٌ فِي النَّدَى عَائِئُهَا^(٤)

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «توضع» بالواو، وهو تحريف .

(٢) الخيس (بالفتح ويكسر) : من كور الخوف الغربي بمصر من فوح خارجة بن حذافة، وكان أهلها
من أعان على عمرو بن العاص فسبهم، ثم أمر عمر بردهم إلى بلادهم على الجزية أسوة بالقبط . (راجع

معجم البلدان ج ٢ ص ٧٠٥) .

(٣) كان من شعراء أصبهان في القرن الثالث للهجرة وكان له سنة ٣١٠ من العمر ٩٨ سنة، وقد عمر
إلى ما بعد ذلك . وكان يقول الشعر الجيد . وله قصيدة على ألف قافية شيعية عرضت على أبي حاتم
السجستاني فأعجب بها وقال : يا أهل البصرة عليكم أهل أصبهان . وأول هذه القصيدة :

ما بال عيك ثرة الانسان * عبري المفاظ سقيمة الأجفان

(راجع معجم الادباء لياقوت ج ٢ ص ٣) .

(٤) المحض : اللبن الخالص بلا رغو .

(٥) العجولة : أنثى العجول، وهو ولد البقرة .

(٦) في الأصلين : «الندى» بالناء المثناة، وهو مصحف عما أثبتناه . وفي مباحج الفكر : «البذاء» .

كانها لُعبَةٌ مُزَيَّنَةٌ * يَطِيرُ عَجَبًا بِهَا مُلَاعِبُهَا
كَأَنَّ أَلْبَانَهَا جَنَى عَسَلٍ * يَلْدُهَا فِي الْإِنَاءِ شَارِبُهَا
عَرُوسٌ بِأَقْوَرَةٍ إِذَا بَرَزَتْ ^(١) * مِنْ بَيْنِ أَحْبَابِهَا تَرَائِبُهَا
كَأَنَّهَا هَضْبَةٌ إِذَا أَنْتَسَبَتْ ^(٢) * أَوْ بَكْرَةٌ قَدْ أَنْفَ غَارِبُهَا ^(٣)
تُرْهِى بَرَوَقَيْنِ كَالْبَلْعَيْنِ إِذَا * مَسَّهَامَا بِالْبِنَانِ طَالِبُهَا
لَوْ أَنَّهَا مُهَرَّةٌ لَمَا عَدِمَتْ * مِنْ أَنْ يَضُمَّ السَّرُورَ رَاكِبُهَا

وَأَنشَدَنِي شَمْسُ الدِّينِ بْنِ دَانِيَالٍ لِنَفْسِهِ :

لِلَّهِ عِجْلَةٌ خَيْسٍ * صَفَرَاءُ ذَاتُ دَلَالٍ
تُرِيكَ عَيْنِي مَهَاةٍ * مِنْ تَحْتِ قَرْنَى غَزَالٍ
قَدْ سُرَيْلَتْ بِأَصِيلٍ * وَتَوَجَّتْ بِهَلَالٍ ^(٤)
وَقَالَ شَاعِرٌ يَصِفُ صَوْتَ الْحَلَبِ :

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْطِهَا الْمَرْفُضِ ^(٥) * كَشِيشِ أَفْعَى أَجْمَعَتْ لِعَضِّ ^(٦)
* وَهِيَ تَحْكُ بِعَضِّهَا بَعْضُ *

وَقَالَ :

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْطِهَا غُدِيَّةٍ * هَفِيفٌ رِيحٌ أَوْ كَشِيشٌ حَيَّةٍ

(١) الباقورة والباقر : جماعة البقر .

(٢) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « انتسبت » .

(٣) أناف : ارتفع وأشرف .

(٤) الأنسب للسياق أن يكون « وقال الراجز » وهو معتمر بن قطبة ، كما في شرح القاموس مادة

« كشش » . ٢٠

(٥) الشخب (بفتح الشين وضمة هاء) : ما يخرج من الصرع من اللبن إذا احتلب .

(٦) الكشيش صوت جلد الأفعى . وأما صوتها من فيها فيقال له الفحيح .

ذكر ما قيل في الجاموس

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

والجواميس هي ضأن البقر . والجاموس أجزع الحيوان من البعوض وأشدّها
 هرباً منه إلى الماء ، وهو يمشي إلى الأسد زحجاً البال ، رابط الجأش ، ثابت الجنان .
 وقد حكى عن المعتصم بالله العباسي أنه أبرز للأسد جاموسين فغلبته ، ثم أبرز له
 جاموساً ومعهما ولدها فغلبته وحتّ ولدها ، ثم أبرز له جاموساً مفرداً فواشبه ثم أدبر
 عنه . هذا على ما في الأسد من القوة في فمه وكفّه والجرأة العظيمة والثوبّة وشدة
 البطش والصبر والحُصِر والطلب والمُهرِب ؛ وليس ذلك في الجاموس ، ولا يستطيع
 بغير قرنه ، وليس في قرنه حدّة قرن بقر الوحش ؛ فإذا قوى الجاموس مع ذلك حتى
 يقاوم الأسد دلّ على قوة عظيمة . ولذلك قدّم الجاحظ الجاموس على الأسد ، وعُلّل
 تقديمه عليه بهذه العلة . وليس ما حكى عن المعتصم في أمر الجاموس وغلبته للأسد
 بعجيب ؛ فإن الجواميس بالأغوار تُقاتل الأسد وتُمانعه وتدفعه فلا يقدر على قهرها .
 وأصحاب الجواميس هناك منهم من يُفلّف قرونها بالنحاس ويُحدّدون أطرافه ،
 يقصدون بذلك إعانتته على حرب الأسد وقتاله .^(١)

والجاموس عندنا بالديار المصرية يقاتل التماسيح الذي هو أسد البحر ويمكن
 ١٥ منه ويقهره في الماء ؛ فهو قد جمع بين قتال أسد البر وأسد البحر . وله قدرة
 عظيمة على طول المكث في قعر البحر . والتماسيح لا تكاد تأوى موارد الجواميس
 من بحر النيل وتجنّب أماكنها .

(١) في الأصلين : « ويقصدون » بالوإو .

والجواميس في أرض الشام من الأغوار والسواحل والأماكن الخازنة الكثيرة المياه ^(١) يتنقع بها في الحرث والمجولة وجر العجل وحلب ألبانها. وأما [في] الديار المصرية ^(٢) فلا يستعملونها آلبنة ولا يتنفعون بها إلا بما يتحصل من ألبانها ويتاجها .

وحوّل الجواميس يكون بينها قتال شديد ومحاربة ، فأبداً خيل غلب وقهره خصمه ، لا يأوى ذلك المراح ، بل ينفر بنفسه في الجزائر الكثيرة العشب شهوراً وهو يأكل من تلك الأعشاب ويشرب من ماء النيل ، وينفر خصمه بالإناث ؛ فإذا علم الهارب من نفسه القوة والجلد ، رجع إلى المراح وقد توحش وأستطال ، ويكون خصمه قد ضعفت قواه فلا يقوم بمحاربتة ؛ ولكنه لا يؤلّ عنه إلا بعد محاربتة . فإذا قهره ترك الآخر المراح وتوجه إلى جزيرة وفعل كما فعل الأول وعاد إلى خصمه . ١٠

ولبن الجاموس من ألبان الألبان وأدسمها . والرعاء يُسمون كل جاموسة بأسم تعرفه إذا دُعيت به إلى الحلب ، فتجيب وتأتيه وتقف حتى يحلبها .

ذكر ما قيل في الغنم الضأن والمعز

روى عن أنس بن مالك وعطاء رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الغنم بركة موضوعة" . وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ١٥

(١) زيادة يقتضيا السياق .

(٢) يلاحظ أن الحال في مصر ليست الآن كما ذكر المؤلف ، إذ الجواميس تستعمل فوق الاسفاح بألبانها وتناجها في الحرث كما تستعمل في حل الأثقال أحيانا .

(٣) يقال : ما قام فلان لهذا الأمر ولا يقوم له ، إذا لم يطقه . ويقال أيضا : فلان لا يقوم بهذا الأمر أى لا يطيق عليه ، وإذا لم يطق الانسان شيئا قيل : ما قام به . (راجع اللسان مادة قام) . ٢٠

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا^(١) يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجَبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْرُبْدِينَهُ مِنَ الْفِتَنِ". وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْقَدَادِينِ أَهْلُ الْوَبْرِ وَالسَكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ".

ومن فضل الغنم ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَرَعَیَ الْغَنَمَ". فقال له أصحابه : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : "نعم [كنت أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارٍ يَطْلُغُ لِأَهْلِ مَكَّةَ]"^(٢) . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم مائة شاة لا يريد أن تزيد كلما وَلَدَ الرَّاعِي بَهْمَةً ذَبَحَ مَكَانَهَا شاةً . وقال ابن الأثير في تاريخه : وكان له شاة تُسَمَّى "غَوْتُهُ"^(٣) ، وقيل "غَيْثُهُ"^(٤) ، وعزَّرَ

(١) كذا في القسطلاني (ح ١ ص ١٣٦ طبع بولاق) . وفي الأصلين : «مال المرء» . (٢) شَعَفَ الْجَبَالِ : دَبَّسَهَا . (٣) أورد الجاحظ في كتاب الحيوان في كلامه على الماعز (ج ٥ ص ١٤٨) هذا الحديث ، ونصه فيه : «رأس الكفر قبل المشرق والفخر والخيلاء في أهل الإبل والخيلاء والغنم في أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم والإيمان يمان والحكمة يمانية» . وفسر القداد بالحقا والصوت والكلام ، وأنشد قول أبي الرديني العكلى :

* حاتم سليم ولها فديد *
وقال ثعلب : القدادون : أصحاب الوبر لعلظ أصواتهم وجفائهم (يعني أصحاب الوبر أهل البادية) . وقال الأصمعي في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : "الجفاء والنسوة في القدادين" هم الذين تملو أصواتهم في حروثهم وأمواهم ومواشيهم وما يعالجون منها . وقال أبو العباس المبرد في تفسيره له : «هم الجاهلون والرعيان والبقارون والحمارون» . والقدادون أيضا : أصحاب الإبل الكثيرة الذين يملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف ، وهم جفأة أهل خيلاء ، كان أحدهم إذا بلغ ذلك قيل له : قَدَاد . وهو في معنى النسب كسراج وعقاج لبائعي السروج والعاج .

(٤) الزيادة عن القسطلاني (ج ٤ ص ١٥٢) .

(٥) كذا في ألفية العراقي والمواهب اللدنية وعيون الأثر . وفي الأصلين : «غوث» ولم يذكر ابن الأثير

هذا الاسم فيما ذكره من منائح صلى الله عليه وسلم (في ج ٢ ص ٢٣٩ طبع أوروبا) .

تسمى "الْيَمَنَ". وذ ك ربض المتأخرين من أهل الحديث أنَّ مكحولاً سُئل عن جلد الميتة، فقال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة تسمى "فَقْرٌ"؛ فققدھا فقال : "ما فعلتُ فَمَرْ؟" فقالوا : ماتت يا رسول الله ؛ قال : "ما فعلتم بإھا بها؟" قالوا : ميتة ؛ قال : "دباغها طهورها".

قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدميّاطى رحمه الله تعالى
 في كتاب [فضل] الخليل : وكانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعاً : "بَجْرَةٌ" و "زَرْزَمٌ" و "سُقْيَا" و "بَرْكَةٌ" و "وَرَشَةٌ" و "أَطْلَالٌ" و "أَطْرَافٌ". وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبعٌ أعزّ منائحَ ترعاهنَّ أمّ أيمن . قال : والمنيحةُ : الناقةُ والشاةُ تُعطيان غيرك فيحلبها ثم يردها عليك . قال أبو عبيد : للعرب أربعة أسماء تُضَعُّها مواضع العارية، وهي : المنيحةُ، والعريّةُ، والإفقارُ، والإخبالُ^(١).

ذ ك ترتيب سنّ الغنم

ولدت الشاة حين تَضَعُه ذكراً كان أو أنثى "سَنَخْلَةً" و "بَهْمَةً". فإذا فُصل عن أمه فهو "حَمَلٌ" و "نَحْرُوفٌ". فإذا أكل وأجتر فهو "بَذَجٌ" و "نُفْرُوفٌ". فإذا

- ١٥ (١) كذا في الطبري وابن الأثير . وفي أ : « رمزه » . وفي ف : « زنه » وكلاهما تحريف .
 (٢) كذا في الطبري وابن الأثير والمواهب اللدنية . وفي الأصلين : « أطواف » بالواو، وهو تحريف .
 (٣) يقال : أقصر الرجل بعيره إذا أعاره غيره للحمل أو للركوب حتى إذا ما انتهى منه رده . مأخوذ من ركوب فقار الظهر . (٤) كذا في لسان العرب (مادة منح) . والإخبال : أن تعطي الرجل البعير أو الناقة ليركبا ويحجرا ويرها ثم يردها . وفي الأصلين : « الإخبال » بالخاء المهيّلة ، وهو تصحيف .
 (٥) كذا في المختص (ح ٧ ص ١٨٩) واللسان (مادة بذج) . وفي أ : « بذح » بالخاء المهيّلة .
 وفي ف : « بذح » بالذال والخاء المهيّلتين ، وكلاهما تصحيف .

بلغ التزوُّهُوَ "عُمُرُوس" . وكلُّ أولاد الضَّان والمعز في السنة الثانية "جَدْع"؛
وفي الثالثة "نَتِي"؛ وفي الرابعة "رَبَّاع"؛ وفي الخامسة "سَدَيْس"؛ وفي السادسة
"سَالِغ" ^(١) . وليس له بعد هذا اسم . ويقال لولد المعز : "جَفَر" ثم "عَرِيض" .
و"عَتُود" و"عَنَاق" . والغنم، الضَّان والمعز، تضع حملها في خمسة أشهر . وتلد
النعجة رأساً إلى ثلاثة، والعز من الرأس إلى أربعة . ويتزو الذَّكَرُ بعد مضي ستة
شهور من ميلاده . وتحمل الأنثى بعد مضي خمسة أشهر من يوم ولدت . ويُحَرِّصُ صوف
الضَّان عنها في كل سنة . ولحوم الضَّان من أطيب اللحام؛ وكذلك ألبانها .
وقد أطنب الجاحظ في المفارقة بين الضَّان والمعز وأطال وأنى بالغت والسَّمين .

٨٥

وكتب أبو الخطَّاب الصَّابِي إلى الحسين بن صَبْرَةَ جواباً عن رقعة أرسلها إليه

في وصف حملٍ أهداه إليه، جاء منها :

«وصلت رقتك؛ ففضضتها عن خَطِّ مشرق، ولفظ مؤنق؛ وعبارة مُصَيِّبة،
ومعانٍ غريبة؛ وأنَّساع في البلاغة يَعِجُزُ عنه عبد الحميد في كتابته، وسجَّانُ
في خطَّابته . وذكرت فيها حملاً، جعلته بصفتك جملاً؛ وكان كالمُعَيَّدِي أسمع به
ولا أراه . وحضر، فرأيتُ كبشاً مُتَقَادِمَ المِيلَادِ، من نِتاج قوم عاد؛ قد أفتته ^(٢)
الدهور، وتعاقبت عليه العصور؛ فظننتُه أحدَ الزوجين اللذين حملهما نوح في سفينته، ^(٣)
وحفظ بهما جنس الغنم لذريته . صغر عن الكبر، ولطف في القدر؛ فبانت دماؤه،

(١) كذا في اللسان والمختص . وفي أ : «صالح» بالصاد والعين المهملتين . وفي ب : «صالح»

بالصاد المعجمة والعين المهملة، وكلاهما تحريف .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «اسمع به لا أن تراه» .

(٣) يشير بذلك إلى قوله تعالى : (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين

وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) .

وتقاصرت قائمته ؛ وعاد نحيفاً ضئيلاً ، بالياً هزيباً ، بادى السقام ، عارى العظام ؛
 جامعاً للعائب ، مُشتملاً على المثالب ؛ يعجبُ العاقلُ من حلول الروح فيه ؛ لأنه
 عظمُ مجلد ، وصوفٌ مُلبّد ؛ لا تجدُ فوق عظامه سلباً ^(١) ، ولا تلقى اليَدُ منه إلا خشباً ؛
 لو أُلقيَ السُّبعُ لأباه ، أو طُرِحَ للذئب لعافه وقلاه ؛ وقد طال للكلأ فقده ، وبعد
 بالمرعى عهدُهُ ؛ لم يرَ القَتَ إلا نائماً ، ولا الشعيرَ إلا حالم . وقد خيرتني بين أن
 أَقْنِيَه فيكون فيه غنى الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه خصبُ الشهر ؛ فلتُ إلى أسبقائه ؛
 لما تعلمه من محبتي في التوفير ، ورغبتى في التثمير ؛ وجمعى للولد ، وأدخارى لعدو ؛
 فلم أجد فيه مُستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً للفناء ؛ لأنه ليس بأثنى فيحبل ، ولا يقيتُ
 فينسل ، ولا بصحيح فيرى ^(٢) ، ولا بسليم فيبقى ؛ فلتُ إلى الثانى من رأيك ،
 وعملت بالآخر من قوليك ؛ وقلتُ : أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمهُ رطباً مقام
 قديد الغزال ؛ فأنشدنى وقد أضمرت النار ، وحددت الشفار ، وثمرت الحزار :
 أعيدُها نظراتٍ منك صادقة * أن تحسب الشحمَ فيمن شحمه ورم

وما الفائدة لك فى ذبحى ! وإنما أنا كما قيل :

لم يبقَ إلا نفسٌ خافت * ومقلّةٌ إنسانها باهتُ

ليس لى لحم يصلح للأكل ^(٤) ، فإن الدهرَ أكلَ لحمى ؛ ولا جلدٌ يصلح للدِّغ ، فإن
 الأيامَ مزقت أديمى ؛ ولا صوفٌ يصلح للغزل ، فإن الحوادثَ حصّت وبرى .

(١) كذا فى مباحج الفكر . وفى أ : « لا يوجد فيها فوق عظامه سلباً » . وفى ب : « لا يوجد فوق
 عظامه سلباً » ، وكلاهما تحريف . والسلب : ما على الرجل من اللباس . يريد به هنا اللحم لأنه يكسو العظم
 ويستره كما يستر اللباس الرجل . (٢) القَت : نبات رطب تعلقه الدواب .

(٣) فى الأصلين : « يرى ... يبق » . من غير فاء . (٤) فى الأصلين : « فيصلح » بالفاء .
 (٥) حصت وبرى : حلقته وأذبحته .

وإن أردتني للوقود فكف بعر أدقاً من ناري، ولم تَفِ حرارةُ بحرى برائحة قناري^(١).
 ولم يبقَ إلّا أن تطالبني بذلّ أو بيني وبينك دم . فوجدته صادقاً في مقاتله، ناصحاً
 في مشورته . ولم أعلم من أىّ أموره أعجب : أمِن مُماطَلته الدهرَ على البقاء، أم من
 صبره على الضر والبلاء، أم مِن قُدْرَتِكَ عليه مع عَوَزِ مثله ، أم من إتحافك الصديق به
 على خَسَاسة قدره . وياليت شعري إذا كنت^(٢) والى سوق الأغنام ، وأمرُك ينفذُ
 في المعز والضأن ؛ وكلُّ حَمَلٍ سمين ، وكَبْشٍ بطين ؛ محلوبٌ إليك ، وموقوفٌ عليك ،
 تقول فيه فلا تَرَدَّ ، وتُريد فلا تُصَدِّ ؛ وكانت هديتك هذا الذى [كأنه] أنثر من
 القبور، أو أقيم عند التّفخ في الصّور؛ فإكنت مُهْدياً لو أنك رجل من عُرُض
 الكُتّاب، كَأبى على- وأبى الخطّاب ! ما تُهدى إلّا كلبا أجرب، أو قرداً أحْدَب .

١٠ وقال شاعرٌ في هذا المعنى :

ليت شعري عن الحروفِ الهزِيلِ * أَلَكِ الذُّبُّ فيه أم للوَيْلِ
 لم أجد فيه غيرَ جِلْدٍ وعَظِيمٍ * وذُنَيْبٍ له دَقِيقٍ طَوِيلِ
 ما أَرَانِي أَرَاهُ يَصْلُحُ إِذْ أَصَدَّ * بَحَّ رَمَماً على رسومِ الطُّلُولِ
 لا لَيْشِي ولا لَطْنِيخٍ ولا يَبِ * مع ولا يَرُ صاحبِ وخَلِيلِ
 أعجفُ لو مُطَفَّلٌ نال منه * لغدا تائباً عن التَّطْفِيلِ^(٣)

(١) القنار (بالضم) : الدخان من المطبوخ . (٢) الذحل : الثأر . (٣) فى الأصلين :

«إد» . (٤) كذا فى مباحٍ الفكر . وفى أ هكذا : «بحلوت» . وفى ب : «محبوب» بالحاء

المهمله . وكلاهما تصحيف . (٥) التكلة عن مباحٍ الفكر .

(٦) الأعجف : المهرول . والمطفل : الطفيل . يقال : طفل الرجل أى صار طفلياً . وقد ورد هذا

البيت فى الأصلين هكذا :

٢٠ أعجف أو مطفل قال منه * لغدا تائباً عن التطفيل

وفيه تحريف .

وقال شرف الدين بن عَيْن وقد أهدى له بعض أصدقائه خروفا بعد ما مَّطَّله به :

٨٦

أتاني خروفاً ما تشككت أنه * حليف جوى قد شفه الهجر والمطل
إذا قام في شمس الظهيرة خلته * خيالاً سرى في ظلمة ما له ظل
فناشدته : ما تشتهى ؟ قال : قته * وقاسمته : ما شفه ؟ قال لي : الأكل^(١)
فاحضرتها خضراء مجاجة الثرى * منعمة ما خص أطرافها قتل
وظل يُراعيها بعين ضعيفة * ويُنشدها والدمع في الخلد مُنهل
« أتت وحياض الموت بيني وبينها * وجادت بوصيل حين لا ينفع الوصل »

وقال الحمدوني في المعزى :

أبا سعيد لانا في شاتيك العبر * جاءت وما إن بها بول ولا بعبر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعماها الأبيضان : الشمس والقمر
لو أنها أبصرت في نومها علقاً * غنت له ودموع العين تتحدر :
« يا ماني لذة الدنيا بما رُحبت * إني ليقنني من وجهك النظر »

وقال أيضا :

ما أرى إن ذبحت شاة سعيد * حاصلاً في يدي غير الإهاب
ليس إلا عظامها ، لو تراها * قلت هذي أرازن^(٢) في حراب

(١) قاسمه : أحلفه .

(٢) الأرن : شجر ملب تخذه منه عصي صلبة .

وقال فيها :

لِسَعِيدٍ شُوَيْهَةٌ * سَلَهَا الضُّرُّ وَالْمَجَنَفُ
 قَدْ تَفَنَّتْ وَأَبْصُرَتْ ■ رَجُلًا حَامِلًا عَلَفَ :
 أَبِي مَنْ بَكَفَهُ * بُرُّ دَائِي مِنَ الدَّنَفِ
 فَأَتَاهَا مُطَمَّعًا * فَأَتَتْهُ لَتَعْتَلِفُ
 فَتَوَلَّى وَأَقْبَلَتْ ■ تَتَغَيَّرُ مِنَ الْأَسَفِ :
 لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفَ ■ عَدَبَ الْقَلْبَ وَأَنْصَرَفَ

القسم الرابع من الفن الثالث

في ذوات السموم، وفيه بابان

الباب الأول

من هذا القسم في ذوات السموم القَوَاتِل . ويشتمل هذا الباب على ما قيل
في الحيات والعقارب .

ذكر ما قيل في الحيات

الحيات مختلفات الجهات جدًا . وهي من الأُم التي يكثر اختلاف أجناسها
في الصُّور والشَّيم ، والصَّغَرِ والعَظَم ، وفي التعرُّض للناس وفي الحرب منهم . فمنها ^(١)
ما لا يؤذى إلا أن تَطَّأَهَا . ومنها ما يؤذى إذا وُطِئَتْ في جِهاها . ومنها ما لا يؤذى
في تلك الحال إلا أن تكون على بَيْضِها أو فراخها . ومنها ما لا يؤذى إلا أن يكون
النَّاس قد آذَوْها مرَّة . فاما ”الأسودُ“ فإنه يَحْقِدُ وَيُطَالِبُ وَيَكُنْ في المتاع
حتى يَدْرِكَ ؛ وله زمانٌ يَقْتُلُ فيه كُلَّ شَيْءٍ نَهَشَهُ . وأما ”الأنبي“ فليس ذلك عندها ،
ولكنها تظهر في الصيف مع أوائل الليل إذا سكنَ وَهَجُ الرَّمْلِ أو ظاهرُ الأرض ،
فتأق قارعة الطريق حتى تَسْتَدِيرَ كالرَّحَى وتُسَخِّصَ رأسها ؛ فَنَ وَطِئَ عليها أو مَسَّها
نَهَشَتْهُ . وهي من الحيات التي تَرُصِدُ ؛ وهي تَقْتُلُ في كل زمانٍ وعلى كل حال .
و”الشُّجاع“ يُوَاتِبُ ويقوم على ذَنَبِهِ . والحياتُ أصنافٌ كثيرةٌ سنذكر ما أمكن
ذكره منها إن شاء الله .

والعرب تضرب المثل في الظلم بالحياة فيقولون : " أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ " ، لأنها لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وكل بيت قصدت نحوه هرب أهله منه وأخلوه لها .

والحياة مشقوقة اللسان ، ولسانها أسود . وزعم بعض المفسرين لكتاب الله عز وجل أن الله تعالى عاقب الحياة ، حين أدخلت إبليس في فيها حتى خاطب آدم وحواء وخدعهما ، بعشرة أشياء : منها شق لسانها ؛ فلذلك ترى الحياة إذا ضربت تَقْتَل ٥ كيف تُخرج لسانها لَتَرَى الضارب لها عقوبة الله تعالى ، كأنها تَسْرِيحُ . ويقال : إن من خصائص الحياة أن عيناها إذا قُلِعَتْ عادت ، وكذلك نابها إذا قُلِعَ أو قُطِع بالكاز (١) ماد بعد ثلاث ليالٍ ؛ وكذلك ذنبها إذا قُطِع عاد . وفي طباعها أنها تهرب من الرجل العربي ، وتَفْرَح بال نار وتطلبها وتُعْجَب بها ، وباللبن والبطيخ واللُّفَّاح (٢) والخرذل .

وهي لا تَضْبِط نفسها عن الشراب إذا شتمته ؛ وإذا وجدته شربت منه حتى تسكر ؛ فربما كان السكر سبب حنقها ؛ لأنها إذا سكرت خدرت . وتكره الحياة ريح السذاب (٣) ولا تملك نفسها [معه] (٤) ، وربما أصطيدت به ؛ وتكره ريح الشَّيْح . والحياة تُدَبِّح حتى تُفَرِّى أوداجها فتبقى أياماً لا تموت . ومتى ضربت بالقَصَب الفارسي ماتت ، وإن ضربت بسوط قد مسه عرق الخليل ماتت . ويقال : إنها لا تموت حتف أنفها إلا أن تقتل .

١٥

(١) الكاز : المقص بالفارسية .

(٢) اللفاح : هو المعروف في مصر بالشام .

(٣) السذاب : نوعان : برى وبستاني ، فالبستاني يَفْرَع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تنشعب عليه شعب مثل الأغصان ويحمل في أطراف أغصانه رهوسا تمتنع عن ورد صفار الورق أصعرا وإذا انتشر سقط

منه الحب . وأما البرى فهو أصغر ورقا من البستاني وزهره مثل زهر البستاني .

(٤) زيادة يقتضيا السياق .

٢٠

ومن أعجب ما شاهدته أنا من الأفاعى أنها قُطعت بحضورى بالبيارستان^(١)
 المنصورى بالقاهرة المعزية في شهر سنة ست وسبعماية بسبب عمل الدرياق الفاروق^(٢)؛
 وقُطع من رأسها وذنبها ما جرت العادة بقطعه، وسليخت وشق بطنها ونُظفت وهى
 تختلج، ثم سُلقت وجرّد لحمها عن العظم، فنظرت إليه فإذا هو يخلج؛ فعجبت
 لذلك؛ وذكرته لرئيس الأطباء علم الدين المعروف بابن أبى حليقة وهو حاضر
 في المجلس، فقال: ليس هذا بأعجب مما تراه الآن، وقال لى: استدع أقراص
 الأفاعى التى عُلمت من أكثر من سنة؛ فاستدعيها، فاحضرها الخازن وهى
 في العسل وقد دُق لحم الأفاعى بعد سلقه ونُجِن بالسّميد وجعل أقراصاً ووضع
 في العسل من أكثر من سنة؛ فقال لى: تأمل الأقراص؛ فتأملتها فإذا هى تضطرب
 اضطراباً خفيفاً^(٤).

وقال الجاحظ: وزعم صاحب المنطق أن الحيات تَسْلَخ عن جلودها في كل
 عام في أول فصل الربيع أو الخريف؛ وتبدئ بالسّلخ من عيونها ويتم سَلْخُها
 في يوم وليلة، ويصير داخل الجلد هو الخارج. وإذا هيرمت ونجّزت عن السّلخ

- (١) هو بيارستان الملك المنصورة لادون الألفى الصالحى، وعصه باق الى الآن ويعرف بمستشفى
 فلادون، وهو تابع لوزارة الأوقاف المصرية. (راجع ما كتبه عنه المقرئى بتفصيل واف في خطه ج ٢
 ص ٤٠٦ وعلى باشا مبارك في خطه ج ٥ ص ٩٩ - ١٠١).
- (٢) الدرياق الفاروق أحد الدرايق وأجل المركبات، لأنه يفرق بين المرض والصحة.
- (٣) هو علم الدين ابراهيم بن الرشيد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة رئيس الأطباء بالديار
 المصرية والبلاد الشامية، كان بارعا في الطب محظوظا عند الملوك والأمراء، وناث السعادة من ذلك حتى إنه
 لما مات خلف ثلثة ألف دينار غير الفاش والأثاث. وهو أول حكيم ركب بدمشق شراب الورد الطرى
 ولم يكن يعرف بدمشق قبل ذلك. رحمه الله. توفى بمصر سنة ٥٧٠٨ هـ. (راجع عيون التواريخ لابن شاكر
 والسلوك للقرئى وعقد الجمان للبنى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى فيمن توفى سنة ٧٠٨ هـ).
- (٤) كذا في ب. وفي أ: «خفيا».

وَأَرْتَنِي جِسْمَهَا أَدْخَلَتْ جِسْمَهَا بَيْنَ عَوْدَيْنِ أَوْ فِي صَدْعٍ ضَيْقٍ حَتَّى تَنْسَلِخَ ، ثُمَّ تَأْتِي إِلَى عَيْنِ مَاءٍ فَتَنْغَمِسُ فِيهَا فَيَشْتَدُّ لَحْمُهَا وَيَعُودُ إِلَى قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ .

قال الجاحظ : وليس في الأرض مثل جسم الحية إلا والحية أقوى بدناً منه أضعافاً . ومن قوتها أنها إذا أَدْخَلَتْ صَدْرَهَا فِي بُحْرٍ أَوْ صَدْعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ وَقَدْ قَبِضَ عَلَى ذَنْبِهَا بِكَتِفَيْ يَدَيْهِ أَنْ يُخْرِجَهَا ، لَشِدَّةِ اعْتِمَادِهَا وَتَعَاوُنِ أَجْزَائِهَا ؛ وَرَبَّمَا أَتَقَطَعَتْ فِي يَدِ الْجَاذِبِ لَهَا . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهَا أَرْسَلَهَا بَعْضُ إِرْسَالٍ ثُمَّ يَجْذِبُهَا كَالْمُخْتِطِفِ لَهَا . قَالَ : وَمِنْ أَصْنَافِ الْحَيَّاتِ مَا هُوَ أَرْعَرٌ ، وَمَا هُوَ أَرْبٌ (ذو شعر) ، وَمِنْهَا ذَوَاتُ قُرُونٍ . وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى الْأَسْوَدَ وَهُوَ مَا إِذَا كَانَ مَعَ الْأَفَاعِي فِي جُودَةٍ وَجَاعَ ابْتِلَاعُهَا مِنْ قَبْلِ رِءُوسِهَا ، وَمَتَى رَامَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ جِهَةِ الرَّأْسِ عَضَّتْهُ فَقَتَلَتْهُ . وَمِنْ أَصْنَافِهَا مَا يُسَمَّى "الْأَصْلَةَ" ، وَهُوَ ثَعْبَانٌ عَظِيمٌ جَدًّا ، وَلَهُ وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّهُ بَصِيرٌ كَذَلِكَ إِذَا حَرَّتْ عَلَيْهِ أَلُوفُ مِنَ السَّنِينِ . وَهُوَ يَقْتُلُ بِالنَّظَرِ وَبِالنَّفْخِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّى هَذَا النَّوْعَ الصَّلَّ ، وَيَقُولُ : إِنَّ أَصْلَ خَلْقَتِهِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ . قَالَ : وَفِي الْبَادِيَةِ حَيَّةٌ يُقَالُ لَهَا "الْحَفْمَاتُ" تَأْكُلُ الْفَأَرَ وَأَشْبَاهَهُ . وَهِيَ عَظِيمَةٌ ، وَلَهَا وَعِيدٌ مُنْكَرٌ وَنَفْخٌ وَإِظْهَارٌ لِلصَّوْلَةِ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ ؛ وَالْجَاهِلُ رُبَّمَا مَاتَ مِنَ الْفَرْعِ مِنْهَا .

١٥

قَالُوا : ^(٢) وَالْثَعْبَانُ وَالْأَفْعَى فَإِنَّهُ يَقْتُلُ بِمَا يُحْدِثُهُ مِنَ الْفَرْعِ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا فَرِعَ تَفْتَحَتْ مَسَامُهُ وَمَنَافِسُهُ ، فَيَتَوَغَّلُ السَّمُّ فِي مَوْضِعِ الصَّمِيمِ ^(٣) وَأَعْمَاقِ الْبَدَنِ . فَإِنْ

(١) الجودنة : سليلة مستديرة مغطاة أدماء (الجراب) .

(٢) كذا في الأصلين . والسياق يقتضي أن يكون : « قَالُوا : وَالْثَعْبَانُ وَالْأَفْعَى يَقْتُلَانِ بِمَا يُحْدِثَانِ

مِنَ الْفَرْعِ ... الخ » .

٢٠

(٣) الصميم : العظم الذي به قوام العضو . وفي الأصلين : « الصم » ، وهو تحريف .

(١) نَهَشَت النَّائِمَ وَالْمُعْمَى عَلَيْهِ وَالْمَجْنُونِ وَالطِّفْلَ الصَّغِيرَ لَمْ تَقْتُلْهُ الْبَتَّةَ . وَزَعَمَ صَاحِبُ
الْمَنْطِقِ أَنَّ بِالْحَبَشَةِ حَيَاتٍ لَهَا أَجْنَحَةٌ . وَأَخْبَرَنِي الْمَوْلَى شَرْفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ
الْيَزْدِيِّ قَالَ : كُنْتُ بِمَدِينَةِ الرَّمْلَةِ^(٢) فِي شَهْرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعَانَةِ صَحْبَةَ الصَّاحِبِ
شَرْفِ الدِّينِ بْنِ الْخَلِيلِ وَمَعَهُ الْقَاضِي الْحَاكِمُ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّاسِ وَفِيهِمْ عَدُوِّي^(٣)
وغيرهم ؛ فَظَنَرْنَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَإِذَا نَحْنُ بِحَيَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ طَائِرَتَيْنِ فِي الْمَسْوَءِ قَاصِدَتَيْنِ
صَوَّبَ الْبَحْرَ ، كُلُّهُمَا فِي غِلَظِ الثَّنْيَانَةِ^(٤) ، وَإِنْ إِحْدَاهُمَا مُسْتَقِيمَةٌ فِي طَيْرَانِهَا وَالْأُخْرَى
تَتَعَوَّجُ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهَا وَوَسَطِهَا وَذَنَبِهَا ، وَكَانَتَا مِنَ الْأَرْضِ بِحَيْثُ لَا يَلِيقُهُمَا السَّمُّ ،
قَالَ : فَسَطَرْنَا بِذَلِكَ مُحْضَرًّا عَلَى عِدَّةٍ نَسَخَ .

وَحَكَى بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : أَنَّهُ وَجِدَ فِي خَزَائِنِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعُبَيْدِيِّ أَحَدَ خُلَفَاءِ
مَصْرَ بَيْضَةً مَحْلَاةً بِالذَّهَبِ ظَنُّوا أَنَّهَا بَيْضَةٌ نَعَامَةٌ ؛ بِفَعْلٍ النَّاسِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ تَحْلِيلِهَا ١٠

(١) كذا في الأصلين . وعلى ما استدركاه في حاشية رقم ٢ ص ١٣٦ يقتضى أن يكون السياق : « ما ن
نهشا ... لم يقتلاد البتة » .

(٢) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، سب إليها قوم من أهل العلم .

(٣) العدوئى : الملاحون ، مفردة عدوئى .

(٤) كذا في الأصلين . والى السياق يدل على أنه يريد أن يشبه هاتين الحيتين بشئ عظيم . ويحتمل أن
تكون هذه الكلمة محرفة عن الناء . (بالكسر) وهو عقال البعير ونحوه من كل حيوان مثلى . ١٥

(٥) هو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله . ولد سنة ٤٢٠ هـ وبيع له بالخلافة سنة ٤٢٧ هـ
وعمره يومئذ سبع سنين وأقام في الخلافة ستين سنة وأشهرًا وجرى في أيامه ما لم يجر في أيام أحد من أهل
بيته من تقدمه ولا من تأخره . وتوفي سنة ٤٨٧ هـ . (راجع ترجمته بتفصيل واف في تاريخ ابن خلكان

٢٠ ج ٢ ص ١٥١ طبع بولاق والمقرئى ج ١ ص ٣٥٥) .

بالذهب؛ فذكروا ذلك لأستكنفى، فقال : إنها بيضة حية كان بعض الملوك أهداها
لجدي القائم بأمر الله .^(١)

ومن كتاب نُسوار المحاضرة قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الوراق قال

حدثني عمي أبو الحسين : أن الحَصْبِيَّ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْفُصَّاتِ قَالَ

حدثني أبي قال : قال لي جعفر الخياط : أمرني المأمون ونحن بالروم أن أقتص^(٢)

الطريق لثلاث يكون به جواسيس للعدو؛ فأخذت معي جماعة من أصحابي فرساناً ورجالةً

وسلكتُ الطريق، فعن لي شعب فقصدته لثلاث يكون فيه كمينٌ من الجواسيس،

وتقدمني الرجالة فرأيتهم قد وقفوا؛ فأسرعت إليهم وسألتهم عن خبرهم، فقالوا :

انظروا فنظرتُ فإذا رجلٌ من الرجالة قد قعد لقضاء حاجته، ومشى أصحابه، فقصدته

حيةً من وراء ظهره فأبْلَعَتْهُ مِنْ رَحْلِيهِ إِلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَسْتَغِيثُ وَيَصِيحُ؛ فَلَمْ يَكُنْ

لنا فيه حيلةٌ وخِفْتُ أَنْ أَمَرَ الرَّجَالَةَ بِرِي الْحَيَّةِ بِالنَّشَابِ فَيَصِيبَ الرَّجُلَ فَأَكُونَ أَنَا

قَتَلْتُهُ . فَبَسَطَ الرَّجُلُ يَدَيْهِ وَأَتَمَّى بَلْعُ الْحَيَّةِ إِلَى إِطْيَافِهَا، فَارِئَتْهَا وَقَدْ آنَضَمَتْ عَلَى

(١) هو القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، ولى الأمر بعد موت أبيه المهدي عبيد الله بعهد ماله إليه .

سار إلى مصر مرتين ووقع له مع أصحاب مصر حروب وخطوب . وكانت وفاته بالمهدية من بلاد المغرب

في شوال سنة ٣٣٤ هـ . (راجع ترجمته في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية

والقريزي ج ١ ص ٣٥١) .

(٢) كذا في أ . وفي ب : « عمر أبو الحسين » . وقد بحثنا عن هذا الاسم في الجزء الأول

المطبوع من كتاب نُسوار المحاضرة (طبع مطبعة أمين هدية بمصر) ، فلم نثر عليه . فقلل هذه الحكاية التي

ورد فيها هذا الاسم جاءت في الأجزاء التالية التي لم تطبع بعد .

(٣) هو جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط ، كان من كبار القواد في عصر المأمون وابنه المعتمد .

وجهه المأمون على رأس جيش في سنة ٢١٥ هـ إلى صاحب حصن سنان فأخضعه ؛ وكان مع الأفشين

في حرب بابل الخزي وأبلى معه بلاد حسنا .

(٤) الاقتصاد : تتبع الأثر .

ما أبتلغته منه ضمة سمعنا تكسير عظامه في جوفها ، فأت وسقطت يده فأبتلغته حينئذ بأسيره . فقلت : الآن أقصدوها بالشباب ، فرشقناها جميعا فأثبتناها في موضعها حتى قتلناها ؛ فأمرت بشق بطنها لأعائن جسم الرجل ، فلم نجد في بطنها من جلد ولا عظم ولا غيرهما إلا شيئاً كالخيط الأسود ، فإذا هي قد أحرقت في لحظة واحدة .

ويقال : إن بجزائر الصين حيات تبلع الإبل والبقر وشبهها .

قال الجاحظ : حدثني أبو جعفر المكفوف النحوي العنبري وأخوه روح الكاتب ورجل من بني العنبر : أت عندهم في رمال بلعنبر حية تصيد العصافير وصغار الطير بأعجب حيلة ؛ وزعموا أنها إذا أنتصف النهار وأشد الحر في رمال بلعنبر وأمنتع الأرض على الحافي والمنتعيل ، غمست هذه الحية ذنبها في الأرض ثم أنتصبت كأنها عود مركوز أو عود^(١) ، فيجىء الطائر الصغير والجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الزمل لشدة حره وقع على رأس الحية على أنها عود ، فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادة أو جعلاً أو بعض ما لا يُسبعها أبتلغته وبقيت على أنتصائها ؛ وإن كان طائراً يُسبعها أكلته وأنصرفت ؛ وإن ذلك دأبها مامنع الرمل جانبها في الصيف والقيظ .

قال : وزعم لي رجل من الصقالبة خضياناً وخول أن الحية في بلادهم تأتي البقرة المحفلة^(٢) فتخطوي على نخذيها وركبتها إلى عراقيها ثم تسخص صدرها نحو أخلاف ضرعها حتى تلتقم الخلف ، فلا تستطيع البقرة مع قوتها أن تترمرم^(٣) ، فلا تزال الحية

(١) في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٣٨) : « ثابت » بالثاء المتلثة .

(٢) المحفلة : المتلثة الضرع التي تركت أباما من غير حلب ليتجمع لبنها . وفي الحديث "من اشترى

شاة محفلة فلم يرضها ردّها وردّ معها صاعاً من تمر" .

(٣) تترمرم : تتحرك .

تَمَّصَ اللَّبَنَ ، وكلما مَقَصَتْ أَسْتَرَحْتُ ؛ فإذا كَادَتْ تَتَلَفَّ أَرْسَاتِهَا . وزعموا أَنَّ تِلْكَ البَقْرَةَ إما أَنْ تَتَلَفَّ ، وإما أَنْ يُصِيبَهَا دَاءٌ فِي ضَرْعِهَا فُوسَادٌ شَدِيدٌ يَعْسُرُ دَوَائِهُ . وهذا الباب طويل ؛ وقد أوردنا منه ما فيه غِنًى . فلنذكر ما قيل في أصناف الحَيَّاتِ وأوصافها .

- ذِكْرُ أَسْمَاءِ الحَيَّاتِ وَأَوْصَافِهَا — يُقَالُ : «الْحَاقُ»^(١) و«الشَّيْطَانُ» هِيَ الْحَيَّةُ الْخَيْثَنَةُ . و«الْحَنْشُ» : مَا يَصَادُ مِنَ الحَيَّاتِ . و«الْحَيَّوتُ» : الذِّكْرُ مِنْهَا . و«الْحَقَّاتُ» و«الْحَضْبُ»^(٢) : الضَّخْمُ مِنْهَا . و«الْأَسُودُ» : الْعَظِيمُ فِيهِ سَوَادٌ ؛ وَيُقَالُ : الْأَسُودُ هُوَ الدَّاهِيَةُ ؛ وَلَهُ خُصَّيْتَانِ تُخَصِّبُ الْجَدْيَ ، وَشَعْرُ أَسُودٍ ، وَعُرْفٌ طَوِيلٌ ، وَصَنَانٌ كَصَنَانِ النَّيْسِ . و«الشُّجَاعُ» : أَسُودٌ أَمْلَسُ يُضْرِبُ إِلَى الْبَيَاضِ ، خَبِيثٌ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّهُ دَقِيقٌ لَطِيفٌ . و«الْأَعْرَجُ» : حَيَّةٌ صَمَاءٌ لَا تَقْبَلُ الرُّقَى وَتَطْفِرُ كَمَا تَطْفِرُ الْأَفْعَى . وَيُقَالُ : الْأَعْرَجُ : حَيَّةٌ أَرَقِطُ نَحْوُ مِنْ ذِرَاعٍ ، وَهُوَ أَحَبُّ مِنَ الْأَسُودِ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْأَعْرَجُ أَحَبُّ الحَيَّاتِ ، يَقْفِزُ عَلَى الْفَارَسِ حَتَّى يَصِيرَ مَعَهُ فِي سَرْجِهِ . وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ الْخَلِيلِ : الْأَفْعَى الَّتِي لَا تَنْفَعُ مَعَهَا رُقِيَّةٌ وَلَا دِرْيَاقٌ ، وَهِيَ دَقِيقَةُ الْعَنْقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ الَّتِي إِذَا مَشَتْ مُنْتَنِيَةً جَرَشَتْ بَعْضَ أَسْنَانِهَا بِبَعْضٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ الَّتِي لَهَا رَأْسٌ عَرِيضٌ وَلَهَا قَرْنَانِ . وَالْأَفْعَوَانُ : الذِّكْرُ مِنَ الْأَفْعَى . و«الْعَرِيدُ» و«الْعِسُودُ» : حَيَّةٌ تَمُخُّ وَلَا تُؤْذِي . و«الْأَرَقَمُ» : الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ ، و«الْأَرَقَشُ» نَحْوُهُ . و«ذَوِ الطُّفَيْتَيْنِ» : الَّذِي لَهُ خَطَّانُ أَسُودَانِ . و«الْأَبْتَرُ» : الْقَصِيرُ الذَّنْبِ . و«الْحَشْحَاشُ» : الْحَيَّةُ الْخَفِيفَةُ . و«الْتَعْبَانُ» : الْعَظِيمُ مِنْهَا ، وَكَذَلِكَ «الْأَيْمُ»

و"الآين"، و"آبن قرة": حية شبيهة بالقضيب من الفضة في قدر الشبر والفتر، وهي أخبث الحيات، فإذا قرب من الانسان تراءى في الهواء فوقع عليه من أعلاه. و"آبن طبق": حية صفراء، ومن طبعها أن تنام ستة أيام ثم تنبه في اليوم السابع. ولا تتفخ شيئاً إلا أهلكته قبل أن يتحرك. وربما مر بها الرجل وهي نائمة فيأخذها كأنها سوار من ذهب، فإن استيقظت وهي في كفّه حرّمتاً. ومن أمثال العرب "أصابته إحدى بنات طبق"، قال الليث: "السف": الحية التي تطير في الهواء. وأنشد:

وحتى لو أنّ السفّ ذا الريش عَضْنِي * لما ضُرْنِي من فيه نابٌ ولا تُعْرُ

و"النضاض": الذي لا يسكن في مكان.

ومن أسمائها "القرة" و"الهلال" و"الرعاة" (١٠).

ذكر ما في لحوم الحيات من المنافع والأدوية

قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: والحية يُستعمل مطبوخها بالماء والملح والشبث، وقد يزداد عليها الزيت. قال: وأجود لحمه لحم الأثني؛ وأجود سلخه سلخ (٦)

(١) كذا في اللسان والمخصص. وفي الأصلين في الموضعين: «السف» برأدة الباء، وهو تحريف.

(٢) كذا في اللسان مادة (سف)، والثر: السم. وفي الأصلين: «نسر» بالعين المهملة، وهو تصحيف. ١٥

(٣) كذا في اللسان والمخصص. وفي: «الضماض». وفي: «النضاض»، وكلاهما تحريف.

(٤) كذا في اللسان والمخصص. وفي الأصلين: «القرة»، وهو تحريف.

(٥) في الأصلين: «الرعاة» بالميم. ولم نرها في كتب اللغة ولا في المخصص (في الكلام على الحيات)

طلعها محرقة عما أثبتناه. يقال: ارتفعت الحية إذا التوت. ٢٠

(٦) السلخ (بالكسر): الجلد.

- الذَّكْر . وطبع الحية إلى التجفيف في لحمها قوى ؛ وأما التسخين فليس بشديد ؛
وسلخه شديد التجفيف أيضا . وخاصة لحمه أنه يُنْفَذ الفضول إلى الجلد ، سيما
إذا كان الإنسان غير نقي . قال : ولحمه إذا أُسْتَعْمِل أطال العمر ، وقوى القوة ،
وحفظ الحواس والشباب — أما قوله : « أطال العمر » فیرد هذا القول ما ورد
في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” فرغ ربك
من أربع خلقي وخلقي ورزقي وأجل “^(١) . وأما ما عدا ذلك فغير مردود عليه . قال :
وأكله ينفع من الجُدَام نفعًا عظيمًا ؛ وإذا أُسْتَعْمِل على داء الثعلب نفع نفعًا عظيمًا .
ولحمها ومرقها بعد إسقاط طرفها يمنع تزيّد الخنازير ، وكذلك سلخها . ومرقها
إذا تُحْسِنَتْ^(٢) وأُكِل لحمها نفع من أوجاع العصب ، وكذلك سلخها . قال :
وسلخها إذا طُبِخ في شراب وقُطِر منه في الأذن سكّن وجعها ؛ ويَتَضَمَّنُ بَحْلُ
طُبِخ فيه السِّلَخ لوجع السن . قال : وزعم جالينوس أنه إذا أُخِذت خيوط كثيرة ،
وخصوصا المصبوغة بالأرجوان ، وُخِنَقَ بها أفعى وُلِفَ واحد منها على عنق صاحب
أورام اللّهُاء والخلق ظهر نفع عجيب . ومرقته ولحمه يقوِّيان البصر . قال : وآتفقوا
على أن شحم الأفعى يمنع نزول الماء إلى العين ، ولكن الإنسان لا يجسر على ذلك .
وإذا شُقَّت الحية ووضعت على نهش الأفاعى سكّن الوجع .

١٥

(١) يريد أن لحم الحية يحفف البدن ويسخه ، إلا أنه في التجفيف أقوى منه في التسخين .

(٢) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : « الجواهر » ، وهو تحريف .

(٣) الذي ورد في كتاب الجامع الصغير (ج ٢ ص ١٢٠) : ” فرغ إلى ابن آدم من أربع الخلق والخلق والرزق والأجل “ .

(٤) داء الثعلب : علة معروفة يتأثر منها الشعر . وسمى داء الثعلب لأن الثعلب يساقط شعره كل سنة .

(٥) الخنازير : قروح صلبة تحدث في الرقبة وهي علة معروفة .

(٦) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : « إذا تحست » ، وهو تحريف .

٢٠

ذكر شيء مما وُصِفَتْ به الأفاعى

قال بعض الشعراء يصف حية :

لَا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ * وَلَا يُحَاوِرُهَا وَحْشٌ وَلَا تَجْبُرُ
جَرْدَاءُ شَايِكَةُ الْأَنْيَابِ ذَائِلَةٌ ^(١) * يَنْبُو مِنَ الْيُبْسِ عَنْ يَأْفُوخِهَا الْمَجْرُ ^(٢)
لَوْ شَرَّحْتَ بِالْمُدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ * وَلَوْ تَكَشَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا ^(٣)
قَدْ جَاهَدُوهَا فَمَا قَامَ الرِّقَاةُ لَهَا * وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفَرُوا ^(٤)
يَكْبُو لَهَا الْوَرَلُ الْعَادَى إِذَا نَفَخَتْ * جَبْنَا وَيَهْرُبُ مِنْهَا الْحَيَّةُ الذِّكْرُ ^(٥)
وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ : ^(٦)

وَكَاثِمًا لَيْسَتْ بِأَعْلَى جِسْمِهَا * مُرَدًّا مِنَ الْأَثْوَابِ أَنْهَجَهُ الْبِلَى ^(٧)
فِي عَيْنِهَا قَبْلَ وَفِي خَيْشُومِهَا * قُطَسَ وَفِي أَنْيَابِهَا مِثْلُ الْمُدَى ^(٨)

- (١) كذا في مباحج الفكر (القسم الثاني المجلد الثاني ص ١٥٧) والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٠٢).
يقال : أسد شابك أى منتبك الأنياب . وفي الأصلين : «شابكة الأذباب» . على أنه يحتمل أن تكون
«شائكة» . (٢) الياوخ : الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل ، يهز ولا يهز .
(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «تكميها» .
(٤) كذا في مباحج الفكر والحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : «فا قام الرق بها» . والرق : كالرقية .
(٥) كذا في الحيوان . وفي مباحج الفكر : «حابلوها» . وفي الأصلين : «حاولوها» .
(٦) كذا في الحيوان . وفي الأصلين ومباحج الفكر : «آبوا» .
(٧) الورل (بالتحريك) : دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه ، يكون في الرمال والصحارى ،
ياكل العقارب والحيات والحرايب والخنافس .

(٨) في الأصلين ومباحج الفكر : «حيناً» . ورواية البيت في الحيوان :

تقتصر الورل العادى بضربتها نكراً ويهرب منها الحية الذكر

ونكر الحية : طعننا بأنفها ، ونخص بعضهم به الثعان والدساسة . ومنه قيل لضرب من الحيات النكاز ،
لأنه يتكر بأنفه ولا يمض بفيه ، ولا يعرف رأسه من ذنبه لدقة رأسه .

(٩) كذا في مباحج الفكر . وأنهجه : أخلفه وأبلاه . وفي الأصلين : «أبهجه» بالياء الموحدة ،

وهو تصحيف . (١٠) القيل في العين : إقبال السواد على الأنف ، وقيل : هو مثل

الحول ، وقيل : إقبال إحدى الحدتين على الأخرى ، وقيل غير ذلك .

وقال آخر :

أَرْقُمُ كَالْدَرَعِ فِيهِ وَشَمٌ * مُتَمَنِّمُ الظَّهِيرِ وَاللَّبَانِ^(١)
يَزْحَفُ كَالسَّيْلِ مِنْ تِلَاعٍ * كَأَنَّ عَيْنَهُ كَوَكَّانٍ
يَهْشِمُ مَا مَسَّ مِنْ نَبَاتٍ * وَيَجْذِبُ النَّفْسَ بِالْعِنَانِ

وقال ابن المعتز :

أَنْعَتُ رَقَشَاءَ لَا تَحْيَا لَدَيْغَتُهَا * لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَعْلُقْ بِهِ بَلَلٌ
تُلْقِي إِذَا أَسْلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا * كَأَنَّهَا كُفٌّ دِرْعٍ قَدَّهَ بَطْلٌ



وقال الظاهر البصري^(٢) شاعر اليتيمة :

سِرْتُ وَصَحْبِي وَسَطَ قَاعِ صَفْصَفٍ * إِذَا أَشْرَفَتْ مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ مُشْرِفٍ^(٣)
رَقَشَاءُ تَرْنُو مِنْ قَلْبٍ أَجْوَفٍ * تَوَمَّى بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ الْمَجْرَفِ^(٤)
وَذَابٍ مُنْدِمِجٍ مُعَقِّفٍ * حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتُهَا لَا تَسْكِنِي^(٥)
عَلُوْتُهَا بِحَذِّ سَيْفٍ مُرْهَفٍ * [فَطَلَّ يَجْرَى دَمُهَا كَالْقَرْقِفِ]^(٦)
* أَتَلَفْتُهَا لَمَّا أَرَادَتْ تَلْفِي *^(٧)

(١) اللان : الصدر . (٢) كذا في كتاب اليتيمة (ح ٢ ص ١٣٥ طبع الشام)

في ذكر شعراء البصرة . وكنيته « أبو الحسين » . وفي أ : « الظاهر المصري » بالميم . وفي ب :
١٥ « الظاهر المصري » بالطاء المهملة والميم . وكناهما محريف .

(٣) في الأصلين : « ... من كل طود ... » . والتصويب عن اليتيمة .

(٤) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : « ترى » بالراء ، وهو تحريف .

(٥) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : « مدبح » ، وهو تحريف .

٢٠ (٦) لا تنكفي : لا ترجع . (٧) التكلة عن اليتيمة .

(٨) القرقف : الخمر .

وقال خلف الأحمر :

له عُنُقٌ مَخْضَرَةٌ مَدَّ ظَهْرِهِ * وَشُومٌ كَتَحْبِيرِ الْيَمَانِي الْمُرْقَمِ
إِلَى هَامِيَةِ مِثْلِ الرَّحَى مُسْتَدِيرَةٍ * بِهَا نُقْطُ سُوْدٌ وَعَيْنَانِ كَالْدَمِ
وقال آخر^(١) :

وَحَنْشٌ كَحَلْقَةِ السَّوَارِ * غَايَتُهُ شِبْرٌ مِنَ الْأَشْبَارِ
كَأَنَّهُ قَضِيبُ مَاءٍ جَارِي * يَفْتَرَعْنَ مِثْلَ تَلَقَّى النَّارِ
وقال خلف الأحمر :

صِلُّ صَمًّا لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقَصْرِ * طَوِيلَةُ الْإِطْرَافِ مِنْ غَيْرِ حَسَرِ^(٢)
دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ * مَهْرُوتُهُ الشَّدَقَيْنِ حَوْلَاءُ النَّظَرِ^(٣)
* تَفْتَرَعْنَ عُرُوجَ حَدَادٍ كَالْإِبَرِ

- (١) هو أشجع السلي، كما في مباحح الفكر . (٢) في الأصلين : « النابغة » وهو تحريف .
والتصويب عن كتاب الحيوان للملاحظ (ج ٤ ص ٩٥) . وفيه يقول الجاحظ : « وما علمت أن أحدا
وصف عين الأفعى على معرفة واختبار غيره » . ثم أورد هذه الآيات بزيادة عليها وعلى غير هذا الترتيب وهي :
أَفْعَى زُحُوفِ الْعَيْنِ مَطْرَاقُ الْبِكْرِ * دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ
صَلْ صَمًّا لَا يَنْطَوِي مِنَ الْقَصْرِ * طَوِيلَةُ الْإِطْرَافِ مِنْ غَيْرِ حَسَرِ
(الإطراف : مصدر أطرف وهو أن يطابق ما بين الجفنين . والحرر : الإعياء والكلال)
كَأَنَّمَا قَدْ دَهَبَتْ بِهِ الْعَصَا * شَقَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ طَوَلَا فِي شَتَرِ
(الشر : أن يكون جفن العين متقلبا من أعلى وأسفل ومنشقا ، أو أسفله مسترخيا ، أو انقلب جفنه
الأسفل فلا يلقى الأعلى فظهرت حاملته) .
مَهْرُوتُهُ الشَّدَقَيْنِ حَوْلَاءُ النَّظَرِ * جَاءَ بِهَا الطَّوْفَانُ أَيَّامَ زَحَرِ
(المرث : سعة الشدقين) .

كَأَنَّ صَوْتَ جَلْدِهَا إِذَا اسْتَدَرَ * نَشِيشُ جَمْرٍ عِنْدَ طَاهٍ مُقْتَدِرِ

- (٣) في الأصلين : « الحمر » وهو تحريف .
(٤) في المختصر (ج ٨ ص ١٠٩) بعد أن ذكر رواية الأصل هنا : « قال أبو علي » : روايته
* حَارِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ * .
والخارية : الأفعى التي كبرت ونقص جسمها ولم يبق إلا رأسها ونقصها وسماها ، وهي أخبت ما تكون .

وقال أبو هلال العسكري :

وخفيفة الحركات تَفْتَرِّعُ الرَّبِّي * كالبرق يلمع في الغمام الزانح
منقوطةً تحكي صدورَ صحائف * إبانَ تبدو من بطون صفائح
ترضى من الدنيا بظُلِّ حُفَيِّةٍ * ومن المعيشة بأشتمامٍ روائح^(١)

وقال ابن المعتز :

كأننى ساورتني يومَ بينهم * رقصاءُ مجدولةٌ في لونها برقُ^(٢)
[كأننا حين تبدو من مكانها * غصن تفتح فيه النور والورق]
ينسل منها لسان تستغيثُ به * كما تعوذ بالسبابة الفَرِقُ^(٣)

وقال الهذلي في مزاحيف الحيات :

كأن مزاحف الحياتِ وهنَّ * قبيلَ الصبحِ أثارُ السَّياطِ^(٤)

وقال آخر :

كأن مزاحفه أُنْسَعُ^(٥) * جُرْنُ فُرَادَى ومنها مَنَى^(٦)

(١) ذكر أبو هلال العسكري في كتابه (ديوان المعاني) بعد ذكر هذه الأبيات ما نصه : « وهذا من

قولهم : إن الحية إذا هرمت لم تتحج إلى الطعام واكتفت بالسم » .

(٢) الزيادة عن ديوان المعاني . (٣) الظاهر أنه يريد بالبرق : المصل الخاشع ؛

أى لأنها تحرك لسانها كما يحرك المصل الخاشع سبابته في الصلاة .

(٤) في اللسان (مادة زحف) : « ... الحيات فيه » . وفي الحيوان : « فيها » . والوهن : جر . من

الليل ، واختلف فيه : أهو نحو من نصه أو بعد ساعة منه أو حين يذر الليل أو هو ساعة تمضى منه .

(٥) الأنسع : جمع نسع وهو سير مصفور يجعل زماما للبعير وغيره .

(٦) كذا بالأصليين . ولعل « نى » مقصور ثناء بالمد . يقال : جاء القوم ثناء ومنى أى اثنين

اثنين . وروايته في الحيوان :

كان مزاحفه أنسع * جرن فرادى ومثاتها

ذكر ما قيل في العقارب

قال الجاحظ : والعقاربُ أصنافٌ : منها الجزارَةُ ، والطيارَةُ ، وماله ذنبٌ كالخربة ، وماله ذنب معقَّفٌ ؛ وفيها السودُ ، والخضرُ ، والصَّمَرُ . وهى من ذوات الدُّرُ (١) . ويقال : إن الأتني من هذا النوع إذا حملت يكون حنْفُها فى ولادتها ؛ لأن أولادها إذا آستوى خلقها أكلت بطون الأمهات حتى تنقُبها ، وتكون الولادة من ذلك النقب ، فتخرجُ والأمهات ميتة . وفى ذلك يقول الشاعر :

وحامِلَةٌ لا تحمِلُ الدَّهْرَ حمَلها * تموت ويحيا حمَلها حين تَعطُبُ (٢)

وقال أيضا : إنها تَأْ من فيها مرّتين ، وتحمل أولادها على ظهرها وهى فى قَدْرِ القمل كثيرة العدد . قال : والعقرب شرٌّ ما تكون إذا كانت حبلية ؛ ولها ثمانُ أرجل لها أظلافٌ مثل أظلاف الثور ، وعيناها فى ظهرها . ومن عجيب أمرها أنها لا تضربُ الميت ولا المغشى عليه ولا النائم ، إلا أن يتحرَّك شيء من بدنه ؛ فإنها عند ذلك تضربه ؛ وضربها له إنما هو من خوفها منه . وهى تأوى إلى الخنافس وتُسالِمها ، وتُصادق من الحيات كلَّ أسودٍ سانخ . وربما لَسَعَت الأفعى فتَموت . وفيها ما يلسع بعضُه بعضًا فيموتُ الملسوعُ . ويقال : إنها تُستخرجُ من بيوتها بالجراد ؛ لأنها تحبُّ على أكله . ومتى أدخل الكُرَّاثُ فى بُحْرها وأخرج تبعته وما معها من نوعها . وهى إذا خرجت من بُحْرها تضرب كلَّ ما لقيته من حيوان أو نبات أو جمادٍ .

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٠٧ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨٥ أدب) . وهى يقول الجاحظ : « وفى العقارب أعجوبة أخرى لأنه يقال : إنها مائة الطباع وإنها من ذوات الدُّرُ والإنسان وكثرة الولد » . والدُّرُ : كالذرية ، وقيل : الدُّرُ عدد الذرية . وفى الأصلين : « الدور » وهو تحريف .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١٠٩) . وفى الأصلين : « وبنى » .

وقيل لبعض الأطباء : إن فلانا يقول : إنما أنا مثل العقرب أضرب ولا أنفع ؛ فقال : ما أقل علمه بها ! إنما تنفع إذا شق بطنها ووضعت على مكان اللسعة . وقد تجمل في جوف نحار مسدود الرأس مطين الجوانب ، ثم توضع الفخارة في تسور ؛ فإذا صارت العقرب رمادا سقي من ذلك الرماد من به حصاة نصف دانيق فتفتتها من غير أن تضر شيئا من الأعضاء . وقد تلسع من به حمى عتيقة فتقلىع عنه . وقد تلسع المفلوج فيذهب عنه العالج . وقد تلقى العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ منها ويحبب قواها ، فيكون ذلك الدهن مضرًا للأورام الغليظة . وقال الشيخ الرئيس : زيت العقارب نافع من أوجاع الأذن . فهذه منافعها .

وقال الجاحظ : ومن أعاجيب العقرب أنها لا تسبح ولا تتحرك إذا أقيت

- في الماء ، كان الماء جاريا أو ساكنا . قال : وهي تطلب الإنسان وتقصده ؛ فإذا قصدها فزت منه . وهي إذا ضربت الإنسان هربت هرب من قد أساء .
- قال : ومن أعاجيب ما في العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول يموت بعضها من لسع بعض ، ثم لا يموت عن لسعها شيء [غير العقارب] ، ونجد العقرب تلسع إنسانا فيموت وتلسع آخر فتموت هي ؛ فدل ذلك على أنها كما تعطي تأخذ . ويقال : إن الذي تموت هي إذا لسعته تكون أمه قد لسعت وهي حامل به . قال : ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست والقمم النحاس فتخرقه ، وربما ضربته فنبئت إبرتها فيه .
- قال : والعقارب الفاتلة تكون في موضعين : بشمر زور من بلاد الجبل ، وعسكر مكرم من بلاد الأهواز ، وهي جرارات ؛ وإذا لسعت قتلت ؛ وربما تاتر لحم من

(١) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . بن على فوهته

قصر اسماء أبا الجند . (٢) الزيادة عن كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١١٠) .

(٣) عسكر مكرم : بلد مشهور بنواحى خوزستان ، منسوب إلى مكرم بن معزاة .

لسعته أو تعفن ويستريحى حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو يُسِكُّ أنفه مخافة إعدائه .
وهى فى غاية الصغر ؛ فإن أكبر ما يوجد منها تكون زنته داققاً واحداً ؛ والذى
يوجد منها كبيراً تكون زنته ثلاث حبات أرز ؛ فإن وزنت بشعيرة رجحت الشعيرة
عنها . وهى مع زارتها تقتل الفيل والبعر بلسعتها . قال : وَبِصَيِّينَ عَقَارُبُ قَتَالَةٌ
يقال : إن أصلها من شَهْرُزُورَ ، وإن بعض الملوك حاصرَ صَيِّينَ فَأَتَى بالعقارب من
شهرزور ورمى بها فى كيزانٍ بالمجانيق إلى البلد ، فأعطى القومُ بأيديهم ^(١) .

وقد وصف الشعراء العقرب وشبهوها فى أشعارهم ؛ فمن ذلك
قول السرى الرقاء :

ساريةٌ فى الظلام مُهْدِيَةٌ * إلى النفوس الردى بلا حرج
سائلةٌ ، فى ذنبيها حمةٌ * كأنها سبحةٌ من السبيح ^(٢) ^(٣)

وقال آخر :

ونِضْوَةٌ تُعَرِّفُ بِأَسْمٍ وَلَقَبٍ * ما بين عينيها هلالٌ مُتَصَبِّبٌ ^(٤)
موجودةٌ معدومةٌ عند الطلب * تطعنُ من لاقته من غير سبب
يَحْنَجِرُ تَسْلُهُ عند الفضب * كأنه شعله نارٍ تلتهب

وقال آخر :

تحملُ رحماً ذا كعوبٍ مُشْتَهَرٍ * فيه سنانٌ بالحريق مُسْتَعَرٍ
أنفٌ ^(٥) ثانيفاً على حين قيدر * ثانيفٌ أنف القوس شُدَّتْ بالوتر

(١) أعطى القوم بأيديهم : ذلوا وخضعوا . (٢) سائلة : رافعة ذنها .

(٣) كذا فى ديوانه . والسبيح : خرز أسود . وفى الأصلين : « سبحة من السبيح » بالخاء المهملة

فى الكلتين ، وهو تصحيف . (٤) نضوة : مهزولة ضئيلة . (٥) أنف : حدد وسوى .

وأنف القوس : حددها الذى فى باطن سينها (ما عطف من طرف القوس) وهما أنفان .

وقال عبد الصمد بن المعدل ^(١) : [يدعو بها على عدو له] ^(٢) .

يأرب ذى إفك كثير خدعه * مستجبل الحليم خبيث مرتعه ^(٣)

[يسرى إلى عرض الصديق قدعه * صبت عليه حين جئت بدعه] ^(١)

ذات دنانى متليف من يلسعه * تخفضه طوراً وطوراً ترفعه

أسود كالسبجة فيه مبضعة * ينطف منه سمة وسمعه ^(٤)

تسرع فيه الخنف حين [تسرعه * يبرز كالقرنين حين] تطلعه ^(١)

في مثل صدر السبت حين تقطعه ^(٥) * لا تصنع الرشاء ما قد تصنعه

وقال ابن حمديس :

ومشيرة بالموت للطعن صعدة ^(٦) * فلا قرن إن نادته يوماً يجيها

تديقك حر السم من وخز إبرة * إذا لسبت ماذا يلاق لسيها ^(٧)

إذا لم يكن لون البهارة لونها * فن يرقان دب فيها شحوبها ^(٨)

لها سورة خصت بمنكر صورة * ترى العين فيها كل شيء يريها

لها طعنة لا تستين ناظر * ولا يرسل المسبار فيها طيها ^(٩)

٩٢

(١) الزيادة عن مباح الفكر . (٢) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « جده »

بالجم المعجمة ، وهو تصحيف . (٣) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « الحكم »

بالكاف ، وهو تحريف . (٤) كذا أ . ولعله محرف عن « سلعه » والسطع : ضرب

من السم . وفي ب و مباح الفكر : « لسه » . (٥) السبت : الجلد المدبرغ .

(٦) الصعدة : الرمح . (٧) لسبت : لدغت .

(٨) في الأصلين : « فن يرقان » والتصويب عن ديوانه ومباح الفكر .

(٩) المسبار : ما يبربه الجرح . وفي أ : « المستار » وفي ب : « المسار » ، وكلتاها

تحريف .

(١) نَسِيتُ بِهَا قَيْسًا وَذَكَرَى طَعِينِهِ * وَقَدْ دَقَّ مَعْنَاهَا وَجَلَ نُدُوبُهَا (٣)
 نَحْيٌ كَأَمِّ السَّبِيلِ غَضَبِي تَوَقَّدْتُ * وَقَدْ تَوَجَّ الْيَأْفُوخُ (٤) مِنْهَا عَسِيدُهَا (٥)
 عَدُوٌّ مَعَ الْإِنْسَانِ يَعْمُرُ بَيْتَهُ * فَكَيْفُ يُؤَالِي رَقْدَةً يَسْتَطِيبُهَا
 وَلَوْ لَا دِفَاعُ اللَّهِ عَنَّا بَلْطَفَهُ * لَصَبَّتْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا خُطُوبُهَا

٥ (١) لعله يريد قيس بن عاصم المقرئ وطعنه الحارث بن شريك الشيباني، وذلك أنه هاجت الحرب بين قبيلتهما يوم جُدود، فظهرت بنو منقر (قبيلة قيس) على بكر بن وائل (قبيلة الحارث بن شريك)، فهزمت بكر بن وائل وتبعهم بنو منقر، فقصد قيس بن عاصم الحارث بن شريك والحارث على فرس قارح وقيس على مهر، تخاف قيس أن يسبقه الحارث فخفزه بالرح في آسته فتحفزه فرسه فتجا، فسمى الحوفران؛ ثم انتقصت طعنة قيس على الحوفران بعد سنة فات - (راجع الأعاني ح ١٢ ص ١٥٢ - ١٥٣ طبع بولاق) ١٠

- (٢) في الأصلين : « وذكر طعنة » . والتصويب عن الديوان .
 (٣) الندوب : آثار الجرح . وفي الديوان : « وجلت خطوبها » .
 (٤) اليا فوخ : الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل ، يهز ولا يهزم .
 (٥) الصيب : عظم الذنب ، وقيل : منبت الشعر منه .

الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الثالث فيما هو ليس قاتلا بفعله من دواب السموم

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في الخنافس، والوزغ، والضب، وابن
عرس، والحرباء، والقنأذ، والفيران، والقرد، والنمل، والذئ، والقمل،
والصُّواب .



فأما الخنافس وما قيل فيها — قالوا: والخنافس تتولد من عفونة الأرض .
وهي أصناف، منها الخنفس المعروف؛ ومنها "الجعل" ويسمى "الكبرتل" .
وهو يتولد من أخشاء البقر، وهو يموت إذا شم رائحة الطيب، وإذا دُفِن في الورد
مات، وإذا أُخرج منه ودُفِن في الروث عاش . والغالب أنه لا يموت حقيقة
وإنما يتحدر وتبطل حركته؛ فإذا عُوج بما نشأ منه قوى . والله أعلم . وله ست أرجل،
وسنام مرتفع . وهو لا يصير كبرتلًا حتى يصير له جناحان . وجناحاه يظهران
إذا أراد الطيران ويخفيان إذا مشى . ومن عادة الجعل أن يحرس النيام؛ فمن قام منهم
لقضاء الحاجة تبعه طمعًا أنه إنما يريد الغائط؛ والغائط قوت الجعل .

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر: وزعم الأعراب أن بين ذكور الخنافس وإناث
الجعلان تسافداً، وأنهما يلتجان خلقاً ينزع إليهما جميعاً . قال: وأنشد سيويه
لبعض الأعراب يهجو عدواً له:

عَادَيْتَنِي يَا خُنْفُسَا أُمِّ الْجَعْلِ * عَدَاوَةُ الْأَوْعَالِ حَيَاتِ الْجَبْلِ

ويقال : إنَّ الجُعْلَ يظلّ دهرًا لا جَنَاحَ له ، ثمَّ يَنْبُتُ له جناحان . والعرب تقول في أمثالها : «أَجَّ من خنفساء» و «أخش من فاسية» وهى الخنفساء ، وفى بلجاجة الخنفساء يقول الأحمر ^(١) :

لنا صاحبٌ مُولِعٌ بالخِلافِ * كثيرُ الخطأِ قليلُ الصوابِ
أَجُّ بلجاجةٍ من الخنفساء * وأزهى إذا ما مشى من غرابِ

ومن أصناف الخنفساء صنفٌ يقال له «جَارِقَان» . وهو يتولّد في الأماكن الندية [على ظهره شبه المجنّ . ومنها صنفٌ يسمّى «بنات وردان» . وهى أيضا تتولّد في الأماكن الندية] ^(٢) ، وأكثر ما تكون في الحمامات والسقايات . وفيها من الألوان الأسود ، والأصهب ، والأبيض . قال بعض الشعراء يصف بنات وردان :

بناتُ وردانَ جنسٌ ليس يَنْتَه * حَلَقٌ كنعنيّ في وصفى وتشبيهى
كنثل أنصافٍ بُسِرَ أحمرُ تركتُ * من بعد تشقيقه أقامه فيه



ومنها «الصَّرَاصِرُ والجَنَادِبُ» ^(٣) . ولها صوتٌ لا يفتُر بالليل ، فإذا طلع الفجر فُقد . وفيه من الألوان الأسود وهو جُنْدَبُ الجبال والآكام السود ، والأبرق وهو جُنْدَبُ الطلح والسمر والغضا ، والأبيض وهو جُنْدَبُ الصحارى . قال السريّ الزّوّاء يصف جُنْدَبَةً :

- (١) في لسان العرب (مادة زها) : «قال الأحمر النحوى يهجو العنّى والفيض بن عبد الحميد .
(٢) كذا في لسان العرب وفرائد الألاك (ج ٢ ص ٢١٤) وكتاب الحيوان (ج ٣ ص ١٥٧) .
(٣) كذا في مباحج الفكر . وفى الأصلين : «من» .
(٤) التكلة عن مباحج الفكر . (٥) فى الأصلين : « الجناذب ... جنذب » ، وهو محريف .
(٦) كذا فى مباحج الفكر . وفى الأصلين : « ... والبرق » ، وهو محريف .

وَجُنْدِيَّةٌ تَمْشِي بِسَاقٍ كَأَنَّهَا * عَلَى نَخْدَةٍ كَالْعُودِ مِثْلُ مَنْشَارٍ عَرَعَرِ
مُمْسِكَةٌ تَجْلُو الْجَنَاحَ كَأَنَّهَا * عَرُوسٌ تَجَلَّتْ فِي عِطَافٍ مُعَبَّرِ



وَأَمَّا الْوَزْغُ وَمَا قِيلَ فِيهِ — وَالْوَزْغُ يُسَمَّى "سَامَ أَبْرَصَ". وزعموا

(٩٣)

- أنه أصمٌ ، وأنَّ السَّبَبَ فِي صَمِّهِ وَبَرَصُهُ أَنَّ الدُّوَابَّ كُلَّهَا حِينَ أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَارِ الْمُتْرُودِ كَانَتْ تُطْفِئُ عَنْهُ ، وَأَنَّ هَذَا كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِ ، فَصَمَّ وَبَرَصَ .
وَرُوي عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدَيْ عُمَارَ فِيهِ زُجٌّ ، فَقَالَ : " يَا عَائِشَةُ مَا تَصْنَعِينَ بِهَذَا ؟"
قُلْتُ : أَقْتُلُ بِهِ الْوَزْغَ فِي بَيْتِي ؛ قَالَ : " إِنْ تَفْعَلِي فَإِنَّ الدُّوَابَّ كُلَّهَا حِينَ أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ
فِي النَّارِ كَانَتْ تُطْفِئُ عَنْهُ وَإِنَّ هَذَا كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِ فَصَمَّ وَبَرَصَ " . وفي حديث آخر
عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْوَزْغِ الْفُؤَيْسِقَ .

قالوا : وفي طَبْعِ الْوَزْغِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ زَعْفَرَانٌ . والحَيَاتُ تَأْلَفُ
الْوَزْغَ ، كَمَا تَأْلَفُ الْعُقَارِبُ الْخَنَافِسَ . وهو يُطَاعِمُ الْحَيَاتِ وَيُزَاقُهَا . وهو يَقْبَلُ

(١) كَذَا فِي دِيَوَانِهِ . وَالْعَرَعَرُ : شَجَرُ السَّرَوِّ . فِي الْأَصْلَيْنِ :

١٥

* عَلَى نَخْدَةٍ مِنْ عُودٍ مِثْلُ مَنْشَارٍ عَرَعَرِ *

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَمِجَازُ الْفِكْرِ . وَالْمُمْسِكَةُ : الْمَطْبِئَةُ بِالْمِسْكِ . وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ أَنَّهَا سَوْدَاءُ كَالْمِسْكِ .
وَفِي دِيَوَانِهِ : « مَكْتَبَةٌ » . وَالْمَكْتَبَةُ : الْحَجْرَةُ ؛ وَفِي حَدِيثِ الْمَعْبُورَةِ : « وَقَدْ تَكْتَبُ رُفَّ فِي قَوْمِهِ »
أَيَّ تَحْزَمُ وَجَمْعُ ثِيَابِهِ .

(٣) كَذَا فِي دِيَوَانِهِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ وَمِجَازُ الْفِكْرِ : « الصَّبَاحُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

٢٠

(٤) الْعِطَافُ : الرِّدَاءُ . (٥) الزَّجْجُ : الْحَدِيدَةُ فِي أَصْفَلِ الرِّجْلِ .

الَّلَفَّاحَ بفيه، ويبيض كما تبيض الحية . وقيل : إن نصيبه من السم نصيبٌ متوسط ، لا يَكُلُ أن يَقتل ، ومتى دبر جاء منه سُم قاتل . ومتى قُتل وُضع على بُحْر حية هَرَبَتْ منه . وهو يُقيم في بُحْره أربعة أشهر الشتاء .

وقال الشيخ الرئيس : إذا ضَمِدَ به على الشوك والسُّلَاء جَذَبَهُ ، وعلى التَّالِيل ^(٢) يَفْلَعُهَا . قال : وقيل : إنَّ المَحْفَفَ منه إذا خُلِطَ بالزيت أنبت الشعرَ على القَرَع . وبولُه ودمه عجيب النفع من قَتَقِ الصَّبِيانِ إذا جالسوا في طبيخه . وقد يُجعل في بوله أودمه شيء من المسك ويُجعل في إحليل الصبي فيكون بالغ النفع في الفتق . وقيل : إن كَيْدَهُ تُسَكَّن وجعَ الضَّرْس ، وتُسَقِّ وتوضع على تسع العقرب فيسكن .



وأما الضبّ وما قيل فيه — قال الجاحظ في كتاب الحيوان :
إن من أعاجيب الضبّ أن له أيرين وللضبة حرين ؛ قال : وهذا شيء لا يُعرف إلا لها . هذا قول الأعراب في تخصيصهما بذلك . وقالت الحكماء : إن السقنقور ^(٥)

(١) دبر : شاخ ولى .

(٢) السلاء (بضم السين وتشديد اللام) : شوك النخل .

(٣) التاليل : جمع تولول وهو خراج يكون بجسم الانسان نائق صلب .

(٤) كذا في كتاب القانون (ج ١ ص ٣٨٩ طبع بولاق) . وفي الأصلين : « واذا جلسوا... الخ » .

وظاهر أن الواو زائدة من الناصخ .

(٥) السقنقور : حيوان شديد الشبه بالورل ، وهو مما يسعى في البر ويدخل في الماء ؛ ولذلك قيل له

الورل المائي . وهو يفتسذ في الماء ، بالسك وفي البر يحجوان آخر كالغظابات . وهو مما يتولد من ذكر

وأنثى . ويوجد للذكور بالتشريح خصيتان نخصيتي الديوك في خلقتهما ومقدارهما وموضعهما . وإناؤه تبيض

فوق العشرين بيضة وتدفعه في الرمل فيكل كونه بجمارته . (راجع مفردات ابن البيطار ج ٣ ص ٢٠ ،

وحياة الحيوان ج ٢ ص ٢٨) .

له أَيْرَانٌ، وَالْحِرْدُونُ كَذَلِكَ . قَالَ : وَقَالَ جَالِينُوسُ : الضَّبُّ الَّذِي لَهُ لِسَانَانِ يَصْلُحُ لِحْمَهُ
لِكَذَا وَكَذَا . وَمَا يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ لِلضَّبِّ أَيْرِينَ قَوْلُ الْفَرَّارِيِّ :

سَبَحَلٌ لَهُ نَزَكَانٍ كَانَا فَيْضِلَةً * عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاعِلٍ

وَأَسَمَ أَيْرَ الضَّبِّ : النَّزْكُ . وَسُئِلَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِيُّ عَنْ ذَلِكَ ، فَزَعَمَ أَنَّ أَيْرَ الضَّبِّ

كَلْسَانُ الْحَيَّةِ ، الْأَصْلُ وَاحِدٌ وَالْفَرْعُ أَشْنَانٌ . وَلِلْأَنْثَى مَذَحَلَانٌ . وَعَلَى ذَلِكَ أَنْشَدَ
الْيَكْسَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

تَفَرَّقْتُ لَمْ يَزَلْتُ قِرْنًا وَاحِدًا * تَفَرَّقُ أَيْرَ الضَّبِّ وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ

وَيَقَالُ : إِنَّ الضَّبَّةَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَبْيِضَ حَفَرَتْ فِي الْأَرْضِ حَفْرَةً ثُمَّ رَمَتْ
بِالْبَيْضِ فِيهَا وَطَمَتَهُ بِالتَّرَابِ ، وَتَتَعَاهَدُهُ كُلُّ يَوْمٍ حَتَّى يَخْرُجَ ، وَذَلِكَ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

وَهِيَ تَبْيِضُ سَبْعِينَ بَيْضَةً وَأَكْثَرَ . وَبَيْضُهَا يُشَبِّهُ بَيْضَ الْحَمَامِ . وَيَخْرُجُ الْحِجْلُ
وَهُوَ مُطَبَّقٌ لِلْكَسْبِ .

قَالُوا : وَالضَّبُّ يَخْرُجُ مِنْ جُحْرِهِ كَلِيلَ الْبَصْرِ ، فَيَجْلُوهُ بِالتَّحْدِثِ فِي الشَّمْسِ .
وَهُوَ يَفْتَنِدِي بِالنَّسِيمِ ، وَيَعِيشُ بِبَرْدِ الْهَوَاءِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَرَمِ .

قَالَ الْجَاهِظُ : وَزَعَمَ عَمْرُو بْنُ مُسَافِرٍ : أَنَّ الضَّبَّةَ تَبْيِضُ سَتِينَ بَيْضَةً وَتُسَدُّ
عَلَيْهَا بَابُ الْجُحْرِ ثُمَّ تَدْعَاهُنَّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَيَتَفَقَّصُ الْبَيْضُ وَيُظْهِرُ مَا فِيهِ ، فَتَحْفِرُ
عَنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ . فَإِذَا كَشَفَتْ عَنْهُ أَحْضَرْنَ وَأَحْضَرَتْ فِي أَثَرِهِنَّ ، فَتَأْكُلُ

(١) الحردون : دوية تشبه الضب .

(٢) السجل (وزان قطر) : الضخم من الضب والبحير والسقاء والجارية .

(٣) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « زعم » .

(٤) كذا في كتاب الحيوان لملاحظ (ج ٦ ص ٣٦) . وتقصص البيضة عن الفرج : انقلبت عنه .

وفي الأصلين : « يفتفضض » . (٥) أحضرن : عدون .

ما أدركت منه. ويحفر المنفلة منها لنفسه جحراً، ويرعى من البقل، فلذلك توصف بالعقور. ويضرب به المثل في أكل حُسُولِهِ. وفي ذلك يقول الشاعر:

أكلت بينك أكل الضب حتى * تركت بينك ليس لهم عديد

قالوا: وفي ذنب الضب من القوة ما يضرب به الحية فربما قطعها. والضب طويل العمر. وفي طبعه أنه يرجع في قيئه. وهو شديد الإعجاب بالتمر. ويقال: إنه يمكث ليلة بعد الذبح ثم يقرب إلى البار فيتحرك.

قال الجاحظ: وزعمت العرب أن الضب يُعَدُّ العقرب في جحره؛ فإذا سمع صوت الحرش استنفرها فالزفها بأصل عجب ذنبه وضمه عليها، فإذا أدخل الحارش يده ليقبض على أصل ذنبه لسعته. وقيل: بل العقارب تألف الضباب وتُسالمها وتأوى إليها. قال التيمي:

٩٤

أَتَأْتِسُ بِي وَتَجُرُّكَ غَيْرُ تَجْرِي * كَمَا أَتَسُّ الْعَقَارِبُ وَالضَّبَابُ

والضب من الحيوان المأكول؛ إلا أن العرب تعربني تيم بأكل لحم الضب. والدليل على إباحته ما جاء في الحديث الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيت ميمونة رضي الله عنها، فقدمت له مائدة وعليها ضب مشوي، فأهوى بيده لياكل منه؛ فقبل له: يا رسول الله، إنه ضب؛ فرفع يده. فقال له:

(١) حرس الصب: صيده، وذلك أن الصائد يحك الحجر الذي هو فيه ويتحرش به، فإذا أحس الضب حسه ثعباناً فأخرج إليه ذنبه، فيصطاده.

(٢) كذا في كتاب الحيوان. واستنفرها: جعلها بين نخذه. وفي الأصلين: «استنفرها» بالون، وهو تصحيف.

(٣) العجب (بالفتح والضم): أصل الدنب وعظمه، وهو المصعصع.

(٤) رواية كتاب الحيوان: «كأين... الخ».

(٥) كذا في صحيح البخاري ومسلم (في كتاب الدبائح). وفي الأصلين: «بيت أم حبيبة».

خالد بن الوليد : يا رسول الله ، أحرامٌ هو ؟ قال : " لا ولكنه ليس في بلاد قومي فانا لا آكله " ؛ فأكله خالد بن الوليد بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهه ؛ ولو كان حراما لنهاه صلى الله عليه وسلم عن أكله ولأخبر بتحريمه لما سُئِلَ عنه .

وقال أبو نؤاس يعيرُ بأكل الضَّبِّ :

إذا ما تيممُ أذاك مُفَاخِرًا * فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكَلْتُ لِلضَّبِّ

وقال عمرو بن الأَهم من أبيات :

وَرَدَدْنَاهُمْ إِلَى حَرَّتَيْهِمْ^(٣) * حَيْثُ لَا يَأْكُلُونَ غَيْرَ الضَّبَابِ

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : زَبْلُ الضَّبِّ نافع لبياض العين ، وينفع من نزول الماء .

وقد وصفه الحِجَاني فقال وذكر أرضًا :

تَرَى ضَبَّهَا مُطْلِعًا رَأْسَهُ * كَمَا مَدَّ سَاعِدَهُ الْأَقْطَعُ
لَهُ ظَاهِرٌ مِثْلُ بُرْدٍ مُوشَى^(٤) * وَبَطْنٌ كَمَا حَسَرَ الْأَصْلَعُ
هُوَ الضَّبُّ مَا مَدَّ سُكَّانَهُ * وَإِنْ ضَمَّهُ فَهُوَ الضَّنْدُ

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « عَدَّ عَنِ ... » .

(٢) هو عمرو بن سنان بن سمى من بني تميم . وسمى أبوه سنان الأَهم لأن قيس بن عاصم المقرئ ضربه بقوس فهتمَّ به . وأخوه عبد الله بن الأَهم جدُّ خالد بن صفوان . وهو جاهلٌ إسلامي ، وكان في الجاهلية يدعى المكمل لجسالة ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . (انظر الشعر والشعراء ص ٤٠١ طبع أوروبا) .

(٣) الحَزَّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقَت بالنار .

(٤) في الأصلين : « برد الوشي » .



وأما الحِرْبَاءُ وما قيل فيها — والحِرْبَاءُ لها أصابع، وأظنها لتبش التراب .
ولونها أسود وأصفر ومختلط الألوان كالفهد . وهذه النسمية تقع على ذكرها
وإنائها^(١) . والحرباء إذا كان في الشمس كان كثير التلؤن ، فإذا انتقل إلى الظل
كان أقل تلؤنا . وإذا قارب الموت أو مات أصفر . وهو أبداً يطلب الشمس ،
فإذا طلعت وجهه وجهه نحوها . فتي غاب عنه حُرْمُها فلا يراها أصابه نوع من
الجنون . وإذا غابت الشمس ذهب ليطلب معاشه ليلته كله حتى يُصبح . ولسانه
طويل جداً ، يقال : إنه مقدار ذراع ، فهو يبلغ به ما بعد عنه من الدُّباب . والأنثى
منه تُكنى أم حَبِينٍ . وهو يُوصف بالحزم لأنه حيث ينظر إلى الشمس يَقْبِضُ بيده
على خُوطٍ^(٢) ، فإذا تقلّب نحو الشمس حيث مالمالت [لا]^(٣) يرسل ذلك الخُوط من يده
حتى يَقْبِضُ بيده الأخرى خُوطاً آخر . وفيه يقول الشاعر :
أَنَّى أُتِيحَ لَهُ حِرْبَاءُ تَضْبِيَةٍ * لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكاً سَاقاً^(٤)

- (١) ذهب المؤلف هنا إلى أن الحرباء يطلق على الذكر والأنثى من هذا النوع من الحيوان . ولهذا
صح له أن يرجع الصمير إليه مؤثلاً مرة ومذكراً أنثى . والذي في اللسان : أن الحرباء ذكر أم حَبِينٍ ،
وأنة يقال للأنثى حرباءة . ١٥
- (٢) الخوط : الغصن الناعم . (٣) التكلية عن مباحث الفكر .
- (٤) هو أبو درود الإيادي ، كما في لسان العرب (مادة حرب) .
- (٥) ذكر صاحب لسان العرب (مادة حرب) بعد أن استشهد بهذا البيت مانصه : « قال ابن بري :
هكذا أنشده الجوهري ، وصواب إنشاده : أنى أتيج لها ... لأنه وصف ظمناً ساقها وأزعجها ساق مجده .
فتعجب كيف أتيج لها هذا السائق المحمّد الحازم » اهـ . ورواية المخصص : « لكم » . ٢٠
- (٦) التنصب : شجر له شوك قصار ، وليس من شجر الشواقي ، تأله الحرباء .

وكتب بعض الفضلاء إلى بعض أصدقائه يلومه على مُقامه بوطنه حين نبا به ؛
فقال من رسالة :

« أُعْجِزَتْ فِي الْإِبَاءِ ، عَنْ خُلُقِ الْحِرْبَاءِ ؛ أَدَلَّى لِسَانًا كَالرِّشَاءِ ، يَبْلُغُ بِهِ مَا يَشَاءُ ؛
وَنَاطَ هَمَّتَهُ بِالشَّمْسِ ، مَعَ بُعْدِهَا عَنِ الْإِسْ ؛ وَأَنْفٍ مِنْ ضَيْقِ الْوَجَارِ ، فَفَرَّخَ
فِي الْأَشْجَارِ ؛ وَسَمَّ الْعَيْشَ الْمَسْخُوطَ ، فَأَسْتَبْدَلَ خُوطًا بِخُوطِ ؛ فَهُوَ كَالْخَطِيبِ ، عَلَى
الْفَصَنِ الرُّطِيبِ .

وَإِنْ صَوَّابَ الرَّأْيِ وَالْحَزَمَ لَأَمْرِي * إِذَا بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

كَأَنَّ يَدَيَّ حِرْبَانِيَا مُشَمَّسًا * يَدَا مُدْنِبٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَائِبٍ ^(٢)

وقال فيه أيضا :

وَقَدْ جَعَلَ الْحِرْبَاءُ يَصْفَرُ لَوْنُهُ * وَتَحَضَّرَ مِنْ لَفْجِ الْهَجِيرِ غَبَابُهُ ^(٣)
وَيَسْبِجُ ^(٥) بِالْكَفَيْنِ شَبْعًا كَأَنَّهُ * أَخُو بَحْرَةٍ عَالَى بِهِ الْخُدْعَ صَالِيَهُ ^(٤)

(١) في الأصلين : « حيث » . (٢) كذا في ديوانه (ص ٥٩ طبع أوروبا) واللسان
(مادة شمس) . وفي الأصلين : وبماج الفكر « محرم » بالحاء المهملة . وفي الجوان للماحظ (ج ٦ ص ١٢١) :
« محرم » بالهميم المعجمة .

(٣) في ديوانه (ص ٤٧) واللسان (مادة عب) : « يبيض رأسه » .
(٤) الباعب : جمع غيب ، وهو ما تمعن من جلد منبت الشون (الذقن) الأسفل ، وخص بعضهم
به الديكة والشاة والبقر ، واستعاره العجاج في العجل فقال :
* بذات أثناء تمس الغنبا *

(يعني شقيقة البحر) كما استعير هنا للهرباء .
(٥) كذا في ديوانه . وشبح يديه يشبههما : مدهما . وتشج الحرباء على العود : امتد . وفي الأصلين :
« ويسبح ... سبعا » بالسين المهملة في الكلتين ، وهو تصحيف .

وقال فيه أيضا :

يُصَلِّي بِهَا الْحَرْبَاءُ لِلشَّمْسِ مَائِلًا * عَلَى الْحِدْعِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَبِّرُ^(١)
إِذَا حَوَّلَ الظِّلَّ الْعِشْيَ رَأَيْتَهُ * حَنِيفًا فِي وَقْتِ الصُّحَى يَتَنَصَّرُ^(٢)



وأما ابن عرس وما قيل فيه — وابن عرس من حيوان البيوت ، وهو حديد النفس شجاع فطن . وأكثر ما يكون بمصر في المنازل . وله صوت قوي يدل على شجاعته . وقيل : إنه الحيوان المسمى "بالدلق"^(٣) ، وإنما يختلف وبه ولونه بحسب البلاد . وفي طبعه أنه يسرق ما يظفر به من الذهب والفضة ، وأنه متى وجد جوباً متفرقة خلطها . وهو عدو الفأر يصيده ويقتله ، والفأر يحافه .

وقال الجاحظ : وابن عرس يُقاتل الحية ، وإذا قاتلها بدأ بأكل السذاب ؛ لأن الحية تولمها رائحة السذاب ؛ كما قدمنا . وابن عرس يفعل في الطير ما يفعل الذئب في الغنم من الذبح . وهو إذا عجز عن الوصول إليها استدار بعجزه وفسا إلى جهتها ، فربما قتل الفارح رائحة فساته .

(١) كذا في الأصلين ومباح الفكر . وفي ديوانه (ص ٢٢٩ طبع أوربا) واللسان (مادة حول) والحيوان للجاحظ (ح ٦ ص ١٢٠) : « يطل ... * على الجذل » .

(٢) قال في اللسان (مادة حول) : « يعني تحوّل . هذا إذا وقعت الظل على أنه الفاعل وفتحت العشي على الطرف . ويرى الظل العشي » (بصب الظل ورفع العشي) على أن يكون العشي هو الفاعل والظل مفعولاً به . قال ابن بري : يقول : إذا حوّل الظل العشي وذلك عند ميل الشمس إلى جهة المغرب صار الحربةاء متوجهاً لقبله فهو حنيف ؛ فإذا كان في أول النهار فهو متوجه للشرق لأن الشمس تكون في جهة المشرق فيصير متصرفاً ؛ لأن النصارى تتوجه في صلاتها جهة المشرق » .

(٣) كذا في الأصلين ومباح الفكر . وفي ديوانه واللسان (مادة حول) والحيوان للجاحظ : « وفي قرن الضحى » . (٤) هو معرب « دله » بالعربية .

ومن ذكائه وفطنته ما حكي : أن رجلا صاد فرخًا منها فجعله في قفص ؛ فرأته أمه فذهبت وعادت بدينار في فيها فألقته بين يدي الرجل كأنها تريد فداء ولدها منه به ، فتركه ولم يتناوله ، فذهبت وأنت بدينار آخر فلم يأخذه ، فلم تزل تذهب وتعود في كل مرة بدينار إلى خمسة دنانير وهو لا يمسك الذهب ، فذهبت وعادت بصر فارغة وألقها بين يديه كأنها تقول : إنه لم يسبق شيء ؛ فلم يطلق ولدها ولا ضم الدنانير . فلما رأته على ذلك عمدت إلى دينار منها فأخذته وعادت به إلى جحرها ؛ فغشي أن تفعل ذلك ببقية الدنانير ، فأخذها وأطلق فرخها ؛ فأعادت إليه الدينار . وقالت الحكماء : لحم ابن عرس نافع من الصرع . والله أعلم .^(١)



وأما القنفذ وما قيل فيها — وواحدُها قنفذٌ . وهي صنفان : قنفذٌ ودُلْدُلٌ . فالقنفذ يكون بأرض مصر في قدر المار . والدلدل يكون بالشام والعراق وخُرَّاسان في قدر الكلب القلطي^(٢) . ويقال : إنه يسفد قائمًا^(٣) ويطن الأثني لاصقًا ببطن الذكر . والأثني تبيض نحس بيضات ؛ وليس هو كالبيض الذي له قشر يابس بل هو شبيه بالحم . وتصرف القنفذ بالليل أكثر من نصرها بالنهار . قال أيمن بن حريم :

كقنفذ الرميل لا تحفى مدارجُه * حتى إذا نام عنه الناس لم ينم

(١) هذه العبارة ساقطة من « ب » . (٢) القلطي (كربي) : القصر .

(٣) كذا في الأصلين . وفي مباح الفكر : « يسفد قائمًا ويطهر الأثني لاصقًا بظهر الذكر » .

وفي حياة الحيوان للدميري (ح ٢ ص ٣١٣) : « تسفد قائمًا وظهر الذكر لاصقًا بطن الأثني » . والظاهر أن جميع الروايات محتملة .

والقنفذ يستأنس في البيوت، ويختفي أياماً ثم يظهر . وهو إذا جاع صعد إلى الكروم وقطع العناقيد ورمى بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق ؛ فإن كان له فراخ تمتزج على ما بقي فيشتبك في شوكة ، وذلك بعد تفريطه من عُمُوشِه^(١) ، ويذهب به إلى فراخه . وهو مولعٌ بأكل الأفاعى ، ولا يُبالي قبض على رأسها أو غيره من بدنها ، فإنه إن قبض على رأسها أكلها بغير كلفة عليه ولا مشقة ؛ وإن قبض على وسطها أو ذنها استدار وتجع ونفخ بدنه ، فتى ضربته أصابها شوكة ، فهي تهرب منه ؛ وطبله لها بقدر هَرَهَا منه .

والدُّلُّل إذا رأى ما يكرهه أنقبض فيخرج منه شوكة كالمَدَارَى في طول الشبر ، فيجرح ما يصيبه من الحيوان . ويقال : إن شوكة شعر ، وإنما غُلُظَ وغُلِبَ عليه اليُس صار شوكة .

وقال ابنُ سينا : في رمد القنفذ جلاءٌ وتحليلٌ . ولمحه ينفع من داء الفيل . ولمحه ينفع من الجُذام ؛ لشدة تحليله وتجفيفه . ولمحه المملح ينفع من الفالج والتشنج وأعراض العصب كلها وداء الفيل ، وينفع من السَّل ومن سوء المزاج . ومملوحه مع السكينج جيدٌ للاستِسقاء ووجع الكلى ، وينفع من بول من الصبيان في الفراش ؛ حتى إن إدمان أكله ربما عسر البول . ولمحه ينفع من الحُمَيَّات المزمنة ومن نهش الهوام . والله أعلم .

(١) كذا في اللسان (مادة عُمُوش) . والعُمُوش : العقود يؤكل ماعليه ويرك بعضه . وفي الأملين :

« عرموشه » ، وهو تحريف .

(٢) لعله يريد أن لحمه المملح ينفع من داء الفيل ، وسيصرح بذلك في السطرين التاليين .

(٣) السكينج (فتح السين والنون معرب سكينته) : نبات شبيه بالخيار له صمغ ، وهو دواء .

وقد وصفه البلغاء والشعراء في رسائلها وأشعارها — فمن ذلك ما قاله الأمير شمس المعالي ^(١) من رسالة كتبها إلى بعض أصدقائه وقد أهدى له دُلْدُلًا : « قد أنحفُتْكَ يا سيِّدى بعلقي نفيس ، وثُحفَةِ رَيْسٍ ؛ يتعجَّب المتأمل من أحواله ، ويَحَارُ الناعتُ في أوصافه وأعماله ؛ ويتبلَّد المُعَتِّسُ في آياته ، ويكَلِّ الناظر في معجزاته ؛ فما يَدْرِى ببديهة النظر والفؤاد ، أَمِنَ الحيوانِ هو أم من الجَمَادِ ؛ حتى إذا أعطى مُتَدَبِّرُهُ النظرَ أَوْقَى حقوقيه ، والفحصَ أَكْمَلَ شروطه ، عَلمَ أنه كَمَى سَلاحُهُ في حِصْنِهِ ، ورَآهُ سَهاهُ في صِغْنِهِ ؛ ومقاتِلُ رِمَاحِهِ على ظَهره ، ومُحَاتِلُ سِرِّهِ خِلافَ جَهره ، ومُحَارِبُ حِصْنِهِ من نَفْسِهِ ؛ بِأَقْناكَ بأَخْشَنَ من حَدِّ السيف ، وَيَسْتَبِرُ بِأَلْيَنَ من وَبَرِ الخَيْفِ ^(٢) . متى جَمَعَ أطرافه ، وضمَّ إليه أَصْوافه ؛ حسبته رابِيةً ناثيةً ، أو تاعَةً بادِيةً . وهو أَمْضَى من الأَجَلِ ، وأَرْحَى من بَنَى نُعْلٍ ^(٣) . إن رَأَتْهُ الأَرافِمُ رَأَتْ حَتَفَ نَفْسِها ، أو عَايَنَتْهُ الأَساودُ أَيْقَنْتْ بَفناء جَنسِها ؛ صَعْلوكُ لَيْسِلٍ لا يُجِجِمُ عَن دَامِيسِهِ ، وفارسُ ظَلامٍ لا يَخَافُ من حَنادِيسِهِ ؛ فيه من الضَّبِّ مِثْلٌ ، ومن الفأرِ شَكْلٌ ؛ ومن الوَرَلِ نَسَبٌ ، ومن الدُّلدُلِ سَبَبٌ . ومن أوابده أنه يَسودُ إذا هَرِمَ وشاب ، ويصيرُ كأَ كبيرٍ ما يكون من الكلاب .

١٥ (١) هو الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشكبر بن زياد بن وردان شاه الجبل ، كان أميراً لخرجسان وبلاد الجبل وطبرستان . توفي مقتولاً في سنة ٣٠٣ هـ ودفن بظاهر جرجان . جمع رسائله العلامة عبد الرحمن بن علي اليردادى ، وقد طبعت بمصر سنة ١٣٤١ هـ مع ترجمة المؤلف وسيرته وترجمة جامعها . (٢) الخيف : جلد الضرع . (٣) بنو نعل : حى من طى ، وهو نعل بن عمرو بن النوث ، وهم الدين هانم وأمرؤ القيس بقوئه :

وقال أبو محمد اليزيدي^(١) [يذكر قنفذاً رآه، فاطعمه وسقاه] :

وطارقٍ ليلٍ جاءنا بعد هَجْعَةٍ * من الليلِ إلّا ما تحدّث سامرُ
قَريناه صَفَوُ الزاد حين رأيته * وقد جاء خَفَاقَ الحَثَى وهو سادرُ^(٣)
جميلُ الحَيّا في الرّضا فاذا أبى^(٤) * حمته من الضّم الرّواحُ الشّواجرُ
ولست تراه واضعاً لسلاحه * مدَى الدهر موتوراً ولا هو واترُ

وقال [آخر] من أبيات يرثيه فيها ويصفه :

عجبتُ له من شَهِيمٍ متحصّنٍ * بِنَبِيلٍ من السردِ المضاعفِ تبرقُ^(٦)
وأنى آهتدى سهمُ المنية نحوه * وفي كلّ عُضْوٍ منه سهمٌ موقُ
ولو كان كفّ الدهر تستخشن الردى * لكان بكفّ الدهر لا يتعلّق

وقال أبو بكر الخوارزمي^(٧) يصفه :

ومُدَجِّجٍ وسلاحه من نفسه * شاكى الدّوايرِ أعزلَ الأقبالِ

(١) هو يحيى بن المبارك بن المعيرة أبو محمد مولى بنى عدى بن عبد مائة . قيل له اليزيدي لأنه صاحب
يريد بن مصور حال المهدي مؤدبا لولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدبا للأمن . وكان صحيح
الرواية ثقة صدوقا ، من أكار القراء وأديبا شاعرا مجيدا . مات بمخراسان سنة ٥٢٠٢ عن أربع وستين سنة .

(٢) راجع ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٢٨٩ ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ٤١٤ طبع مصر
وتاريخ ابن حلكان ج ٢ ص ٣٤١ طبع بولاق . (٣) الزيادة عن مباحث الفكر .

(٤) السادر : المنحبر . (٥) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « أرى » . (٦) كذا في مباحث
المثناة من فوق وهو تصحيف . (٧) الشهم : ذكر القمعة . (٨) كذا في مباحث

الفكر . والسرد : اسم جامع للدروع . وفي الأصلين : « السود » بالواو ، وهو تحريف .

(٩) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي أحد الشعراء المجيدين . كان يجمع بين الفصاحة العجيبة
والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم
بكل نادرة ، ويأتى بكل فقرة ودرة . أقام بالشام مدة ، وسكن بواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره .
ومن الملح والنوادر التي تحكى عنه : أنه قصد صاحب بن عباد وهو بأثحان ، فلما وصل إلى بابها قال لأحد =

يُمسَى وَيُصْبِحُ لَمْ يُفَارِقْ بَيْتَهُ * وَلَقَدْ سَرَى عَدَدًا مِنْ الْأُمَيَّالِ
 وَتَرَاهُ يَكُنُّ بَعْضُهُ فِي بَعْضِهِ * فَطَيْشٌ عَنْهُ أَهْمُهُمُ الْأَهْوَالِ
 عَيْنَاهُ مِثْلُ النُّقْطَتَيْنِ وَخَطْمُهُ * يَحْكِي نُدَى رِضَاعَةِ الْأَطْفَالِ
 وَكَانَتْ أَفْلَامًا غُرُزَنْ بَظْهَرِهِ * مَسَّ الْمِدَادُ رُءُوسَهَا بِبِلَالِ
 تَهَارَبُ الْحَيَاتُ حِينَ يَرَيْنَهُ * هَرَبَ اللَّصُوصُ رَأَتْ سَوَادَ الْوَالِي
 وَكَانَهُ الْخَزِيرُ إِلَّا جِلْدَهُ * وَصِيَاخَهُ وَتَفَارُبَ الْأَوْصَالِ



وَأَمَّا الْفِرَّانُ وَمَا قِيلَ فِيهَا — قَدْ سَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الْفُؤَيْسِقَةَ . وَالْفَارُ ضُرُوبٌ تَقَعُ عَلَى جَمِيعِهَا هَذِهِ التَّسْمِيَةُ وَهِيَ "الْجُرْدُ"
 و"الْفَارُ" مَعْرُوفَانِ — وَهُمَا كَالْجَوَامِيسِ وَالْبَقَرِ — وَ"الزَّبَابُ" وَ"الْخُلْدُ"
 وَ"الْيَرْبُوعُ" وَ"فَارَةُ الْبَيْشِ" ^(١) وَ"فَارَةُ الْمَمْسُكِ" وَ"فَارَةُ الْإِبِلِ" .

فَأَمَّا الْجُرْدُ وَالْفَارُ — وَهُمَا مِنْ حَيَوَانَ الْبُيُوتِ وَالْبَرِّ . قَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي طَبَائِعِ
 الْحَيَوَانِ : إِنَّ الْفَارَ مِمَّا جُمِعَ لَهُ بَيْنَ حَاسَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ . وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ
 أَفْسَدُ مِنْهُ . وَمِنْ فَسَادِهِ أَنَّهُ يَحْدُ قَارُورَةَ الدَّهْنِ وَهِيَ ضَيْقَةُ الْقَمِّ فَيُدْخِلُ ذَنْبَهُ فِيهَا

- ١٥ = حُجَابُهُ : قَالَ لِصَاحِبِ : عَلَى الْبَابِ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ وَهُوَ يَسْتَأْذِنُ فِي الدُّخُولِ ، فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَعْلَاهُ ؛ فَقَالَ
 الصَّاحِبُ : قُلْ لَهُ : قَدْ أَتَمَّتْ نَفْسِي أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيَّ مِنَ الْأَدْبَاءِ إِلَّا مَنْ يَحْفَظُ عَشْرِينَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ
 الْعَرَبِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَاجِبُ وَأَعْلَاهُ بِذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : ارْجِعْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : هَذَا الْقَدْرُ مِنْ شِعْرِ الرِّجَالِ أَمْ
 مِنْ شِعْرِ النِّسَاءِ ؟ فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ ؛ فَقَالَ الصَّاحِبُ : هَذَا يَكُونُ أَبَا بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ ، فَأَذِنَ لَهُ
 فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُ وَانْبَسَطَ لَهُ . وَأَبُو بَكْرٍ هَذَا لَهُ دِيْوَانُ رَسَائِلٍ وَدِيْوَانُ شِعْرِ . وَلَدَ سَنَةِ ٣٢٣ هـ
 وَتَوَفَّى فِي شَوَّالِ سَنَةِ ٣٨٣ هـ . (رَاجِعْ يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ ج ٤ ص ١١٤ — ١٥٤ وَتَارِيخُ ابْنِ خُلْكَانِ ج ١
 ص ٧٤٦) . (١) الْبَيْشُ : نَبَاتٌ سَامٌ تَأْكُلُهُ هَذِهِ الْفَارَةُ وَلَا يَضُرُّهَا .

وَيَمْتَصُّهُ . فَإِنْ قَصُرَ ذَنْبُهُ عَنْ بُلُوغِ الدَّهْنِ عَمَدَ إِلَى النَّوَى وَالْأَحْجَارَ الصَّغَارَ فَيُلْقِيهِمَا فِيهَا ، فَيَطْفُو مَا فِيهَا فَيَمْتَصُّهُ بِذَنْبِهِ ، وَلَا يَزَالُ يَتَعَاهَدُ ذَلِكَ حَتَّى يَنْقَدَّ جَمِيعُ مَا فِيهَا . وَهُوَ إِذَا سَرَقَ الْبَيْضَ يَعْجِزُ عَنْ كَسْرِهِ بِسِنِّهِ ، فَيُدْحِجُ الْبَيْضَةَ إِلَى أَنْ تَسْقُطَ مِنْ مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ إِلَى مُسْتَقِيلٍ فَتَنْكَسِرُ ؛ فَإِنْ عَجَّزَهُ ذَلِكَ اسْتَعَانَ بِفَأْرٍ آخَرَ فَيَعْتَنِقُهَا أَحَدُهُمَا بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَيَنْقَلِبُ عَلَى قَفَاهُ ؛ وَيَقْبِضُ الْآخَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَيَتَسَلَّقُ بِهِ فِي حَائِطٍ ؛ فَإِذَا ارْتَفَعَ بِهِ عَنِ الْأَرْضِ أَلْقَاهَا الْحَامِلُ لَهَا فَتَنْكَسِرُ فَيَأْكُلُهَا جَمِيعًا . أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مَنْ شَاهَدَهُ . وَالْمَثَلُ يُضْرَبُ بِهِ فِي الْفَسَادِ وَالسَّرِقَةِ وَالنِّسْيَانِ وَالْخَذَرِ . وَفِي طَبِيعِ الْجُرْذِ الْبَرِّيِّ وَعَادَتُهُ أَنَّهُ لَا يَحْفِرُ بَيْتَهُ عَلَى قَارَعَةِ الطَّرِيقِ خَوْفًا ^(١) مِنَ الْحَاظِرِ [أَنْ يَهْدِمَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ] . وَيَقَالُ : إِنَّهُ يُخَلِّقُ مِنَ الطَّيْنِ ، وَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ بَارِضٍ مِصْرٍ إِذَا نَضَبَ مَاءُ النَّبْلِ عَنْهَا . وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ : إِنَّهُ رَأَى ذَلِكَ عَيْنَانِ فِي سَقْفِ ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) مِيدُومٍ مِنْ جِيزَةِ مِصْرٍ .

وَقَالَ الْجَاهِظُ : لَعَمْرِي إِنْ جُرْذَانٌ أَنْطَاكِيَّةٌ لَتُسَاجِلَ السَّنَانِيرَ فِي الْحَرْبِ ، وَلَا تَقُومُ لَهَا وَلَا تَقْوَى عَلَيْهَا إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ . قَالَ : وَهِيَ نَجْرَاسَانٌ قَوِيَّةٌ جَدًّا ، وَرَبَّمَا قَطَعْتَ أُذُنَ النَّائِمِ . قَالَ : وَمَنْ الْفَارُ مَا إِذَا عَضَّ قَتَلَ . قَالَ : وَمَنْ الْأَعَاجِيبُ

- ١٥ (١) الْحَامِرُ مِنَ الْمَرْسِ وَالْبَغْلُ وَالْحِمَارُ : كَالْقَدَمِ مِنَ الْإِنْسَانِ . (٢) الزِّيَادَةُ عَنْ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . (٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ يَقْلُهَا الْمُؤَلِّفُ عَنْ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ ، وَهِيَ عِبَارَةُ الْجَاهِظِ فِي الْحَيَوَانَاتِ وَنَصَبَهَا : «وَقَدْ أَكْرَمَا أَنْ تَكُونَ الْفَارُ تَخْلُقُ إِلَّا فِي أَرْحَامِ إِمَائِهَا مِنْ أَصْلَابِ ذَكَوَرِهَا وَمِنْ أَرْحَامِ بَعْضِ الْأَرْضِيِّينَ كَطَبِئَةِ الْفَاعِلِ فَإِنَّ أَهْلَهَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ رَأَوْا الْفَارَةَ لَمْ يَمُتْ خَلْقُهَا بَعْدَ وَإِنْ عَيْنُهَا نَبِيْأَمَانٌ ثُمَّ لَا يَرِيْمُونَ حَتَّى يَمُتَ حَلْقُهَا وَتَشْتَدُّ حَرَكَتُهَا » . (٤) يَلَاظِحُ أَمَّا لَمْ تَجْعِدْ فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ فِي كَلَامِهِ عَنِ الْفَارِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ . (٥) سَقْفُ مِيدُومٍ : قَرْيَةٌ مِنْ مَدِيرِيَةِ بَنِي سُوَيْفٍ بِقِسْمِ الزَّوَايَةِ (وَهِيَ الْآلَتُ إِحْدَى قَرْيِ مَرْكَرِ الْوَاسِطَةِ) وَاقِعَةٌ غَرْبِي النَّبْلِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَلِ الْغَرْبِيِّ وَفِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ لِحَاةِ الرَّقَّةِ بِخَوَالِفَيْنِ وَسَمَاتِهِ مِتْرَ . وَأَكْثَرُ مَبَانِيهَا بِالْأَجْرِ وَبِهَا جَامِعٌ ، وَهِيَ عَلَى تَلَوٍّ قَدِيمَةٍ . وَفِي غَرْبِهَا عَلَى بَعْدِ سَبْعِمِائَةِ مِتْرٍ بِالْجَبَلِ الْعَرَبِيِّ هَرَمٌ عَظِيمٌ يُضَافُ إِلَى اسْمِهَا . (رَاجِعِ الْخَطَطُ التَّوْفِيقِيَّةَ ج ١٢ ص ٣٩) .

في قرض الفأر أت قومًا من أهل الفِرَاسَة ينظرون إلى قَرَضِهِ و يفتَرسون منه أحوالا .
و يزعمون أن أبا جعفر المنصور نزل في بعض القُرَى فقرضُ الفأرِ مِسْحًا له كان يجلس عليه ، فبعث به ليُرفَأَ ؛ فقال لهم الرِّفَاءُ : إنا هاهنا أهل بيت يَعْرِفون بقرض الفأر ما ينال صاحب المتاع من خير وشر ، فما عليكم أن نعريضوه عليهم قبل إصلاحه ؟
فبعث المنصور إلى شيخهم ؛ فلما نظر إلى موضع القَرْضِ وثب قائمًا ثم قال : من صاحب هذا المِسْحِ ؟ فقال المنصور : أنا ؛ فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ والله لَتَلَيَنَّ الخلافةَ أو أكون جاهلا أو كذابًا .

وفي الفأر منافع ذكرها الشيخ الرئيس ابن سينا ، فقال : دَمُ الفأر يقطع التَّالِيلَ ،
ويزيله نافع على داء الثعلب وخصوصا لَطَخًا بالمسك ، وخصوصا المُحْرِق . قال :
وإذا شوى الفأر وُجِفَّ وأُطِيع الصَّبِي أَنْقَطَعَ سَيْلَانُ الأَعْيَابِ من فيه . قال : واتفق
الناس أن الفأر إذا شُقَّ ووضع على لَدَغِ العقرب نفع . والله أعلم .

وقد وصف الشعراء الفأر وشبهوه في أشعارهم وذكروا سوء فعله . فمن ذلك
قول أعرابي [وقد دخل البصرة فأشترى خبزًا فأكله الفأر^(١)] :

عَجَّلَ رَبُّ النَّاسِ بِالْعِقَابِ * لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخِرَابِ
حَتَّى يُعْجَبْنَ إِلَى التَّنَابِ * تُكَلِّ الْعَيُونَ وَقَصُ^(٢) الرِّقَابِ
مُجَرَّرَاتٍ فَضَّلَ الْأَذْنَابِ * مِثْلَ مَدَارِي الطُّفْلِ الْكَعَابِ^(٣)

(١) الزيادة عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ص ١٨٤ من الجزء الثاني المخطوط والمحموط
مدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٦٤ أدب) .

(٢) وقص : جمع أوقص . والوقص (بالتحريك) : قصر العنق .

(٣) المدارى : جمع مدرأة ، وهى شئ يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط
وأطول منه ، يمرح به الشعر المتلبد .

كيف لها بأنتمى وثأب * منهريت الشدق حديد الثأب
كأنما يتكسر عن حرايب * يفرسها كالأسد الوثأب

وقال أبو بكر الصنوبري^(٢) :

يا حنوب الظهور رقعيس الرقاب^(٣) * ليدق الخراطوم والأذنايب
للطاف أذناها^(٤) والخراطيب * ثم حداد الأظفار والأنياب
خلقت للفساد مذخوق الخلد * بقى وللعيش والأذى والخراب
ناقبات في الأرض والسقف والحا * نيط تقبأ أعيان على الثقاب
آكلات كل الماكل لا تس * مأمها شاربات كل الشراب
آلفات قرض الثياب وقد يع * يدل قرض القلوب قرض الثياب

وقال في فارة بيضاء :

وفارة بيضاء لم تبذل * يوماً لإطعام السنابير
إذ فارة المسك سمعتها * وهذه فارة كافور

٩٨

(١) في كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٨٠) :

* أهوى لمن أمر الإهاب *

وقد فسر الجاحظ «أمر الإهاب» بالسور .

(٢) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار أبو بكر الصبي المعروف بالعمري الحلبي ، شاعر محسن أكثر أشعاره في وصف الرياض والأنوار . قدم دمشق وله أشعار في وصفها ووصف متزهاتها . وسئل عن السبب الذي نسب حذو إلى الصنوبر حتى صار معروفا به فقال : كان جدي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون ؛ فخرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحدثه ذكائه وقال له : إلك لصوبري الشكل ، يريد بذلك الذكاء وحدثه المراج . (راجع تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٥٦ طبع الشام) .

(٣) قصص الرقاب : ماثلتها محو الطهر .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أذناها » .



وَأَمَّا الزَّبَابُ — فإنه فأرُّ أصمُّ، يكون في الرمل . والعرب تضرب به المثل في السرقة . يقولون : «أسرقُ من زَبَابَةٍ» .



- وَأَمَّا الخُلْدُ — فهو أعمى لا يُدرك شيئاً إلا بالشمِّ^(١)، [إلا أن] عينيه كاملتان، لكن الجفن مُلتصِّمٌ على الناظر لا يَنشَقُّ . وهو تُرابيٌّ مُستقرٌّ في باطن الأرض ؛ وهي له كالماء للسمك . وليس له على ظهر الأرض قوَّة ولا نشاط ؛ بل يَبْقَى مطروحاً كالمتيت فتخطفه الجوارح أو يموت . وهو حديدٌ حاسَّةِ الشمِّ . ومتى شمَّ رائحةً طيبةً هَرَبَ . وهو يحبُّ رائحةَ الكُرَّاث والبصل ؛ وربما صيد بهما . ومن دأبه طولُ الكَدِّ ودوامُ الحَفْرِ . وفي تركيبه أنه لا يُفْرِط في الطَّاب ولا يَقْصُر عنه . وله وقت يظهر فيه لا يُحِطُّه ولا يغلُظ^(٢) في المقدار . ويُضرب به المثل في حدة السمع ؛ فيقال : «أسمع من خُلْدٍ» .



- وَأَمَّا اليرْبُوعُ — فهو حيوان طويلُ الرِّجلين ، قصيرُ اليدين جدًّا . وله ذَنَبٌ كذنبِ الجرَد، يرفعه صُعْدًا، في طَرَفِهِ شَبُهُ الثَّوَارَةِ . ولونه لونُ الغزال . ويقال لولده "دِرْصٌ" ، والجمع أَدْرَاص . قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان : كُلُّ دابةٍ حشاها الله خُبْنًا فهي قصيرةُ اليدين . وهو يسكن بطن الأرض ليقوم رطوبتها

(١) في ب : « بالسمع » . (٢) التكلة عن مباحث الفكر .

(٣) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « ولا يدب » بالباء الموحدة . ولعلها « يفلت » بالثاء .

المتناة . وقلت كالمط ، وقيل : الفلت في الحساب والغلط في القول .

له مقام الماء . وهو يُؤثر النسيم ويكره البخار^(١) . وهو يتخذ بُحْره على نَسِيرٍ من الأرض ويحفره ، ويفتح له أبواباً على مَهَبِّ الرياح وتُسمى "النَّافِقاء"^(٢) و "القاصِعاء" و "الدَّاماء" و "الرَّاهِطاء" . فإذا طُلِبَ من أحد هذه الأبواب نرج من الآخر . وهو يَحْتَرَّ وَيَبْعَر . وله كَرِشٌ وأسنان وأضراس . وهو من الحيوان الذى ينقاد إلى رئيس منه . والرئيس منها إذا كان فيها يرتفع عنها فيكون فى مكان مُشْرِفٍ أو على صخرة ينظر منه إلى الطريق . فإن رأى ما يخافه عليها صرَّ بأسنانه وصوت ، قسمعه فنصرف إلى حِجْرَتِها ؛ وإن أغفل ذلك ورأت ما تخافه قبل أن يراه قتلته ، لتضييعه الحزم وعَفَاتِهِ ، ونصبت غيره لرياستها . وإذا أرادت اليرابيع الخروج من حِجْرَتِها لطلب المعاش خرج الرئيس قبلها وأشرف ؛ فإذا لم ير ما يخافه عليها صرَّ لها وصوت فتخرج . قالوا : ويتولد من اليربوع والفأرة ولدٌ يسمى "القَرَب"^(٣) .



وأما فأرة المسك — فقال الجاحظ : إنها دَوِيَّةٌ تكون فى بلاد تَبْت^(٤) تصاد لنوايحها وسُرورها . فإذا أصطيدت عُصِبَتْ سُرَّتُها بمصابٍ وهى مُدَلَّاةٌ فيجتمع فيها دُمُها ؛ فإذا اجتمع دُمُحَتْ ، ثم تُقَوَّرُ السُرَّةُ المعصوبة وتدفن فى الشَّعِيرِ حيناً

(١) فى كتاب حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٤٨٠) : « البعار » بالحاء المهملة . وكلتاها غير واضحة .

(٢) ورد فى المخصص (ج ٨ ص ٩٢) فى الكلام على حجرة اليرابيع : « قال أبو حاتم : هى سبعة : القاصعاء ، والنافقاء ، والداء ، والراطاء ، والماتقاء ، والحياء ، والمز » . ثم جاء فيه بعد ذلك تفسير لما جميعها . فانظر هناك . وانظر لسان العرب أيضاً (مادة نق) .

(٣) تبت (كسر) فيها روايات أخرى : إقليم صين الجمهورية الصينية متاخم الهند يقع منها فى شمالها وإلى الجنوب الغربى من الصين الأصلية . وهى هضبة تحترقها الجبال تعتبر أعلى صقع فى العالم . ومن أشهر نباتها الكتلا وترعاها الوعول البرية والمعز والأعنام . ومن صادراتها الصوف والمسك .

فيسْتَحِيلُ ذلكَ الدَّمَّ الْمُخْتَبِقُ الجَامِدُ مِسْكَذِيًّا بعد أن كَانَ مُدَبِّتًا . ويقال : إن هذه القارة تُوجد في بلاد الزباج ^(١١) وتُحمل إلى السَّند، وإن المسك يخرج من خُصْيَيْ ذكورها بالعصر، ومن ضُرُوعِ إناثها بالحلب . ويقال : إن الفارَّ الفارسيَّ أَطْيَبُ رِيحًا من كل طيب، وربما ضاهى رِيحَ المسك . وهو أجردٌ أشقر، شَعْرُهُ إلى الصَّفرة، شديدٌ تحلل العنن، طويلُ الأذنين، قصيرُ الذَّنْب .



وأما فأرة الإبل - فليست بحیوان، وإنما هي رائحةٌ تسطع من الإبل عند صدورها من الوردِ يُنَجِّها طِيبُ الرَّغْيِ . قال الشاعر :
لها فأرةٌ ذَفراءُ ^(٣) كلَّ عَشِيَةٍ * كما فَقَّ الكافورَ بالمسكِ فاقُبُهُ



وأما القُرَاد وما قيل فيه — فقد قالوا : أول ما يكون "قُرْقَامَةً"^(٤) وهو الذي لا يكاد يُرَى من صِغَرِهِ، ثم يصير "حَمَانَةً" ثم يصير "قُرَادًا" ثم يصير "حَلَمًا". ويقال للقُرَاد : "العَلَّ" و"الطَّلَح" و"القَتِين" و"الْأَرَام" و"الْقُرْشَام".

(١) كذا في مباح العكر وياقوت . والراجح : جزيرة في أقصى بلاد الهند وراء بحر هر كند في حدود الصين ، يوجد بها فأر المسك والزباد (دابة شبه الحمار) . وفي أ «الراجح» . وفي ب : «الراجح» ، وكلتاها تصحيف . (٢) هو الرامح ، كما في اللسان (مادة فأر) . واسمه عبيد بن حصين بن معاوية من بني نمير . وسبب تسميته بالرامح أنه كان يصف رعاة الإبل في شعره ولم يكن رامحاً ، بل كان سيداً من سادات العرب ومن وجوه قومه . (٣) ذفر النسي . (كفرج) : ظهرت راحته واشتقت ، طيبة كانت أو خبيثة ، فهو ذفر وأذفر وذفرة وذفراف . (٤) كذا في اللسان (مادة قم)

والمخصص (ج ٨ ص ١٢٢) . وفي الأصلين : « فقامة » ، وهو تحريف .

والفرداء يُخْلَقُ من عَرَقِ البعير ومن الوَسَخِ والتَّلَطُّخِ بالتَّلَطُّ والْأَبْوَالُ ؛ كما يُخْلَقُ
القمل من عَرَقِ الإنسان . وفي طبع الفرداء أنه يسمع رُغَاءَ الإبل من فرائخ
فيقَصِّدُهَا ؛ حتى إنا أصحاب الإبل يبعثون إلى الماء من يُصْلِحُ لِبَلْهَمِ الْأَرْضِيَّةِ^(٢)
وَأَلَاتِ السَّقَى ، فَنَبِيتُ الرِّجَالُ عِنْدَ الْبُئْرِ تَنْتَظِرُ مَجِيءَ الْإِبِلِ ، فَيَعْرِفُونَ قُرْبَهَا مِنْ
الْفُرَادِ بِأَنْبِعَاتِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَسُرْعَةِ حَرَكَتهِ وَمَرْوَرِهِ ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ مِنْهُ تَهَيَّأُوا
لِلْعَمَلِ .

ويقول من آعنى بالحيوان ونكلم في طبائعه : إنا لكل حيوان فرداء يناسب
مِزَاجَهُ .

- وهم يَضْرِبُونَ المثل بالفرداء في أشياء ، فيقولون : « اُسمعُ من قُرَادٍ » ، و « أَرْقُ^(٣) »
من قُرَادٍ ، وما هو إلا قُرَادٌ ثَقِيرٌ . وَأَنْشِدُ الْجَاخِظُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي الْفُرَادِ :
أَلَا يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلْ لِقَبِيلَةٍ * إِذَا ظَهَرَتْ فِي الْأَرْضِ شَدَّ مُغِيرُهَا
فَلَا الدِّينُ يَنْهَاهَا وَلَا هِيَ تَنْتَهِي . وَلَا ذُو سِلَاحٍ مِنْ مَعَدٍّ يَضِيرُهَا



- وَأَمَّا التَّلُّ وَالذَّرُّ وَمَا قِيلَ فِيهِمَا — قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَحِشْرُ اللَّسَلِانِ
جُنُودُهُ مِنَ الْخَنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِيِ التَّمْلِ
قَالَتْ ثَمَلَةٌ بِأَيُّهَا التَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْانٌ وَجُنُودُهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ مِثْلًا

(١) التلط : الرقيق من الرجيع . (٢) الأرضية : (جمع رشاء) ، وهو حبل الدلو .
(٣) الرقى في جمع الأمثال : « أرق من حل » و « أرق من برام » . وهما من أسماء الفرداء كما تقدم .
(٤) الثفر (بالضم وبالفتح أيضا) لضروب السباع ولكل ذات غلب : كالحياه لثافة .

فَانْطَلِقْ لِحَاجَةٍ فِئَاءٍ مِنْ حَاجَتِهِ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرْيَةٍ نَمِلُ إِقَامًا فِي شَجَرَةٍ وَإِنَّمَا فِي الْأَرْضِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَعَلَ هَذَا أَطْفَنَهَا أَطْفَنَهَا أَطْفَنَهَا". وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "زُلْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَصَّته نَمْلَةٌ فَقَامَ إِلَى نَمِلٍ كَثِيرٍ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَتَلَهُنَّ فَقِيلَ لَهُ: أَفَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ". وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "زُلْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَقَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُخْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ يُسَبِّحُنَ اللَّهَ فَهَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ". وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ: أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي، فَرَأَى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا رَافِعَةً قِوَامَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ، لَيْسَ لَنَا غِنَى عَنْ سَقِيكَ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تَسْقِيَنَا وَتَرْزُقَنَا، وَإِنَّمَا أَنْ يُمَيِّتَنَا وَتُهْلِكََنَا. فَقَالَ لِلنَّاسِ: ارْجِعُوا، فَقَدْ سَقَيْتُمْ بِدُعَاءِ غَيْرِكُمْ.

وَقَالَ الْجَاهِلِيَّةُ: وَكَانَ مُنَامَةً يَزْعُمُ أَنَّ النَّمْلَ ضَائِدُ الدَّرِّ. قَالَ: وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ النَّمْلَ وَالذَّرَّ مِثْلُ الْفَارِ وَالْجُرَذِ، وَالْبَقْرِ وَالْجَوَامِيسِ. قَالَ: وَالذَّرُّ أَجُودُ فَهَمَّا وَأَصْفَرُ جَنَّةً.

وَزَعِمَ ابْنُ أَبِي الْأَشْعَثِ أَنَّ النَّمْلَ لَا يَتَرَاوَجُ وَلَا يَتَوَالَدُ وَلَا يَتَلَاخُ، وَإِنَّمَا يَسْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ حَقِيرٌ فِي الْأَرْضِ فَيَنْمُو حَتَّى يَصِيرَ بَيْضًا فَيَتَكَوَّنُ مِنْهُ.

وَالنَّمْلُ مِنَ الْحَيَوَانِ الْمُحْتَمَلِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ يَتَفَرَّقُ لَذَلِكَ؛ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ فَيَأْتِيَنَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذْنَ مِنْهُ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مُجْتَهِدٌ فِي إِصْلَاحِ شَأْنِ الْعَامَةِ

(١) كَذَا فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ لِلدَّبِيرِيِّ. وَفِي الْأَصْلَيْنِ: «بَيْضًا» بِالضَادِّ. وَالْبَيْضُ كُلُّهُ بِالضَادِّ إِلَّا بَيْضَ

النَّمْلِ فَإِنَّهُ بِالضَّادِّ. لَا غَيْرَ.

غير مختلِس لشيء من الرزق دون صحبه . ويقال : إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها
ومن تحيله في طلب الرزق أنه ربما وُضِع بينه وبين ما يُخاف عليه منه ما يمنعه من
الوصول إليه من ماء أو شعر ، فيتساق في الحائط ويمشي على جذع من السقف
حتى يُسَامِتَ ما حُفِظَ منه ثم يُلْقِي نفسه عليه . وفي طبعه وعادته أن يَحْتَكِرَ في زمن
الصيف لزمن الشتاء . وهو إذا خاف على ما يَدَّخِرُه من الجبوب من العفن والسُّوس
أو التَّسَدَّى من مجاورة بطن الأرض ، أخرجها إلى ظاهر الأرض حتى تَبَسَّ ثم
يُعِيدُهَا . وإن خاف على الحب أن يَتَبَّتَ من نَدَاوَةِ الأرض نَقَرَ في موضع القِطْمِير
من وَسَطِ الحَبَّة (وهو الموضع الذي يَتَدَيُّ منه النَّبَاتُ) ، وَيَقْلُقُ جميعَ الحبِّ أنصافاً ؛
فإن كان من حبِّ الكُرْبَةِ فَلَقَهُ أَرْبَاعاً ، لأن أنصاف حبِّ الكُرْبَةِ تَتَبَّتْ . فالنَّمْلُ
من هذا الوجه في غاية الحزم . فسبحان المُلْهِمِ لآله غيره .

وليس شيء من الحيوان يَقْوَى على حمل ما يكون ضِعْفُ وزنه مراراً غير النملة .
والنَّمْلُ يَسَمَّى له ليس له رُجٌّ تما لو وضعه الإنسان عند أنفه لما وجد له ريحاً . ومن
أسباب هلاك النملة نبات الأجنحة لها ؛ فإذا صار النمل كذلك صادته العصافيرُ
وأكلته . وفي ذلك يقول أبو العَنايَةِ :

وإذا آمنت للنمل أجنحة * حتى يطير فقد دنا عَظْبُهُ

ومن أصناف النمل صِنْفٌ يَسَمَّى « نمل الأسد » ؛ سَمِيَ بذلك لأن مُقَدِّمَ النملة
يُسَبِّهُ وجهَ الأسد ومؤخرها كالنمل . وزعم بعض من تكلم في طبائع الحيوان أنه
متولدٌ ، وأن أباه أكل لحماً ، وأمه أكلت نباتاً ، فَتُتَّحَ بينهما على هذه الصفة .

(١) وقد وصفه الشعراءُ ؛ فمن ذلك قول شاعر :

غُرَّةٌ يُولَّى الليثُ عنقَ هارِباً * وليست لها نَبْلٌ حدادٌ ولا عَمْدُ



فَصَارُ الْخَطَا حُمُشُ الْقَوَائِمِ صُمُرٌ * مُشْمَرَةٌ لَا تَشْتَكِي الْإَيْنَ وَالْحُرْدُ^(١)
 وَتَعْدُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى * نِشَاطًا كَمَا يَعْدُو عَلَى صَيْدِهِ الْأَسَدُ
 إِذَا ذَكَرَتْ طِيبَ الْهَبَاجِ تَنَفَّسَتْ * تَنَفَّسَ نَكْلَى قَدْ أُصِيبَ لَهَا وَلَدٌ
 كَأَكْرَادِ زَنْجَانٍ تَرِيدُ قَضَاضَةً^(٢) * وَتَلَكِ الصَّعَالِيكَ الْغَرَائِبَ فِي الْبَلَدِ^(٣)
 وَفِيرَتِ أَجْنَأَسُ تَسَاهَنَ صَوْرَةٌ * وَبَإَيْنَ فِي الْهِمَامَاتِ وَاللَّوْنِ وَالْجَسَدِ^(٤)
 فِينَهَبُ كُنُتٌ كَالْعَنَاكِبِ أَرْجُلًا * وَسَاعُ الْخَطَا قَدْ زَانَ أَجْيَادَهَا الْغَيْدُ
 إِذَا أَنْتَهَرَتْ طَارَتْ وَإِنْ هِيَ خَلَدَتْ * رَأَتْ وَرَدَ أَحْوَاضِ الْمَنَاءِ مِنَ الرَّشْدِ
 وَسَوْدُ خِفَافِ الْجَسْمِ لَوْ عَظِيتِ الصَّفَا * رَأَيْتِ الصَّفَا مِنْ وَقَعِ أَسْمَانَهَا قَدْ^(٥)
 يَفِدُنَ عَلَيْنَا مُفْسِدَاتِ جِفَانَتَا * وَأَزْوَادَنَا أَبْغَضَ إِلَيْنَا بِمَا وَفَدُ

وَقَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ :

١٠

وَحَى أَنَاخُوا فِي الْمَنَازِلِ بِاللَّوَى * فَصَارُوا بِهِ بَعْدَ الْقَطِينِ قَطِينَا
 إِذَا آخَلَفُوا فِي الدَّارِ ظَلَّتْ كَأَنهَا * تُبَدَّدُ فِيهَا الرِّيحُ رِزْزُ قَطُونَا
 إِذَا طَرَفُوا قَدَرِي مَعَ اللَّيْلِ أَصْبَحْتُ * بِوَاطِنِهَا مِثْلَ الظَّوَاهِرِ جُونَا
 لَمْ نَظَرَةً يُسْرَى وَيُمْنَى إِذَا مَشَوْا^(٦) * كَمَا مَرَّ مَرْعُوبٌ يَخَافُ كَيْنَا
 وَيَمَشُونَ صَفًّا فِي الدِّيَارِ كَأَنَّمَا * يَجُوزُونَ خَيْطًا فِي التَّرَابِ مَيْنَا^(٧)

١٥

(١) حش القوائم : دفعها . والحرد : داء . يصيب عصب يدي الدابة .

(٢) زنجان : بلد كبير مشهور بنواحي الجبال بين أذربيجان وبيها ، وهي قرية من أبهر وقروين

والعجم . (٣) ورد هذا البيت هكذا بالأصلين . ولم ندين المراد منه .

(٤) كذا في مباحح المكر . وفي الأصلين : « الجلد » ، وهو تحريف .

(٥) القدد : جمع قدة وهي القطعة من الشيء .

٢٠

(٦) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصلين : « مشت » .

(٧) المين : الحبل الصغير ، وقيل : القوى ، فهو من الأضداد . وفي أ : « منيا » .

وفي ب ديوان المعاني : « مينيا » . وأمل الكلمتين مصحفان عما أثبتناه .

وفي كل بيت من بيوت قريّة * تضم صنوفاً منهم وفنونا
فيا من رأى بيتاً يضيق بخمسة * وفيه قريّات يسغن مئينا



وأما القمل والصُّواب وما قيل فيهما — قال الجاحظ : ذكروا
عن إياس بن معاوية أنه يزعم أن الصُّبان دُكُورَةُ القمل ، وأن القمل من الشكل
الذي تكون إنانته أعظم من دُكُورته .

قال الجاحظ : والقمل يعتري من العرق والوسخ إذا علاهما ثوب أو ريش
أو شعر ، حتى يكون لذلك المكان عَفَنٌ ونُحُمٌ . والقملة يكون لونها بحسب لون
الشعر في السَّوَادِ والبياض والشمط وفي لون الحُضَاب ، ويتصل إذا فصل . قال :
والقمل يعرض لثياب كل إنسان إذا عرض لها الوسخ أو العرق أو النُحُم ، إلا ثياب
المُجَدِّمين فإنهم لا يَقمَلُون . وإذا قمل إنسانٌ وأفرط عليه القمل زابق رأسه فيتناثر
القمل . قال : وربما كان الإنسان قَلَّ الطَّباع وإن تنظف وتطرّ وتبدل أنواعه ؛
كما عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، حتى استأذنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في لباس الحرير ؛ فأذن لها فيه لهذه الضرورة ولدفع
هذا الضرر . ١٥

وقد وصف الشعراء القمل في أشعارهم ؛ فمن ذلك قول بعض العقيلين وقد
مرّ أبى العلاء العقيلي وهو يتفلى ، فقال :

وإذا مررت به مررت بقانص * مُتَصَيِّدٍ في شَرْقَةٍ مَقْرُورِ^(١)
للقمل حول أبى العلاء مصارع * ما بين مقتول وبين عفير^(٢)

(١) الشَّرْقَة : الشمس . والمَقْرُور : من أصابه القر ، وهو البرد . (٢) كذا في تخاب
الحيران للجاحظ (ج ٥ ص ١١٤) . وفي الأصلين : « عفير » بالفاء ، وهو تصحيف .

فَكَانَ هُنَّ إِذَا عَاوَنَ قَيْصَهُ * فَدُوتَ وَهُنَّ مَنِيْمٌ مَّقْشُورٌ
ضَرَجَ الْأَنَامِلَ مِنْ دَمَاءِ قَتِيلَيْهَا * حَتَّى عَلَى أُخْرَى يَبْدُو مُغِيرٌ

وقال الحسن بن هانئ في رجل أسمه أيوب :

مَنْ يَتَأَنَّ عَنْهُ مَصَادُهُ * فَصَادُ أَيُّوبَ ثِيَابُهُ ^(٢)

يَكْفِيهِ مِنْهَا نَظَرَةٌ * فَتُعَلِّ مِنْ عِلْقِ حِرَابُهُ ^(٣)

يَا رَبِّ مُحَرَّرٌ بِجِدِّ * بِالرُّدَنِ تَكْفِيهِ صَوَابُهُ ^(٤)

فَإِشَى النَّكَايَةِ غَيْرِ مَعْدٍ * لِمَوْمِ إِذَا دَبَّ أَنْسَابُهُ ^(٥)

أَوْ طَامِرِيٍّ وَائِبٍ * لَمْ يُنْجِ عَنْهُ وَثَابُهُ ^(٦)

أَهْوَى لَهُ بِمُزَلَّقِ الْإِ * حَرْنَيْنٍ إِصْبَعُهُ نِصَابُهُ ^(٧)

لَهُ دَرَكٌ مِنْ أَنْحَى * قَنْصِ أَصَابِعِهِ كَلَابُهُ

(١) كذا في كتاب الحيوان . وفي الأصلين : « لعدو ... » .

(٢) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه .

(٣) كذا في آداب الحيوان . والعلق : الدم . وقد وردت هذه الشطرة في الأصلين محرفة .

(٤) كذا في كتاب الحيوان . وقد ورد هذا البيت في الأصلين محرفا .

(٥) كذا في الحيوان . وفي أ : « النكابة » . وفي ب : « الحنابة » ، وكلاهما تحريف . ١٥

(٦) كذا في الحيوان . وطامر بن طامر : البرعوث ، سمي بذلك لكثرة وثو . في الأصلين :

« أو ضامري » بالضاد المعجمة ، وهو تحريف .

(٧) مزلق : محمّد . ويريد الطفر . والعرنين : الأنف . وعرنين كل شيء : أوله . وهو المراد

هنا . والنصاب : المقيض .

القسم الخامس من الفن الثالث في أجناس الطير وأنواع السمك

وفيه سبعة أبواب : ستة منها في الطير، وباب في السمك . وذيلت عليه بباب
ثامن أوردت فيه ذكر شيء مما قيل في آلات صيد البر والبحر .

قال الجاحظ في كتاب الحيوان : إن الحيوان على أربعة أقسام : شيء يطير، وشيء
يعوم، وشيء يتسلح، وشيء يمشي؛ إلا أن كل طائر يمشي، وليس كل شيء يمشي
طائرا . قال : وأسّم طائر يقع على ثلاثة أشياء : صورة، وطبيعة، وجساج ؛ وليس
بالريش والقوادم والأباهر^(١) والحوافى يسمى طائرا ولا بعده يسقط ذلك عنه .
ألا ترى أن الخفاش والوطواط من الطير وإن كانا أمرطين ليس لهما ريش ولا
زغب ولا شكير . ١٠

قال : والطير كله سبع وبهيمة وهمج . والسباع من الطير على ضربين : فمنها
العناق، والأحرار، والحوارج . ومنها البعاث، وهو كل ما عظم من الطير سبعا
كان أو بهيمة إذا لم يكن من ذوات السلاح والمخالب المعقفة كالنسر والرحم
والغربان وما أشبهها من لئام السباع . ثم الخشاش وهو ما لطّف حرّمه وصغّر شخصه
وكان عديم السلاح . ١٥

وقال : إذا باض الطائر بيضا لم تخرج البيضة من حدّ التحديد والتلطيف
بل يكون الجانب الذى يبدأ بالخروج الجانب الأعظم . وما كان من البيض مستطيلا

(١) الأباهر : ما يلى الكلى من ريش الطائر . وأول الريش : القوادم ، ثم الماكب ، ثم الخوافى ،
ثم الأباهر ، ثم الكلى .

محدّد الأطراف فهو للإناث، وما كان مستديرا عريض الأطراف فهو للذكور .
والبيضة عند خروجها تكون لينة القشر غير جاسئة ولا يابسة ولا جامدة . قال :
والبيض الذي يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو في الطيب دون الآخر .
ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج^(١) والحمام والطاوس والإوز . قال : وحضن
الطائر وجنومه على البيض يكون صلاحا لبدن الطائر كما يكون صلاحا لبدن البيض .
قال : وزعم ناس أن بيض الريح إنما يكون عن سفاد متقدّم . وذلك خطأ من
وجهين : أما أحدهما ، فإن ذلك قد عُرِف من فراريج لم ترديكا قط . والآخر أن
بيض الريح لم يكن منه فروخ قط . وبيض الصبف المحضون أسرع خروجا منه
في الشتاء .

فهذه جملة من أحوال الطير فزقها الجاحظ في كتابه في عدة مواضع جمعناها
وألفنا بعضها إلى بعض . فلنذكر كل جنس من الطير، ونشرح ما يخصه من الكلام
وما قيل فيه . وغير الجاحظ قسم الطير إلى أقسام ، بفعل منها سبعا ، وكلابا ،
وبهائم ، وبغائا ، وليليا ، وهمجا ، وعلى ذلك بوبنا هذا القسم ؛ على ما تقف عليه إن
شاء الله تعالى .

(١) صبط في القاموس واللسان بفتح فسكون . ونقل شارح القاموس عن شيعه إمكار هذا الصبط
وقال : بل هو محرك كالحل وزا ومعنى . وهو فارسي معرب ، أصله في الفارسية كبح ، وواحدة قجة . وفراح
الفتح تخرج كما تخرج المراجيح . وإبائه تبيض خمس شرة بيضة . ويوصف الذكر بهوته على السعاد ،
وهو لهذا يكرس البيض ثلاثا مشغلا الأثني بمحضته عنه ، كما أن الأثني تهرب وتحتئ إذا جاء أواد يبيضها .
والقبج يعبر أصواته بأصوات شتى ، ويعمر خمس عشرة سنة . (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٨٢
طبع بولاق) .

الباب الأول من القسم الخامس من الفن الثالث في سباع الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في العقاب والبزاة والصقور والشواهين ،
وأصناف ذلك ، وما يتصف به كل طير منها وما فيه من الطبائع والعادة ، وما يصيد ،
وما فيه من الأمارات الدالة على نجابته وفراسته ، وغير ذلك مما تنقف عليه إن شاء
الله تعالى .

ذكر ما قيل في العقاب

يقال : إنَّ العقاب جميعه أثني وليس فيه ذكر . ويُسمى عند أهل اللغة
”العنقاء“ . وهي ”عُقَابٌ“ و ”زُجْجٌ“ . فأما العقاب فيقال : إنَّ ذكورها من طير آخر
لطيف الحُرْم . وهي تبيض في الغالب ثلاث بيضات فيخرج لها فرخان . قال
الجاحظ : ثم اختلفوا ، فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا بيضتين ؛ وقال آخرون :
قد تحضن ويخرج لها ثلاثة أفراخ ولكنها ترمي بالواحد استنقالاتاً للتكليف على ثلاثة ؛
وقال آخرون : ليس ذلك إلا لما يعتريها من الضعف عند الصيد ، كما يعتري النِّسَاءَ
من الوهن والضعف . وهي تحضن ثلاثين يوماً . وما عداها من الجوارح تبيض
بيضتين في كل سنة وتحضن عشرين يوماً .

قالوا : وفي طبع الذكر أنه يتمتن أثناءه هل هي محافظة له أو مؤاتية لغيره من
غير جنسه ، بأن يصوب نظر فرخيه إلى شعاع الشمس ، فإن ثبت عليه تحقق أنها
فراخه وأمسكها ، وإن نبا بصره عن شعاع الشمس ضرب الأثني كما يضرب الرجل
المرأة الزانية وطردها من وكَّره ورمى بالفرخين .

- والعُقاب خفيفة الجَنَاح ، سريعة الطيران ، فهي إن شاءت أرتفعت على كل شيء وإن شاءت كانت بقربه . يقال : إنها تنغذى بالعرفا وتعتشى بالبن . وربما صادت حُمر الوحش ، وذلك أنها إذا نظرت الحمار رمت نفسها في الماء حتى يبتل جناحها ، ثم تنزع في التراب وتطير حتى تقع على هامة الحمار ، ثم تصفق على عينيه بجناحيها فتملؤهما تراباً ، فلا يرى الحمار أين يذهب فيؤخذ . وهي مولة بصيد الحيات . وفي طبعها قبل أن نتدرب أنها لا تراوغ صيداً ولا تعنى في طابه ، ولا تزال موفية على شرف عالٍ ؛ فإذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً أنقضت عليه ، فتركه لها وتجو بنفسها . ومتى جاءت لم يمتنع عليها الذئب . وهي شديدة الخوف من الإنسان . ويقال : إنها إذا هيرمت وتقل جناحها وأظلم بصرها التمت غديراً ، فإذا وجدته حلقط طائرة في الهواء ثم تقع من حاليق في ذلك الغدير فتغنم فيه مراراً ، فيصيح جسمها ويقوى بصرها ويعود ريشها ناشئاً إلى حالته الأولى . وهي متى تقلت عن النهوض أو عييت حملتها الفرائخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى آخر لطلب الصيد وتعولها إلى أن تموت . ومن عجيب ما ألهمت أنها إذا أشكت كبدها رفعت الأرناب والثعالب في الهواء وأكلت أبادها فترا^(١) .
- وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها ، والطير إلا قلوبها . قال امرؤ القيس :
- كأن قلوب الطير رطباً وياساً * لدى وكزها العناب والحشف البالي
- ومنبرها الأعلى يعظم ويتمقف حتى يكون ذلك سبب هلاكها ؛ لأنها لاتال به الطعم إذا كان كذلك . وأول من صاد بها أهل المغرب . وحكي أن قيصر أهدى إلى كسرى عقاباً ، وكتب إليه : علمها فإنها تعمل عملاً أكثر من الصقور

(١) في الأصلين : « من رجع ... في الهواء أكلت ... الخ » ، وهو غير واضح .

التي أعجبتك . فأمر بها فأرسلت على ظني عرض لها فقدته ، فأعجبه ما رأى منها ؛
ثم جوعها ليصيد بها ، فوثبت على صبي من حاشيته فقتله ؛ فقال كسرى : غزانا
قيصر في بلادنا بغير جيش . ثم أهدى له تمرًا وكتب إليه : قد بعثت إليك بما تقتل
به الأطباء وما قرب منها من الوحش ؛ وكتب عنه ما صنعت العقاب . فأعجب به
قيصر . ففعل عنه يومًا فأقرس بعض فتيانِه ؛ فقال : صادنا كسرى ؛ فإن كنا
صدناه فلا بأس . فلما اتصل ذلك بكسرى قال : أنا أبو ساسان .

وأجود العقاب ما جلب من سرت و بلاد المغرب .

وقد وصفها الشعراء فن ذلك ما قاله أبو الفرج البغاء :

ما كل ذات مخالب وناب * من سائر الجوارح والكلاب
بمدرك في الحد والطلاب ^(٣) * أيسر ما يدرك بالعقاب
شريفة الصبغة والأنساب * تطير من جناحها في غاب
وتستر الأرض عن السحاب * وتحجب الشمس بلا حجاب
يظل منها الجو في اغتراب * مستوحشًا للطير كالمرتاب
ذكية تنظر من شهاب * ذات حران ^(٤) واسع الجلاب
ومنيك ضخيم أثاث ^(٥) راى * ومنير موقى النصاب

(١) كذا في حياة الحيوان للتميمى (ح ٢ ص ١٥٣) . وفي الأصلين : « الطي » .

(٢) سرت : مدينة على ساحل بحر الروم بين برقة وطرابلس الغرب .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي أ : « في الحدق الطلاب » . وفي ف : « في الحدق الطالب »

وكلاهما تحريف .

(٤) الجران : باطن النقي ، وقيل : مقدم العنق .

(٥) الأثيث : الكثير والعظيم من كل شيء .

وراحتِ لَيْثٍ شَرَى غَلَابٍ * نِيْطَتْ إِلَى بَرَائِنِ صَلَابٍ
 [مُرْهَقَةٌ أَمْضَى مِنَ الْحَرَابِ * وَكُلُّ مَا حَلَّقَ فِي الصَّبَابِ]
 * لِمَلِكِهَا خَاضِعَةُ الرَّقَابِ *



- وَأَمَّا الزَّيْجُ — فهو الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ الْعُقَابِ، وَيُعَدُّ مِنْ خِفَافِ الْجَوَارِحِ .
 وهو سريعُ الحركةِ شديدُ الوثبةِ . ويُوصفُ بالغدرِ . ومن عاداته أَنه يَتَلَقَّفُ الطَّائِرَ
 كما يَتَلَقَّفُهُ الْبَازِيُّ ، وَيَصِيدُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كما تصيدُ الْعُقَابُ . ويُجَدُّ مِنْ خَلْقِهِ
 أَن يَكُونَ أَحْمَرَ اللَّوْنِ ، وَلَا يُجَدُّ مَا قُرِنَ مِنْهُ وَخَشِيئًا .

وقد وصفه أَبُو الْقَرَجِ الْبَيْغَاءُ فَقَالَ :

- يَارِبِّ مَرْبٍ آمِنٍ لَمْ يُزَعِّجْ * غَادِيَّتُهُ قَبْلَ الصَّاحِ الْأَبْلَجِ
 يُزِجُ أَذْلَقَ حُوشٍ أَهْوَجَ * مُضَبِّرِ الْمَنْكِبِ صُلْبِ الْمَنْسِجِ

(١) التَّكَلُّفُ عَنْ مَبَاحِ الْعَرِكِ .

(٢) الْمُقَرَّبُ : الْمُقْنَى لِلْأَصْلِيَّاتِ .

(٣) كَذَا بِالْأَصْلَيْنِ . وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ أَن يَصِفَهُ بِالسَّرْعَةِ وَشِدَّةِ الدَّفْعَةِ وَالْمَحِيْمِ ، عَلَى أَن يَكُونَ مَا حُوِّدَا

- مِنْ الدَّلَقِ وَهُوَ خَرُوحُ الشَّيْءِ مِنْ مَحَرَجِهِ سَرِيعًا . يُقَالُ : ادْلَقَ السَّيْلَ عَلَى الْقَوْمِ أَيْ هَمَّ ، وَادْلَقْتُ الْحَبْلَ
 فِيهِ دَلَقٌ وَمِدْلَقَةٌ ، أَيْ شَدِيدَةُ الدَّفْعَةِ سَرِيعَةُ السَّيْرِ . قَالَ طَرُوفٌ :

دَلَقْتُ فِي غَارَةٍ مَسْمُوحَةٍ * كَرَعَالِ الطَّيْرِ أَسْرَامًا تَمَرَّ

وَقِي مَبَاحِ الْعَرِكِ : «أَوَّلِي» مِنْ «الْوَلَقِ» وَهُوَ السَّرْعَةُ أَيْضًا . يُقَالُ : جَاءَتْ الْحَبْلَ تَلَقَّى أَيْ تَسْرَعُ .
 وَيَحْتَمَلُ أَن يَكُونَ : «أَدْلَقُ» بِالْدَالِ الْمَجْعُوعَةِ ، أَيْ حَدِيدِ مَاضٍ .

- (٤) الْحَوْشُ : الْقَوَى .

(٥) كَذَا فِي كَتَبِ اللَّغَةِ . وَالصَّبْرُ وَالنَّصِيرُ : شِدَّةُ تَلْزِيرِ (تَضْيِيقِ) الْعِطَامِ وَاسْتِثْنَاءِ الْهَمِّ . يُقَالُ :

جَلَّ مَصُورٌ وَمَصْبَرٌ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «مَصْبَرٌ» بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَضْيِيقٌ .

(٦) مَنَسَحَ الدَّابَّةُ : مَا بَيْنَ الْعَرَفِ وَمَوْضِعِ اللَّيْلِ .

ذِي قَصَبٍ عَمِيلٍ أَصَمٍّ مُدْمَجٍّ * وَجُجُجٍ كَالْجُوشَنِ الْمُدْرَجِ ^(٣)
وَعُنِّي سَائِمٌ طَوِيلٌ أَعْوَجٌ * وَمَلْسِرٌ أَفْنَى قَسِيحٍ مُسْرَجِ
مُنْخَرِقِ الْمَدْخَلِ رَحْبُ الْمَخْرَجِ * وَمَقْلَةٍ تَسِفُ عَنْ فَيْرُوزِجِ
نَاطِرَةٍ مِنْ لَهَبٍ مُؤَجَّجٍ : وَهَامَةٍ كَالْحَجَرِ الْمُدْمَلَجِ
وَمِخْلَبٍ كَالْمَعُولِ الْمُعَوَّجِ

(١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَالْعَمِيلُ : الصَّخْمُ الْعَلِيظُ . يُقَالُ : رَجُلٌ عَلَى الدَّرَاعَيْنِ أَيْ صَحْمَهُمَا ،
وَمَرَسَ عَمِلَ الشَّوْى أَيْ عَلِيطَ الْقَوَائِمِ . وَالْأَصَمُّ : الذَّوَى الصَّلْبُ . يَرُدُّ أَنْ يَصِفَ سَاقِيَهُ بِالْعَلَطِ وَالْقُوَّةِ .
وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « ذِي قَصَبٍ عَلَى أَصَمٍّ ... » ، وَهُوَ نَحْوُ يَف .

(٢) الْجُجُجُ : الصَّدْرُ .

(٣) الْجُوشَنُ : الدَّرْعُ .

ذكر ما قيل في البازي

قالوا : والبازي خمسة أصناف، وهي البازي، والزُّرْق، والبَاشِق، والعَفِصِيُّ، واليَدَقُ .

- فأما البازي — فهو الثاني من الجوارح، وهو أحر هذه الأصناف الخمسة مناجاً، لأنه قليل الصبر على العطش . ومأواه مَسَاقِطُ الشجر العاديةِ المتنفة والظلُّ الظليل ومُطَرَّدُ المياه . وهو لا يتخذ وَكْراً إلا في شجرة لها شوك . وإذا أراد أن يُفَرِّخَ بَنَى لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً جيداً يقيه من المطر ويدفع عنه وَهَجَ الحُرِّ . وسبيله في البرد أن يُدْفَأَ بالنار ويُجْعَلَ تحت كَفِيهِ وِبرُ الثعالب والأبود^(١)؛ وفي الصيف أن يُجْعَلَ في بيت كَيْنين باردِ النَّسيم ويُفَرِّشَ له الرِّيحَانُ والخِلَافُ^(٢) . وهو خفيف الجناح، سريع الطيران، يُلَفُّ طيراته كالْتِفَافِ الفَوَاحِشِ^(٣)؛ ويسهل عليه أن يَزَجَّ بنفسه صاعداً ١٠

(١) هذه العبارة منقولة عن مباحث الفكر، ونصها فيه : « وهو لا يطبق البرد ولا الحر لركة جوارحه . فسبيله في البرد أن تقرب منه البارليداً ويعمل تحت كفيه في الشتاء و ر الثعالب والأبود، وسبيله في الحر... الخ » .

(٢) كذا في مباحث الفكر . والكَيْنين : المستور . وقد وردت هذه الكلمة في الأصلين محزنة .

(٣) الخلاف : صف من شجر الصفصاف . ١٥

(٤) الفواحت : جمع فاحشة، وهي من ذوات الأطواق، ويقال لها الصلصل أيضاً (نظم الصادق المهملتين) . يقال : إن الحيات تهرب من أصواتها . وهي عرافية وليست حمازية، وهي حسنة الصوت . وفي طبعها الأنس بالانس، وتعيش في الدور . والعرب تصممها بالكذب فإن صوتها عديم : « هذا أوان الرطب » وتقول ذلك والحل لم يطلع . قال الشاعر :

٢٠
أكدب من فاحشة . تقول وسط الكرب
والطالع لم يبد لها * هذا أوان الرطب

(راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٣٢ طبع بولاق)

(٥) في الأصلين : « يرح نفسه » . وهذا الفعل لا يتعدى إلا بالباء .

وهابطاً وينقلب على ظهره حتى يلتف فرسسته . والإناث منه أجراء على عظام الطير من الذكور . ويقال : إن الإناث إذا كان وقت سقاديها يغشاها جميع أنواع الضواري : الزرق والشاهين والصفر ، وإنها تبيض من كل طائر يغشاها ، ولهذا تسمى مختلفة الأخلاق . ^(١) والبازي يصيد ما بين العصفور والكركي ^(٢) . ومن عادته أنه إذا أخطأ صيده وفاته وكان في برية لا شجر فيها ولّى مُعِيناً حتى يجد كهفاً أو حداراً يأوى إليه ، ولهذا عُلق عليه الجرس ليدل على مكانه إذا حفي .

وصفة الجيد منه المحمود في فعله أن يكون قليل الريش ، أحمر العينين حادهما ، وأن تكونا مقلتين على منسره ومحاجأهما ^(٣) مقلتين عليهما ، ولا يكون وضعهما في جنبي رأسه كوضع عيني الحمام . والأزرق منه دون الأحمر العين ؛ والأصفر دونهما . وسعة أشداه تدل على قوة الاقتراس . ومن صفاته الحمودة أن يكون طويل العنق ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المتكبين ، شديد الانحراف إلى ذنبه ، وأن تكون نخذه طويلتين مسرولتين بريش ، وذراعه قصيرتين غليظتين ، وأشاجع كفيه عارية ، وأصابعه متفرقة [ولا تكون مجمعة ككف الغراب] ^(٤) ، ومحلبه أسود ، ويكون طويل المنسر دقيقه . وأنخرأوانه الأبيض ثم الأشهب ، وهما لونان يدلان على الفراهة والكرم . وأما الأسود الظهر المقش الصدر بالبياض والسواد فهو يدل على الشدة والصلابة . وإن اتفق أن يكون هذا أحمر العين كان نهاية . وهذا اللون في البراة

(١) عبارة مباهج الفكر : « مختلفة الأخلاق من الحسن والجرأة والحب والعدو والدكا . والقوة والصعف والحسن والقبح والشرافة » .

(٢) الكركي : طائر يقرب من الوز أبر الدنب رمادي اللون في حده لمعات سود قليلة اللحم صاب العظم يأوى الماء أحياء .

(٣) الحجاج : العظم المستدير حول العين . وفي الأصابع : « محاجأهما » . وهو تحريف .

(٤) الأشاجع : رموس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .

(٥) الزيادة عن مباهج الفكر .

كَالْكَيْتِ فِي الْخَلِيلِ . وَالْأَحْمَرُ فِي الْبُرْءَةِ أَحَبُّهَا . وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : أَشْرَفُ
الْبُرْءَةُ الطُّقْرُلُ ، ثُمَّ الْبَازِيُّ التَّامُّ وَهُوَ الَّذِي وَصَفْنَاهُ آفَقًا . وَالطُّقْرُلُ : طَائِرٌ عَزِيزٌ نَادِرٌ
الْوُقُوعِ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُ التُّرْكِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي بِلَادِ الْخَزَرِّ وَمَا وَالَاهَا وَمَا بَيْنَ خُوزَارْمِ
إِلَى إِرْمِينِيَّةَ ، وَهُوَ يَجْمَعُ صَيْدَ الْبَازِي وَالشَّاهِينَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَا يَعْقِرُ شَيْئًا يَحْتَلِبُهُ
إِلَّا سَمَهُ .

- وأول من صاد البازي "لُدْرِيْقُ" أحد ملوك الروم الأول؛ وذلك أنه رأى
بازيًا إذا علا كَتَفَ^(١) ، وإذا سَفَلَ خَفَقَ ، وإذا أراد أن يسمو دَرَقَ^(٢) ، فأتبعه حتى
أقنص شجرة ملتفة كثيرة الدغل ؛ فأعجبته صورته ، فقال : هذا طائر له سلاحٌ تترين
بمثله الملوك ؛ فأمر بجمع عدة من البرءة فجمعت وجعلت في مجلسه . فعرض لبعضها
أَيُّمُ فَوْتَبٍ عَلَيْهِ ؛ فقال : مَلِكٌ يَغْضِبُ كَمَا تَغْضِبُ الْمُلُوكُ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَنُصِبَ عَلَى
كَنْدَرَةٍ^(٣) بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَكَانَ هُنَاكَ ثَعْلَبٌ فَرَزَ بِهِ مَجْتَازًا ، فَوْتَبَ عَلَيْهِ فَمَا أَلَتْ مِنْهُ
إِلَّا جَرِيحًا ؛ فَقَالَ لُدْرِيْقُ : هَذَا جَبَّارٌ يَمْنَعُ حِمَاهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُضِرَى عَلَى الصَّيْدِ ؛
وَأَتَّخَذَتْهُ الْمُلُوكُ بَعْدَهُ .

وقد وصفته الشعراء والأدباء ؛ فن ذلك قولُ الْبَاسِي :

- لَمَّا تَعَرَّى اللَّيْلُ عَنْ أَنْسَاجِهِ وَآرْتَاخَ ضَوْءُ الصَّبْحِ لِأَبْيَاجِهِ
غَدَوْتُ أَبْنَى الصَّيْدِ مِنْ مَنَاهِجِهِ * بِأَقْسَرِ أَبْدَعِ فِي نَتَاجِهِ
أَلْبَسَهُ الْخَالِقُ مِنْ دِيْبَاجِهِ * ثَوْبًا كَفَى الصَّانِعَ مِنْ نِسَاجِهِ

(٢) الكنف والكتفان : ضرب من الطير ، كانه يرد جناحيه ويصمهما الى ما وراءه .

(٢) درق : أسرع . (٣) الأيم : الحية .

(٤) كندرة البازي : محمله الذي يبيت له من خشب أو مدرء وهو دخيل ليس بعربي .

حال من الساق إلى أوداجه ^(١) * وشيا يحار الطرف في آندراجِه
 في نسي منه وفي أنعراجِه * وزان قوديه إلى حجاجِه ^(٢)
 بزينة كفته عن تاجِه * منسره يثنى على خلاجِه
 وظفّره يُخبر عن علاجِه * لو استضاء المرء في إدلاجِه
 * بعينه كفته عن سراجِه *

وقال ابن المعتز يصف عين البازي :
 ومقلة تصدقه إذا رمق ^(٣) * كأنها نرجسة بلا ورق
 وقال أيضا فيه :

وفتيان غدوا والليل داج * وضوء الصبح متهم الطلوع
 كأن بزاتهم أمراء جيش * على أكتافها صدأ الدروع
 وقال أيضا :

ومنير غضب الشباة دامي * كعقدك الخمسين بالإبهام ^(٤)
 وخافق للصيد ذى أضطلام * ينشره للنهض والإقدام
 * كنشرك البرد على المستام *

(١) كذا في ب ومباح الفكر . وى أ : « أدراجِه » ، وهو تحريف .

(٢) الجاح : العلم المستدير حول العين .

(٣) كذا في ديوان المماى لأبي هلال العسكري . وى أ : « زيق » . وى ب : « ورق » ،

وكلاهما تحريف .

(٤) كان للعرب حساب غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع وقد وصوا كلا منها بأزاء
 عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع أحادا وعشرات ومئات وألوا . وقد ألفت في ذلك عدة رسائل .
 وقد ذكر بعض الفصلاء في بيان مراتب الأعداد في العقد ما نصه : عند العشرة تجعل السبابة حلقه ،
 والعشرين تجعل الإبهام بين السبابة والوسطى ، والثلاثين تجعل رأس السبابة على رأس الإبهام ، والأربعين
 تجعل رأس الإبهام خلف السبابة ، والخمسين تجعل الإبهام جالسا ، والستين تجعل ظهر رأس الإبهام =

ووصفه أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي فقال من رسالة :

« طائرٌ يُستدلُّ بظاهر صفاته ، على كرم ذاته ؛ طوراً ينظر نظراً أنخليلاً في عطفه
 كأنما يُزهى جبار ، وتارةً يرمى نحو السماء يطرفه كأنما له هناك اعتبار . وأخلق به
 أن ينقض على قنيصه شهاباً ، ويلوى به ذهاباً ، ويحرقه توقُّداً وآلهاً . وقد أقيم
 له سابعُ الذنائب والجناح ، كفيلين في مطالبه بالإنجاح . جيد العين والآثر ، حديدُ
 السمع والبصر . يكاد يُحس بما يجري ببال ، ويسرى من خيال . قد جمع بين عزّة
 ملك ، وطاعةٍ ملوك . فهو بما يشتمل عليه من علو الهمة ، ويرجع إليه بمقتضى
 الخدمة ؛ مؤهل لإحراز ما تقتضيه شأئُهُ ، وإنجاز ما تعدُّ به تحايُّلُهُ . وخليق بحُكم
 تاديبه ، وجودة تركيبة ؛ أن لو مثل له النجم قصصاً ، أو جرى [بذكركه] البرق قصصاً ؛
 لا اختطه أسرع من لحظه ، وأطوع من لفظه ؛ وأتسفه أمضى من سهم ، وأجرى
 من وهم . وقد أقسم بشرف جوهره . وكرّم عنصره ؛ لا يؤجّه مسقراً ، إلا غادر
 قنيصه معقراً ، وآب إلى يد من أرسله مظفراً ؛ مُورد الحلب والمِنقار ، كأنما اختضب
 بحناء أو كرع في عقار . »

[وله من أبيات يمدح بها] :

طردَ القنيصَ بكلَّ فيدٍ طريده * زجلَ الجناحَ مورِّدَ الأنظارِ^(١٥)

— على انصاع الأهل من داخل السبابة ، والسبعين تجعل رأس الإبهام على الفعل الأسفل من باطن السبابة ،
 رانماين تجعل رأس السبابة على صدر الإبهام والتسمين يجعل السبابة حلقة غير محوطة ، والمائة تجعل
 رأس السبابة اليسرى كما — ملت اليمنى في العشرة . الح . (انظر بلوغ الأرب في أحوال العرب للألوسي
 ح ٣ ص ٣٩٦ — ٣٩٩ ففيه بيان هام لعلامات الأعداد من الواحد الى الألوف) .

- ٢٠ (١) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « ... نحو السماء وطرفه » ، وهو تحريف .
 (٢) الزيادة عن مباحث الفكر . (٣) انتصف الطائر الشيء عن وجه الأرض : قلعه .
 (٤) كذا في ديوانه (ص ٥٣) ومباحث الفكر . وفي الأصلين : « مكل » — بالهاء .
 (٥) الزجل . رفع الصوت والجلبة .

تُلْتَفَّةُ أَعْطَافِهِ بِحَبِيرَةٍ ^(١) * مَكْحُولَةٌ أَجْفَانُهُ بِنَضَارٍ
يَرَى بِهِ الْأَمَدَ الْبَعِيدَ فَيَنْتَنِي * مَخْضُوبَ رَأْيِ الظُّفْرِ وَالْمَنْقَارِ



وَأَمَّا الزُّرْقُ — وهو الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ الْبَازِي . هو بَازٌ لَطِيفٌ ، إِلَّا أَنْ
مِرَاجَهُ أَحْرَوَائِيَسٌ ، وَهُوَ لِذَلِكَ أَشَدُّ جَنَاحًا وَأَسْرَعُ طَيْرَانًا وَأَقْوَى إِقْدَامًا . وَفِيهِ
خَتَلٌ وَخُبْتُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أُرْسِلَ عَلَى طَائِرٍ طَارَ فِي غَيْرِ مَطَّارِهِ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَ
الشَّدَّةَ بَعْدَ اللَّيْنِ . وَخَيْرُ أَلْوَانِهِ الْأَسْوَدُ الظَّهِيرِ الْأَبْيَضُ الصَّدْرِ الْأَحْمَرُ الْعَيْنِ . وَوَصْفُهُ
الْمَحْمُودُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَعْدَمَهَا حَلَقًا ، وَأَقْلَهَا رِيَشًا ، وَأَنْقَلَهَا تَجَمُّلًا ، وَأَمْلَاهَا نَحْذًا ،
وَأَرْحَبَهَا شِدْقًا ، وَأَوْسَعَهَا عَيْنًا ، وَأَصْغَرَهَا رَأْسًا ، وَأَصْفَاهَا حَدَقَةً ، وَأَطْوَلَهَا عُقَّةً ،
وَأَقْصَرَهَا خَافِيَةً ، وَأَشَدَّهَا تَلْمًا ، وَأَنْ يَكُونَ أَخْضَرَ الرَّجْلَيْنِ ، وَسِعَ الْخَالِ ، مُتَعَرِّيًا ^(٢)
مِنَ اللَّحْمِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



وَأَمَّا الْبَاشِقُ — وهو الصَّنْفُ الثَّالِثُ مِنَ الْبَازِي . وَهُوَ أَحْرَوَائِيَسٌ مِنَ الزُّرْقِ ،
وَهُوَ هَلِيعٌ قَلِقٌ ذَعِرٌ ، بَاسٌ وَقَتًا وَيَسْتَوْحِشُ وَقَتًا . وَنَفْسُهُ قَوِيَّةٌ جَافِيَةٌ ^(٣) . فَإِذَا أُنْسَ
مِنْهُ الصَّغِيرُ بَلَغَ مِنْهُ كُلُّ الْمَرَادِ . وَأَجُودُ الْبَاشِقِ مَا أَحْزَدَ فَرَحًا لَمْ يُلْقَ مِنْ قَوَادِمِهِ
رِيَشَةً . وَهُوَ مَتَى تَمَّ تَأْنِيْسُهُ وَجِدَ مِنْهُ بَازٍ خَفِيفُ الْحِمْلِ طَرِيفُ الشَّمَائِلِ .

وَمِنْ صِفَاتِهِ الْمَحْمُودَةِ أَنْ يَكُونَ صَغِيرَ الْمَنْظَرِ ، ثَقِيلَ الْحِمْلِ ، طَوِيلَ السَّاقَيْنِ
وَالْفِيخَذَيْنِ ، عَظِيمَ السَّلَاحِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جِسْمِهِ .

(١) الحية من البرود : الموشى المخطوط .

(٢) في الأصلين : « منير » ، وهو تحريف .

(٣) في أ ومباحج الفكر : « حاشية » . وفي ب : « حافية » . ولعل كليهما محرف عما أثبتناه .

وقال بعض الشعراء يصفه :

إذا بارك الله في طائر * فخص من الطير إسهرقي
له هامةٌ كلَّت بالبحين * فسال الجين على المفرق
يقلب عينين في رأسه * كأنهما نقطتا زبقي
واشرب لونا له مذهباً * كلون الغزالة في المشرق
حمام الحمام وحنف القطا * وصاعقة الفبح^(١) والمعقي
وأحنى عليك إلى أن يعود * إليك من الوالد المشوق^(٢)
ما كرم به وبكف الأمير * وبالدستبان إذا يلتقي

وقال أبو الفتح كشافهم :

- ١٠ يسمو فيحقي في الهواء وينكفي * تجللاً فينقض أنقضاص الطارق^(٤)
وكان جوجؤه وریش جناحه * خضبا بنفش يد الفتاة العانيق^(٣)
وكانما سكن الهوى أعضاءه * فأعارهن نحول جسم العاشق
ذا مقلية ذهبيته في هامة * مخفوفة من ريشها بمجدائق
ومخالب مثل الأهلة طالما * أذمين كف البازيار الحاذق
١٥ وإذا أنبرى نحو الطريدة خلته * كالريح في الأسماع أو كالبارق

(١) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « الولد » .

(٢) الدستان : الصارب بالدستان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى ، ومعناها : النغمة بالفارسية . كذا ذكر في كتاب الألفاظ الفارسية (ص ٦٤ طبع بيروت) . وكان من عادتهم إذا أرادوا أن يصعدوا بالجوارح ضربوا لها الطبول وهيجوها بذلك .

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩٧ أدب . وفي ١ :
« حصا » الخاء المعجمة والصاد المهملة . وقد سقطت هذه الكلمة من النسخ في ب .

(٤) العائق : الجارية أول ما أدركت والتي لم تزوج ، وقيل : التي بين الإدراك والتعنيس .

وإذا دعاه البَازِيَارُ رَأَيْتَهُ * أَذْنَى وَأَطْوَعَ مِنْ حُبِّ وَامِقٍ
وإذا القَطَاةُ تَخَلَّفَتْ مِنْ خَوْفِهِ * لَمْ يَعُدْ أَنْ يَهْوَى بِهَا مِنْ حَالِقِ

ومن رسالة لبعض فضلاء الأندلس، جاء منها :

« كَأَنَّمَا أَكْتَحَلَ بِلَهَبٍ ، أَوْ أَتَمَعَلَ بِذَهَبٍ . مَلُفٌّ فِي سِجَرِهِ ^(١) ، وَمُلْتَحِفٌ
بِجِرِهِ . مِنْ سَيُوفِهِ مِيقَارُهُ ، وَمِنْ رِمَاحِهِ أَظْفَارُهُ . وَمِنْ اللُّوَاتِي تَتَنَافَسُ الْمُلُوكُ فِيهَا ،
تُمْسِكُهَا مُجْبَا بِهَا وَتِيهَا . فَهِيَ عَلَى أَيْدِيهَا آيَةُ بَادِيهِ ، وَنِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ نَامِيهِ . تَبْدُلُ لَكَ
الْجَهْدَ صُرَاحًا ، وَتُعِيرُكَ فِي نَيْلِ بُغْيَتِكَ جَنَاحًا . وَتَتَقَى مَعَكَ فِي طَلَبِ الْأَرْزَاقِ ،
وَتَأْتِلِفُ بِكَ عَلَى اخْتِلَافِ الْخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ . ثُمَّ تَلُودُ بِكَ لِإِسَادَةٍ مِنْ يَرْجُوكَ ،
وَتَقِي لَكَ وَفَاءً لَا يَلْتَمِهُ لَكَ أَهْبُوكَ وَلَا أَخُوكَ » . ثُمَّ ذَكَرَ حَامَةً صَادَهَا ، فَقَالَ :
« اخْتِطَفَهَا أَسْرَعَ مِنَ اللَّحْظِ ، وَلَا تَحِيدَ لَهَا عَنْهُ ، وَانْحَسِرْ بِهَا أَعْجَلَ مِنَ اللَّفْظِ ،
وَكَأَنَّهَا هِيَ مِنْهُ ؛ ثُمَّ جَعَلَ يَتَنَاوَلُهَا بِعَقْدِ السَّبْعِينَ ، وَيُدْخِلُهَا فِي أَضْيَاقٍ مِنَ التَّسْعِينَ ^(٢) .
وَكَانَ لَهَا مَوْتًا عَاجِلًا ، وَكَانَتْ لَهُ قُوَّتًا حَاصِلًا » . وَاللَّهُ الْهَادِي لِلصَّوَابِ .



وَأَمَّا الْعَفْصِيُّ — وَهُوَ الصَّنْفُ الرَّابِعُ مِنَ الْبَازِي . وَهُوَ مِنَ الْبَاشِقِ كَالزَّرَقِ
مِنَ الْبَازِي ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ الْجَوَارِحِ نَفْسًا ، وَأَضْعَفُهَا حِيلَةً ، وَأَشَدُّهَا دُعْرًا ، وَأَيْسَرُهَا
مِزَاجًا . وَرَبْمَا صَادَ الْعَفْصُورَ وَتَرَكَهُ لَخُوفِهِ وَحَدَرِهِ . وَمِنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ يَرْصُدُ الطَّيَرَ

(١) كذا في مباحح الفكر . والسبر : حسن الهيئة ، ومنه الحديث : "يخرج رجل من الباروقد ذهب
حدره وسيره" . والحبر : البهاء والحسن والوشي . وفي الأصلين : « شرره » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٩ من هذا الجزء .

(١) أيام حَصَانِهِ ، فإذا طار عن وَكْرِهِ خَلَفَهُ فِيهِ وَكَسَّرَ بَيْضَهُ وَرَمَاهُ وَبَاضَ مَكَانَهُ وَطَارَ عَنْهُ فَيَحْضُنُهُ صَاحِبُ الْوَكْرِ ، فَهُوَ أَبَدًا لَا يَحْضُنُ وَلَا يُرَبِّي .



وَأَمَّا الْبَيْدَقُ — وَهُوَ الصَّنْفُ الْخَامِسُ مِنَ الْبَازِي ، وَهُوَ لَا يَصِيدُ غَيْرَ

الْمَصَافِيرِ . وَقَدْ وَصَفَهُ كُشَايْحٌ فَقَالَ :

حَسْبِي مِنَ الْبُرَاةِ وَالزَّرَاقِ * بَيْدَقٍ يَصِيدُ صَيْدَ الْبَاشِقِ ^(٢)
مُؤَدِّبٍ مُدَرِّبِ الْخَلَائِقِ * أَصِيدُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ لِعَاشِقِ ^(٣)
يَسْبِقُ فِي السَّرْعَةِ كُلَّ سَابِقِ * لَيْسَ لَهُ عَنْ صَيْدِهِ مِنْ عَائِقِ ^(٤)
رَبَّيْتُهُ وَكُنْتُ عَيْنَ الْوَائِقِ . أَلَّا الْفَرَازِينَ مِنَ الْبَيَادِقِ ^(٥)

١٠ (١) الحصان (بالكسر) : مصدر من قولك : حصن الطائر بيضه حصنا وحصانا إذا ضمه تحت جناحيه .

(٢) في حياة الحيوان (ج ١ ص ١٣٧) : « والبيادق » .

(٣) في حياة الحيوان : « في صيده » .

(٤) في ديوانه وحياة الحيوان : « غير وائِق » .

(٥) الفرازين : جمع فرزان ، مغرب فرزيس بالفارسية وهو الملكة في لعبة الشطرنج . تقول : تمرز

البيدق ، أي صار فرزانا .

ذكر ما قيل في الصقر

والصقر ثلاثة أصناف، وهى صقرٌ، وكُونَجٌ، وَيُؤَيُّ.

فأما الصقر— فهو النوع الثالث من الجوارح. والعرب تُسمّى كل طائر يصيد صقراً، ما خلا النسر والعقاب، وتسميه "الأكدر" و"الأجدل". وهو من الجوارح بمزلة البغال من الدواب، لأنه أصبر على الشدة وأشدُّ إقداماً على جلة الطير كالكرّاكى والحبارج^(١). قالوا: ومِزاجُه أبرد من سائر ما تقدم ذكره من الجوارح وأرطب. وهو يُضَرِّى على الغزال والأرنب ولا يُضَرِّى على الطير لأنها تفوته. وفعله فى صيده الأقباض^(٢) والصِّدْمُ. وهو غير صافٍ بمِجَاحِه ولا خافقٍ به. ومتى خَفَقَ بِمِجَاحِه كانت حركته بطيئةً بخلاف البازى. ويقال: إنه أَهْدَأُ نفساً من البازى، وأسرع أنساً بالناس، وأكثر رِضاً وقناعةً. وهو يَتَنَذى بلحوم ذوات الأربع. وهو يَعاَف الميأة ولا يَقْرُبُها، وذلك لبرد مِزاجِه. وفى طبعه أنه لا يركب الأشجار ولا الشواخِ من الجبال، ولا يأوى إلا المقابر والكهوف وصدوع الجبال. وهو يَنَقُّ^(٥) بالتمعك فى التُّرْمِل والتراب.

ومن صفاته الحمودة الدالة على نجابته وفراسته: أن يكون أحمر اللون، عظيم

الهامة، واسع العينين، تام المنسر، طويل العنق والجناحين، رَحَب الصدر، ممتلئ



(١) الحبارج: جمع حبرج (بالصم)، وهو من طير الماء.

(٢) كذا فى مباح الفكر. وفى الأصلين: «الاقباص» وهو تحريف.

(٣) صف الطائر جناحيه فى السماء: بسطهما ولم يحزركهما.

(٤) كذا فى مباح الفكر. وفى الأصلين: «أسرع إيناساً من الناس».

(٥) التمعك: التبرغ. وفى الأصلين: «بالعمل»، وهو تحريف.

- (١) الزُّور، عريص الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين والدَّنب، قريب القفدة من الفقار، سَبَط الكَف، غليظ الأصابع فيروجها، أسود اللسان. والله الموفق .
- وأول من صاد بالصقر وضَّراه الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة . وسبب ذلك أنه وقف في بعض الأيام على صياد قد نصب شبكة للعصافير، فأنقض أكدر على عصفور قد علق في الشبكة فجعل يأكله وقد علق الأكدر وأندق جناحه، والحارث ينظر إليه ويعجب من فعله؛ فأمر به لحمل فرمى به في كسر يلب ووكل به من يطعمه؛ وأنس الصقر بالوكل به، حتى صار إذا جاءه باللمح ودعاه أجاب؛ ثم صار يطعمه على يده وصار يحمله . فبينما هو يوماً حامله إذ رأى حمامة، فطار عن يده إليها فأخذها وأكلها . فأمر الحارث عند ذلك باتخاذها وتدريبها والتصيد بها . فبينما هو يسير يوماً إذ لاحت أرنب فطار الصقر إليها وأخذها؛ فلما رآه يصيد الطير والأرانب ازداد به إعجاباً واعتباطاً . وأخذته العرب بعده .

وصفه الشعراء؛ فمن ذلك ما قاله كُشَاجِم يصفه :

- غَدُونَا وَطَرُفُ النَجْمِ وَسَنَانُ غَائِرُ * وقد نزل الإصباح والليل سائرُ
بأَجْدَلٍ من حُمِرِ الصَّقُورِ مُؤَدِّبُ * وأكرم ما قَرَّبَتْ مِنْهَا الْأَحَامِرُ^(٢)
جرىءٌ على قَتْلِ الطَّبَّاءِ وَإِنِّي * لَيُعْجِنِي أَنْ يَكْثِرَ الْوَحْشَ طَائِرُ^(٣)
قَصِيرُ الدَّنَابِ وَالْغَدَامَى كَاتِبُهَا * قَوَادِمُ تَسِيرِ أَوْ سَيُوفُ بَوَاتِرُ^(٤)

(١) الذي يستبطن من معاجم اللمعة (مادة فقد) أن القفد جره من جانب الرأس الخلفي . ولم يفسره أحد من الأئمة أو يحدد موضعه . (راجع اللسان مادة فقد) .

(٢) في مباحج الفكر : « والليل سائر » بالهاء المثناة من فوق .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « منه » .

(٤) جمع أحمرة على أحامر لأنه أخرج نخرج الأسماء، كما جمع أجدل، وهو الصقر، على أجادل .

وَرُقِّشَ مِنْهُ جُؤْجُؤٌ فَكَانَتْ * أَعَارَتْهُ إِعْجَامَ الْحُرُوفِ الدَّفَاتِرُ
فَمَا زَلْتُ بِالْإِضْمَارِ حَتَّى صَنَعْتُهُ * وَلَيْسَ يَحْزُوزُ السَّبْقَ إِلَّا الضَّوَامُرُ
وَيَجْعَلُهُ مِنَّا أَكْفَ كَرِيمَةً * كَمَا زُهِيتَ بِالْخَاطِبِينَ الْمُنَابِرُ^(١)
وَعَنْ لَنَا مِنْ جَانِبِ السَّفْعِ رَبَّيٌّ * عَلَى سَنَنِ تَسْتَنِّ مِنْهُ الْجَاذِرُ^(٢)
بُحْلَى وَحَلَّتْ عُقْدَةُ السَّيْرِ فَأَتَتْحَى * لِأَقُولُهَا إِذَا أَمَكَّتَهُ الْأَوَانِرُ^(٣)
يَحْتُ جَنَاحِيهِ عَلَى حُرِّ وَجْهِهَا * كَمَا فُصِّلَتْ فَوْقَ الْخُدُودِ الْمَعَارِجُ^(٤)
وَمَا تَمَّ رَجْعُ الطَّرْفِ حَتَّى رَأَيْتُهَا * مُصْرَعَةً تَهْوِي إِلَيْهَا الْخَنَاجِرُ^(٥)

وقال عبد الله بن المعتز :

وَأَجْدِلُ يَفْهَمُ نَطْقَ النَّاطِقِ * مُلِمْلِمُ الْهَامَةِ نَخِيمُ الْعَاتِقِ^(٦)
أَفْنَى الْمُخَالِبِ طُلُوبِ مَارِقِ * كَأَنَّهَا نُونَاتُ كَفِّ مَائِشِقِ^(٧)
ذِي جُؤْجُؤٍ لَا يَسُ وَشَى رَائِقِ * كَتَبْتَهُدَا اللَّامَاتِ فِي الْمَهَارِقِ^(٨)
أَوْ كَأَمْتَدَادِ الْكَمَلِ فِي الْحَمَالِقِ * وَتَجَمَّتْ بِالْفَلْظِ عَيْنُ الرَّامِقِ^(٩)
عَشْرًا مِنْ الْإِوَزِّ فِي غَلَاظِقِ * فَتَرُ كَالرَّيْحِ بَعَزِمُ صَادِقِ^(١٠)

(١) في الأصلين : « رهبت » .

(٢) حلى البازي : أنصر الصيد ورفع رأسه وطره . وفي الأصلين : « حلى » بالخاء المهملة ، وهو

تصنيف .

(٣) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « فاعلى » بالميم ، وهو تحريف .

(٤) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « وجهه » .

(٥) المعارج : جمع معرج وهو ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ، ثم تحلب فوقه بحلبائها .

(٦) الللم : المجتمع المدتر المصوم .

(٧) المهارق : جمع مهرق (بالصم) وهي الصحيفة البيضاء يكت بها .

(٨) الغلاظق : جمع غلق وهو الطحلب أو هو نبت يبيت في الماء ودرقه عراض .

١٠

١٥

٢٠

حتى دنا منهم مثل السارق * ثم علاها بجناح خافق^(١)
 * فطَفِقَتْ من هالكٍ أو فائق *
 وقال أيضا :

وأجدل لم يخلُ من تأديب * يرى بعيد الشيء كالقريب
 يهوى هوى الدلو في القليب * بناظر مستعجم مقلوب^(٢)
 كناظر الأقبيل ذي التقطيب * رأى إوزًا في ترى رطب^(٣)
 فطار كالنستوهِل المرعوب * ينفذ في الشمال والجنوب



وأما الكَوْنَجُ — وهو الصنف الثاني من الصقر . ويسمى بمصر والشام
 السقاوية^(٤) . ونسبته من الصقر كنسبة الزرق من البازي ، إلا أنه أحرمنه ؛ ولذلك هو
 أخف منه جناحا . وهو يصيد الأرنب ، ويمجز عن الغزال لصغره ؛ ويصيد أشياء
 من طير الماء . وشدة نفسه أقل من شدة بدنه ؛ ولأجل ذلك هو أطول في البيوت
 لبنًا ، وأصبر على مقاساة الشقاء من الصقر . وفي وصفه يقول بعض الشعراء :

إن لم يكن صقر فعندي كَوْنَج * كأن نقش ريشه المُدرَج
 برد من الموشى أو مُدَجج * فكم به للطير قلب مُزَجج^(٥)
 ممزق بدمه مُضرج * بمثله عما الموم تُفرج

(١) يقال : فاق الرجل موافا إذا كانت همه على الخروج .

(٢) الأقبيل : الذي أقبلت حدقاته على أمه . وقال الليث : التبسل في العين : إقبال السواد

على الحجر .

(٣) كذا في ديوانه (ص ٩٧ طبع مصر) . وفي الأصلين : « وطيب » وهو تحريف .

(٤) في مباحث الفكر : « السقاوة » .



وأما اليؤيؤ — وهو الصنف الثالث من الصقر . ويسميه أهل مصر والشام "الجلم" خففة جناحيه وسرعتها . وهو طائر قصير الذنب . ومزاجه بالإضافة الى الباشق بارد رطب ، لأنه أصبر منه نفساً وأقل حركة . ويشرب الماء شرباً ضرورياً كما يشربه الباشق . ومزاجه بالنسبة الى الصقر حار يابس ، ولذلك هو أشجع منه ، لأنه يتعلق بما يقترسه ، ويصيد ما هو أجل منه كالدرّاج . ويقال : إن أول من صاد به وأخذ له اللعب بهرام جور^(١) ، وذلك أنه شاهد يؤيؤا يطارد قبرة ويأوغها ويرتفع معها إلى أن صادها ، فأعجبه وأخذها وصاد به .

وقال عبد الله النّاشي يصفه :

ويؤيؤ مَهْدِبٍ رَشِيقٍ * كَانَ عَيْنِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ^(٢)
فَصَانٍ مَخْرُوطَانٍ مِنْ عَقِيقٍ *

وقال أبو نؤاس :

قَدْ أَغْتَدَيْ والصَّبْحُ فِي دِجَاهِ * كَطُرَةِ الْبُرْدِ عَلَى مَثَنَاهُ^(٣)
يُؤْيُؤُ يُعْجِبُ مَنْ رَأَاهُ * مَا فِي الْيَأْيِ يُؤْيُؤُ شَرَوَاهُ^(٤)

(١) راجع ترجمته بتفصيل واف في تاريخ الطبري (ص ٨٥٤ — ٨٧١ من القسم الأول) .

(٢) في مباحج الفكر وحياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٨٠) : « لدى » .

(٣) وردت هذه القصيدة في ديوان أبي نؤاس المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٥ أدب م ص ٧٨) على غير هذا الترتيب وبزيادة أبيات عليها .

(٤) كذا في الأصلين وديوانه . وفي حياة الحيوان للدميري : « كطرة البدر لدى مناه » . والطرة : اللمبة . وقد تكون هذه الرواية الأخيرة أقرب الروايات الى الصحة اذا صح أن كلمة « مناه » يراد بها ميل القمر وانعطافه الى مغيبه ، ويكون المراد تشبيه الصبح في علوه بصفحة البدر عند مغيبه .

(٥) كذا في ديوانه ومباحج الفكر . وشروى الشيء : نظيره . وفي الأصلين : « يؤيؤسواه » .

أزرق لا تكذبه عيناه * فلو يرى القاصص ما يراه

[* فداء بالأم وقد فداء ^(١) *]

وقال أبو اسحاق الصّابي يصفه من رسالة :

«وكم من قُبْرٍ أطلقنا عليه بُؤْيُؤًا لنا فعرَج إلى السماء عُرُوجًا ، ولجَجَ في أثره ^(٢) تلجيجا ؛ فكان ذلك يعتصم منه بالخلق ، وهذا يستطعمه من الرزاق ؛ حتى غابا ^(٣) عن النُّظار ، وأحتجبا عن الأبصار ؛ وصارا كالغيب المُرْجَم ^(٤) ، والظن المتوهم ؛ ثم خِطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ؛ فأعجبنا أمرهما ، وأطرَبنا منظرهما » .

ذكر ما قيل في الشاهين

والشاهين ثلاثة أصناف ، وهى شاهين ، وأنيق ، وقطامي .

فأما الشاهين — وأسمه بالفارسية شَوْدَانَه ، فعزبته العرب على ألفاظ شتى ^(٥) منها : شُوذَانِق وشُوذَق وشُوذَنْق وشِيذَنُوق . ويقال : إنه من جنس الصقر إلا أنه أبرد منه وأيدس ؛ ولذلك تكون حركته من العلو إلى السفل شديدة . وليس يخلق

(١) زيادة عن ديوانه ومباح الفكر وحياة الحيوان للدميرى .

(٢) كذا في يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٣٥) . وفي الأصلين : «طار منه قبرا» .

(٣) في اليتيمة : «مازيا» .

(٤) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «كان» .

(٥) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «كالغيب المرحم والظن الموهوم» ، وهو تحريف .

(٦) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «وربع» وهو تحريف .

(٧) قد وردت هذه المترادفات في إحدى روايات المخصص بالسین المهمة . والسین والشين

كلتاها لغة فيها . راجع القاموس وشرحه واللسان (مادق سذق وشذق) والمخصص (ج ٨ ص ١٥٠) .

في طلب الصيد على خطٍ مستقيم إنما يحوم لِثقل جناحه، حتى إذا سامت الفريسة
أَفْقَضَ عليها هاءاً من علو فضرِبها وفارقها صاعداً، فإن سقطت على الأرض أخذها،
وإن لم تسقط أعاد ضربها [لتسقط]؛ وذلك دليلٌ على جُبْنه وقنور نفسه وبرد مزاج
قلبه . ومع ذلك كله فهو أسرع الجوارح وأخفها وأشدّها ضراوةً على الصيد .
إلا أنهم عابوه بالإباق وبما يعتريه من الحرص، حتى إنه ربما ضرب بنفسه
الأرض فأت . ويزعمون أن عظامه أصلب من عظام سائر الجوارح ؛ ولذلك دو
يضرب بصدرة ويلق بكفه .

وقال بعضٌ من تكلم في هذا النوع : الشاهين كاسمه . يريد [شاهين] الميزان؛
[لأنه] لا يمتثل أدنى حال من الشَّع ولا أيسر حال من الجوع .

والمحمود من صفاته : أن يكون عظيم الهامة، واسع العينين حاذها، تامّ
المنشَر، طويل العنق، رَحَب الصدر، ممتلئ الزَّور، عريض الوسط، جليل الفخذين،
قصير الساقين، قريب الفَقْدَة من الظهر، قليل الريش لينه، تامّ الخوافي، دقيق
الذَّنْب، إذا صَلَب عليه جناحيه لم يَفْضُل عنهما شيء منه . فإذا كان كذلك فهو يقتل
الْكُرْكِي [ولا يفوته]، وزعم بعضهم أن السُّود من الشواهين هي المحمودة؛ وأن السواد
أصل لونها، وإنما أحالته التُّربة . ويكون في الشواهين المُتَمِّع . والله أعلم .

(١) كذا في مباح الفكر، وفي الأصلين : «نقل» .

(٢) زيادة عن مباح الفكر .

(٣) هذه التكلفة عن كتاب شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدجيل . وشاهين الميزان : لسانه .

(٤) زيادة عن شفاء العليل وحياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٥٨) ومباح الفكر .

(٥) في حياة الحيوان للدميري : «جلید» .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٦ من هذا الجزء .

(٧) عبارة حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٥٨) : «إذا صلب عليه جناحيه لم يفضله منهما شيء» .

(٨) في مباح الفكر : «وزعم أهل الاسكندرية» .

وأول من صاد بالشّواهين قسطنطين [ملك عمورية ^(١)] . حُجّي أنه خرج يوماً يتصيد ، حتى إذا أتى إلى مَرَجٍ فسَيحَ نظر إلى شاهين يَنكِفِي على طير الماء ، فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته وإلحاحه على صيده ، فأخذه وضراً به ، ثم رِيضَتْ له الشّواهين بعد ذلك وعُلمت أن تُحوم على رأسه إذا ركب فُظْلَه من الشمس ؛ فكانت تحدر مرة وترتفع أخرى ، فإذا نزل وقعت حوله .

وقد وصف الشعراء الشواهين وشبهوها ؛ فمن ذلك قول النّاسي :

هل لك يا قنّاص في شاهين * سُودَانِي مؤدّب أمين
جاء به السائس من رزين ^(٢) * ضَرَاه بالتّخشين والتّئين
حتى لأغناه عن التلقين * يكاد للتثيف والتّمين
يعرف معنى الوحي بالحقون * يَظُل من جناحه المزين
في قُرْطِي ^(٣) من خَرّه الثمين * يُشبهه من طرازه المصون
بَرْد أنوشروان أو شيرين ^(٤) * أحوى مجارى الدمع والشؤون
ذى منسّر مؤلّل مسنون * واف كسّطر الحجاب المقرون
منعطِف مثل أنعطاف النون * يُبدي اسمه مداما للعيون

وقال أبو الفتح كُشاجم وبدأ بالكُرْكُ :

ياربّ أسراب من الكراكى * مُطِيعَة السكّون في الحرّاك ^(٥)
بعيدة المنال والإدراك * كُذِر ويبيض اللون كالأفئدك

(١) زيادة عن مابج الفكر . وعمورية (فتح أوله وتشديد ثانيه) : بلد في بلاد الروم غزاها المنتصم في سنة ٢٢٣ هـ وكانت من أعظم فتوح الإسلام .

(٢) كذا بالأصلي ولم نجد في معاجم اللنداد موضعاً بهذا الاسم .

(٣) القرط : قباء ذو طاق واحد ، تعريب كرتة بالفارسية .

(٤) شيرين : اسم حظية كمرى أوروبية ، وتطلق أيضاً على أسماء فارسية كثيرة .

(٥) الأفلاك : جمع فلك ، وهو دويبة يؤخذ منه الفرو ، يجلب من بلاد الصقالية .

تَقْصُرُ عَنْهَا أَسْمُهُمُ الْأَثَرِ كِ * دُعِرْنَ قَبْلَ لَغَطِ الْمَكَائِكِ ^(٢)
 وَقَبْلَ تَغْرِيدِ الْحَمَامِ الْبَاكِ * بِفَانِكَ يُرْفَى عَلَى الْفُتَاكِ
 مُؤَدِّبِ الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْسَاكِ * مُتَلَمِّهِ الْهَامَةِ كَالْمَدَاكِ ^(٣)
 مِثْلَ الْكَيْيِّ فِي السَّلَاحِ الشَّاكِي * ذِي مَنَسِيرِ ضَخْمٍ لَهُ شَكَاكِ
 وَمِغْلَبٍ بِحَذِهِ بَتَّاكِ ^(٤) * لَحُجْبٍ عَنْ قُلُوبِهَا هَتَاكِ
 حَتَّى إِذَا قُلْتُ لَهُ دَرَاكِ * وَحَلَقْتُ تَسْمُو إِلَى الْأَفْلَاكِ
 مُتَمَدِّدَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْأَوْرَاكِ * مُوقِنَةً بِعَاجِلِ الْهَلَاكِ
 غَادِرْهَا تَهْوِي عَلَى الدَّكَاكِ ^(٥) * أَسْرَى بِكَفِّهِ بِلَا فَكَكِ
 بِأَغْدُوَاتِ الصَّيْدِ مَا أَحْلَاكِ * وَنَمْنَةَ الشَّاهِينِ مَا أَقْوَاكِ
 لَمْ تَكْذِبِي فِرَاسَةَ الْأُمْلَاكِ * إِيَّاكِ أَعْنَى مَا دَحَا إِيَّاكِ



وَأَمَّا الْأَنِيقُ — وَهُوَ الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ الشَّاهِينِ . وَتَسْمِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ
 الْكَتْرَكَ . وَهُوَ دُونَ الشَّاهِينِ فِي الْقُوَّةِ ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ سُرْعَةً . وَهُوَ بِصَيْدِ الْعَصَافِيرِ .
 وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

غَنِيْتُ عَنْ الْجَوَارِحِ بِالْأَنِيقِ * بِمَنْبَلِ الرِّيحِ أَوْلَمِجِ الْبُرُوقِ
 أَصْبَتْ بِهِ عَلَى الْعُصْفُورِ حَتْفًا * فَأَرْمِيهِ بِصَخْرَةٍ مَنَجْنِيقِ

(١١٠)

- (١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْمَكْرِ . وَفِي الْأَمْلِينَ : « دَعَتْ » .
 (٢) الْمَكَائِكُ : جَمْعُ مَكَاةٍ (بِضْمِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ) وَهُوَ طَائِرٌ فِي صَرْبِ الْقَبْرِ إِلَّا أَنَّ فِي جَنَاحَيْهِ
 بِلَقَاءٍ ، وَهُوَ يَأْلَفُ الرِّيفَ ، سَمِيَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَمْكُؤُ أَيُّ يَصْمُرُ .
 (٣) الْمَدَاكِ : حُمْرٌ يَسْقُوقُ عَلَيْهِ الطَّيْبُ .
 (٤) بَنَّاكِ : قِطَاعٌ .
 (٥) الدَّكَاكِ : جَمْعُ دَكَّةٍ وَهِيَ مَا اسْتَوَى مِنَ الرَّمَالِ وَمِثْلُهَا .



وَأَمَّا الْقَطَايَ — وهو الصَّنف الثالث من الشاهين ، وتسميه أهل العراق
 ”الْبَهْرَجَةَ“ ، يقال : إنه في طبع الشاهين ، والعرب تُخالف ذلك ، وتسمى بعض
 الصقور القَطَايَ ؛ والمُعْتَنُونَ بالجواريح يخالفونهم في ذلك .

فصل

ومما ناسب الجوارح في الأفتراس وأكل اللحم الحَيَّ ”الضَّرْدُ“ ، ويُسمى
 ”الشَّقْرَاقُ“^(١) ، و”الأخْطَبُ“ و”الأخِيلُ“ . وقيل : إن من أسمائه ”الواق“^(٢)
 وبعضهم يسميه ”بازي العصافير“ . [وهو طائر مَوْلَعٌ بسوادٍ وبياضٍ ، ضَمُّ المنقار]^(٣) .
 وفي طبعه شَرْدٌ وشراسة وسرقةٌ لفرارٍ غيره ونفورٌ من الناس . وهو [يصيد
 الحيات]^(٤) و [يغتذى باللحم]^(٥) ، ويأوى الأشجار ذوات الشوك وفي رموس التلاع ، حَذَرًا
 على نفسه [ممن يصيده] . وهو يتحيل في صيد ما دونه من الطير كالصقور .



هذا ما ظفرت به في أثناء المطالعة من سباع الطير مما تكلم عليه أرباب هذا
 الفن . وقد أهملوا أصنافاً ، منها ما هو أجل من جميع ما ذكرناه ، وهو ”السَّنْقَرُ“ .

(١) كذا في مباح الفكر والمختص (ج ٨ ص ١٥١) . وفي الأصلين « الشقراق » بالو بدل
 القاف . وهو تحريف .

(٢) الواق بكسر القاف بلا ياء . سمي بذلك لحكاية صوته . ويقال فيه أيضا « الواق » كالتقاضى
 بآبائات الياء .

(٣) زيادة عن مباح الفكر .

(٤) وردت هذه العبارة في مباح الفكر كما يأتي : « وله من التحيل في صيده ما دونه من الطير
 كالصقور والصعو وغير ذلك من تغير صوته وحكاية كل صوت لدى جنة صغيرة ، فيدعوا ما تسمع منه
 إلى القرب منه طاماً منها أنه من حننها ، فإذا احتتم إلى شد على بعضهن فأخذه وأكله ، وله نقر شديد
 وإذا نقر شيئاً منها أكله من ساعته » .

والسَّنَقَر — طائر شريف ، حسنُ الشَّكْلِ ، أبيضُ اللونُ ينقطُ سود .
والملوكُ تتعالى فيه وتُسْتَرَى به بالثمن الكثير . وكان فيما مضى من السنين القريية يُسْتَرَى
من التجار بألف دينار ، ثم تناقص ثمنه حتى استقر الآن بمجسةٍ آلفِ درهم . ولم
عادةً : أن التجار إذا حملوه وأتوا به من بلاد الفِرْنَج فأت منهم في الطريق قبل
وصولهم أحضروا ريسه إلى أبواب الملوك ، فيعطون نصف ثمنه إذا أتوا به حياً ، كل
ذلك ترغيباً لهم في حملها ونقلها إلى الديار المصرية . وهذا الطير لا يشتريه غير
السلطان ولا يلعب به غيره من الأمراء إلا من أنعم السلطان عليه به . والله أعلم .
وتما أهملوا الكلام فيه "الكوهية" و"الصفية" و"الزغزغى" ، وهو يعد من
أصناف الصقر . ولم أجد من أثق بنقله وعلمه بهذه الأصناف فأنقل عنه أخلاقها
وطبائعها وعاداتها . ١٠



وقال أبو إسحاق الصابى في وصف الجوارح من رسالة طَرْدِيَّة جاء منها :
«وعلى أيدينا جوارحٌ مؤلَّلةُ المخالب والمناسر، مُدْرَبَةٌ النَّصَالِ^(١) والخناجر، طامحةُ
الألحاظ والمناظر؛ بعيدةُ المرأى والمطارج؛ ذكيةُ القلوب والنفوس، قليلةُ القُطُوب
والعُبُوس؛ سابعةُ الأذنان، كريمةُ الأنساب؛ صُلْبَةُ^(٢) الأعواد، قويةُ الأوصال؛
تزيد إذا أُلْحِمتْ^(٣) شرهاً وقرماً، وتتضاعف إذا أُشِيعَتْ^(٣) كَلْباً ونَهَمًا . ثم خرج إلى وصف
الحمام فقال : « فلما أوفينا عليها ، أرسلنا الجوارح إليها ؛ كأنها رسلُ المنايا ، أو سيهام
القضايا ؛ فلم تسمع إلا مُسَمِّيًا ، ولم تر إلا مُدَيِّجًا » .

(١) ذرب السيف وبحوه (بالضعيف) وذربه (بالخفيف) وأذربه : أحذه .

(٢) في الأصلين : « طيبة الأعواد » .

(٣) ألحمت : أطعمت اللحم .

الباب الثاني من القسم الخامس من الفن الثالث في كلاب الطَّير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في النَّسر، والرَّخَم، والحِدَاة، والغراب .
وإنما سُمِّيت هذه الأصناف بالكلاب لأنها تأكل المَيْتَةَ والحَيْفَ وتقصدها
وتقع عليها، فهي في ذلك شبيهة بالكلاب .

ذكر ما قيل في النَّسر

والنَّسر ذو مَنْسَر وليس بذى مَحَاب، وإنما له أظفار حِدَادٌ [كالمخالب] . وهو يَسْقِدُ
كما يَسْقِدُ الدِّيكُ^(١) . وزعم من تكلم في طبائع الحيوان أنَّ الأُنثى من هذا النوع تَبْيَضُ
من نظر الذَّكر إليها، وأنها لا تَحْضُنُ^(٢) [بيضها] وإنما تَبْيَضُ في الأماكن العالية
التي يَرَعُهَا حرُّ الشمس وهيئها، فيقوم ذلك للبيض مقام الحَضْنِ .

والنَّسر يُوصَفُ بحِدَّة حاسَّة البصر؛ حتى إنه يقال : إنه يرى الحَيْفَةَ عن
مسافة أربعمائة فرسخ . وكذلك حاسَّة السَّمِّ ؛ إلا أنه إذا شَمَّ الطَّيْبَ مات . وهو
أشدُّ الطَّير طِيَرَانًا وأقواها جَنَاحًا ؛ حتى زعموا أنه يطير ما بين المَشْرِقِ والمَغْرِبِ
في يوم واحد . وهذا القول أراه من التَّغَالِي فيه . وسائر الجوارح تخافه . وهو
[شِرَّة نهم رَغِيب^(٣)] ؛ إذا سقط على الحَيْفَةِ وأمتلأ منها لم يَسْتَطِعْ عند ذلك الطَّرَانُ .

(١) زيادة عن مباح الفكر وحياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٤١٠) .

(٢) النكته عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي (ج ٢ ص ٦٥) .

(٣) زيادة عن مباح الفكر .

حتى يثبَّ عِدَّةً وَثَبَاتٍ يرفع فيها نفسه في الهواء طبقةً بعد طبقةٍ حتى تدخل تحته
الريِّحُ . وَمَنْ أَصَابَهُ بعد أَمْتَلَانِهِ وَأَعْجَلَهُ عن الوئوب أَمْكَنَهُ ضَرْبُهُ إِنْ شَاءَ بَعْصَا^(١)
وإِنْ شَاءَ بَغِيرَهَا . قالوا : والأثني تخاف على بيضها وفراخها من الخفَّاش فتَفْرِشُ
في وَكْرِهَا وَرَقَّ الدُّأْبُ لِيَفِرَّ مِنْهُ^(٢) . والنَّسْرُ أَشَدُّ الطَّيْرِ حُزْناً على [فِرَاقِ] إلفه ؛ يقال :
إِنْ الْأَثْنِي إِذَا فَقَدَتِ الدَّكْرَ آمَتْنَعَتْ عن الطَّعْمِ أَيَّاماً وَلَزِمَتِ الْوَكْرَ ؛ وَرَبْمَا قَتَلَهَا
الْحَرْبُ . وهو طويل العمر ؛ يقال : إِنَّهُ يُعَمِّرُ أَلْفَ سَنَةٍ . وفيه ألوان : منها الْأَسْوَدُ
البَهِيمُ ، وَالْأَرَبْدُ وهو لون الرَّمَادِ ، وَالْأَكْدَرُ مثله . وهو يتبع الجيوش طمعاً
في الوقوع على جِيفِ الْقَتْلَى والدَّوَابِّ .

ذكر ما قيل في الرَّخَمِ

- ١٠ . يقال : إِنْ لَثَمَ الطَّيْرُ ثَلَاثَةً : الْفِرْبَانَ ، وَالْبُؤْمَ ، وَالرَّخْمَ .
والرَّخْمَةُ تَلْتَمِسُ لِيَبْصَحَ الْمَوَاضِعَ الْبَعِيدَةَ وَالْأَمَاكِنَ الْوَحْشِيَّةَ وَالْجِبَالَ الشَّامِخَةَ
وَصُدُوعَ الصَّخَرِ ؛ وَلِذَاكَ يُصْرَبُ الْمَثَلُ بِيَضِّ الْأَنْوَقِ . قال الشاعر :
طَلَبَ الْأَبْلَقُ الْعُقُوقَ فَلَمَّا * لَمْ يَنْتَلُهُ أَرَادَ بِيَضَ الْأَنْوَقِ
وَالرَّخْمَ مِنْ أَحَبِّ الْحَيَوَانِ فِي الْعَذَرَةِ ، لَا شَيْءَ يَجِبُهَا كِتَابَهُ إِلَّا الْجَمَلُ . وقال
المُفَضَّلُ لِمُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ : إِنَّا لَا نَعْرِفُ طَائِراً أَلَمَ لَوْماً وَلَا أَقْدَرَ طُعْمَةً وَلَا أَظْهَرَ

(١) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « أَمْكَنَهُ صَرَبَهُ السِّلَاحَ الْعَصَا وَغَيْرَهَا » .

(٢) الدُّبُّ : شَجَرُ الصَّنَارِ وَهُوَ عَرِيضُ الْوَرَقِ وَاسِعُهُ شَبِيهُ بَوْرَقِ الْكَرَمِ ، مِثْلُ كَفِّ الْإِسْكَانِ ،
وَلَا يُنَوِّرُهُ وَلَا تُنْمِرُ .

(٣) زِيَادَةُ عَنْ مَبَاحِ الْفِكْرِ .

(٤) يُصْرَبُ هَذَا لَطَبُ الْمُسْتَحِيلِ ، وَيُقَالُ : « أَغْزَى مِنَ الْأَبْلَقِ الْعُقُوقَ » ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَبْلَقَ مِنْ
صِفَاتِ الدَّكْرِ ، وَالْعُقُوقُ : الْحَامِلُ ، وَالدَّكْرُ لَا يَكُونُ حَامِلاً . وَكَذَلِكَ يُصْرَبُ الْمَثَلُ بِيَضِّ الْأَنْوَقِ لِأَنَّهُ
لَا يُظْهَرُ لَهُ لَصُوبَةُ الْوَصُولِ إِلَيْهِ . وَالْأَنْوَقُ : الرَّحِمُ .

مُوقًا من الرِّحمة . فقال محمد بن سهل : وما مُحَقُّها وهي تحضن بيضها ، وتنجي فراخها ، وتحب ولدها ، ولا تمكن إلا زوجها ، وتقطع في أول القواطع ^(١) ، وترجع في أول الرواجع ^(٢) ، ولا تطير في التحسير ، ولا تغتر بالشكير ^(٣) ، ولا تُرب بالوكور ، ولا تسقط على الجفير ! .

- قال الجاحظ : أما قوله : « تقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع » .
- فإن الرِّمَّةَ وأصحاب الجبال والقنَّاص إنما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أن القواطع قد قطعت ، فبقطع الرِّحمة يستدلون ، فلا بد للزحمة من أن تنجو سالمة إذ كانت أول طالع عليهم . وأما قوله : « ولا تطير في التحسير ولا تغتر بالشكير » ؛ فإنها تدع الطيران أيام التحسير ، فإذا نبت الشكير وهو أول ما ينبت من الريش فإنها لا تنهض حتى يصير الشكير قصبا . وأما قوله : « ولا تُرب بالوكور » ، فإن الوكور لا تكون إلا في عرض الجبل ، وهي لا ترضى إلا بأعلى الهضاب ثم بمواضع الصدوع وخلال الصخور حيث يتنسع على جميع الخلق المصير إلى أفرانها ؛ ولذلك قال الكُتَيْب :

ولا تجمعولوني في رجائي ودكم * كراچ على بيض الأثوق آحتبالها ^(٤)

- وأما قوله : « ولا تسقط على الجفير » ، وإنما يعني جبة السهام . يقول : إذا رآته علمت أن هناك سهاما فلا تسقط في موضع تخاف فيه وقع السهام .

(١) قطعت الطير تقطع قطوعا : إذا حانت من بلد إلى بلد في وقت حر أو برد ، هي قواطع .

(٢) حشرت الطير : سقط ريشها .

(٣) رب بالمكان وأرب لإربابا : لزمه وأقام به .

(٤) احتبل الصيد : أحذه بالحيالة .

قال : والرَّحْمُ من الطير التي تنزع الجيوش والمُتَجَاجِمَا يسْقُط من كَسْرِي^(١) الدَّوَاب . وإذا فقدت المِيتَةَ عَمَدَتْ إلى العَظْم فحَمَلَتْهُ وَاَرْتَفَعَتْ بِهِ في الهَوَاء ثم تُفْقِيهِ فيقع على الصَّخُور فينكسر فتنا كل ما فيه . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما قيل في الحِدَاة

قالوا : والحِدَاةُ تَبْيَضُ بِيضَتَيْنِ ، وربما باضت ثلاثاً ونخرج منها ثلاثة أفرخ . وهي تحضن عشرين يوماً . ومن ألوانها الأسود والأزبد . ويقال : إنها لا تصيد وإنما تخطف . وهي تَقِف في الطيران ، وليس ذلك لغيرها من الكواسر . وزعم ابن وحشية : أَنَّ الْعُقَابَ والحِدَاةَ يَتَبَدَّلَان ، فتصير الحِدَاةُ عُقَابًا والعُقَابُ حِدَاةً . وهذا أراه من الخرافات . ويقال : إِنَّ الحِدَاةَ من جوارح سليمان عليه السلام وإنها امتنعت من أن تُؤَلَّف أو تُمَلِّك لغيره ، لأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده . وهي لا تَخْتِطِف إلا من يمين مَنْ تَخْتِطِف منه دون شماله . وليس فيها لحم ، وإنما عظامٌ وعَصَبٌ وجلدٌ وریش . ولم أقف على شعر فيها فأضعه .

ذكر ما قيل في الغراب

قالوا : والغراب أصنافٌ ، وهي " الغُدَافُ " و " الزَّاعُ الأَكْهَلُ " و " الزَّاعِ " (١١٢) الأورق " . والغراب يَحْكِي جميع ما يسمعه ، وهو في ذلك أعجب من البَغَاء . ويقال : إِنَّ مَتَوَلَّى نَفر الإسكندرية أهدى إلى السلطان الملك الظاهر رُكْنِ الدِّين بَيْبَرس غُرَابًا أبيض ، وهو غريبٌ نادر الوقوع . ويقال في صوت الغراب : نَقَقَ يَنْقُقُ نَقِيقًا ، وَنَعَبَ يَنْعَبُ نَعِيبًا . فإذا مرَّت عليه السنون الكثيرة وغلُظَّ صوته

(١) كسرى : جمع كبير .

قيل فيه: شَحَجَ يَشْحَجُ شَحِجًا . وفي طبعه الاستتارُ عند السَّفَادِ وهو يَسْفِدُ مَوَاجِهَةً^(١)، ولا يعود إلى الأثني إذا سَفَدَهَا أبداً، وذلك لقلة وفائه .

قال الجاحظ : وإذا خرج الفَرْخُ حَضَمَتِهِ الأثني دون الذكر، ويأتيها الذَّكَرُ بالطَّعْمِ . قال : والغراب من لِسَامِ الطير وليس من كِرَامِهَا ، ومن بُغَاثِهَا وليس من أحرارها، ومن ذوات المخالب المعقَّفة والأظفار الجارحة، ومن ذوات المناقير وليس من ذوات المناسير؛ وهو مع ذلك قويُّ البدن، لا يتعاطى الصيد، وربما راوَعَ^(٢) العصفور . ولا يصيد الجرادَ إلا أن يلقاها في سَدٍّ^(٣) من جراد . وهو إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هُزْلاً . ويتَّعَمُّ كما تتَّعَمُّ بهائمُ الطير وضعافُها . وليس بيهيمة لمكان أكله الخفيف؛ وليس بسبع لعجزه عن الصيد .

قال: وهو إما أن يكون حالك السواد شديد الاحتراق، ويكون مثله من الناس الزَّئِجُ لأنهم شرار الناس وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً، فلا تكون له معرفة ولا جمال؛ وإما أن يكون أبقع فيكون اختلاف تركيبه وتضاد أعضائه دليلاً على فساد أمره . والبُقعُ الأُمُّ من السُّود وأضعف .

قال : ومن الغربان غرابُ الليل ، وهو الذي ترك أخلاقَ الغربان وتشبه بأخلاق البوم . وقد رأيتُ أنا بُلْبُلِيَّاسَ^(٤) — وهى على ساحل البحر الرومى — غريباً كثيراً جداً، فإذا كان وقتُ الفجر صاحت كلها صياحاً عظيماً مُرَّجِجاً؛ فهم يعرفون طلوعَ الفجر بصياحها .

(١) قال الجاحظ : «ناس يزعمون أن تسافدها على غير تسافد الطير وأنها تراق وتلقح من هناك» .
(راجع الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ٢١٤ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥ (أدب) .

٢٠

(٢) السَّدُّ : القطعة من الجراد، سَدُّ الأفق . يقال : جاءنا سَدٌّ من جراد، وجراد سَدٌّ .

(٣) بلْبُلِيَّاس : مدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر .

قال : ومنها غراب البين ؛ وهو نوعان : أحدهما غرابان صغيران معروفان بالضعف واللوؤم . والآخر إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجمة وقع في مواضع بيوتهم يتألمس ويتقعم ، فقتلوا به وتطيروا منه ، إذ كان لا يُلمّ بمنازهم إلا إذا بانوا منها ؛ فسموه غراب البين . ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة ، وعلموا أنه نافذ البصر صافى العين ، فسموه الأعور ؛ من أسماء الأضداد .
قال : والغدفاؤ جنس من الغربان ؛ وهى لثام جدّا . ومن أجل تشاؤمهم بالغراب أشنقوا من أسمه الغربة والاعتراب والغريب . والعرب يتعابرون باكل لحوم الغربان . وفى ذلك يقول وعلة الجرحى^(١) :

فما بالعار ما عيرتونا * شواء الناهضات مع الخبيص^(٢)
فما لحم الغراب لنا بزاد * ولا سرطان أنهار البريص^(٣)

والغربان من الأجناس التى تقتل فى الحِلِّ والحرم ، وسميت بالفسيق .

قال الجاحظ : وبالبصرة من شأن الغربان ضرور من العجب ، لو كان ذلك بمصر أو ببعض الشامات كان عندهم من أجود الطلسمات ؛ وذلك أن الغربان تقطع إلينا فى الخريف فترى النخيل وبعضها مصروم وعلى كل نخلة عدد كثير من الغربان ؛

١٥ (١) هو وعلة بن عبد الله الجرحى الشاعر ، أحد فرسان قضاة . (راجع الكلام عليه وعلى ابنه الحارث بن وعلة فى الأغاني ج ١٥ ص ١٣٩ طبع بولاق) .

(٢) الناهضة : أنثى فرخ العقاب . والخبيص : ضرب من الحلواء .

(٣) السرطان : حيوان من خلق الماء ذو فكين ونخالب وأظفار حداد ، يمشى على جنب واحد ، ويسمى عقرب الماء .

٢٠ (٤) البريص : نهر دمشق . ذكر ذلك ياقوت ، ثم ساق أبياناً لحسان بن ثابت وذكر الشعر الأخير من قول وعلة هذا ، وقال : « وهذان الشمران يدلان على أن البريص اسم الغولمة بأجمعها ، ألا تراه نسب الأنهار إلى البريص » .

وليس فيها شيء يقرب نخلة واحدة من النخيل التي لم تُصرَم ولو لم يبق عليها إلا عذق واحد . قال : فلو أن الله تعالى أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعليها التمر لذهب جميعه . فإذا صرَموا ما على النخلة تساقى الغراب إلى ما سقط من التمر في جوف القلب وأصول الكرب تستخرجه وتأكله .

ومما يُمثّل به في الغراب : يقولون : « أحذر من غراب » . و « أصح من غراب » . و « أصفى نظراً من غراب » . و « أسود من غراب » .

ومما وُصِفَتْ به الغِرابُ — فمن ذلك قول عنترة :

حَرِقُ الجَنَاحِ كَأَن لَّحْيَتِي رَأْسُهُ * جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مَوْلَعٌ

وقال الطِّرِمَاحُ بن حَكِيم :

وَجَرَى بَيْنَهُمْ غَدَاةٌ تَحْمَلُوا * مِنْ ذِي الْأَثَرِ شَاحِجٌ يَتَعَبَدُ

شَنِجُ النَّسَا أَذْفَى الْجَنَاحِ كَأَنَّهُ * فِي الدَّارِ إِثْرُ الظَّاعِنِ مُقِيدُ

(١١٣)

(١) قلب النخلة (مثلث القاف) : الخوص الذي يلى أعلاها . وفي كتاب الحيوان للجاحظ (ح ٣

ص ١٤١) : « في جوف الليف » .

(٢) الكرب : أصول السف الملائع العراض التي تنقطع .

(٣) كذا في ديوان عنترة المخطوط بخط المرحوم الشنقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت

رقم ١٨٣٧ أدب واللسان (مادة حرق) . وحرق الجاح : انحصر ديشه ونسل . وفي الأصلين : « رُق

الجاح » بالحاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) الأثارب : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية ، وتحت جبلها قرية تسمى باسمها . ويريد بوصفه

باتعبد أن الغراب اذا صاح أخذ يرفع رأسه ويخفقه ، شأن المتعبد .

(٥) الشنج : تقبض الجلد والأصابع وغيرها . والنسا (بالفتح) : عرق من الورك الى الكعب .

(٦) كذا في اللسان (مادة دقا) . وأدق الجتاح : طوله . وفي الأصلين : « أوفى الجتاح » .

وقد روى في اللسان (مادق حرق وشنج) : « شنج النسا حرق الجتاح ... الخ » ،

وقال أبو يوسف بن هارون الزبائدي الأندلسي :

أبا حاتم ما أنت حاتم طيٍّ * وما أنت إلا حاتم الحَدَثَانِ
خطبتَ ففَرَقْتَ الجميعَ بِلُكْنَةٍ * فإِظْنُ لو تُعْطَى بيانَ لِسَانِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ سُرْعَةِ البينِ أُودِعُوا * جَنَاحَيْكَ وَأَسْتَحْيَيْتَ^(١) لِلطيرانِ

وقال أحمد بن فرج الجبائي :

أما الغرابُ فمُؤَذِّنٌ بَتَغْرُبٍ * وَشَكَا^(٢) فَصَدَّقَ بالنوى أَوْ كَذَّبَ
دَاجِي القِنَاعِ كَأَن فِي إِظْلَامِهِ * إِظْلَامَ يَوْمِ تَفَرَّقَ وَتَغْرِبَ

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « استحييت » ، وهو تصحيف .

(٢) وشك الفراق : سرعته .

الباب الثالث من القسم الخامس

من الفن الثالث في بهائم الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في "الدراج" و"الحباري" و"الطاوس" و"الدليك" و"الدجاج" و"البحل" و"الكركي" و"الإوز" و"البط" و"النحام" (١) و"الأنيس" و"القاوند" و"الحطاف" و"القيق" و"الرزور" و"السماني" و"المهدهد" و"العققي" و"العصافير".

قال الجاحظ: والبهيمة من الطير ما أكل الحب خالصا.



فأما الدراج وما قيل فيه — قال الجاحظ: إنه يبيض بين العشب،

ولا سيما فيما طال منه وآتوى . ١٠

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: لحم الدراج أفضل من الفواخيت وأعدل وألطف وأيسر . قال: وهو يزيد في الدماغ والفهم، ويزيد في المنى .

وقال أبو طالب الماموني:

قد بعثنا بذات حُسنٍ بديع * كَنَبَاتِ الرِّبْعِ بل هي أحسن

في رِداءٍ من جُلَّتَارِ وآيس * وقبيص من يَاسَمِينِ وَسَوَسَنِ ١٥

وقال آخر:

صدور من الدراج مُنَّقَ وشيها * وُصِّلَنَ بِأَطْرَافِ الْجُبَيْنِ السَّوَادِجِ

وأحدائق تير في خدود شقائق * تَلَأُلُ حُسْنًا كَأَشْتَعَالِ الْمَسَارِجِ

(١) النعام (بالضم): طائر أحمر على خلفة الإوز، واحدة نحامة .

وأذئابُ طَلَع في ظهورِ مَلاعِقِ * مُجَزَّعة الأعطافِ صُهب الدَّمَالجِ
فإن نَفَرَ الطَّائِوسُ يوماً بحسنه * فلا حُسْنَ إلا دونَ حَسَنِ الدَّرَارِجِ



وأما الحُبَّارَى وما قيل فيه — وتسميه أهل مصر الحُبَّارِجَ^(١).

قال الجاحظ: والْحُبَّارَى أشدُّ الطيرِ طَيْرَانًا وأبعدها سقطًا وأطولها شوطًا وأقلها عَرَجَةً^(٢)؛ وذلك أنه يُصَاد بالبصرة فيسَّق عن حوصلته بعد الذَّيْجِ فتوجد فيها الحبة الخضراء لم تتغير ولم تفسد؛ والحبة الخضراء من شجر البطم ومنابتها جبال النغور الشامية. والحُبَّارَى له خزانة بين دُبره وأمعائه، لا يزال فيها سَلَحٌ رقيق لِرَجٍّ؛ فتنى ألح عليه جارحٌ دَرَقَ عليه فتمعط ريشه^(٣). ولذلك يقال: الحُبَّارَى سِلَاحُهُ سِلَاحُهُ.

قال الشاعر:

وهم تركوك أسلَح من حُبَّارَى * رأى صَفَرًا وأشردَ من نَعَامِ
وهو يفتننى بسَلَحِهِ إذا جاع. ويقال: الحُبَّارَى دجاجة البرِّ تأكل كل ما دبَّ حتى الخنافس؛ فلذلك يعاف أكله.

ووصف أبو نُوَاس الحُبَّارِيَّات فقال:

يَحْطِرْنَ في برَانِيسٍ قُشُوبِ * من حَبَرٍ طُوهِرْنَ بالتَّذهيبِ
فهنَّ أمثالُ النَّصارَى الشَّيْبِ *

(١) في اللسان (مادة حبرج): «الحبرج والحبارج: ذكر الحبارى».

(٢) لعلمها: «وأفندھا سقطًا». والسقط (بالكسر): الجناح.

(٣) العرجة: المقام.

(٤) البطم: (بالضم وبضمتين): شجر كالفسنتين جرما سبط الأوراق وله حب مفروح في عناقيد كالقلقل. ويسمى الأخضر منه بالحبة الخضراء.

(٥) تمعط: تساقط.



①①

وأما الطائوس وما قيل فيه — فهو ألوان منها الأخضر، والأرقط،
والأبيض، ويوجد في كلها الخيلاء . ولا تُعرف هذه الألوان إلا في بلاد الزابج .
وفي طبع الطائوس الخيلاء والإعجاب بريشه . والأثنى تبيض بعد أن يمضي من
عمرها ثلاث سنين . ولا يحصل التلون في ريش الذكر إلا بعد مضي هذه المدة .
وتبيض الأثنى ^(١) مرتين في السنة، في كل مرة أثنى عشرة بيضة .

وقال الجاحظ : أول ما تبيض ثمانى بيضات، وتبيض أيضا بيض الربيع .
ويُسَدِّ الذكور في أوان الربيع . ويُلقَى ريشه في فصل الخريف ، كما يُلْقَى الشجر
ورقه فيه؛ فإذا بدأت الأشجار تُكْتَسِي الأوراق بدأ الطائوس فأكتسى ريشا .
والذكر كثير العبث بالأثنى . والفرخ يخرج من البيضة [كاسيا] ^(٢) كاسبا .

وزعم أرسطو أن الطائوس يُعمر نحسًا وعشرين سنة . وقال أبو الصلت
[امية بن عبد العزيز الأندلسي] يصفه :

أبدى لنا الطائوس عن منظر * لم تر عني مثله منظرًا
منوج المَفْرِق إلا يكن * كسرى بن ساسان يكن قيصرا
في كل عضو ذهب مفرغ * في سندس من ريشه أخضرا
نزهة من أبصر، في طيها * عبدة من فكر وأستبصرا
تبارك الخالق في كل ما * أبدعه منه وما صورا

(١) في حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٠٦ طبع بولاق) : «تبيض الأثنى مرة واحدة في السنة

اثنتي عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متتابعًا» .

(٢) الزيادة عن حياة الحيوان للدميري عند الكلام على الطائوس .

(٣) الزيادة عن مباحث الفكر .

وقال فيه أيضا :

أهلاً به لما بدا في مشيه * يَحْتَالُ في حُلٍّ من انْجِيَالٍ
كالروضة الغناء أشرف فوقه * ذَنْبٌ له كالذَّوْحَةِ الغَنَاءِ
ناديته لو كان يفهم منطقي * أو يستطيع إجابةً لِنِدَائِي
يا رافعاً قوس السماء ولايساً * للحسن روض الحزن غب سماء
أيقنت أنك في الطيور مملك * لما رأيته منه تحت إواء

وقال أبو الفتح كُشَايِم من قصيدة ذكر فيها طاوساً :

[وأى عذر لمقلة بعد الطَّائِوس عنها إن لم تَفِضْ بِدَمٍ^(١)
رُزْتُهُ روضة تروق ولم * أَسْمَعُ بروض سعى على قَدَمِ
مُتَوَجِّاً خِلْفَةً^(٢) حباه بها * ذو الفطر المعجزات والحكم
كانه يَزْدَحْدُ مُتَصِيباً * يَنْبِي فِعْلِي مآثر العجم
يُطِيقُ أجفانه ويحسُرُ عن * فَصَيْنُ يُسْتَصْحَبَانِ في الظلم^(٣)
أدَلَّ بالحسن فاستدال له * ذيلًا من الكبر غير محْتَسِمِ
ثم مشى مشية العروس فيمن * مستظرفٍ مُعْجَبٍ ومُبْتَسِمِ



وأما الديك والدجاج وما قيل فيهما — قالوا : والدجاج ثلاثة أصناف : ” نَبَطِي ” وهو ما يُتَّخَذُ في القرى والبيوت ، ” وهِنْدِي ” وهو عظم

(١) زيادة عن ديوانه ومباح الفكر .

(٢) كذا في ديوانه . وفي مباح الفكر : « حلية » . وفي الأصلين : « خلفة » بالقاف وهو تحريف .

(٣) لعله « يستصحبان » أى يستضاء بهما .

الخلق يُتخذ لحسن شكله، و"حَيْشِي" وهو نوعٌ بديع الحسن أرقط : نقطة سوداء ونقطة بيضاء، وله قُرطان أحضران .

قالوا : والدجاجة تجمع البيض بعد السَّفاد في أحدَ عَشَرِ يوماً؛ وهي تبيض في السنة كلها ما خلا شهرين شتويين . والذي عرَّفناه نحن بديار مصر أنَّ البيض لا يقطع أبداً في الفصول الأربعة ، فيدلّ على أنها تبيض دائماً . ومن الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين . والبيضة تكون عند خروجها لينة الفشر جداً؛ فإذا أصابها الهواء يَسَتْ . وربما وُجد في البيضة عُحان . وقال أرسطو : باضت دجاجة فيما مضى ثمانى عشرة بيضة لكل بيضة عُحان ، ثم حصلت البيضَ فخرج من كل بيضة فرخان، أحدهما أعظم جنة من الآخر .

والدجاجة تحضن عشرين يوماً . وخلق الفروج يتبين إذا مضت عليه ثلاثة أيام . ويعرف الذكور من الأنثى بأن يُعلق الفروجُ برأسه ^(١) فإن تحرك فذكر، وإن سکن فأنثى .

(١١٥)

قال الجاحظ : والفرخ يُخلق من البياض ويتنذى بالصفرة ويتم خلقه لعشرة أيام، والرأس وحده يكون أكبر من سائر جسده . والدجاجة إذا هيرمت لم يكن لبيضها عُح، وإذا لم يكن له عُح لا يُخلق منه فزوج .

والدجاجة تنحس أن آوى دون سائر السباع؛ وذلك أنه يمز عليها في القرى ما يمز من السباع وغيرها فلا تحشاه؛ فإذا مرَّ عليها ابنُ آوى وهي على سطح نالها

(١) الذى فى حياة الحيوان للدبيرى (ج ١ ص ١١١ طبع بولاق) : « بأن يعلق بمنقاره فان تحرك

فذكر الخ ... » .

من الفَرْع منه ما تُلْقَى [به] نفسها إليه . وهى إذا قابلت الدَّيْكَ تشتهه ^(٢) ورامت
السَّفَادَ . والدَّجاجةُ تُوصَفُ بقِلَّةِ النومِ . والفَرْجُ يخرج من البيضة كاسياً كاسياً،
سريع الحركة ، يُدْعَى فُجِيبَ وَيَتَّبَعُ مِنْ يُطْعِمُهُ ؛ ثم هو كذا كبر ماق وحمق وزال
كَيْسُهُ . وهو مشترك الطبيعة : يأكل اللحم ، ويحسو الدَّم ، ويصيد الذَّبَابَ ، وذلك
من طباع الجوارح ، ويلقُطُ الحبوبَ ، ويأكل البقولَ ، وذلك من طباع بهائم الطير .
والله أعلم بالصواب .

ذكر ما جاء فى الديكة من الأحاديث

وما عُذَّ من فضائلها وعاداتها ومنافعها

- جاء فى الحديث عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أن ديكاً صرخ عند النبىِّ
صلى الله عليه وسلم ، فسبه بعض أصحابه ، فقال : " لا تسبه فإنه يدعو إلى الصلاة " . ١٠
وعن زيد بن خالد الجعفى : أن النبىِّ صلى الله عليه وسلم نهى عن سبِّ الديك
وقال : « إنه يؤذن للصلاة » . وعن سالم بن أبى الجعد يرفعه : أن النبىِّ صلى الله عليه
وسلم قال : " إن مما خلق الله لديكاً عُرفُهُ تحت العرش وبرائته فى الأرض السفلى
وجناحاه فى الهواء فإذا ذهب ثلثا الليل وبقي ثلثُ ضَرْبٍ بجناحيه ثم قال سبَّحوا
الملك القدوس سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ لا شريك له فعند ذلك تضرب الطيرُ بأجنحتها ١٥
وتصبح الديكة " . وعن كعب : " إن لله ديكاً عُقُّهُ تحت العرش وبرائته فى أسفل
الأرض فإذا صاح صاحبت الديكةُ يقول سبحان القدوس الملك الرحمن لا إله غيره " .
وروى عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الديك الأبيض صديق

(١) زيادة يقتضيا السياق

(٢) فى الأصلين : « تشته به » .

وعُدُّوْهُ اللهُ يُحْرُسُ دَارَ صَاحِبِهِ وَسِعَ دُورٌ . وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَبِيْتُهُ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ . وَرُوي أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَسَافِرُونَ
بِالدِّيَكَةِ .

قال الجاحظ : وزعم أصحاب التجربة أن كثيرا ما يرون الرجل إذا ذبح الديك
الأبيض الأفرق^(١) إنه لا يزال ينكب في أهله وماله .

- وقال في كتاب الحيوان في المأطرة بين الديك والكلب : وفي الديك الشجاعة
والصبر والجولان والثقافة والتسديد؛ وذلك أنه يقدر إيقاع صيصيته بعين الديك^(٢)
الآخر أو مذبحه فلا يخطئ . قال : ثم معرفته بالليل وساعاته وارتقائه بنى آدم
بمعرفته وصوته ، يتعرف آباء الليل وعدد الساعات ومقادير الأوقات ثم يقسط
أصواته على ذلك تقسيطا موزونا لا يغادر منه شيئا . فليعلم الحكماء أنه فوق
الإسطرلاب وفوق مقدار الجزر والمد^(٣) على منازل القمر ، حتى كأن طبعه فلك^(٤) [على
حدثه] .

- ومن عجيب أحوال الديكة أنها إذا كانت في مكان ثم دخل عليها ديك غريب
سَفَدَتْهُ جميعا . والديك يضرب به المثل في السخاء ، وذلك أنه ينقر الحب ويحمله
بطرق منقاره إلى الدجاج ، فإذا ظفر بشيء من الحب والدجاج غيب دعاهن إليه
وقنع منه بدون حاجته توفيرا عليهن . قالوا : والديكة تعظم بدليل السند حتى
تكون مثل النعام .

(١) الأفرق : ذو العرفين لاهراق ما بينهما ، وهو أيضا الأبيض . (٢) الصيصية والصيصية :

شوة الديك . (٣) كذا في الحيوان للجاحظ (ج ٢ ص ٨٨) . وفي أ : « الزجر »

وفي ب : « الزجن » ، وكلاما تحريف . (٤) الزيادة عن مباحج الفكر والحيوان للجاحظ .

(٥) في الأصلين : « توفرا » . (٦) دبل : مدينة من مدن السند .

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : إن مرقّة الديوك العتق لها خاصّيات ،
 سنند كرها . قال : والوجه الذي ذكره جالينوس في طبخها أن تدبج بعد علفها
 وبعد إعدادها إلى أن تثبت^(١) فتسقط فتدبج ، ثم يُخرج ما في بطنها ويملأ بطنها مِلْحًا
 ويحاط ويطبّخ بعشرين قسطًا ماءً حتى ينتهي إلى الثلث ويُشرب . قال : ثم يُزاد
 في ذلك ما نذرهُ . قال : وأجود الدبّكة ما لم يصمّع^(٢) بعد . وأجود الدجاج ما لم
 يبيض ، والعتق رديء . قال : ولحم الفراريج أحرّ من لحم الدجاج الكبير . وخصّي
 الديوك محمودٌ سريع الهضم . ومرقّة الديوك المذكورة تُوافق الرّعة ووجع
 المفاصل . ولحم الدجاج الفتى يزيد في العقل ، ودماغها يمنع الرّف الرّاعي العارض
 من مجبّ الدماغ . ومرقّة الديوك المذكورة ناعمة من الرّبو . ولحم الدجاج يُصنّى
 الصوت . ومرقّة الديك الحرّم المعمولة بالقرطم والشبث تنفع من جميع ذلك .
 ومرقّة الديوك نافعة لوجع المِعدة من الرّيح ، وتنفع التّولنج جدًّا . ولحم الدجاج
 الفتى يزيد في المنيّ ؛ والمرقّة المذكورة [مع البسفاج^(٣)] تُسهّل السّوداء ، ومع القرطم
 تُسهّل البلغم . وقد تُطبخ بالأدوية القابضة للسّحج^(٤) ، وبالبن لقروح المثانة .
 والمرقّة نافعة من الحمّيات المزمنة . قال : والدجاج المشقوق عن قلبه أو الديك
 يوضع على نهش الهوام ويبدّل كلّ ساعة فيمنع من فُشو السمّ وفي السموم المشروبة
 يُعشى طبيخه بالشبث والملح ويتقبّا .

(١) تثبت : تنقطع إعياء وتعبا . (٢) صقع الديك : صاح .

(٣) الزيادة عن كتاب القانون . والبسفاج : نبات ينبت بين الصخور التي عليها الخصرة وفي سوق

شجر البلوط العتيقة (انظر مفردات ابن البيطار ج ١ ص ٩٢ طبع بولاق) .

(٤) السحج : قشر الجلد من شيء يصيبه .

(٥) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : «يُحشى طيبة» ، وهو تحريف .

ومن الحكايات التي تُعَدُّ من خرافات العرب ما حكاه بعضهم عن الرِّياشي^(١)
قال : كَتَأ عند الأصمعي ، فوقف عليه أعرابي فقال : أنت الأصمعي ؟ قال : نعم ؛
قال : أنت أعلم أهل الحَضَر بكلام العرب ؟ قال : يزعمون ؛ قال : ما معنى قول
أمية بن أبي الصَّلْت :

- وما ذاك إلَّا الدِّيكُ شاربِ نَحْمَةٍ * نديمُ غرابٍ لا يَمَلُّ الحَوَانِيَا^(٢)
فلما أَسْتَقَلَّ الصَّبحُ نادى بصوته * أَلَا يَا غَرَابُ هل رَدَدْتَ رَدَائِيَا

فقال الأصمعي : إنَّ العرب كانت تَزْعُمُ أنَّ الدِّيك كان ذا جَنَاحٍ يطير به في الجَوِّ
وأنَّ الغراب كان ذا جَنَاحٍ بجَنَاحِ الدِّيك لا يطير به وأنهما تتأدَّما لَيْلَةً في حانةٍ
يشربان فنَفِدَ شَرابُهما ؛ فقال الغراب للدِّيك : لو أَعَرَّتَنِي جَنَاحَكَ لَأَتَيْتُكَ بِشَرَابٍ ؛
فأَنَارَهُ جَنَاحَهُ ، فطار ولم يرجع إليه ؛ فزعموا أنَّ الدِّيك إنما يصبح عند الفجر
أَسْتَدْعَاءً لَجَنَاحِهِ مِنَ الغراب ؛ فضحك الأعرابي وقال : ما أنت إلا شيطان .
وهذه الحكاية ذكرها الجاحظ في كتاب الحيوان بنحو ما حكى عن الأصمعي ، وساق
أبيات أمية بن أبي الصَّلْت ، وهي :

- وَلَا غَرَوَ إلَّا الدِّيكُ مُدْمِنٌ نَحْمَةٍ * نديمُ غرابٍ لا يَمَلُّ الحَوَانِيَا^(٣)
ومرهنه عند الغراب جِيبُهُ * فَأَوْفَيْتُ مَرَهَوْتًا وَخَاتَ مَسَايَا^(٤)
أَدَلَّ عَلَى الدِّيكِ أَنِّي كَمَا تَرَى * فَأَقْبِلْ عَلَيَّ شَانِي وَهَكَ رِدَائِيَا

(١) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « الياشي » ، وهو تحريف .

(٢) الحوانى : الحانات .

(٣) لم يرد هذا البيت في كتاب الحيوان للجاحظ .

(٤) كذا ورد هذا البيت في الأصلين ، وهو غير ظاهر المعنى . ولم نثر على هذه القصيدة في مصدر

آخر ، غير كتاب الحيوان ، نستأنس به في تصحيحها .

أَمْسِكْ لَا تَلْبَثْ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً * وَلَا نَصَفَهَا حَتَّى تَزُوبَ مَائِيَا
وَلَا تُدْرِكَكَ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا * فَأَغْلِقْ فِيهِمْ أَوْ يَطُولُ نَوَائِيَا^(٢)
فَرَدَ الْغَرَابُ وَالرَّدَاءُ يُحْوزُهُ * إِلَى الذِّيكِ وَعَدَا كَاذِبًا وَأَمَانِيَا
بَابَةِ ذَنْبٍ أَوْ بَابَةِ حُجَّةٍ * أَدْعُكَ فَلَا تَدْعُو عَلَيَّ وَلَا لِيَا^(٣)
فَإِنِّي نَذَرْتُ حِجَّةً لَنْ أُعَوقَهَا * فَلَا تَدْعُوْنِي دَعْوَةً مِنْ وَرَائِيَا
تَطِيرْتُ مِنْهَا وَالِدَعَاءُ يَعُوقُنِي * وَأَزَعَمْتُ حُجًّا أَنْ أَطِيرَ أَمَامِيَا
فَلَا تَيَاسَّنْ إِنِّي مَعَ الصَّبْحِ بِكَرًّا * أُوَافِي غَدًا نَحْوَ الْحَجِجِ الْفَوَادِيَا
كُحِبَ أَمْرِي فَاكْهِنْتَهُ قَبْلَ حُجَّتِي * وَآثَرْتُ عَمْدًا شَانَهُ قَبْلَ شَانِيَا
هَنَّاكَ ظَنُّ الذِّيكِ أَنْ زَالَ زَوْلُهُ * وَطَالَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَنْ لَا مُفَادِيَا
فَلَمَّا أَضَاءَ الصَّبِيحُ طَرَبُ صَرْخَةٍ * أَلَا يَا غَرَابَ هَلْ سَمِعْتَ نَدَائِيَا
عَلَى وَدَّهِ لَوْ كَانَ تَمَّ يَحْيِيهِ * وَكَانَ لَهُ نَدْمَانٌ صِدْقُ مَوَاتِيَا
وَأَمْسَى الْغَرَابُ يَضْرِبُ الْأَرْضَ كُلَّهَا * عَتِيقًا وَأَضْحَى الذِّيكُ فِي الْقَيْدِ عَانِيَا^(٤)
فَذَكَرْتُ مِمَّا أَشْهَتَ الْخَمْرُ لُبَّهُ * وَنَادَمَ نَدْمَانًا مِنَ الطَّيْرِ عَادِيَا^(٥)
وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الَّتِي لَا بَأْسَ بِإِيرَادِهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا حَكَاهُ الْجَاهِلُ قَالَ :

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : حَدَّثَنِي أَعْرَابِيٌّ كَانَ نَزَلَ الْبَصْرَةَ قَالَ : قَدِمَ عَلَيَّ أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْبَادِيَةِ
فَأَنْزَلْتُهُ ، وَكَانَ عِنْدِي دَجَاجٌ كَثِيرٌ وَلِي أَمْرَأَةٌ وَأَبْنَانٌ وَأَبْنَاتٌ مِنْهَا ؛ فَقُلْتُ لَأَمْرَأَتِي : يَا بَدْرِي
وَأَسْأَلُكِ لَنَا دَجَاجَةً وَقَدِّمِيهَا لِيُنَا نَتَقَدَّهَا . فَلَمَّا حَضَرَ الْغَدَاءُ جَلَسْنَا جَمِيعًا أَنَا وَأَمْرَأَتِي

(١) كَذَا فِي كِتَابِ الْخَيَوَانَ لِلْجَاهِلِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « أَمْسِكْ » .

(٢) يُقَالُ : غَلَقَ الرَّهْنَ يَغْلِقُ إِذَا لَمْ يَفُكْ وَأَسْتَحَقُّهُ الْمَرْتَنُ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي كِتَابِ الْخَيَوَانَ مُقَدِّمًا عَلَى النَّثْرِ يَلِيهِ .

(٤) كَذَا فِي كِتَابِ الْخَيَوَانَ لِلْجَاهِلِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « عَتِيقًا » وَهُوَ مَحْرُوفٌ .

(٥) كَذَا فِي الْوَكَايَةِ الْخَيَوَانَ . وَفِي ب : « غَاوِيَا » .

- وأبنائى وأبنائى والأعرابى . قال : فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا له : أقسمها بيننا ، نريد بذلك أن نفضحك منه ، فقال : لا أحسن القسمة ، فإن رَضِيتُمْ بقسمتى قسمتها بينكم ؛ قلنا : فإننا نَرْضَى . فأخذ رأس الدجاجة فقطعه وناولنيه وقال : الرأس للرئيس ، وقطع الجناحين وقال : الجناحان للآبَنِين ، ثم قطع الساقين وقال : الساقان للآبَنِين ، ثم قطع الزمكى ^(١) وقال : العَجْزُ للعجوز ، وقال : الزُّورُ للزائر ؛ قال : فأخذ الدجاجة ^(٢) .
- بأسرها وسخِر بنا . قال : فلما كان من الغد قلت لأمرأتى : أشوى لنا خمس دجاجات ، فلما حضر الغداء قلنا له : أقسم بيننا ، فقال : إني أظن أنكم وجدتم فى أنفسكم ؛ قلنا : لم نجد فأقسم بيننا ؛ قال : أقسمُ شفعاً أو وترّاً ؟ قلنا : أقسم وترّاً ؛ قال : أنت وأمرأتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى إلينا بدجاجة ؛ ثم قال : وأبنائك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إليهما بدجاجة ؛ ثم قال : وأبنائك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إليهما بدجاجة ؛ ثم قال : وأنا ودجاجتان ثلاثة وأخذ دجاجتين وسخِر بنا . فرآنا ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تنتظرون ! لعلكم كرهتم قسمتى ! الوتر لا يجىء إلا هكذا ، فهل لكم فى قسمة الشفع ؟ قلنا نعم ؛ فضممهن ^(٣) إليه ثم قال : أنت وأبنائك ودجاجة أربعة ، ورمى إلينا بدجاجة ؛ ثم قال : والعجوز وأبنائها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهن بدجاجة ؛ ثم قال : وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضمّ إليه الثلاث ، ورفع يديه إلى السماء فقال : اللهم لك الحمد ، أنت فهمتنيها . هكذا ساقها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وحكى غيره هذه الحكاية عن الأصمعى وفيها زيادة ، قال : حكى الأصمعى : بينا

(١) الزمكى : أصل ذنب الطائر .

(٢) الزور : وسط الصدر ، وقيل : ما ارتفع منه إلى الكتفين ، أو ملتحق أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت .

(٣) كذا فى تاب الحيران للجاحظ . وفى الأصلين : « فضمنى إليه » ، وهو تحريف .

أنا في البادية إذا أنا بأعرابي على ناقه وهي ترُفص به في الآل ؛ فلما دنا مني سلم
عليّ ، فسلمتُ عليه وقلت : يا أبا العرب

قوم بخفان عهدها^(١)هم * سقام الله من النّو

ما النّو ؟ فقال :

نوء السّماكين وربّاهما * نور تلالا بعد إيماضه ضو^(٢)

فقلت : ما الضّو يا أبا العرب ؟ فقال :

ضوء تلالا في دجى ليلة * مُقْمِرَة مُسْفِرَة لَو

فقلت : لو إيش يا أبا العرب ؟ فقال :

لو مرّ فيها سائر ركب * على نجيب الأرض منطو

فقلت : منطو إيش يا أبا العرب ؟ فقال :

منطوى الكشح هضم الحشى * كالباريقفص من الجحش

فقلت : ما الجحش يا أبا العرب ؟ فقال :

جَحّ السما والريخ تعلوبه * فأشتم ريح الأرض فأعلو

فقلت : فأعلو إيش يا أبا العرب ؟ فقال :

فأعلولها قد فات من صيده * لا بد أن تلقى ويُلقوا

فقلت : ماذا يُلقوا يا أبا العرب ؟ فقال :

يُلقوا بأسيايف يمتّية * وعن قليل سوف يَفَنّوا

(١) خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة .

(٢) كذا في الأصلين ولعله : * نور تلالا إيماضه ضو * .

قلت : ما يَقْنُوا يا أخا العرب ؟ فقال :

إِنْ كُنْتَ تُشْكِرُ مَا قُلْتَهُ * فَأَنْتَ عِنْدِي رَجُلٌ بَوُّ^(١)

قلت : وما الْبَوُّ يا أخا العرب ؟ فقال :

الْبَوُّ مَنْ يُفْقَدُ عَنْ أُمِّهِ * يَا أَحَقَّ النَّاسِ قَرْحُ أَوْ

قلت : أَوَيْش ؟ فقال :

تَنْدَفِعُ الْكَفُّ بِصَفْعِ الْفَقَا * تَسْمَعُ مَا بَيْنَهُمَا قَرْوُ

قلت : يا أخا العرب ، هل لك في الضيافة ؟ فقال : لا يَأْبَى الْكَرَامَةَ إِلَّا لَيْثٌ ؛

فَأَتَيْتُ بِهِ مَتْرَلَى . ثُمَّ سَأَلَ الْحِكَايَةَ بِنَحْوِ مَا تَقْدَمُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فِي الْيَوْمِ

الثَّانِي ثَلَاثَ دَجَاجَاتٍ ، وَقُلْتُ : نَحْنُ كَمَا عَلِمْتَ ، أَفِصِمُهَا بَيْنَنَا أَزْوَاجًا ، فَقَالَ : أَنْتَ

وَأَبْنَاكَ وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ ، وَأَمْرُكَ وَأَبْنَاهَا وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ ، وَأَنَا وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ .

وساق خبر الخمسة في اليوم الثالث كما تقدم .



ذَكَرْتُ شَيْءَ مِمَّا وَصَفْتُ بِهِ الشُّعْرَاءُ الْبَيْضَةَ وَالْدَّجَاجَةَ وَالذِّيكَ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَصَفُوا بِهِ الْبَيْضَةَ . قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ مِنْ أَيْبَاتِ :

فِيهَا بَدَائِعُ صَنْعَةٍ وَلَطَائِفُ * أَلْفَنْ بِالْتَّقْدِيرِ وَالتَّلْفِيْقِ

خِلْطَانِ مَاثِيَانٍ مَا اخْتَلَطَا عَلَى * شَكْلٍ وَمُخْتَلَفِ الْمِزَاجِ رَقِيقِ

فِيأَيُّهَا وَرَقٌّ وَزُبُنُقٌ مُحْمَا * فِي حُقِّ عَاجٍ بَطْنَتْ بِدَيْقِ^(٢)

(١) لعله : « تَسْتَكِرُ » .

(٢) الدقيق : نسبة إلى ديق وهي بلدة كانت بين الحرما وتيس من أعمال مصر ، وإليها تنسب الثياب

الدقيقة . (عن معجم البلدان لياقوت) .



وقال شاعر :

وصفراء في بيضاء رَقَتْ غِلَالَةٌ * لها وصفًا ما فوقها من ثيابها
جمادٌ ولكن بعد عشرين ليلةً ^(١) * ترى نفسها معمورةً من خرابها
وقال كُشَاجِم من أبيات يذكر فيها جُونةً أُهْدِيَتْ إليه وفيها بيض مسلوقٌ ^(٢)
مصبوعٌ أحمر :

وجاءنا فيها بيض أحمر : كأنه العقيق مالم يُقَسِّر
حتى إذا قدّمه مُقَسَّرًا * أبرز من تحت عقيقٍ دُرَرًا
حتى إذا ما قطعَ البيضَ فلقً * رأيت منه ذهبًا تحت وَرَقٍ
يَحَالُ أن الشطرَ منه من لَح * أعاره تلوينه قوسٌ قَزَحُ

ومما قيل في الدجاجة والديك

قال الشاعر :

غدوتُ بشريةً من ذاتِ عِرْقٍ ^(٣) * أبا الدهناء من حلبِ العَصِيرِ
وأخرى بالعنقلِ ^(٤) ثم رُحنا * نرى العصفورَ أعظمَ من بعيرِ
كأن الديك ديكَ بنى تُمَيْر * أميرُ المؤمنين على السريرِ
كأن دجاجهم في الدار رُفَطًا * وفودُ الروم في قُصصِ الحسيرِ

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « حجة » ، وهو محريف .

(٢) الجوبة (بالصم ، وربما همز) : سليفة معشاة بالأدم تكون عند الطائرين .

(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة ، وقيل : هو جبل بطريق مكة .

(٤) العنقل : كتيب بيد .

فِتْ أَرَى الْكَوَاكِبَ دَانِيَاتٍ * يَتَلَنُّ أَنَامِلَ الرَّجُلِ الْقَصِيرِ
أَدَانِعَهِنَّ بِالْكَفَيْنِ عَنَى * وَأَمْسَحَ جَانِبَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ

وقال أبو بكر الصنوبري من أبيات يصف ديكا :

مُغَرَّدَ اللَّيْلِ مَا يَأْلُوكُ تَغْرِيدَا * مَلَّ الْكَرَى فَهُوَ يَدْعُو الصَّبْحَ مَجْهُودَا
لَمَّا تَطَرَّبَ هَزَّ الْعِطْفَ مِنْ طَرَبٍ * وَمَذَّ لِلصَّوْتِ لَمَّا مَدَّهُ الْجِيدَا
كَلَايِسٍ مُطَرَفًا مُرْنِجَ جَوَانِبِهِ ^(١) * تُضَاهِكُ الْبَيْضُ مِنْ أَطْرَافِهِ السُّودَا
حَالِي الْمَقْلَدُ لَوْ قَبِستَ قِلَادَتَهُ * بِالْوَرْدِ قَصَرَ عَنْهَا الْوَرْدُ تَوْرِيدَا
رَانٍ بِفَصَى عَقِيقِي يُدْرِكَانِ لَهُ ^(٢) * مِنْ حَدَّةٍ فِيهِمَا مَا لَيْسَ مَحْدُودَا
تَقُولُ هَذَا عَقِيدُ الْمَلِكِ مُنْقَسِبَا * فِي آلِ كَسْرَى عَلَيْهِ التَّاجُ مَعْقُودَا
أَوْفَارُسُ شَدَّ مِهُمَازِيَهُ حِينَ رَأَى * لَوَاءَ قَائِدِهِ لِلْحَرْبِ مَعْقُودَا

وقال أبو هلال العسكري :

مَتَوَجَّعٌ بِعَقِيقٍ * مَقَرَّطٌ بِلُجَيْنٍ ^(٣)
عَلَيْهِ قُرْطُقٌ وَثَنِي * مَشْمَرُ الْكُفَيْنِ ^(٤)
قَدْ زَيْنَ التَّحَرَّ مِنْهُ * ثِنْتَانِ كَالْوَرْدَتَيْنِ
حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يَبْدُو * مَطَرَزُ الطَّرَّتَيْنِ
دَمًا فَاسْمَعْ مِنَّا * مِنْ كَانَ ذَا أُذُنَيْنِ ^(٥)
يُرْهَى بِطَوِيقٍ وَتَاجٍ * كَأَنَّهُ ذُو رُعَيْنِ

(١) في مباحج الفكر : « ذؤابته » .

(٢) العقيد : الحليف .

(٣) كذا في ديوان المعاني ، وفي الأصلين « الكمين » .

(٤) ذورعين : من ألقاب ملوك اليمن .

وقال الأسعد بن بليظة ^(١) :

وقام لنا يَتَى الدُّجَى ذو شَقِيْقَةٍ * يُدِيرُ لنا مِنْ بَيْنِ أَجْفَانِهِ سَقَطًا ^(٢)
إِذَا صَاحَ أَصْفَى سَمْعُهُ لِنَدَائِهِ * وَبَادَرَ ضَرْبًا مِنْ قَوَادِمِهِ الْإِبْطَا ^(٣)
وَمَهْمَا أَطْمَأْنَنْتَ نَفْسُهُ قَامَ صَارِخًا * عَلَى خَيْرَانِ نَيْطٍ مِنْ طُفْرِهِ خَرَطَا ^(٤)
كَأَنَّ أَنْوَشِرُوَانَ أَعْلَاهُ نَاجَهُ * وَنَاطَتْ عَلَيْهِ كُفٌّ مَارِيَةَ الْقُرْطَا ^(٥)
[سَبَى حُلَّةَ الطَاوُسِ حَسَنَ لِبَاسِهَا * وَلَمْ يَكْفِهِ حَتَّى سَبَى الْمِشْيَةَ الْبَطَا ^(٦)]

وقال أبو عبد الله المالكي :

رَعَى اللَّهُ ذَا صَوْتٍ أَنْسَنَا بِصَوْتِهِ * وَقَدْ بَانَ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ شُحُوبُ
دَعَا مِنْ بَعِيدٍ صَاحِبًا فَأَجَابَهُ * يُخَبِّرُنَا أَنْتَ الصَّبَاحَ قَرِيبُ

وقال ابن المعتز :

بَشَّرَ بِالصَّبْحِ هَاتِفٌ هَتَفًا * صَاحَ مِنْ أَلَيْلٍ بَعْدَ مَا أَنْتَصَفَا ^(٧)

(١) ضبطه ابن حلكان بالعارة فقال : بكسر الهمزة والميم المشددة وسكون الياء المشددة وفتح
الطاء المهملة (أوضح ٢ ص ٥٣ في ترجمة المعتز بن صنادق) .

(٢) كذا في هج الطيب ، والشقيقة واحدة الشقائق : نبات على نوعين كل واحد منهما أحمر الزهر
مبمع بقط سوداء كثيرة غير أن زهر الواحد منهما أرق من الآخر . ويريد بالشقيقة هنا عرف الدبك .
وفي الأصلين : « ... الدجى وشقيقه » ، وهو تحريف . (٣) سقط الزيد : ما يقع من النار
عند القذف . (٤) كذا في خريدة القصر للهاد الأصفهاني (السمة القنوغرافية المحفوظة بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٢٥٥٠ أدب المجلد الأخير ص ٢١٦) . وفي الأصلين : « خرزات » ، وهو تحريف .

(٥) مارية : علم امرأة قيل كان في قرطيا درتان كيصن حمامة لم ير مثلهما قط ، فأهدتهما إلى الكعبة .
وقيل كان في قرطيا ماثنا ديار . وفي المثل : « حذه ولو قرطى مارية » . يضرب ذلك مثلاً في الشيء الثمين
يؤمر بأخذه على كل حال . (٦) زيادة عن الخريدة وفتح الطيب ومطمح الأفس للفتح
أن حاقان . (٧) في الأصلين : « ماج » وهو تحريف . ورواية البيت في ديوانه ،

مَذْكُرٌ بِالصُّبُوحِ صَاحٍ لَنَا * كَأَنَّهُ فَوْقَ مَنِيرٍ وَقَفَا
صَفَقَ إِمَامًا ارْتِيَا حَةً لِسَانًا * فَجَرَّ وَإِمَامًا عَلَى الدُّبْحِ أَسْفَا
وقال أيضا فيه :

وقام فوقَ الجدارِ مُشْتَرِفٌ * كمثلِ طَرْفٍ علاه أُسُورٌ^(١)
رائعُ رَأْسٍ طَوْرًا وخَافِضُهُ * كَأَنَّما العُرْفُ مِنْهُ مَنشَارُ
وقال السريّ الرّقاء :

كشف الصّباحُ قِنَاعَهُ فَنَالَقَا * وَسَطًا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَأَبْرَقَا^(٢)
وعَلَا فَلَاحَ عَلَى الْجِدَارِ مُوَشِّحٌ * بِالْوَشْيِ تُوْجٌ بِالْعَقِيقِ وَطُوقَا
مُرْخٍ فَضُولَ التَّاجِ مِنْ لَبَّائِهِ * وَمُشَمَّرٌ وَشِبَاءٌ عَلَيْهِ مُنَمَّقَا

وقال أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانيّ يرثي ديكًا ويصفه :
أُبْحَى مَنزِلِنَا وَتَشَوَّ مَحَلَّنَا * وَغَدَيْ أَيْدِينَا نِدَاءَ مَشُوقِ
لَهْفِي عَلَيْكَ أبا النَّذِيرِ لَوْ أَنَّهُ * دَفَعَ الْمَنَايَا عَنْكَ لَهْفُ شَفِيقِ
وعلى شمائلك اللّوائى ما مَنَمَتْ * حَتَّى دَوَّتْ مِنْ بَعْدِ حَسَنِ سُموُقِ
لَمَّا بَقِعَتْ وَصِرَتْ عِلْقَ مِضْنَةٍ^(٣) * وَنَشَأَتْ تَشَوَّ الْمُقْبِلِ الْمُؤْمُوقِ^(٤)
وتكاملتْ جُمْلُ الْجَمَالِ بِأَسْرَهَا * لَكَ مِنْ جَلِيلٍ خَالِصٍ وَدَقِيقِ
١٠

(١) الأسوار (بالضم وبالكسر) : قائد القوس ، والثابت على طهر القوس ، والرامي بالبال

(٢) الذى فى ديوانه المخطوط المجموع بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤ : أدب : « ما عرقا » .

(٣) أبو النذير وأبو المذر : كنية الديك .

(٤) كذا فى الأغانى (فى ترجمة أبى الفرج الأصفهانيّ التى ذكرت فى مقدمة الجزء الأول طبع

دار الكتب المصرية) . وبقع الطير : احتلف لونه فهو أبقع . وفى الأصلين : « ينعت » . وفى مباحج الفكر :

« يفتت » .

(٥) يقال للشيء الغيبى الذى يحن به ويحرص عليه : علق مضنة (يفتح الضاد وكسرها) .

وَكَسَيْتَ كَالطَّائِسِ رَيْشًا لَامِعًا * مُتَلَائِلًا ذَا رَوْنَقٍ وَبَرَقٍ
 مِنْ صُفْرَةٍ مَعَ خُضْرَةٍ فِي حُمْرَةٍ * تَحْيِلُهَا يَنْفَى عَلَى التَّحْقِيقِ^(٢)
 عَرَضٌ يَجِلُّ عَنِ الْقِيَاسِ وَجَوْهَرٌ * لُطْفٌ مَعَانِيهِ عَنِ التَّدْقِيقِ
 وَكَأَنَّ سَالِفَتِكَ تَبْرُّ سَائِلٌ * وَعَلَى الْمَفَارِقِ مِنْكَ تَاجُ عَقِيقِ
 وَكَأَنَّ مَجْرَى الصَّوْتِ مِنْكَ، إِذَا تَبَتْ * وَجَفَّتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ مِجُّ حُلُوقِ،^(٣)
 نَائِي رَقِيقٍ نَاعِمٍ قُرِنتَ بِهِ * نَعَمٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الْمَوْسِقِ^(٤)
 تَرْقُو وَتَصْفِقُ بِالْجَنَاحِ كُنْتَشِ * وَصَلَتْ يَدَاهُ الصَّوْتِ بِالتَّصْفِيقِ
 وَخَطَرَتْ مُتَحَفًّا بِمِرْطٍ حَبَرَتْ * فِيهِ بَدِيعُ الْوَشْيِ كَفُّ أُنَيْقِ^(٥)
 كَالْجَلْنَارَةِ أَوْ ضِيَاءِ عَقِيقَةٍ * أَوْ لَمْعِ نَارٍ أَوْ مِيزَانِ بُرُوقِ^(٦)
 أَوْ قَهْوَةٍ تَخْتَالُ فِي يَلْوَرَةٍ * بِتَالِقِ اللَّعَانِ وَالتَّرْوِيقِ^(٧)
 وَكَأَنَّمَا الْحَادِي جَادَ بِصَبْغِهِ * لَكَ أَوْ غَدَوْتَ مُضْمِنًا بِخَلْقِ

وقال شاعر أندلسي :

وَكَأَنَّ نَفَى النَّوْمِ مِنْ عَيْنٍ فَإِنْ * بَدِيعُ الْمَلَاحَةِ حُلُومُ الْمَعَانِي
 بِأَجْفَانٍ عَيْنُهُ يَاقُوتَانِ * كَأَنَّ وَمِيزُهُمَا جَمْرَتَانِ

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصلين : « ولبست » . (٢) رواية الأغاني :

من حمرة في صفرة في خضرة * تحيلها يعني عن التحقيق

(٣) في الأصلين : « إذا حمت ونبا عن الأسماع في حُلُوق » وما أمنتاه عن الأغاني . ومع :

جمع أيج من الحة وهي خشونة وعلط في الصوت . (٤) في الأغاني : « ماى دقيق » .

(٥) في الأصلين : « وخطوط » . والتصويب عن الأغاني .

(٦) في الأغاني : « أو صماء عقيقة » .

(٧) في الأغاني : « بتالي الترويق والتصفيق » . والترويق : التصفية . والتصفيق : تحويل الشراب

من إناه إلى إناه بصعور .

على رأسه التاج مُستشرفاً * كتاج ابن هُرْمَزٍ في المِهْرَجَانِ
 وقُطْرَانٍ من جواهر أحمَرٍ * يَزِينَانِهِ زَيْنَ قُرْطِ الحَصَانِ
 له عُنُقٌ حولها رَوْنَقٌ * كما حوتِ المِخْرَاحُدى القَنَانِي
 ودار بُرائِلُهُ^(١) حولها * لها ثوبٌ شعِرٍ من الزعفرانِ
 ودارتْ يُجْوِثُهُ حُلَّةٌ * تَرَوُّوْهُ كَمَا رَاقَكَ الخُسْرَوَانِي
 وقام له ذَنْبٌ مُعْجِبٌ * بكافَةِ زَهْرِ بَدَثٍ من بَنَانِ
 وقاس جناحاً على ساقه * كما قيسَ سِتْرٌ على خَيْرَانِ
 وصَفَّقَ تَصْفِيقَ مَسْتَهْتِرٍ * بِمُحَمَّرَةٍ من بَنَاتِ الدَّانِ
 وغرَّدَ تَغْرِيدَ ذِي لَوْعَةٍ * يَبُوحُ بِأَشْوَاقِهِ لِلغَوَانِي

وقال أبو علي بن رَشِيقٍ حيث مَرَّقَ عنه جِلْبَابَ المَادِحِ ، وتركه من شمل
 الذَّمِّ في الرأى الفاضح :

قام بلا عقلٍ ولا دينٍ * يَخْلِطُ تَصْفِيقًا بَسَائِدِ
 فَنَبَهُ الأَحْبَابَ من نومهم * لِيُخْرِجُوا من غير ما حين
 بصرخةٍ تبعثُ موتَى البَكَرَى * قد أذكَرتُ نَفْعَ سَرَافِينِ^(٢)
 كأنها في حَلَقِهِ غُصَّةٌ * أغصَّه الله بسكِينِ

١٥

(١) في الأصلين : « دارت » . والبرائل : ما استدار من ريش الطائر حول عنقه .

(٢) هذه التسمية عبرية الأصل ، وكانوا يقصدون بها عامة الملائكة . مشتقة من (سرف) بمعنى (أحرق)

وهي تسمية محاذية ، لاعتقاد اليهود أن الملائكة مخلوقون من نار . وسرافين : جمع سراف وهو الملك .

وقد جاءت هذه التسمية في سفر يوشع (إشعيا) في الفصل السادس من كتب العهد القديم . والظاهر أن

العرب من المسلمين نقلوا هذه التسمية فقالوا : (إسرافيل) أو (إسرافين) على أنه مفرد وهو الملك الخاص

بالنسخ في الصور .

٢٠



وأما المَجَلُّ وما قيل فيه — والمَجَلُّ طائرٌ يسمَّى: «دَجَاجَ البرِّ» وهو صنفان: تَجْدِي، وتِهَامِي. فالنجدى أخضر أحمر الرجلين. والتَّهَامِي فيه بياض وخضرة. وسمي الذِّكر «يعقوب»، والفرخ الذِّكر «السُّلْك»، والأنثى «السُّلْكَة». وهو من الطير الذى يخرج فرخه كاسياً كاسياً. ويقال: إن المَجَلَّة إذا لم تَلْقَح تَمْرُغَت في التراب ورشته على أصول ريشها فتلقح. ويقال: إنها تبيض بسماع صوت الذِّكر ويريح تَهَب من ناحيته.

قال أبو عثمان الجاحظ: وإذا باضت المَجَلَّة مِرَّ الذِّكر الذكور منها فيحضنها، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها، وكذلك هما في التريية. قال: وكل واحد منهما يعيش نحساً وعشرين سنة. ولا تَلْقَح الأنثى بالبيض، ولا يُلْقَح الذِّكر إلا بعد مَضَى ثلاث سنين. والذِّكر شديد الغيرة على الأنثى. فإذا اجتمع ذكران اقتتلا، فأيهما غلب دلَّ له الآخر؛ وزهبت الأنثى مع الغالب. والأنثى إذا أُصيب بيضها قصدت عُشَّ أخرى وغلبتها على بيضها. وقد وصف أبو على بن رِشيق الفيرأوانى المَجَلَّ فقال:

ما أَغْرَبَتْ في زِيهًا * إِلَّا يَعاقِبُ المَجَلُّ
جاءتكَ مُثْقَلَةً التَّرا * بِبِ الحُلَى وبالحُلَلِ
صُفْرَ الحَفُونَ كَأَنما * بَاتَتْ بِتَبْرِ تَكْتَحِلِ

(١) كذا في مباح الفكر. وفي الأصلين: «وصفها».

(٢) ورد بعد هذا البيت في مباح الفكر بيتان زيادة عما هنا وهما:

وتحلبها قد وُكِّلَتْ * بالقوت والصوت الزحل

صفوى أنا يهب من الـ * مخرجات بحكمة العمل

مشقوفة شقَّ الرُّجَا * ج لمن تأمل أو عقل
 وصَلَتْ مذايُجُها الرُّو * س بُحْرة فيها شعل
 لولا آخِلافُ الجنس والتَّركيب جاءت في المثل
 كلِّحَى الثَّمانين التي * خُصِبت ومنها ما نصل
 أو كاللَّسام أزاله * فَرُطُ التَّلَقِّتِ والعَجَل
 وتَحَلُّفُ جَواريًا * لا يُزْدَرَيْن من العطل
 رَمَتْ الثَّيابَ الى وِرا * ع عن المناكب تَجْعِلُ
 وبدت سراويلاتها * يَسَحَبْنَ وشيًّا من قُبُل
 حُمِرُ من الرُّبُجَات في * لون الشَّفائِق أو أَجَل
 عَقَدْنَهَا فوق الصِّدو * ر مُحَالِسَاتِ لِلْقَبَل
 وشَدَدْنَ بالأَعْضَادِ من * حَذَرِ عَلَيْهَا أَنْ تُحَلَّ
 وكَأَنَّمَا باتت أصا * بَهَا بِحْنَاءِ تُعَلَّ^(١)
 مَنْ يَسْتَحِلُّ لصبِدها * فانا أمرؤ لا أَسْتَحِلُّ

١٢١



- وأما الكُرْكِي وما قيل فيه — ويقال : إنه "الفرنيق"؛ ويقال :
 إن الفرنيق صنف منه . وهو طائر أخضر طويل المنقار والرجلين . وسفاده
 في السرعة كالعصفور . وله مشاتٍ ومصايف . وفي طبعه التناصر؛ ولهذا أنه
 لا يطير متقطعاً ولا متباعداً بل صفواً واحداً، يقدمها واحدٌ منها كالرئيس لها المقدم

(١) تعل بجناه : تخصب مرة بعد أخرى .

عليها وهى تتبعه ، يكون كذلك حيناً ، ثم يخلفه آخرُ منها . وفى طبع الكركى وعادته
أن أبويه إذا كبرا عالهما .

وقال أرسطو : إن الغرائق من الطير القواطع وليست من الأوبد ، وإنها
إذا أحسَّت بتغير الزمان أعتزمت على الرجوع إلى بلادها . وكلُّ منها ينم على إحدى
رجليه قائماً . ويقال : إن الكراكى إذا كبرت أسود ريشها وهو فى شيتها رمادى .
وقد ظهر بالديار المصرية فى شهور سنة خمس عشرة وسبعمائة صنف من الكراكى
أبيض اللون ناصع البياض حسن الصورة ، وهو أكبر جثة من الكركى المعتاد .
وقال النابى فى وصف الكراكى :

وموريد يُجئِل قلب الوامق * مُنظِّم بالغر والغرائق
وكلُّ طير صافير أو فاعق * مكتمل وبالغ ولاحق
موشية الصدور والعواتق * بكل وشي فاجر وفائق
تخال فى أجنحة خوافق * كأنما تختال فى قرأطيق
برقن فى قيص وفى يلامق * كأنهن زهر الحدائق
حر الحداق كحل الحمايق * كأنما يجلن فى مخايق



وأما الإوز وما قيل فيه — والإوز ثلاثة أصناف : بطائحي وهو
الطويل الأسود [بزرقة] ، وتركى وهو المدور المسائل إلى البياض ، وخبي وهو

(١) يلامق : جمع يلق ، وهو القباء المحشو .

(٢) الخاقق : القلائد .

(٣) الزيادة عن صاحب المعر .

(٤) كذا فى الأصلين . ولم يجد فى مصدر آخر من المصادر التى بين أيدينا ما نعتمد عليه فى بيانه .

الضخم الكبير منها . ويقال : إن الإوز إذا فرغ من السَّفاد وسبح في الماء فإنما يفعل ذلك لتسامِ اللذة . والأثني تحضن بيضها ثلاثين يوما . والذكور تحنوا على الفراخ . ولكل منها قضيب يسقده كالبط . والإوز البطاخي ، وهو المعروف بمصر بالعراقي ، يخالف الحبي في الصباح ؛ لأن الخبي تصبح ذكورها ولا نصيح إناثها ، والبطاخي بخلاف ذلك . والخبي من الطير الأوايد التي لا ترح من الأماكن التي تربى فيها لثقل أجسامها ، وإذا نهضت فلا ترتفع من الأرض إلا يسيرا . والعراقيات من الطير القواطع التي تنتقل من مكان إلى آخر ، وترى في وقت دون وقت .

وقال ابن رشيقي يصف لخل إوز :

١٠ نظرتُ إلى لخل الإوز يفلته * من الثفل في وُحْل وما هو في وُحْل
يُثْقَلُ رجله على حين قتره * كُثْمَلٍ لا يحسن المشي في الثعل
له عنق كالصولجان ومخظم^(١) * حكى طرف العرجون من بانب النخل
يُدْخِلُهُ زهو فيلحظ من عل * جوانبه الحافظ متهِم العقل
يضم جناحيه إليه كما آرتدى * رداءً جديداً من نبي البدو ذو جهل

١٥

+

وأما البط وما قيل فيه — وهو أصناف : منها الوحشي ، والأهلي . ومن الوحشي "اللقاق" ؛ ومن الأهلي "الصيني" . وفراخه تخرج كاسية كاسبة .

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « من عل » * جوانبه

(٢) اللقاق : طائر أعشى طويل العنق . وكنيته عند أهل العراق أوخديج . وهو يأكل الحيات ،

والجمع اللقاق . وربما قالوا : اللقع بالفتح المعجمة .

وقيل : إن الرّايح بطّا بيصّا وحرّا ورقطاً طوال الأعناق قصار الأرجل . والبطّ يطير على وجه الماء ، وليس من طير الماء ، لأنه لا يأويه دائماً ولا يفتدى بالسمك . وهو يأكل النبات والبذور وله قضيب يخرج من دبره كذكر الكلب عظيم جداً بالنسبة إليه ؛ في رأسه زرٌّ كالفلكة^(١) ، فإذا سقّد لم يخرج حتى ينقلب لجنبه ، ويحصل له عند السفاد من الالتحام ما يحصل للكلب .

وقال أبو علي بن سينا : وطبع البطّ حاراً أسخن من جميع الطيور الأهلية . قال بعضهم : هو يسخن المبرود ويورث المحرور حمى . قال : وشحمه عظيم في تسكين الوجع وتسكين اللدغ من غمق البدن ، وهو أفضل شحوم الطير . ولحمه يكثر الرياح ، وقانصته كثيرة العداء . ولحمه يسمن ، وهو يطبخ في المعدة ثقيل ، وإذا أنهضم كان أغذى من جميع لحوم الطير ، وهو يزيد في الباه ويكثر المنى .



وأما النحام^(٢) وما قيل فيه — قالوا : والنحام يكون أفراداً وأزواجاً . وإذا أراد المبيت اجتمع رفوقاً فنام دُكوره ولا تام إنائه . وتعد لها مباتات ، إذا دُعرت في واحد منها طارت إلى آخر . ويقال : إنه لا يسفد ولا يخرج فراخه بالخصن وإنما تبص الأثني من رق الذكر . وإذا باضت تغربت وبقى الذكر عند البيض يذرق عليه ليس إلا ، فيقوم ذرقه مقام الخصن . فإذا تمت مدة ذلك خرجت

(١) فلكة المنزل : رأسه .

(٢) كذا في كتاب القانون لأبي سينا . وفي الأصلين : « المروء » بالمدال المهملة .

(٣) النحام كعرب : طائر أحمر كالإوز . قال الجوهري : يقال له بالعربية « سرح آوى » وهكذا

سطه الأدهري . واس خالويه وعلمه الجوهري في فتحه وشده . (أطر القاموس وشرحه مادة نعم) .

(٤) الزوف : جمع زوف ، وهو القطيع من الطير .

الفراخ لا حراك بها ؛ فتجىء الأتني فتنفخ في مناقيرها حتى يُجرى ذلك النفخ فيها
روحاً ، ثم يتعاون الذكر والأنثى جميعاً على التربية . وإذا قويت الفراخ على الطعام
وأمكنها التكسب لنفسها طردها الذكر .



- وأما الأنيس وما قيل فيه — فقال أرسطو : إنه حاد البصر ، وصوته
يشبه صوت الجمل ويحاكيه . وماواه في قرب الأنهار وفي الأماكن الكثيرة المياه
الملتفة الشجر . وله لون حسن وتدير في معاشه . والناس يتغالون به إذا وقع لهم
ويجعلونه في بيوتهم .



- وأما القاوند وما قيل فيه — قال صاحب كتاب مباحج الفكر ومناجج العبر
في كتابه : كنت أسمع بسهم القاوند ولم أدري ما هو : حيوان هوائي أم مائي
أم أرضي ، حتى وقفت على كتاب موضوع في طبائع الحيوان وخواصه ليس عليه
اسم المصنف ، فرأيت قد قال : « القاوند طائر يتخذ وكره على ساحل البحر ويحضر
بيضه سبعة أيام ، وفي اليوم السابع يخرج فراخه ثم يزقها سبعة أيام . والمسافرون
في البحر يقيمون بهذه الأيام ويؤمنون بطيب الرّيح وحلول أيام السفر » .



- وأما الخطاف وما قيل فيه — والخطاف يسمى " زوّار الهند " .
وهو من الطيور القواطع التي تقطع البلاد البعيدة إلى الناس رغبة في القرب منهم
والإلف بهم ، وهو مع ذلك لا يئني بيته إلا في أبعد المواضع حيث لا تناله أيديهم .
ومن عجيب حاله أن عينه تملع فترجع ، وهو لا يرى أبداً يقف على شيء يأكله ،

ولا يرى يُسافِد ولا يجتمع بأنثاء . والائثى تبيض مرة واحدة في السنة ، وقيل :
مرتين ؛ وكلاهما قاله المحاضر . والخُفَّاش عدو الخُطَّاف ؛ فهو إذا فرَّخ وضع
في أعشاشه فُضبان الكَرَفِس ، فلا يؤذى فراخه إذا شم رائحة الكَرَفِس . وهو لا يفرِّخ
في عُش عتيق حتى يُطَيِّنه بطين جديد . وهو ينسج عُشه بالطين والتبن . فإذا لم يجد
طيناً مُهيئاً ألقي نفسه في الماء ثم تمزج في التراب حتى يمتلئ جناحاه ثم يجمعه بمنقاره .
وهو يُسَوِّي في الطعم بين فراخه . ولا يترك في عُشه زبلاً بل يلقيه خارجاً .
وأصحابُ اليرقان يُطَّخون فراخ الخُطَّاف بالزعفران ؛ فإذا رآها صفراً طن أن اليرقان
أصابها من شدة الحر ، فيذهب ويأتيها بجعر اليرقان فيطره على الفِراخ ، وهو حجر
أصفر ، فيأخذه المحتال فيعلقه على نفسه أو يحككه ويشرب من مائه [يسيراً] ^(١) فيبرأ .
والخُطَّاف متى سمع صوت الزعد مات .

﴿١٢٣﴾

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : قال ديسقوريدس : إن أول بطن
لخُطَّاف إذا شق وُجد فيه حصانان ، إحداهما ذات لون واحد والأخرى ذات
ألوان كثيرة ، إذا جعلنا في جلد عجول قبل أن يصيبه تراب ورُبط على عَضُد المصروع
ورقبته آتفع به ، قال : وقد جرَّبت ذلك وأبرأ المصروع . قال : وأكل الخُطَّاف
يُخَذ البصر ، وقد يُجفَّف ويُسقى . والشربة منه منقَّال . وقيل : إن دماغه بعسل
نافع من ابتداء الماء ، وكذلك دماغ الخُفَّاش . قال : وإن ملَّح الخُطَّاف وجفَّف
وشرب منه درهمان نفع من الخُنَّاق . قال بعض الأطباء : المشهور عند الأطباء أن
عُش الخُطَّاطيف إذا حُل في ماء وصُنِّي وشرب سهل الولادة .

وقد ألم الشعراءُ في أشعارهم بوصف الخُطاف ؛ من ذلك ما قاله أبو إسحاق الصَّابي :

وهندية الأوطان زنجية الخلق * مسوده الأثواب مَحْمَرَة الخدق
كأن بها حُزنًا وقد لبست له ^(١) حدادًا وأذرت من مدامعها العلق
إذا صرصرت صرت بأخر صوتها * كما صر ملوى العود بالوتر الخرق ^(٢)
تصيفُ لدينا ثم تستو بأرضها * ففي كل عام نلتقى ثم نفترق
وقال السري الرفاء يصفها من أبيات ويذكر غرفة :

وغرفتنا بين السحائب تلتقى * لهن عليها ^(٣) كلة ورواق
تقسم زوار من الهند سققها * خفاف على قلب النديم رشاق
أعاجم تلتد الخصام كأها * كواعب زنج راعهن طلاق
أنس بن أنس الإماء تحببت * وشيئها غدر بها وإباق
مواصلته والورد في تجراته * مفارقة إن حان منه فراق

وقال أيضا :

وغرفتنا الحساء قد زاد حسنُها * بزائرة في كل عام تزورها
مبيضة الأحشاء حُرْبطونها * من بركة الأذئاب سود ظهورها
لهن لغاتٌ معجباتٌ كأنها * صرير نعال السبت ^(٤) عالٍ صريرها

(١) العلق : الدم الشديد الحرارة .

(٢) كذا في كتاب حياة الحيوان للدميري . والخرق (بالتحريك) : اسم من حرق الشيء يحرقه خرقة
إذا شده وضغله . وفي الأصلين : « الخلق » . وهو تحريف .

(٣) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « عليا » .

(٤) نعال السبت : نعال تحف من حلود البقر المدبوعة بالقرظ .

وقال أبو هلال العسكري :

وزائرة في كل عام تزورنا * فيخبر عن طيب الزمان مزارها
تُخبر أن الحق رَق قيصه * وأن رياضا قد توشى إزارها
وأن وجوه القندر راق بياضها * وأن متون الأرض راع أخضرارها
تحن إلينا وهي من غير سكننا * فتدنو على بُعد من الشكل دارها
ويعجبنا وسط العراص وقوعها * ويؤنسنا بين الديار مطارها
أغار على ضوء الصباح قيصها * وفاز بألوان اللبالي بحمارها
تصبح كما صرت نعال عرائس * تمشيت إلينا هندا ونوارها
وقال آخر :

أهلاً بحطاف أانا زائراً * غرداً يذكّر بالزمان الباسم
أيسر سراييل الصباح بطونه * وظهوره ثوب الظلام العاتم
وقال أبو نواس :

كأن أصواتها في الحق طائفة * صوت الجلام إذا ما قصت الشعرا^(٢)



وَأَمَّا الْقَيْقُ وَالزُّرُورُ وَمَا قِيلَ فِيهِمَا - وَالْقَيْقُ : طائر في قدر الحما^(١)
اللطيف ؛ وأهل الشام يُسمونه "أبا زريق"^(٣) . وفي طبعه كثرة الإلف بالناس ،
وقبول التعليم ، وسرعة الإدراك لما يُلقن من الكلام مُبيناً حتى لا يشك سامعه

(١) في ١ : «دوقها» .

(٢) الجلام (بالكسر) : جمع جلم ، وهو المقص .

(٣) كذا في حياة الحيوان للسيدي . وفي الأصلين : «زريق» .

إذا لم يره أنه إنسان ؛ وربما زاد على البغاء . وله حكايات وأخبار في الذكاء
والفطنة يطول شرحها ، وهو طائر مشهور بذلك .



وأما الزُرْزُور — فيقال : إنه ضَرَبٌ من الغراب يسمّى ”الغُذَّاف“؛ ويقال :

- إنه ”الزَّاع“ . وهو يقبل التعليم ، ولا يرى إلّا في أيام الربيع . ولونه أرقط لكن
السواد أغلب . وقد يوجد في لونه الأبيض ، وهو قليل جدًا .

وقال بعض شعراء الأندلس :

يَا رَبِّ أَعْجِمْ صَامِتٍ لَقَتُّهُ * طَرَفَ الْحَدِيثِ فَصَارَ أَفْصَحَ نَاطِقِ

جَوْنُ الْإِهَابِ أُعِيرَ قُوَّةَ صُفْرَةٍ * كَاللَّيْلِ طَرْزُهُ وَيَبِيضُ الْبَارِقِ

- حَكْمٌ مِنَ التَّيْدِيرِ أَعْجَزَتِ الْوَرَى * وَرَأَى بِهَا الْمَخْلُوقَ لُطْفَ الْخَالِقِ

وقال آخر :

أَمِنْ بَرٍّ ذَاكَ أَمْ قَضِيْبٌ * يَقْرَعُهُ مِصْقَعُ خَطِيْبٍ

يَخْتَالُ فِي بُرْدَتِي شَبَابٌ * لَمْ يَتَوَخَّعْ بِهَا مَشِيْبٌ

أَنْحَرُسُ لِكُنْهَ فَصِيْحٌ * أَبْلَهُ لِكُنْهَ لَيْبٌ

- وقال الوزير أبو القاسم بن الجذّ الأندلسي من رسالة كتبها إلى الوزير أبي الحسن
ابن سراج جواباً عن رُفْعَةٍ وصلتْ منه إليه ، يشفعُ لرجل يُعرف بالزُّرْزِيرِ ، ابتدأها
بأن قال :

(١) في الأصلين : « الحداد » . والتصويب عن الدخيرة لابن بسام .

(٢) في هذه الرسالة تحريف كثير في الأصلين . وقد صححتها عن كتاب الدخيرة لابن بسام (يوجد منها

برآن الأول والثاني مخطوطان بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٤٧ أدب . والرسالة تقع في الجزء الثاني

حُسِنَتْ لَكَ أبا الحسن ضرائبُ الأيام ، وتشَوَّفَتْ نَحْوَكَ غرائبُ الكلام ،
 وَاهْتَرَّتْ لمكاتبتك أعطافُ الأفلام ، وجادت على تحملك أطافُ النِّعام ، وأشادت
 بفضلك ونبلك أصنافُ الأنام . فإن كان روض العهد أعزك الله لم يُصبه من
 تَمَهْدُنَا طُلَّ ولا وابل ، ولا تَجَمَّتْ على أَيْكِهِ وُرُقٌ ولا بلايل ؛ فإن أزهَّره على
 شَرَبِ الصَّماءِ نابته ، وأشجَّاره في تَرْبِ الوفاءِ راسخةً نابته . وقد آن الآن لَعَمِّ شجره
 أن تُطْلِعَ من الثمر ألوانا ، ولُعْجِمَ طيره أن تسجِّعَ من النِّعم الحاناً ؛ بما سقط لدى
 وقوع على من طائرٍ شَيَّى الصِّفِيرَ ، مبنى الأسم على التصغير ؛ فإنه رَجَّعَ بِأَسْمِكَ
 حِينًا ، وأبتدع في نوبة شكرك تَلْحِينًا ، وحرَّكَ من شوق إليك سكونا ، ودمت
 في قلبى لودِّكَ وُكُونًا . ثم أسمعني أثناء ترنمه كلاماً وصف به نفسه ، لو تغنَّتْ به
 الوُرُقَاءُ ، لَأَذِنْتُ له العنقاء ؛ أوناح بمثله الحمام . لبكى إِشْجَوْه النِّعَامُ ؛ أو سَمِعَهُ قَيْسُ
 ابن عاصم في نادية ، وبين أعاديهِ ، لحَلَّ الزَّمْعِ حَبَاهُ ، وأَسْتَدَّ الطَّرْبُ صِبَاهُ :
 كلاماً لو آبَ البَقْلُ يُزْهِى بمثله . زها البقل وأخضر الغضا بِمَحْصِفِ
 فتلقيتُ فضلَ صاحبه بالتَّسْلِيمِ ، وأَعْتَرَفْتُ بِسَبْقِهِ اعْتِرَافَ الخَيْرِ العَلِيمِ .

- ١٥
- (١) في الأصلين : « لمكاتنتك » . (٢) في الأصلين : « نَحْلَك » .
 (٣) في الأصلين : « أشارت » . (٤) في الأصلين : « إن كان » .
 (٥) في الأصلين : « بعدها » . (٦) في الأصلين : « سمعت » .
 (٧) في الأصلين : « كأن » . (٨) في الأصلين : « لعم » .
 (٩) دمت : هيا وسم . يقال : دمت لى هذا الحديث أى اذكر لى أوله حتى أعرف وجهه .
 (١٠) في الأصلين : « ركونا » نالاه . (١١) أذنت : أصفت وأستمت .
 ٢٠ (١٢) الزمع : الحقة والطيض . و يعنى بهذا أن قيس بن عاصم ، وهو أحد حلفاء العرب المشهورين ،
 لو سمع هذا الكلام لاستخفه وبادر إليه .
 (١٣) قد سقط هذا البيت من الدخيرة .

وبعد، فإن أعود إلى ذكر^(١) [الحَيَوانِ الْغَرِيْبِ، وَالشَّيْطَانِ الْمَرِيْدِ؛ فَأَقُوْلُ:
 لَنْ سُمِّيَ بِالزَّرِيْزِرِ، لَقَدْ صَغُرَ لِلتَّكْبِيْرِ؛ كَمَا قِيْلَ: حُرَيْقِيْصٌ وَسَقَطُهُ يُحْرِقُ الْحَرَجَ،
 وَدُوَيْمِيَّةٌ وَهِيَ تَلْتَهُمُ الْأَرْوَاحَ وَالْمُهْجَ . وَمَعْلُوْمٌ أَنَّ هَذَا الطَّائِرَ الصَّافِرَ يُفَوِّقُ جَمِيعَ
 الطُّيُورِ فِي فَهْمِ التَّلْقِيْنِ، وَحَسَنِ الْيَقِيْنِ . فَإِذَا عَلَّمَ الْكَلَامَ لِهَجِّ بِالتَّسْبِيْحِ، وَلَمْ يَنْطِقْ
 لِسَانُهُ بِالْفَصِيْحِ، وَتَرَاهُ يَقُوْمُ كَالنَّصِيْحِ، وَيَدْعُو لِتَغْيِيْرِ بِلْسَانِ فَصِيْحٍ . فَمَنْ أَحَبَّ الْإِتْعَاطَ،
 لَقِيَ مِنْهُ قُسٌّ إِيَّادٍ بِعُكَاظٍ؛ أَوْ مَالٌ إِلَى سَمَاعِ الْبَسِيْطِ وَالنَّشِيْدِ، وَجَدَ عِنْدَهُ مُحَبَّ
 الْمَوْصَلِيِّ لِلرَّشِيْدِ . فَطَوْرًا يُبَكِّكُ بِأُخْبَى مِنْ مَرَاتِي أَرْبَدٍ، وَحِيْنًا يُسَلِّكُ بِأَحْلَى مِنْ
 أَغَانِي مَعْبِدٍ . فَسَبْحَانِ مِنْ جَعَلَهُ هَادِيَا خَطِيْبَا، وَشَادِيَا مُطَرِّبًا مُطِيْبَا . وَلَمَّا طَارَ بِيْلَادِ
 الْغَرْبِ وَوَقَعَ، وَرَقِيَ فِي أَكْثَافِهَا وَصَفَعَ، وَعَايَنَ مَا أَتَّفَقَ فِيْهَا فِي هَذَا الْعَامِ مِنْ عَدَمِ
 الزَّيْتُونِ، فِي تِلْكَ الْبُطُونِ وَالْمَتُونِ؛ أَزْمَعَ عَنْهَا فِرَارًا، وَلَمْ يَجِدْهَا قَرَارًا؛ لِأَنَّ هَذَا الْخَمْرَ
 بِهَذَا الْأَفَقِّ هُوَ قَوَامُ مَعَاشِهِ، وَمِلَاكُ اتِّعَاشِهِ؛ إِلَيْهِ يَقْطَعُ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ؛ كَمَا يَقَعُ
 عَلَى الْعَسَلِ الدُّبَابُ، وَتَقْطَعُ إِلَى الْعَرَادِ الضَّبَابُ؛ فَاسْتَخَفَّ هَاجُجُ التَّذْكَارِ، نَحْوُ تِلْكَ

(١٢٥)

- (١) الزيادة عن الذخيرة . (٢) في الأصلين : «الكبر» . (٣) السقط : ماسقط
 بين الزندين قبل استحكام الوري . والحرج : جمع حرة ، وهي العيصة لصيقها أو هي الشجر المتلف .
 (٤) هو قس بن ساعدة الإباضي حكيم العرب وخطيبها ، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم بعكاظ على جبل أحر
 ١٥ يخطب خطبته المروفة . (٥) هو أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأمه ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم
 وأراد به بشرًا فأصابته ساعة ففناه أخوه لبيد بقصائد عدة . (راجع الأغاني ج ١٥ ص ١٣٦ - ١٤٠ طبع
 بولاق) . (٦) هو معبد بن وهب المعنى المعروف (راجع ترجمته في الأغاني طبع دار الكتب المصرية ج ١
 ص ٣٦ - ٦١) . (٧) في الأصلين والذخيرة : «أتفق» . (٨) في الأصلين : «الفن» .
 (٩) المراد : حشيش طيب الريح . قال أبو الهيثم : تقول العرب : قيل لضبٍّ وُردًا وُردًا ؛ فقال :

أصبح قلبي صردا * لايشئني أن يردا

إلا مرادًا عردا * وصلبًا نأ بردا

* وَعَنَّا مُلْتَبِدَا *

الأوكار؛ حيث يكتسى رأسه حريرا، ويحتشى جوفه بريرا، ويحتسى قواحا نميرا،
ويكتدى على رَهْطِه^(٣) أميرا . نخذه إليك، نازلًا لديك، مانلًا بين يديك؛ يترنم بالثناء،
ترنم الذباب في الروضة الغناء؛ وقد هنّ قوادم الجناح، لعادة الاستمتاع؛ وحبر
من لمع الاجتماع، ما يصلح للاحتجاج؛ واثقا بأن ذلك القطر الناضر ستنفحه حدائقه^(٤)،
ولا تلفحه ودائقه^(٥)؛ لا سيما وفضلك دليله إلى ترع رياضه، وفرض حياضه؛ مع أنه
لا يعدم في جنبك حبا ثيرا، وخصبا كثيرا، وعشا ويرا .

إذا ما أراد كنت رِشَاء * وإذا ما أراد كنت قَلِيْبَا

والله تعالى يكفيه فيما ينوبه شرّ الجوارح، ويقيه شؤم السائح والبارح؛ بمنه وكرمه .



وأما السَّمَانِي وما قيل فيه — يقال : إن السَّمَانِي هو السَّلَوِي . وهو ١٠

من الطيور القواطع التي لا يعلم من أين تأتي . ويقال : إنه يخرج من البحر الملح؛
فإنه يرى وهو يطير عليه أوان ظهوره وأحد جناحيه منغمس في الماء والآخر منتشر
كالقلم . وأكثر من يعتنى بتربيته أهل مصر ويتغالون في ثمنه ويحتفلون بأمره،

حتى ينتهي ثمن جده إلى ألف درهم بعد أن يباع كل عشرة منها بدرهم وأرخص . ١٥
وهو صنفان : رَيْبِي وطِرْمَاهِي ؛ فالرَيْبِي القادم الراحل . والطِرْمَاهِي القاطن

في الأرض والبلاد الحصية ، ويبيض ويُقرَّخ فيها كالجمل . وسبب مُغالاتهم
في أثمانها لأجل كثرة صيّايحها وعدد أصواتها . وقد وجد فيها ما صاح في الليلة

(١) في أ : « صوفه » . وفي ب : « هونه » والبرير : أول ما يظهر من ثمر الأراك وهو حلو .

(٢) في الأصلين : « فراخه » . (٣) في الأصلين : « رهط » . (٤) في الأصلين :

« تستحقه » . (٥) في الأصلين : « تلحقه » . والوديقة : حُرّ نصف النهار، وقيل : شدة ٢٠

- الواحدة إلى الثانية من النهار أربعة آلاف وسبعمائة صوت . والصوتُ عندهم أن يُفَصِّلَ بينه وبين الصوت الثاني بسَكْتَة . وهم في تربيته يبدعون بإطعامه دُقَاقِ القمح (وهو القمح الصغير الذي لا يُمَسِّكُهُ الغِرْبَالُ لِصِغَرِهِ) مدَّةَ شهر ؛ وتكون ذلك الوقت مجمعةً في قَفَصٍ كبيرٍ يسمونه ”المرح“ ؛ ثم يُفَرَّدُ بعد ذلك كُلُّ سُمَانِيٍّ بمفرده في قفص ويُطْعَمُ الدُّخَنَ والشَّادَاتِقُ^(١) . ويصبح في مبتدأ أمره مقدار شهر . ثم يسكت مدَّةَ شهرين . ويُنْقَلُ إلى أَقْفَاصٍ أُخَرٍ يعتنون بجودتها ويرفعونها على البرَّاريد (والبراريدُ عِصِيُّ تُعَلَّقُ عليها الأقفاص) فيصبح بعد تلك السكته أربعة أشهر . فإذا دخل فصل الخريف وهبط الماء سكت مدَّةَ شهرين وتقرَّصَ ، ثم يصبح أحياناً ويسكت أحياناً . وهو لا يطولُ عمره أكثر من سنة ونصف . وأوَّلُ ما يصبح قبل أن يتفصَّح بالوعوَّة ، وحكاية صوته : ”وَعَّ وَعَّ“ ؛ ثم يصبح ١٠ بعد ذلك : ”شَقْشَقَ“ .

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في كتاب الأدوية المفردة : إنه يُخَافُ من أكل لحوم السَّمَانِيِّ من التَّمَدُّدِ والتَّشَنُّجِ .



- ١٥ وأما الهُدُودُ وما قيل فيه — والهدودُ طائرٌ معروف . وقال الجاحظ فيه : والعرب كانوا يزعمون أن القُرْزَةَ التي على رأسه ثوابٌ من الله عزَّ وجلَّ على ما كان من بَرِّه لأُمِّه ، لما ماتت جعل قبرها في رأسه ؛ فهذه القُرْزَةُ عَوَضٌ عن تلك الوَهْدَةِ . وهو طائرٌ مُتَيْنُ البَدَنِ من جوهره وذاته . والأعراب يجعلون ذلك

(١) الشاداتي : بزرا العنب .

النَّتَنَ شَيْئًا خَاَمَرَهُ بِسَبَبِ تِلْكَ الْجَلِيفَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ . وَيَسْتَدَلُّونَ عَلَى ذَلِكَ
بِقَوْلِ أُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ حَيْثُ يَقُولُ مِنْ أَبْيَاتِ :

غَيْمٌ وَظُلُمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابِيَّةٌ * أَرْمَانَ كَفَنَ وَأَسْتَرَادَ الْهُدْهُدُ
يَسْنِي الْفَرَارَ لِأُمِّهِ لِيُجَنِّهَا * فَبَنَى عَلَيْهَا فِي قَفَاهِ يَمْهَدُ
مَهْدًا وَطِيئًا فَاسْتَقَلَّ بِحِمْلِهِ * فِي الطَّيْرِ يَحْمِلُهَا وَلَا يَتَأَوَّدُ
مِنْ أُمِّهِ بِفُزَى بِصَالِحِ حِمْلِهَا * وَلَدَا وَكَلَّفَ ظَهْرَهُ مَا يَعْقِدُ
فَتَرَاهُ يُدْلِجُ مَاشِيًا بِجَنَازَةٍ * بِقَفَاهِ مَا آخَلَفَ الْجَدِيدُ الْمُسْنَدُ

(١١٦)

وزعم صاحبُ الفِرَاسَةِ : أَنَّ سَبَبَ تَنَتْنِهِ أَنَّهُ يَطْلُبُ الزَّلْزَلُ ، فَإِذَا وَجَدَهُ نَقَلَ
مِنْهُ وَأَبْتَنَى بَيْتًا مِنْهُ ، فَإِذَا طَالَ مُكْنَتُهُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَفِي مِثْلِهِ وَلَدٌ ، آخَلَطَ رِيشَهُ
وَبَدَنُهُ بِتِلْكَ الرَّائِحَةِ فَوَرِثَ أَبْنُهُ النَّتَنَ ، كَمَا وَرِثَهُ هُوَ مِنْ أَبِيهِ ، وَكَمَا وَرِثَهُ أَبُوهُ مِنْ
جَدِّهِ . قَالَ شَاعِرٌ :

وَأَتَنَنْ مِنْ هُذْهِدٍ مَيِّتٍ * أُصِيبَ فَكُفِّنَ فِي جَوْرَبٍ

وَيُقَالُ عَنْهُ : إِنَّهُ يَرَى الْمَاءَ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ كَمَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِي بَاطِنِ الزُّجَاجِ .
وَزَعَمُوا : أَنَّهُ كَانَ دَلِيلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَاءِ وَلِذَلِكَ تَفَقَّدهُ ، عَلَى أَحَدِ
أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

١٥

وَقَالَ الْجَاهِظُ فِيهِ : إِنَّهُ وَفِي حَفُوظٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الذِّكْرَ إِذَا غَابَتْ عَنْهُ أَشْأَاهُ
لَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ ، وَلَا يَزَالُ يَصْبِيحُ حَتَّى تَعُودَ إِلَيْهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعُدْ لَا يَسْقِدْ بَعْدَهَا
أَنْثَى أَبَدًا ، وَلَا يَزَالُ يَصْبِيحُ عَلَيْهَا مَا عَاشَ ، وَلَمْ يَنْلُ بَعْدَهَا مِنْ طَعْمِ بَلْ يَنْالُ مِنْهُ
مَا يُمَسِّكُ رَمَقَهُ .

ووصفه أبو الشَّيْص ^(١) فقال :

لَا تَأْمَنْتَ عَلَى سَرَى وَسِرِّكُمْ * غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْطَى الْقَرَاطِيسِ
أَوْ طَائِرٍ سَأَجَلِّيهِ وَأَنْعَشُهُ * مَا زَالَ صَاحِبَ تَقْفِيرٍ وَتَدْنِيسِيسِ
سُودٍ بَرَّائِثِهِ مِثْلَ ذَوَائِيهِ * صُفْرِ حَمَلِقِهِ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسِ
قَدْ كَانَ هُمْ سَلْيَانٌ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سِعَايَتُهُ فِي مُلْكٍ يَلْقِيسِ

وقال آخر من أبيات :

كَأَنَّهُ إِذْ أَنَاهُ مِنْ قُرَى سَبِيلٍ * مُبَشِّرًا قَدْ كَسَاهُ تَاجَ يَلْقِيسِ
يِيدُولُهُ فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَاطِنُهَا * كَمَا تَبَدَّتْ لَنَا الْأَقْدَاءُ فِي الْكُوسِ ^(٢)



- وَأَمَّا الْعَقَقُ وَمَا قِيلَ فِيهِ — وَيُسَمَّى الْعَقَقُ أَيْضًا "كُنْدُشًا" . وَهُوَ
طَائِرٌ لَا يَأْوِي تَحْتَ سَقْفٍ وَلَا يَسْتِظِلُّ بِهِ ، بَلْ يُهَيِّئُ وَكْرَهُ فِي الْمَوَاضِعِ الْمَشْرِفَةِ الْفَسِيحَةِ .
وَفِي طَبْعِهِ الزُّنَا وَالْخِيَانَةُ وَالسَّرْقَةُ وَالْخُبْنُ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ .
وَإِذَا بَاضَتِ الْأُنثَى أَخْفَتْ بَيْضَهَا بِوَرَقِ الدُّلْبِ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْخُقَّاشِ ، فَإِنَّهُ مَتَى
قَرَّبَ مِنْهُ مَذْرَ وَفَسَدَ وَتَغَيَّرَ مِنْ سَاعَتِهِ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ فِي أَثَالِهَا : « أَمَوْقُ مِنْ
عَقَقٍ » . وَهُوَ شَدِيدُ الْأَسْتِلَابِ وَالْإِخْطَاطِ لِمَا يَرَاهُ مِنَ الْحَيِّ الثَّمِينِ . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ فِيهِ :

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَائِرٍ * فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَقَقِ

(١) هو محمد بن عبد الله بن رَزِين الخَزَاعِي شاعر معروف ، كان في زمن الرشيد ، وهو ابن عم دعلج

ابن علي الخَزَاعِي الشاعر ، توفي سنة ١٩٦ هـ .

(٢) يريد الكؤوس جمع كأس .

(٣) مذر البيض : فسد وتغير .

قصيرُ الذَّنَابِ طَوِيلُ الجَنَاحِ * متى ما يَحْدُ غَفْلَةً يَسْرِقُ
يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ * كأنهما قَطَرَتَا زَيْتَيْنِ

وكان سببُ قوله لهذا الشعرِ فيه ما حكاه إسحاق بن إبراهيم قال : كان لي عَقَقٌ
وأنا صبيٌّ قد رِيئُهُ ، وكان يتكلم بكلِّ شيءٍ يسمعه ؛ فسُرِقَ خاتمُ ياقوتٍ كان أبى
قد نَزَعَهُ مِنْ إصْبَعِهِ ودخلَ أَخْلَاءُ ثم خرج فلم يجدْهُ ، فضرب الغلام الذي كان واقفاً ،
فلم يَقِفْ له على خبر . فبينما أنا ذات يوم في دارنا إذ أبصرت العَقَقَ قد نبشَ تَرَاباً
وأخرج الخاتمَ منه ، فلعِبَ به طويلاً ثم دَفَنَهُ ؛ فأخذتهُ وجئتُ به الى أبى ، فسرَّ به
وقال هذا الشعر .



١٠ وأما العصافير وما قيل فيها — والعصافير ضروبٌ كثيرةٌ : منها
"العصفور البيوتى" و"عصفور الشوك" و"عصفور النوفر"^(١) . ومن ضروبها "القبرة"
و"حسون" و"البُلبُل" .

فأما العصفور البيوتى — ففى طباعه اختلافٌ : ففيه من طبائع سباع
الطير أنه يُلْقِمُ فَرَاخَهُ ولا يَرْقُها ، ويَصِيدُ أجناساً من الحيوان كالثعلب إذا طار والجراد ،
ويأكل القمح . والذي فيه من طباع بهائم الطير أنه ليس بذى مَخْلَبٍ ولا مَنَسِيرٍ ؛
وهو إذا سقط على عودٍ قَدَّمَ أَصابعه الثلاثَ وأخَّرَ الدَّائِرَةَ ؛ وسباعُ الطير تُقَدِّمُ
إصبعين وتؤخِّرُ إصبعين ؛ ويأكل الحبَّ والبقولَ . ويَتَخَيَّرُ الذكرُ منها من الأنثى
بلحية سوداء . وهو لا يعرف المشى وإنما يرفع رجله ويثبُّ . وهو كثيرُ السَّفَادِ ،



(١) كذا فى الأصلين . وقد أورده المؤلف هنا على لغة العامة . والفتح فيه : « نيلوفر »

٢٠ « ونيلوفر » بأبدال اللام نونا . والنيلوفر : ضرب من الزيا- ين ينبت فى المياه الرابدة ، ويسميه أهل
مصر البشتين . (راجع القاموس وشرحه مادة نيلوفر) .

وربما سَفِدَ في الساعة الواحدة خمسين مرةً ، ولذلك عمره قصيرٌ فإنه لا يُعمرُ غالباً
أكثرَ من سنةٍ ؛ وإنَّها تُعمرُ أكثرَ من ذكورها . والمثل يُضرب في التحقير والتصغير
بأحلام العصافير .

قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

يا آلَ سَفِيانَ ما بالي وبالكُمُّ * أتمَّ كبيرٌ وفي الأحلام عصفورٌ^(١)
وقال حسان بن ثابت :

لأبأس بالقوم من طولٍ ومن عَظَمٍ * جِسمُ البغال وأحلامُ العصافير



وأما عصفور الشَّوكِ — فزعم أرسطوأن بينه وبين الحمار عداوةً ،
لأن الحمار إذا كان به دَبْرٌ حَكَّ بالشَّوكِ الذي يأوي إليه هذا العصفورُ فيقتله ؛
وربما نَهَقَ الحمارُ فتسقط فرائضه أو يبضه خوفاً منه ؛ فلذلك هذا العصفور إذا رأى
الحمار رَفَرَفَ فوق رأسه وعلى عنقه وأذاه ونقره في عَقَرِه أنَّى كان .



وأما عصفور التَّيْلُوفَرِ — وهو لا يوجد غالباً إلا بَشْغَرِ دِمِياط ، وشأنه
غريب ؛ وذلك أنه عصفورٌ صغيرٌ جداً ، فإذا كان قبل غروب الشمس جاء إلى
بَرَكِ التَّنُوقَرِ فيجد التَّنُوقَرَةَ وهي طائفةٌ على وجه الماءِ مفتوحةٌ فيقعدها في وسطها ، فإذا

(١) كذا ورد هذا الشعر في كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٧٣) والأعاني (ج ٩ ص ٧ طبع بولاق) .

وفي الأصلين : * أتمَّ كثيرٌ وفي أحلام عصفور *

(٢) في الحيوان للجاحظ : « ذرق » . وفي مباحج الفكر : « قرب منه فوق رأسه » .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٤٩ من هذا الجزء .

حَصَلَ فِيهَا أَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِ وَأَنْغَمَسَتْ فِي الْمَاءِ طُولَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ طَلَفَتِ التَّوْفَرَةُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَأَنْفَتَحَتْ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا وَيَطِيرُ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَيَأْتِي وَيَفْعَلُ كَفَعْلِهِ .



وَأَمَّا الْقُبْرَةُ — فَقَدْ عُدَّوْهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَصَافِيرِ . وَهِيَ غَبَاءُ كَبِيرَةٌ الْمُتَقَارِ عَلَى رَأْسِهَا قُبْرَةٌ . وَهَذَا الضَّرْبُ قَاسَى الْقَلْبِ . وَفِي طَبْعِهِ أَنَّهُ لَا يَهْوِلُهُ صَوْتُ صَاحِجٍ بِهِ ، وَرُبَّمَا رُمِيَ بِالْمَجْرُ فَاسْتَخَفَّ بِالرَّامِي وَلِطَى إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَتَجَاوَزَهُ الْمَجْرُ . وَهُوَ يَضَعُ وَكْرَهُ عَلَى الْجَادَّةِ رَغْبَةً فِي الْأَنْسِ بِالنَّاسِ .



وَأَمَّا حَسُونُ — وَتُسَمِّيهِ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ "أُمَّ الْحَسَنِ" وَالْمَصْرِيُّونَ "السَّقَايَةَ" لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الْقَفْصِ اسْتَقَى الْمَاءَ مِنْ إِيَّاءٍ ^(١) بِأَلَةٍ لَطِيفَةٍ يُوَضَعُ لَهُ فِيهَا خَيْطٌ ، فَيَقْرَاهُ يَرْفَعُ الْخَيْطَ بِإِحْدَى رِجْلَيْهِ وَيَضَعُهُ تَحْتَ رِجْلِهِ الْأُخْرَى حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْإِيَّاءُ اللَّطِيفَ فَيَشْرَبُ مِنْهُ . وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ حَسَنَةٍ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ مِنَ الْحُمْرَةِ وَالصَّفْرِ وَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْخَضِرَةِ وَالزَّرْقَةِ . وَلَهُ صَوْتُ حَسَنٌ مُطْرَبٌ . وَوَصَفَهُ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فَقَالَ :

وَمُتَنِّتَةُ الْأَلْوَانِ بِيضُ وَجُوهِهَا * وَنَمِيرٌ تَرَاقِيهَا وَصْفِيرُ جُؤُوبِهَا
كَأَنَّ دَرَارِيعًا ^(٢) عَلَيْهَا قَصِيرَةً * مُرَقَّعَةً ^(٣) أَعْطَافُهَا وَجُؤُوبُهَا

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : «... مِنْ إِيَّاءٍ إِلَى إِيَّاءٍ بِأَلَةٍ ... الْخَ» . وَعِبَارَةٌ مَا هِيَ الْعَكْرُ : « وَرَبَّمَا عَلِمَ اسْتِقَاءَ الْمَاءِ مِنْ إِيَّاءٍ بِأَلَةٍ لَطِيفَةٍ ، يَطْبِقُ حَلْطَهَا دَبْرَتْ لَهُ » .

(٢) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مُوَافِيَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) الدَّرَارِيْعُ : جَمْعُ دَرَاعَةٍ ، وَهِيَ جَبَّةٌ مُشَقَوقةٌ الْمُقَدَّمُ .



وأما البُلبُل — وهو «العندليب»، وتُسميه أهل المدينة «الثَّغر». وهو طائرٌ أغبرُ الرأس لطيف القد، مأواه الشجرُ.

(١) قال الجاحظ: البلبُل موصوفٌ بحسن الصوتِ والحنجرة. ومن شأنه إذا كان غيرَ حاذقٍ أن يطارحه إنسانٌ بشكلِ صوته، فيتدرب ويتعلم ويحسن صوته. وقد وصف أبو هلال العسكري البلبَل فقال:

مررتُ بدُكْنِ القُمُصِ سُوْدِ العمام * تُقَنِّي على أطرافِ غِيْدِ نواعيم
زُهَيْنٍ بأصداغِ تَرُوقِ كأنها * نجومٌ على أعضادِ أسودِ فاحم
تَرى ذهبًا منهمنٌ تحتِ مَآخِرٍ * لها ولجِيْنًا نُظَنَته بالقَوَادِمِ

وقال آخر:

كيف أُلْحَى وقد خَلَعْتُ على الله * وِعِذَارِي وقد هَتَكْتُ قِنَاعِي
وتَعَشَّقْتُ بلبَلًا أنا منه * في آرزاعِ إلى الصَّبَا والْتِيَاعِ
أنا من ريشه المديحُ في زَهْدٍ * يرُومِنُ تَجْوُ صوته في سَمَاعِ



ومن رسالة ذكرها العباد الأصفهاني الكاتب في الخريدة، وهي لبعض فضلاء أصبهان، ذكر فيها وصفَ الرِّياض ومفاخرةَ الرِّياحين، وفضلَ فيها الورد، وأنهى بعد ذكر الورد إلى وصف البلبَل، فقال:

(١) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين: «ومن شأنه أنه إذا ... الخ» بزيادة كلمة «أنه» ولا يستقيم بها الكلام.
(٢) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين: «واتياع».

«فلما أرتفع صدرُ النهار، وأتقطع جدالُ الأزهار، سُمع من خللِ الحديقة زَقْرَقَةٌ^(١) عَنْدَلِيبٍ، قد أخذتْ وَكْرًا على حاشية قلبٍ؛ كان يستتر به عن الجمع، ويحمله دريئةٌ لا ستراق السمع . وحين أتنقن ما وعاء، وأودعه سمعه وأرعاه؛ انتحى غُصْنًا رطيبًا، فأوفى عليه خطيبًا؛ ثم قال : يا فتنة الحديقة، لقد جئتِ بالشَّعَاءِ القَلِيقِ؛ وربَّ بَسَمٍ أَسْتَحَالُ أَحْتَدَامًا، ولنْ تَعْدَمَ الحسَاءُ دَامَا . إلامَ تَرُقُلِ في دَلَالِ زَهْوِكَ، وتغفلُ عن رذائلِ سهوكِ ! وَحَتَّامَ نَتِيهِ على الأَكْفَاءِ والأَقْرَانِ، كَأَنَّكَ أَنْتِ صاحبُ القرآنِ ! أَلَسْتَ مِنْ مُجَبِّكَ بِنَفْسِكَ، وأسترايتكِ بأبناءِ جنسكِ؛ لا تزالِ مشتملاً شَوْكَ الفصونِ، معتمِماً منها بأشباهِ المعافلِ والحصونِ ! . لَكُنْكِ متى أَنْقَضِي مَهَبُ الشَّمَالِ، وعدَلِ عن اليمينِ إلى الشَّمَالِ بِخَيْفٍ عَلَيْكَ فَتَفُحِ الإحراقِ، وتَعْرِتِ مِنْ حُلَلِ الأوراقِ؛ وأصبحتِ للأَرْضِ فِرَاشًا، وتَلْعَبُ بِكَ الهَوَاءُ فُعْدَتِ فِرَاشًا . ثم ما قَدَرُ جَوْرَتِكَ حَتَّى تَجُورَ ! وهل يَنْتِجُ حُضُورُهُ إِلَّا الفُجُورَ ! . هذا إِذَا كُنْتُمْ عَلَى الْأَصْلِ الثَّابِتِ، وعُرِفْتُمْ فِي أَكْرَمِ المغَارِسِ والمُنَابِتِ؛ فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ بَيْنَ رَمْلِي وَجَبَلِي، وَنُهْبُورِي أَوْ تِيهُورِي . وَهَبْ أَنْكَ وَرَهْطُكَ تَفَرَّدْتُمْ بِمَمَالِيَةِ الْقُدُودِ، وتَوَحَّدْتُمْ بِمِشَابِهِ الْخُدُودِ؛ وَصِرْتُمْ دَرَرِ الْبُحُورِ، وَعَلَّقْتُمْ عَلَى الْحَبَاءِ وَالنَّحُورِ، وَتَحَوَّلْتُمْ بِحَمَانًا وَمَرَجَانًا، وَحَلَّيْتُمْ مَنَاطِقَ وَتِيْجَانًا؛ أَقْدَرْتُمْ عَلَى

(١) في الأصلين : « حلك الحديقة » ، وهو تحريف .

(٢) الزقزقة : صدح الطائر عند الصبح . وقد وردت هذه الكلمة في أ : « زهرهه » وفي ب :

« زهرهقه » . ولعلها محرفة عما أتيته .

(٣) القلب : البئر . والحاشية : الجانب .

(٤) في الأصلين : « وأدعاء » .

(٥) القليقة : الأمر العجيب والداهية . وفي الأصلين : « القليقة » بالقاف ، وهو تصحيف .

(٦) لعلها « حضورك » .

(٧) التهور : واحد التهاير ، وهي جبال رمال مشرفة . والتهور من الرمل : ماله جرف .

(٨) في الأصلين : « واتحدتم » ، وهو لا يستقيم به الكلام .

- (١) مباراة الشحاري، ومجاراة القماری النحاري! أم ملكتم تهييج البلابل، قبل أصوات
البلابل! أم وجدتم سبيلا إلى ولوج القلوب والأسماع، وأتخذ الطرب والسماع؟!
هيئات هيئات، بعد عنكم ما فات! بل نحن ذوات الأطواق، وبنات الفصون
والأوراق؛ إنما يكمل صيكنم بنغات أصواتنا، ويزهو غناؤكم بصحة غناشنا؛ ويحسن
تمايل دوحكم بترننا ونوحنا، ويروق غديركم بهديرنا، ويشوق تهديلكم بهديلنا.
لم تزالوا حاملة أطفالنا، ومهود أطفالنا به وحياد شجاعتنا، ومنابر خطباءنا. فروعكم
محطت أرجلنا، ورءوسكم مساقط أرجلنا. إذا أوفى مطربنا على عوده، وعيت
بملوى عوده؛ وشد المثالث والمثاني، شد الثقلين الأول والثاني؛ فقد أحيا باللحن
الأيثي، وبد يحيى المكتى؛ وأعاد لإبراهيم، كاطب الليل البهيم؛ وخرق له أنواب^(٧)

- ١٠ (١) الشحاري: جمع شحور، وهو طائر أسود فوق العصور يصوت أصواتا.
(٢) البلابل: الأنجاء.
(٣) لعل الصواب فيها: «وإنجاد الطرب...» فإياها أنسب بالمقام.
(٤) كذا بالأصلي. ولعلها محرفة عن: «تهويلكم». والتويل: ما يعلو الرياص من نورها
وأزاهيرها من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر. ويجمع على تهاويل. ويحتدل أيضا أن يكون صوابه:
«ويشوق تهديلكم». وتهدل الشجر: تدلى أعضانه وثمره.
١٥ (٥) هو يحيى من مرزوق مولى بني أمية، وكان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء. من عى العباس خوفا من أن
يجنبوه ويقتسموه؛ فادا سئل عن ولادته اتى إلى قريش ولم يذكر البطن الذى ولادته لم واستمعى من سأل
عن ذلك. ويكنى أبا عثمان، عمر مائة وعشرين سنة، وأصاب باللعنة ما لم يصيبه أحد من نظرائه.
(راجع ترجمته فى الأعاني ج ٦ ص ١٦ — ٢٤ طبع بولاق).
٢٠ (٦) هو إبراهيم الموصلى المثنى المعروف. (راجع ترجمته فى الأعاني ج ٥ ص ١٥٤ — ٢٦٧ طبع
دار الكتب المصرية).
(٧) كذا فى الأصليين. ولعل صوابه: «ونخرق له الأنواب محارق... الخ».

(١) مُخَارِقٌ طَرَبًا وحسداً، ولم يَسْلَمْ منه سُلَيْمٌ غِيظًا وكَمْدًا؛ وأخذ قلبَ ابنِ جامعٍ بجامعه، وطوقه من الإقرار غُلًا بجامعه؛ حتى كأنه بصحة ضربه وإتقان أوتاره، يطلب عندهم قديمَ أحقادِهِ وأوتاره .

(٢) فَمِى نُصْبِ الْأَبْصَارِ لَوْنًا قَرِيبًا * وَتَسْرِ الْأَسْمَاعَ ضَرْبًا بَعِيدًا
خَضَبَ الْكَفِّ مِنْ دَمِ الْقَلْبِ وَأَبْتَزَ سُودِيَاءَهُ فَطَوَّقَ جِيدًا
أَعْجَمِيَّ اللِّسَانَ مُسْتَعْرِبُ اللَّهِ * مَنْ يُعِيدُ الْخَلِيَّ صَبًا عَمِيدًا
كُلَّ وَقْتٍ تَرَاهُ مِنْ قَسْرُطٍ شَجْوٍ * مُظْهِرًا فِي الْغِنَاءِ لَحْنًا جَدِيدًا
تَارَةً يَجْعَلُ النَّشِيدَ بَسِيطًا * وَيُعِيدُ الْبَسِيطَ طَوْرًا تَشِيدًا
مَعْبَدٌ لَوْ رَأَاهُ أَصْبَحَ عَبْدًا * وَلَيْدٌ أَمْسَى لَدَيْهِ بَلِيدًا
ضَلَّ عَنْ إلفِهِ وَأَقْلَقَهُ الْوَجْ * دُ فَامَسَى بِكَأُوهِ تَغْرِيدًا

(١) هو مخارق بن يحيى الجرار المعنى المشهور . كان أبوه جرارا مملوكا لعائكة بنت شهدة، وهى من المعنيات المحسنات المتقدمات فى الصرب . وكان مخارق وهو صبي يادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ، ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلى منها وأهداه للفصل ابن يحيى، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . وكانت له مكانته العظيمة فى الغناء وعد الرشيد . وكناه الرشيد أبا المهنا . (راجع الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٠ — ٢٤٩ طبع أوروبا) :

(٢) هو سليم بن سلام الكوفى، ويكنى أبا عبد الله، وكان حسن الوجه حسن الصوت، انقطع الى إبراهيم الموصلى قال اليه وعلبه وهاججه . (راجع ترجمته فى الأغاني ج ٦ ص ١٢ — ١٥ طبع بولاق) .
(٣) هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع، وهو من قرين . وكان أحفظ خلق الله لكتاب الله، وكان مغنيا مجيدا . قال: لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلانى لتركمت المعنى لا يأكلون الخبز . وكان إبراهيم ابن المهدي يفضلهُ فلا يقدم عليه أحدا . (راجع ترجمته فى الأغاني ج ٦ ص ٦٨ — ٩١ طبع بولاق) .
(٤) كذا فى الأصلين . ولعله : « فهو يصي الأبصار لونا قريبا * ويسرانخ » وأول الكلام وآخره مرجح ذلك .

(٥) قد تكون هذه الكلمة محرفة عن «عبيد» . وعبيد اسم ابن سريج المعنى المشهور؛ فإن المقام مقام غناء وصبح، وليد كان شاعرا .

لو عارض الخليل^(١) في عروضه لبكتته ، أو ناظر ابن السكيت^(٢) في إصلاحه لسكتته ؛
أو جادل الفارسي^(٣) تفرسه وجذله ، أو نازل الكوفي^(٤) لأكفاه عن رتبته وأنزله .

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها ،
وكان آية في الدكا . وهو أستاذ سيويه والأصمعي والنصر بن شبيب . توفي سنة ١٧٥ هـ . (راجع
ترجمته في بنية الوعاة للسيوطي ووفيات الأعيان لابن حلكا) .

(٢) هو يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ، كان عالما بمحو الكوفيين وعلم التفسير واللمة
والشعر ، وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن النديم في المهرست ، ومنها كتاب « إصلاح المنطق » . توفي
في رجب سنة ٢٤٤ هـ . (راجع ترجمته في بنية الوعاة للسيوطي ومهرست ابن النديم) .

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد العمار أبو علي الفارسي واحد زمانه في علم العربية . كان أعلم من المنبر
وهو أستاذ ابن جني . توفي بعدد سنة ٣٧٧ هـ . (راجع ترجمته في بنية الوعاة للسيوطي) .

(٤) لهله يريد إسحاق بن مرار أبا عمرو الشيباني الكوفي راوية أهل بغداد ، كان واسع العلم باللغة
والشعر . توفي سنة ٢٠٦ هـ . (راجع ترجمته في بنية الوعاة للسيوطي) .

الباب الرابع من القسم الخامس

من الفن الثالث في بُغَاث الطير

١٢٣

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في القُمَرَى، والدُّبْيَى، والوَرَشَان، والعَوَاخِثِ والشُّفْنَيْنِ، واليَعْتَبُطِ، والنَّوَّاحِ، والقَطَا، واليَمَامِ وأصنافه، والبيَّغَاء. وهذه الأصناف قد عدّها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أو أكثرها في الحمام، فقال: الحمام وَحْشِيٌّ، وأَهْلِيٌّ، وَيُؤْتَى، وَطُورَانِيٌّ. وكلُّ طائر يُعرف بالنَّوَّاحِ وحسب الصوت والدعاء والتَّرجيع فهو حَمَامٌ وإن خالف بعضه بعضاً في الصُّورَةِ واللون وفي بعض النُّوحِ ولحن الهديل.

قال: وزعم أفليمون صاحبُ الفِرَاسَةِ أن الحمام يُتَّخَذُ لضروب، منها ما يُتَّخَذُ لِلأُنْثَى والنِّسَاءِ واليَوتِ، ومنها ما يُتَّخَذُ لِلْفِرَاحِ، ومنها ما يتَّخَذُ لِلزَّجَالِ والسَّبَّاقِ. والزَّجَالُ: إرسال الحمامِ المَؤَادِي. ثم ذكر من أوصاف الحمام وما فيه من ضروب المعرفة والمنافع ما نُورِدُهُ عند ذكرنا للحمام المشتهر بهذه التسمية، وهو الذي أشار الجاحظ إليه. فلنذكر تفصيل ما قدّمناه من هذه الأصناف، فنقول وبالله التوفيق:

(١) كان فاضلاً كبيراً عالمياً في فن فنون الطبيعة وكان معاصراً لبقراط. قال القفطي: وأطنه شامئ الدار. وكان حبيراً بالعراصة عالمياً بها، إذا رأى الشخص وتركيبه استدلل بتركيبه على أحلافه؛ وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية، وهو كتاب العراصة. (راجع تاريخ الحكماء للقفطي ص ٦٠ طبع أوروبا وفهرست ابن النديم).

(٢) أورد الجاحظ في باب الحمام في غير هذا الموضع عن أفليمون قال: اجعل حمام النساء المسرولات النظام الحسن ذوات الاختيال والتبحر والهديرة ثم ساق هو بعد ذلك قصة رجل علق فتاة فزوجها فامتنعت عليه فشكا ذلك لبعض معارفه فأشار عليه أن يتخذ لها حماماً بحيث تراه، فعزل فزال الحمام يثيرها بفزله ومطاعته وتشكله حتى أجابت. (انظر ج ٣ ص ٨٣ - ٨٩ من كتاب الحيوان).



أَمَّا الْقَمْرَىٰ وَمَا قِيلَ فِيهِ — فقد قالوا : إنما سُمِّيَ القمرى بهذه التسمية لبياضه ، والأقمر : الأبيض . وحكاية صوته تشبه ضحك الإنسان . وهو شديد المودة والرحمة . أما مودته فإنه يُفْرِخُ على فَنٍّ من أفنان شجرة عليها أعشاش لأبناء جنسه ، فيصاحبها في كل يوم . وأمّا رحمته فإنه يربّي ولده ويعفّ عن أُنْثَاهُ مادام ولده صغيراً . ومن عادته أنه يعمل عُشَّه في طرف فنٍّ دائمٍ آلهتزاز ، احترازاً على فرخه لئلا يسعى إليه من الحيوان الماشى ما يقتله .

وقال أبو الفتح كُشَاجِم [يصفه من أبيات رثاه بها أولها] ^(١) :

ومطوّقٍ من حسن صُنْعَةٍ ربه * طوقين خَلُتْهُمَا مِنَ النُّوَارِ ^(٢)

[منها : ^(١)]

١٠

لَهْنِي عَلَى الْقَمْرَىٰ لَهْفًا دَائِمًا * يَكْوِي الْحَشَا بِجَوَىٰ كُلِّدَعِ الْبَارِ
لَوْنُ النِّعَامِ لَوْنُهُ وَمُنَاسِبٌ * فِي خَلْقِهِ الْأَقْلَامَ بِالْمُنْقَارِ



وَأَمَّا الدُّنْيَىٰ وَمَا قِيلَ فِيهِ — وإنما سُمِّيَ الدُّنْيَىٰ بذلك لونه ، لأنَّ الدُّبْسَةَ حمرةٌ في سواد . قالوا : والدُّنْيَىٰ أصناف ، منها المصرية ، والحجازية ، والعراقية . وأغفر هذه الأصناف المصرية [ولونه الذكنة] ^(١) . وهو لا يرى ساقطاً على وجه الأرض ، بل له في الشتاء مَشْتَى ، وفي الصيف مَصِيفٌ . ولا يُعرف له وكر .

(١) زيادة عن مباحج العكر .

(٢) يحتمل أيضاً أنه « صفة ربه » .

٢٠

(٣) كذا في مباحج العكر . وفي الأصلين : « ذكر » ، وهو تحريف .



وأما الورشَانُ وما قيل فيه — والورشان أصفان منها النوبي وهو
ورشان أسود؛ ومنها الحجازي . والنوبي أشجهاها صوتا . وهذا الطائر يوصف
بالحنو على أولاده، حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها في يد القانص .^(١)

وقال أبو بكر الصنوبري فيه :

أنا في زهتين من بستاني * حين أخلوه ومن ورشَانِ^(٢)
طائرُ قلبٍ من يغنيه أولى * منه عند الغناء بالطيرانِ
مُسمِعٌ يُودِعُ المسامعَ ما شا * عت وما لم تشأ من الألحانِ^(٣)
في رداءٍ من سوسنٍ وقيص * زررتَه عليه تشرينانِ^(٤)
قد نَفَسَ لَوْنُ السماءِ قرَاه * وتراءى في جيده الفرقدانِ^(٥)



وأما الفواخِثُ وما قيل فيها — والفواخث عراقيةٌ ليست حجازية .
وفيها فصاحةٌ وحسنٌ صوت . وفي طبعها أنها تأنس بالناس ، وتُشَشِّش في الدور .

(١) في ١ : « في أيدي الناس » .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « بستان » بدون ياء .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « سمع » ، وهو تحريف .

(٤) كذا في الأصلين . وفي مباحج الفكر : « وزرتَه عليه بمرتان » . ولم نوفق مع البحث إلى

مانظمتين إلى أنه الصواب .

(٥) كذا في مباحج الفكر . والقرا : الظهر . وفي الأصلين : « تراه » .

والعرب تضرب بها في الكذب المشلّ ، فيقولون : « أكذب من فاختة » ؛ فإن حكاية صوتها عندهم : « هذا أوان الرطيب » . قال شاعر :

(١٢٠)

أكذب من فاختة * تقول وسط الكرب
والطنع لم يبد لنا * هذا أوان الرطيب

وهو يعمر . وحكى أرسطو أن منه ما عاش أربعين سنة .

وقال أبو هلال العسكري :

مررت بمطراب الغداة كأنها * تُعلّ من الإشراق راحاً مقلّلاً
مُتمرة كندراء تحسب أنها * تُجلّ من جلد السحاب مُفصّلاً^(١)
بدت تجلى للعين طوقاً مسكاً * وطرفاً كما تنو الغزاة أكللاً
لها ذنب وافي الجوانب مثلما * تُقشر^(٢) ظلعاً أو تجرد منصلاً
إذا خلقت في الجو خلت جناحها * يرد^(٣) صفيراً أو يحرك جلجللاً

١٠



وأما الشفنين وما قيل فيه — والشفنين من الطير التي تترنم ؛ وصوته في ترنمه يشبه صوت الرّباب . وفي طبعه أنه إذا فقد أنثاه لم يزل أعزب^(٤) ، يأوي الى بعض فواخه حتى يموت ؛ وكذلك الأنثى إذا فقدت الذكر . وهو متى سمن سقط ريشه وأمتنع من السّفاد ؛ فهو لذلك لا يشبع . وهو طائر يؤثر العزلة .

١٥

(١) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري في الكلام على الطير . وفي الأصلين : « السعابة » ، وهو منحريف . (٢) كذا في ديوان المعاني . وقد جاءت في الأصلين بحزقة .

(٣) كذا في ديوان المعاني . وفي الأصلين : « صباحها » . (٤) في اللسان (مادة

عزب) : رجل عزب ومزابة : لا أهل له . ثم قال : « ولا يقال رجل أعزب ، وأجازه بعضهم » .
(٥) كذا في مباحج العكر . وفي أ : « يورث » وهو منحريف . ولم ترد في ب .

٢٠



وأما اليعتبط وما قيل فيه — وإنما سُمِّيَ اليعتبط بهذه التسمية لصوته ،
وهو شريف في طيور الحجاز . وحاله حال القُمرى ، ولكنه أحرّ منه مزاجاً وأعلى
صوتاً . قال كُشَّاجِم :

وناطق لم يَحْشَ في النطق غَلَطٌ * ما قال شيئاً قط إلا يعتبط



وأما التَّوَّاح وما قيل فيه — والنَّوَّاح : طائر كالقُمرى ، وحاله كحاله ؛
إلا أنه أحرّ منه مزاجاً وأرطب وأدمث وأشرف^(١) . قالوا : يكاد التَّوَّاح يكون للأطيار
الدِّمْنَةُ مَلِكًا ، وهو يهيجها إلى التصويت لأنه أشجأها صوتاً ، وجميعها تهوى استماع
صوته . وهو أيضاً يَسْرُهُ استماعُ صوتِ نفسه . والله أعلم بالصواب .



وأما القَطَا وما قيل فيه — والقطا نوعان : ”كُدْرِيٌّ“ و”جُونِيٌّ“ .
والكُدْرِيَّةُ غُبرُ الألوان ، رُقشُ الظهور والبطون ، صُفْرُ الحُلوقِ ، قِصارُ الأذنان ؛
وهي ألطف من الجُونِ . والجُونِيَّةُ سُود بطون الأجنحة والقوادم بيضُ اللِّسانِ^(٢)
وفيه طوقان أسود وأصفر ؛ وظهورها غُبرُ رُقَطٍ تعلوها صفرة . وتسمى الجُونِيَّةُ^(٣)
غُتْمًا ؛ لأنها لا تَفْصَح بصوتها إذا صَوَّتت إنما تُفْرِغِرُ بصوتٍ في حلقها . والكُدْرِيَّةُ
فصيحةٌ تنادى بأسمها تقول : قَطَا قَطَا ؛ ولهذا يُضْرَبُ بها المثلُ في الصدق .

(١) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « أترف » .

(٢) في الأصلين : « اللبات » .

(٣) الغنمة (بالضم) : العجوة في المطلق .

وتُوصف القطا بحسن المشي لِتَقَارُبِ خُطَاها . والعرب تشبه مشي النساء الخفِرات
بمشيها إذا أرادوا مدحهن . قال شاعر يصف القطاة - وأُخْتَلِفَ في الشاعر
من هو، فقيل : هو [أوس بن] غَلَفَاءِ الهُجَيْمِيِّ^(١)، وقيل : مُزَارِحِ العُقَيْلِيِّ، وقيل :
العباس بن يزيد بن الأسود الكِنْدِيِّ، وقيل : العُجَيْرِ السَّلُولِيِّ، وقيل : عمرو بن
عُقَيْل بن الحجاج الهُجَيْمِيِّ ؛ قال أبو الفرج الأصفهاني : وهو أصحُّ الأقوال - :

أَمَّا الْقَطَاةُ فَإِنِّي سَوْفَ أَنْتَبِهَا * نَعْتًا يُوَافِقُ نَعْيَ بَعْضِ مَا فِيهَا
سَكَاةٌ مَخْطُوبَةٌ فِي رِيشِهَا طَرَقَ^(٢) * سُودٌ قَوَادِمُهَا صُهْبٌ خَوَافِهَا^(٣)
مِنْقَارُهَا كَنَوَاةُ الْقَسْبِ قَلَمُهَا * يَمْرِدٌ حَادِقُ الْكَفَيْنِ بَارِيهَا^(٤)
تَمَشَّى كَمَشَى فَنَاءِ الْحَيِّ مُسْرِعَةً * حِذَارٌ قُورِمٌ إِلَى سِتْرِ يُورِيهَا^(٥)
تَسْقَى الْفِرَاحَ بِأَفْوَاهِ مَرَقَقَةٍ * مِثْلَ الْقَوَارِيرِ سُدَّتْ مِنْ أَعَالِهَا^(٦)
كَأَنَّ هَيْدَبَةً مِنْ فَوْقِ جُوجُجِهَا * أَوْ جِرْوَ حَنْظَلَةٍ لَمْ يَبْدُ رَامِيهَا^(٧)

(١٣١)

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

وَلَرُبَّ طَيَّارٍ خَفِيفٍ قَدْ جَرَى * فَشَلَا بِجَارٍ خَلَقَهُ طَيَّارِ

(١) التكملة عن الأغاني (ج ٧ ص ١٥٨ طبع بولاق) .

(٢) السكك : صغر الأذن وصغرها بالرأس ، يقال لقطاة : سكا ، لأنه لا أذن لها .

(٣) في الأصلين : «مخطومة» بالميم ، ولعله محرف عما أثبتناه . والخطة : لون يضرب إلى الكدرة

مشرب حمرة في صفرة كلون الحظلة الخطباء قبل أن تبيض وكلون بعض الحجر الوحشية .

(٤) طرق الريش : أن ينفط الريش منه الأسفل .

(٥) القسب : الثمر اليابس الصلب النواة .

(٦) الهيدب : نحل الثوب وهدهبه واحدة هيدبة .

(٧) الجرو : الصغير من الحنظل .

(٨) كذا في الأغاني . وفي الأصلين : «واعيا» . قال في الأغاني : «أى لم يعد عليها فيكسرهما» .

من كل قاصرة الخطأ مُخَالَةٍ * مَشَى الفتاة تجرُّ فضلَ إزارٍ
مخضوبةٍ المنقارِ تحسب أنها * كَرَعَتْ على ظمَلٍ بكأسِ عُقَارٍ
لا تستقر بها الأيادي خشيةً * من ليلٍ وَيَلٍ أو نهارٍ بَوَارٍ

وقال المزار أو العكبُ التغلبيّ (٢) - وهي أجود قصيدة قُبِلَتْ في القفا - :

بلادٌ مَرَوْرَاءَ يَحَارُبُهَا القفا * ترى الفرخَ في حافاتها يَحْتَرِقُ
يَظَلُّ بها فرخُ القفاةِ كأنه * يَتَسَمَّى جفا عنه مَوَالِه مُطْرِقُ
بديومةٍ قد بات فيها وعينه * على مرِهِ تُغْضِي مراراً وترمُقُ
شبيهةً بلا شيءٍ هالكٍ شخصه * يُوَارِيهِ قِيضٌ حوله مُتَفَلِّقُ
له محجور نابٍ وعينٌ مريضَةٌ * وَشِدْقٌ بمنى الزعفرانِ مُخْلِقُ
تُعَاجِيهِ كَلَاءُ المدامعِ حُرَّةٌ * لها ذَنْبٌ ساجٍ وجيدٌ مُطَوَّقُ

(١) كذا في ديوانه (ص ٥٣ طبع مصر) . وفي الأصلين : « الأراسى » .

(٢) كذا في الحيوان للحافظ (ج ٥ ص ٢٠٨ من النسخة الفوتوغرافية) . وفي الأصلين :
« أبو الغلب » . ولم يثر في المراجع التي بين أيدينا على مسمى بهذا الاسم . وقد صححنا هذه القصيدة عن
النسخة الفوتوغرافية والمطبوعة ٤٠ .

(٣) في الأصلين : « ثلاث مرورات تجادها القفا » . والمرواة : المعازة التي لا شيء فيها .

(٤) في الأصلين : « تاجيه » بدل « جماعته » .

(٥) البديومة : المعازة الدائمة البعد .

(٦) في الأصلين : « مرة » . ولعله مصحف عما أثبتناه . والمره : مرض في العين ترك الكحل .

(٧) القِيض : فترة البضة العليا اليابسة ، وقيل : هي التي خرج رخصها أو ماؤها كله .

(٨) محجور العين : ما دارها . وفي الأصلين : « غمز » ، وهو تحريف .

(٩) كذا في الحيوان النسخة الفوتوغرافية . من معاجة الفصيل وهو أن يرمع بفسير لئلا يأمه إذا

كان لا ابن لها أو مات أو إذا علته بشيء أو منعتة اللبن وعذيت بالطعام . وفي الأصلين : « نعاجية »
وهو تصحيف . وفي النسخة المطبوعة من الحيوان : « تاجيه » .

سَمَاكِةٌ كُذِرِيهٌ عَرَعِيهٌ * سَكَاكِةٌ عَفْرَاءُ سَمَاءُ عَسَلَقُ ^(٤)
 إِذَا غَادَرْتَهُ تَبَتْنَى مَا يُعِيشُهُ * كَفَاهَا رَذَايَاهَا الرِّقِيعُ ^(٥) الْهَبِيقُ
 غَدَتِ تَسْتَقِي مِنْ مَنَهْلٍ لَيْسَ دُونَهُ * مَسِيرَةُ شَهْرِ لَلْقَطَا مُتَعَلَقُ ^(٦)
 لَأَزْغَبَ مَطْرُوحٌ يَجُوزُ تَوَفِيهٌ * تَلْظِي سُمُومًا قِيْظُهُ فَهُوَ أَوْرَقُ ^(٧)
 تَرَاهُ إِذَا أَمْسَى وَقَدْ كَادَ جِلْدُهُ * مِنَ الْحَزَنِ عَنْ أَوْصَالِهِ يَتَمَرَّقُ ^(٨)
 غَدَتِ فَاسْتَقَلَّتْ ثُمَّ وَلَّتْ مُغِيرَةً * بِهَا مِنْ يَزَاهَا الْخَنَاحَانِ أَوْلَقُ ^(٩)
 تَيْعَمُ صَحْضًا مِنَ الْمَاءِ قَدْ بَدَتْ * دَعَا مِصْبُهُ فَا لِمَاءُ أُطْحَلُ أُطْرَقُ ^(١٠)
 فَلَمَّا أَتَتْهُ مُقَدِّرًا تَغَوَّثَتْ * تَغَوَّثَ مَخْنُوقٌ فَتَطْفُو وَتَغْرَقُ ^(١١)

(١) سَمَاكِة : نسبة إلى السمك . والسمكان : كوكبان يراى يقال لأحدهما : السماك الزاح ولا يتر :

السمك الأعزل .

(٢) عَرَعِيه : منسوبة إلى العرعر ، وهو شجر السرو ، فارسية .

(٣) السكاكية : منسوبة إلى السكاكة كناية . والسكاكة : الصغير الأذن ، وهي أيضا الهواة الملاق

عان الماء . (٤) العسلق : الخفيف أو الطويل المتق .

(٥) كَذَا في اللسان مادة « هبت » . وقد نسب هذا البيت لدى الرمة ، ولكننا لم نجده في ديوانه .

وقال : قيل : أراد بالرقيع الهبتى القمري ، وقيل : بل هو الكروان وهو يوصف بالحق لتَرَكة بيصه

واحتصانه بيص غيره . وفي الأصلين وتكاتب الحيوان : « النحاء الهبتى » .

(٦) الورقة : سواد في غبرة . (٧) الأولق : الجنون .

(٨) الدعاميص جمع دعومص ، وهو دويبة أردودة سوداء تكون في العدران إذا نَشَتْ ، وقيل :

دودة لها رأسان تراها في الماء إذا قل .

(٩) الطحلة : لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل يكون الرماد .

(١٠) الطرق : التراكب .

(١١) المقنعر في أصل معناه : المنهني للسباب والشرّ تراه الدهر منتفعا شبه التضبان ، وهو بالذال

والذال جميعا . ولعله وصف الماء بهذا الوصف على ضرب من التجوُّز لثورانه وأضطرابه .

(١٢) كَذَا في الحيوان . وفي الأصلين : « تَغَوَّثَ تَغَوَّبَ » .

(١) تَجَزَّ وَتَلَقَّى فِي سِقَاءٍ كَأَنَّهُ * مِنَ الْحَنْظَلِ الْعَامِي خِرْوُ مَعْلَقٍ
فَلَمَّا أَرْتَوَتْ مِنْ مَائِهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا * أَنَاةٌ وَقَدْ كَادَتْ مِنَ الرِّى تَبْصُقُ
طَمَتَ طَمُوءٌ صُعْدًا وَمَدَّتْ حِرَانَهَا * وَطَارَتْ كَمَا طَارَ الشَّهَابُ الْمُحَلَّقُ (٢)
(٣)

ذكر شيء من الأوصاف والتشبيهات الشعرية الجامعة
لمجموع هذا النوع الذى ذكرناه

من ذلك قول بعض الشعراء :

وَقَبِلَ أَبْنَى كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى * هَتَوُفُ الْبَوَاكِى وَالذِّيَارِ الْبِلَافِعُ
وَهَنَ عَلَى الْإِفْلَاقِ (٤) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * نَوَاحٍ مَا تَحْضَلُ مِنْهَا الْمَدَامُ
مِنْ بَرَجَةِ الْأَعْنَاقِ مُنْزَعًا ظُهُورُهَا * مُحْطَمَةٌ بِالذَّرِّ خُضْرُ رَوَائِعِ
تَرَى طُرًّا بَيْنَ الْخَوَافِ كَأَنَّهَا * حَوَاشِي بُرُودِ زَيْتِهَا الْوَشَائِعُ
وَمِنْ قِطْعِ الْيَاقُوتِ صِبْغَتْ عَيُونُهَا * خَوَاضِبُ بِالْحَنَاءِ مِنْهَا الْأَصَابِعُ

وقال أبو الأسود الدؤلى من أبيات :

وَسَاجِعُ فِي فُرُوعِ الْأَيْكِ هَيْجَنِي * لَمْ أَذِرْ لِمِ نَاحٍ مِمَّا بِي وَلَمْ يَجْعَا
أَبَايَا كَمَا لَفَّهَ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ * أَمْ جَازَعًا لِلنَّوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْعَا
يَدْعُو حَامَتَهُ وَالطَّيْرُ هَاجِعَةٌ * فَاجْتَمَعَتْ لَهُ لَيْلًا وَلَا يَجْعَا

(١) فى الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) : « تحير » . وليست إحدى الكلمتين بأولى من أحتما

فى انساق النسخ .

(٢) طمت : ارتفعت .

(٣) كذا فى الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) . وفى الأصلين : « السحاب » .

(٤) الأفلاق : جمع فلق ، وهو المظلم من الأرض بين ربوتين .

(١) مَوْشَحٌ سُنْدُسًا خُضْرٌ مَنَاصِبُهُ * تَرَى مِنَ الْمَسْكِ فِي أَذْيَالِهِ لَمَعًا
 لَهُ مِنَ الْآسِ طَوْقٌ فَوْقَ لَبْتِهِ * مِنَ الْبَنَفْسِجِ وَالْخَيْرِيِّ (٢) قَدْ جُمِعَا
 كَأَنَّمَا عَبَّ فِي مُسَوِّدَةٍ أَلْيَةِ * وَحَلَّ مِنْ تَحْتِهِ الْكَافُورُ فَأَتَتْقِعَا (٣)
 كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِنْ حَسَنِ أَصْفَرَارِهِمَا * فَصَبَّانٍ مِنْ سَجَرِ الْيَاقُوتِ قَدْ قُطِعَا
 كَأَنَّ رَجْلَيْهِ مِنْ حَسَنِ أَحْمَرَارِهِمَا * مَا رَقَّ مِنْ شُعْبِ الْمَرْجَانِ فَأَتَسْعَا
 شَكَا الْوَى فَبِكَيْ خَوْفِ الْأَسَى فَرَمَى * بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ أَوْجَاعِهِ وَجَمَا
 وَالرَّيْحُ تُخَفِّضُهُ طَوْرًا وَتَرْفَعُهُ * طَوْرًا فَتُخَفِّضُهَا يَدْعُو وَمَرْتَفَعَا
 كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ * يَتَلَوُ الزُّبُورَ وَنَجْمُ الصَّبْحِ قَدْ طَلَعَا
 (٥) وَقَالَ أَبْنُ الْبَنَانَةِ الْأَنْدَلُسِيّ :

١٠ وَعَلَى فُرُوعِ الْأَيْكِ شَايٍ يَحْتَوِي * طَرَفِي لِأَخَرٍ تَحْتَوِيهِ الْأَصْلَعُ
 يَنْدَى لَهُ رَطْبُ الْهَوَاءِ فَيَغْتَدِي * وَيُظِلُّهُ وَرَقُ الْغَصُونِ فَيَجْعُ
 تَحْدُ الْأَرَاكَ أُرَيْكَةً لِمَنَامِهِ * فَلَهُ إِلَى الْأَشْحَارِ فِيهَا مَوْضِعُ
 حَتَّى إِذَا مَا هَزَّهَ نَفْسُ الصَّبَا * وَالصَّبْحُ هَزَّكَ مِنْهُ شَدْوٌ مُبْدَعُ
 فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْأَرَاكَةُ مِنْبَرٌ * وَكَأَنَّهُ فِيهَا خَطِيبٌ مُضْعَمُ

- (١) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « موشحا » .
 (٢) الخيري : نور ، معرب (عس الجوهري) . وقد شرح خواصه ابن البيطار في مفرداته ، فراجعه .
 (٣) في الأصلين : « عب » بالعين المعجمة . وفي مباحث الفكر : « غاب » .
 (٤) انتفع الرجل وامتنع وابتنع (على صيغة المبني للجھول) : تعير لونه ، وبالميم أجود .
 (٥) هو الوزير الأديب أبو بكر بن البنانة الداني أحد شعراء دولة المتمدن في الأندلس ، المرتضين
 ٢٠ دررها ، والمنسجعين دررها . وكان المتمدن — رحمه الله — يميزه بالشعوف والإحسان ، ويجوز في فرسان
 هذا الشأن . (راجع نهج الطبيب ص ٤١٣ ، ٥٧٨ من المجلد الثاني طبع أوروبا) .

وقال بعضُ الأعراب [يصفُ مُطَوِّقَةً^(١)]:

دَعَتْ فوق ساقٍ دعوةً لو تناولتُ * بها الصَّخْرَ من أَعْلَى أَبَانٍ^(٢) تَحْدَرَا
تُبْكِي بَيْنَ لَيْسَ تُدْرِي دُمُوعَهَا * وَلَكِنَّهَا تُدْرِي الدَّمُوعَ تَذْكُرَا
مَحَلَّةَ طَوَاقٍ لَيْسَ تَحْشَى أَنْفَصَامَهُ * إِذَا هُمْ أَنْ يَلِيَّ مُجَدِّدُ آخِرَا
لَهَا^(٣) وَنَحْجُ دُونَ التَّرَاقِي وَفَوْقَهَا * وَصَدْرُ كَقُطُوفِ الْبَنْفَسَجِ أَخْضَرَا
تَتَازَعُهَا الْأَلْوَانُ^(٤) شَتَّى صِفَالُهَا * بَدَا لَتَلَالِي الشَّمْسِ فِيهِ تَحِيرَا^(٥)

وقال شاعر أندلسي:

وما شافني إلا أَبْنُ وَرَقَاءَ هَائِفٌ * عَلَى فَنَنِ بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْجَسِيرِ
مُفْتَقٌ طَوَاقٍ لَا زُورْدِي كُلِّكِلِي * مَوْشَى الطَّلَى أَحْوَى الْقَوَادِمِ وَالظَّهِيرِ
أَدَارَ عَلَى الْيَاقُوتِ أَجْفَانٍ لَوْلِي * وَصَاغَ عَلَى الْأَجْفَانِ طَوْقًا مِنَ التَّيْرِ
حَدِيدٌ شَبَّ الْمِنْقَارِ دَاجٍ كَأَنَّهُ * شَبَّ قَلِمٍ مِنْ فِضَّةٍ مُدٍّ مِنْ حَبْرِ
نَوَسَدَ مِنْ فِرْعِ الْأَرَاكِ أَرِيكَتَ * وَمَالَ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ مَعَ التَّحْرِيرِ
وَلَمَّا رَأَى دَمْعِي مُرَاقًا أَرَابَهُ * بِكَأَنِّي فَاسْتَوَلَى عَلَى الْفُصْنِ النَّضِيرِ
وَحَثَّ جَنَاحِيهِ وَصَفَّقَ طَائِرًا * فَطَارَ بِقَلْبِي حَيْثُ طَارَ وَمَا يَدْرِي

وقال آخر:

كَأَنْ بَخَرَهَا وَالْجَدِيدَ مِنْهَا * إِذَا مَا أُمَكْنْتُ لِلنَّاطِرِينَ
مَحْطًا كَانَ مِنْ قَلَمٍ لَطِيفٍ * نَخِطَ بِجِيدِهَا وَالنَّحِيرَ نُونًا

(١٣٦)

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

(٢) أبان : جبل .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « له » .

(٤) في الأصلين ومباحج الفكر : « ألوان » .

(٥) كذا في الأصلين ومباحج الفكر ، ولعله محرف عن « محيرا » أي مزينا .

وقال ابن الزومي :

مُطَوَّقَةٌ تَبْكِي ولم أربأ بكَا * بدا ما بدا من شجوها لم يُسَلِّب^(١)

وقد أوردنا في باب الغزل والنسيب من هذا المعنى فيما قيل على لسان الورقاء ما يُستغنى عن تَكَرَّره .



وأما اليمَامُ وأصنافه وما وُصف به وما قيل فيه — فالعربُ تقول : إنَّ هذه التسمية واقعة على النوع الذي تسميه عامة الناس الحمام ؛ وهو أصنافٌ مختلفة الأشكال والألوان والأفعال ، منها ”الرواعبُ“ و ”المراعيشُ“ و ”العَدَادُ“ و ”الميساقُ“ و ”الشَّدَادُ“ و ”القلابُ“ و ”الشَّقَاقُ“ و ”المنسوبُ“ .



فأما الرواعبُ — وهو ألوان كثيرة . وزعم الجاحظ أنه تولد بين ورشانٍ ذكرٍ وحمامٍ أنثى ، فأخذ من الأب الجنة ومن الأم الصوت ، وفاته سرعة الطيران فلم يشبههما فيه ؛ وله من عظم البدن وكثرة الفراخ والهديل والقرقرة ما ليس لأبويه ، حتى صار ذلك سبباً للزيادة في ثمنه والحرص على اتحاذه .



وأما المراعيشُ — وهى تطير مرتفعة حتى تغيب عن النظر فترى في الجوّ كالنجم .

(١) سَلَبَتِ المرأة : إذا لبست ثياب الحداد .



وأما العَدَاد — فهو طير ضخم، قليل الطيران [كثير الفِراخ] ^(١).



وأما المِيساق — وهو أضخم من العَدَاد وأنبِل، ثَقِيل الجسم لا يستطيع الطيران إِلَّا قَلِيلًا .



وأما الشَّدَاد — فهو لَا يَلْزِم الطيران في الجَوِّ، وله قُوَّة في جَنَاحه [حتى يقال أَنه ربما يَكْسر الجَوْز به، وَلَا يَأْتِي من الغَايَةِ لَبْلَةٍ فِيهِ] ^(١). وأَصْحَابُ الرِّغَبَاتِ في تَرْبِيَةِ هَذَا الصَّنِيفِ يُلقونه على البَصْرِيَّاتِ فيُخْرِجُ مِنْ بَيْنِهِمَا حَمَامٌ يُسَمَّى "المُضْرَب" . يَجْتَمِع فِيهِ هَدَايَةُ البَصْرِ وَشِدَّةُ الشَّدَادِ . والشَّدَادُ يَطِيرُ صُعْدًا حَتَّى يُرَى كَالنَّجْمِ .
وفي ذنبه إحدى وثلاثون ريشة .



وأما القَلَّاب — فَتَسَمِّيهِ الْعِرَاقِيُّونَ "المَّلَاح" ، وَتُسَمَّى بِذَلِكَ لِتَقَلُّبِهِ فِي طَيْرَانِهِ .
وَالشَّقَاقُ ^(٢) — وَطَيْرَانُهُ تَحْوِيْمٌ .



وأما المنسوب ^(٣) — وَيُسَمِّيهِ الْعِرَاقِيُّونَ "الهُوَادَى" ، وَالْمُصْرِيُّونَ يَسْمُونَهُ "البَصَارِي" ^(١) [يعنون البَصْرِيَّة] ، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ كَالْعِتَاقِ مِنْ

(١) زيادة عن مباحج الفكر. (٢) تدل عبارة مباحج الفكر على أن العراقيين يسمون «القلاب» «الملاح» و «الشقاق» وأن الشقاق ليس بضرب آخر . (٣) زاد في مباحج الفكر عند الكلام على هذا الصنف من الحمام زيادات كثيرة عما هنا ، فراجعها . (٤) في مباحج الفكر : «والبصريون» .

الخليل، وما عدها فيها كالبراذين . وفيها " العلوى " وهو الطُفُّ جُرمًا وأسرعُ طيرًا ؛ وهو يطلب وكره ولو أرسل من مسافة ألف فرسخ، ويحملُ البطائق ويأتى بها من المسافة البعيدة في المدة القريبة . قالوا : وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد . وسبأ الطير تطلبه أشد طلب . وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره . وهو أطير منه ومن سباع الطير كلها ؛ لكنه يُذعر فيجهل بابَ المخلص .

والمحمود منه ما وصفه الجاحظ عن أفليمون صاحب الفِراسة أنه قال :
جميع الفِراسة لا تخرجُ عن أربعة أوجه : أولها التقطيع ، والثاني المحسة ،
والثالث الشائل ، والرابع الحركة .

فأما التقطيع — فانتصابُ العنق والحلقة ، وأستدارةُ الرأس من غير عظم ولا صغير، وعظمُ القِرْطَمَتَيْنِ ونَقَاؤُهُمَا ، وَاَتْسَاعُ الْمُنْخَرَيْنِ ، وَأَنْهَرَاتُ الشَّدَقَيْنِ ،
وسعةُ الجوف ، ثم حسنُ خِلْقَةِ العينين مع توقدهما ، وقصرُ المنقار في غير دقة ،
ثم اتساعُ الصدر ، وامتلاءُ الجُؤْجُؤِ ، وطولُ العُنُقِ ، وإشرافُ المنكبين ،
وأنكاشُ الجناحين ، وطولُ القوادم في غير إفراط ، ولحوقُ بعض الخوافي ببعض ،
وصَلَابَةُ الْقَصَبِ في غير انتفاخ ولا يُئس ، واجتماعُ الخلق في غير الجمُودة
والكَرَازَةِ ، وعظمُ الْفَخْذَيْنِ ، وقصرُ الساقين والوَظِيفَيْنِ ، وأفتراقُ الأصابع ، وقصرُ
الدَّبِ وَخَفَّتْهُ مِنْ غَيْرِ تَقْنِينٍ وَتَفْرِيقٍ ، ثُمَّ تَوَقَّدُ الْحَدَقَتَيْنِ وَصَفَاءُ اللَّوْنِ . فهذه
علامة الفِراسة في التقطيع .

- (١) في الأصلين : « من » . (٢) القرطمان : فطنان على أصل منقار الحمام .
(٣) كذا الشيء : يس وأقبض . (٤) في المخصص ومباح الفكر : « عظم الفخذين والساقين » .
(٥) من غير تقنين : من غير اختلاط . يقال : فن الشيء إذا خلطه . وعبرة المخصص : « وقصر
الدب وخفته في غير تفريق من الريش ولا تقنين » . وقد أورد المخصص هذا الموضوع مع اختلاف يسير في بعض الكلمات فراجع (ج ٨ ص ١٧٠) طبع بولاق .

وأما علامة المحبسة — فَوَاقَةُ الخلق، وشِدَّةُ القلم، ومَتَانَةُ العَصَب، وصلابَةُ القَصَب، ولينُ الرِّيش في غير رِقَةٍ، وصلابَةُ المِنقار في غير دِقَةٍ .

وأما علامة الشئائل — فَقَلَّةُ الاختيال، وصفاءُ البصر، وثباتُ النظر، وشِدَّةُ الحَذَر، وحسنُ التَّلَفُّتِ، وقِلَّةُ الرَّعْدَةِ عند الفزع، وخَفَّةُ النهوض إذا طار، وتركُ المبادرة إذا لَقَطَ .

وأما علامة الحركة — فَالطيران في علُو، ومُدُّ العُنُق في سُمُو، وقِلَّةُ الاضطراب في جَوِّ السماء، وضُمُّ الجناحين في الهواء، وتتابعُ الرُّكُض في غير اختلاط، وحسنُ القصد في غير دَوْرانٍ، وشِدَّةُ المدِّ في الطيران . فإذا أصبته جميعاً لهذه الصفات فهو الطائر الكامل .

(١٣٤)

وقد وصف الجاحظ الحمام في كتاب الحيوان وبسط فيه القولَ ووسَّعَ المجالَ . ونحن الآن نوردُ ملخَّصَ ما قاله فيه، قال :

ومن مناقب الحمام حُبُّ للناس وأنسُ الناس به، وهو من الطير الميامين . وهو إذا عَلِمَ الذِّكْرُ منه أَنَّهُ قد أودَعَ رِجْمَ الانثى ما يكون منه الولدُ، تقدِّمًا في إعداد العُشِّ، ونَقِيلُ القَصَبِ وشِقِّ الخُوصِ، وأشباه ذلك من العِيدان الخَوَّارة الدَّقَّاقِ، حتى يعملاً أَلْفُوصَةً وَيَسْجَاهَا سَجًّا متداخلا في الموضع الذي اتَّخَذَاهُ وَأَصْطَنَاهُ عِشًّا بِقَدْرِ جُبَّانِ الحمامة ؛ ثم أَشْخَصَا لتلك الأَلْفُوصَةِ حُرُوقًا غير مُرْتَفَعَةٍ لِتَحْفَظَ البَيْضَ وتَمْتَنَهُ مِنَ التَّدْخِجِ، وتَتَلَزَمَ كَتِفَيِ الجُوْجُوْ، وتَكُونُ رِفْدًا لصاحب الحَضْنِ، وسِنْدًا للبَيْض ؛ ثم يَتَعَاوَرَانِ ذلك المكانَ ويتعاقبان تلك الأَلْفُوصَةَ يَسْخَنَانِهَا

(١) كذا في كتاب الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) . وشقق : جمع شقة . وفي الأصلين وكتاب

الحيوان المطبوع : «وتشقيق» .

(٢) الخَوَّارة : الضميفة الرخوة .

- وَيُدْفِنَانِهَا وَيُطَيِّبَانِهَا وَيَنْفِيَانِ عَنْهَا طِبَاعَهَا الْأَوَّلَ وَيُجِدْنَانِ لَهَا طَبِيعَةً أُخْرَى مُشْتَقَّةً
 مِنْ طِبَاعَتَيْهَا وَمُسْتَخْرَجَةً مِنْ رَائِحَةِ أَبْدَانِهَا وَقَوَاهِمَا، لَكِي تَقَعَ الْبَيْضَةُ إِذَا وَقَعَتْ
 فِي مَوْضِعٍ يَكُونُ أَشْبَهَ الْمَوَاضِعِ طِبَاعًا بِأَرْحَامِ الْحَمَامِ مَعَ الْحَضَانَةِ [وَالْوَأَنَةِ] ^(٢)، كِي
 لَا تَتَكَسَّرُ الْبَيْضَةُ بِبُيْسِ الْمَوْضِعِ، وَلَثَلَا تُتَكَرَّرُ طِبَاعُهَا طِبَاعَ الْمَكَانِ، وَلِيَكُونَ عَلَى
 مَقْدَارٍ مِنَ الْبَرْدِ وَالسَّخُونَةِ وَالرَّخَاوَةِ وَالصَّلَابَةِ. ثُمَّ إِنَّ ضَرْبَهَا الْخَاضَ وَطَرَقَتْ
 بَيْضُهَا، بَدَرَتْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَدْ أَعَدَّتْهُ وَتَحَامَلَتْ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَقَرَّعَهَا رَعْدٌ
 قَاصِفٌ أَوْ رِيحٌ عَاصِفٌ فَإِنَّهَا رِمَتْ بِهَا دُونَ الْأَفْوَصَةِ. وَالرَّعْدُ رُبَّمَا أَفْسَدَ
 الْبَيْضَ. فَإِذَا وَضَعْتَ الْبَيْضَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي أَعْدَاه لَا يَزَالَانِ يَتَعَاقَبَانِ الْحَضْنَ
 وَيَتَعَاوَرَانِهِ حَتَّى تَنْتَهِيَ أَيَّامُهُ وَيَتِمَّ مِيقَاتُهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْصَدِعُ الْبَيْضُ عَنِ الْفَرْخِ،
 ١٠. فَيَخْرُجُ عَارِي الْجِلْدَ صَغِيرًا لَخْنَاخَ مُسْتَدَّ الْحُلُقُومِ؛ فَيَعْلَمَانِ أَنَّهُ لَا يَتَسَّعُ حَلْقُهُ
 وَحَوْصَلَتُهُ لِلْغِذَاءِ، فَلَا يَكُونُ لَهَا هُمٌّ إِلَّا أَنْ يَنْفُخَا فِي حَلْقِ الْفَرْخِ الرَّيْحَ لَتَسَّعَ
 الْحَوْصَلَةَ بَعْدَ اتِّحَامِهَا. ثُمَّ يَعْلَمَانِ أَنَّهُ وَإِنْ اتَّسَعَتِ الْحَوْصَلَةُ لَا يَتَحَمَّلُ فِي أَوَّلِ
 أَغْذَاتِهِ أَنْ يُزَقَّ بِالطَّعْمِ، فَيَزَقُّ بِاللَّعَابِ الْمُخْتَلِطِ بِقَوَاهِمِ الطَّعْمِ وَقُوَى الطَّعْمِ. ثُمَّ يَعْلَمَانِ
 أَنَّ الْحَوْصَلَةَ تَضَعُفُ عَنِ اسْتِمْرَاءِ الْغِذَاءِ وَهَضْمِ الطَّعْمِ فَيَا كِلَانِ مِنْ شُرُوجِ ^(٣)
 ١٥. أَصُولِ الْحَيَاطَانِ — وَهُوَ شَيْءٌ مِنَ الْمِلْحِ الْمُخَضِّ وَالتَّرَابِ الْخَالِصِ، وَهَذَا هُوَ
 السَّبِخُ — فَيَزَقُّانِهِ بِهِ. حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ أَتَدَبَّعَ وَأَشْتَدَّ زَقَاهُ بِالْحَبِّ الَّذِي قَدْ غَبَّ
 فِي حَوَاصِلِهِمَا؛ ثُمَّ يَزَقُّانِهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْحَبِّ وَالْمَاءِ. حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ أَطَاقَ

(١) كَذَا فِي الْحَيَوَانَ لِلْبَاحِظِ. وَفِي الْأَصْلَيْنِ: «وَيُطَيِّبَانِهَا» بِالنُّونِ بَدَلَ الْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ.

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ تَخَابُطِ الْحَيَوَانَ.

(٣) الشُّرُوجُ: الشَّقُوقُ وَالصَّدُوعُ.

(٤) كَذَا فِي تَخَابُطِ الْحَيَوَانَ لِلْبَاحِظِ (ج ٣ ص ٤٧) طَبْعُ مِصْرَ. وَفِي الْأَصْلَيْنِ: «أَتَدَبَّعَ».

الَلْقَطُ منعه بعضُ المنع لِيَحْتَاجَ إلى اللَّقَطِ فيَتَعَوَّدُهُ . فإذا علمَا أَن إِرَادَتَهُ قد تَمَّتْ
وَأَنَّهُ قد قَوِيَ على اللَّقَطِ وبلغَ بنفسه مُنتهى حاجته ، ضَرَبَاهُ إِذَا سألَهَا الكَفَايَةُ ،
وَنَفْيَاهُ متى رَجَعَ إِلَيْهَما ، وَتَنَزَّعُ تلكَ الرَّحْمَةُ العَجِيبَةُ مِنْهُما وَيَنسِيَانِ ذلكَ التَّعَطُّفَ .
ثم يَتَبَدَّانِ العملَ ثَانِيًا على ذلكَ النِّظَامِ وتلكَ المُقَدِّمَاتِ . فسبحانَ الهَادِي المُلْهِمِ .
قال : ثم يَبْدِئُ الذَّكَرُ بالدُّعَاءِ والطَّرَادِ ؛ وَيَبْدِئُ الْأُنْثَى بِالنَّاتِي وَالْإِسْتِدْعَاءِ ،
ثم تَرِيفٌ ^(١) وَتَشْكِلٌ ^(٢) ، وَتَمَنُّعٌ ، وَتُجِيبُ وَتَصْدِفُ بِوَجْهِهَا ؛ ثم يَتَعَاشِقَانِ
وَيَتَطَاوَعَانِ وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا قَبْلٌ وَآرْتِسَافٌ وَإِدْخَالٌ فِيهَا فِي فَمِهِ ؛ وذلكَ هُوَ التَّطَاعُمُ
والمُطَاعَمَةُ . قال الشاعر :

لم أعْطِهَا يَدِي إِذْ بَثَّ أَرْضُفُهَا * إِلَّا تَطَاوَلَ غُصْنُ الْجَدِيدِ بِالْجَدِيدِ
كَمَا تَطَاعَمَ فِي خَضِرَاءِ نَاعِمَةٍ * مُطَوَّقَانِ أَصَاحَاً بَعْدَ تَفَرِيدِ

قال أبو عثمان : ومما أَشْبَهَ فِيهِ الحِمَامُ النَّاسَ أَن سَاعَاتِ الحَضْنِ على البِيضِ
أَكْثَرُهَا على الْأُنْثَى ، وَإِنَّمَا يَحْضُنُ الذَّكَرُ حَضْنًا يَسِيرًا . وَالْأُنْثَى كَالْمَرْأَةِ فِي كِفَالَةِ
الصَّبِيِّ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الحَضْنُ وَصَارَ البِيضُ رَاخًا كَالْأَطْفَالِ فِي الْبَيْتِ يَحْتَاجُونَ
إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ صَارَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الزَّقِّ على الذَّكَرِ .

وقال : قال مُنَيُّ بْنُ زُهَيْرٍ — وَهُوَ إِمَامُ النَّاسِ فِي الْبَصَرَةِ بِالْحِمَامِ — : لم أَرِ
شَيْئًا قَطُّ فِي رَجُلٍ وَلَا أَمْرَأَةٍ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنَ الْحِمَامِ .
رَأَيْتُ حِمَامَةً لَا تُرِيدُ إِلَّا ذِكْرَهَا ، كَالْمَرْأَةِ لَا تُرِيدُ إِلَّا زَوْجَهَا أَوْ سَيِّدَهَا . وَرَأَيْتُ
حِمَامَةً لَا تَمْنَعُ شَيْئًا مِنَ الذَّكُورَةِ ؛ وَرَأَيْتُ أَمْرَأَةً لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ . وَرَأَيْتُ

(١) يقال : زافت الحِمَامَةُ تَزِيفُ إِذَا مَشَتْ مَدْلَةً مُشْبَعَةً بَيْنَ يَدَيِ الْحِمَامِ الذَّكَرِ .

(٢) شككت المرأة : كانت ذات شكل أَيْ عَنَقٍ وَدَلَالٍ وَغَزَلٍ .

(٣) عطا ملان الشيء يعطوه : أحذوه وتساووه .

(١٦٥)

- حمامة لا تَزِيْفُ إِلَّا بعد طَرَادٍ شديدٍ وشدةٍ طلبٍ ، ورأيتها تَزِيْفُ لأَوَّلِ ذكرٍ يريدُها ، ورأيتُ من النساءِ كذلك . ورأيتُ حمامةً لها زوجٌ وهى تُمكنُ ذكرًا آخرَ لا تَعُدُّوه ، ورأيتُ مثل ذلك فى النساءِ . ورأيتها تَزِيْفُ لغيرِ ذكرها وذَكَرُها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إِلَّا وذَكَرُها يطيرُ أو يحضُن . ورأيتُ الحمامةَ تَقِمِطُ الحمامةَ ، ورأيتُ الحمامَ الذَكَرَ يَقِمِطُ الذَكَرَ . ورأيتُ أنثى كانت لا تَقِمِطُ إِلَّا الإناثَ ، ورأيتُ أخرى تَقِمِطُ الإناثَ فقط ولا تَدَعُ أنثى تَقِمِطُها ، ورأيتُ ذَكَرًا يَقِمِطُها وَيَدْعُها حتى تَقِمِطُهُ . ورأيتُ ذَكَرًا يَقِمِطُ الذَكَرَ وَتَقِمِطُهُ ؛ ورأيتُ ذَكَرًا يَقِمِطُ الذَكَرَ ولا يَدْعُها تَقِمِطُهُ ؛ ورأيتُ أنثى تَزِيْفُ للذَكَرِ ولا تَدَعُ شيئًا مِمَّا يَقِمِطُها ؛ ورأيتُ هذه الأصنافَ كلها فى السَّحَابَاتِ وَاللَّائِطَةِ . قال : وأمتنعت على خَصْلَةٍ فَوَاتَهُ لَقْدَ رَأْيِهَا ؛ لِأَنِّى رَأَيْتُ مِنَ النِّسَاءِ مَنْ تَزْنِى أَبَدًا وَتُسَاحِقُ أَبَدًا وَلَا تَتَزَوَّجُ ؛ وَمَنِ الرِّجَالِ مَنْ يَلُوطُ أَبَدًا وَيَزْنِى أَبَدًا وَلَا يَتَزَوَّجُ ، ورأيتُ حمامًا ذَكَرًا يَقِمِطُ مَا لَيْتِى وَلَا يُزَاجُ ، ورأيتُ حمامةً تُمكنُ كُلَّ حِمَامٍ أَرَادَهَا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَتَقِمِطُ الذَكَرَ وَالْإِنَاثَ وَلَا تُزَاجُ ، ورأيتها تُزَاجُ وَلَا تَبِضُ ، وتَبِضُ فَيَفْسُدُ بَيْضُهَا ، كَالْمَرْأَةِ . قال : ورأيتُ ذَكَرًا لَهُ أُنبَاتَانِ وَقَدْ بَاضَتْ مِنْهُ ، وَهُوَ يَحْضُنُ مَعَ هَذِهِ وَمَعَ تِلْكَ وَيَزُقُّ مَعَ هَذِهِ وَمَعَ تِلْكَ ، ورأيتُ أنثى تَبِضُ بَيْضَةً ، ورأيتُ أنثى تَبِضُ فى أَكْثَرِ حَالَاتِهَا ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ . قال : ورأيتُ حمامةً تُزَاجُ هَذَا الْحِمَامَ ثُمَّ تَحْوِلُ مِنْهُ إِلَى آخَرٍ ، ورأيتُ ذَكَرًا فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فى الْإِنَاثِ ، ورأيتُ الذَكَرَ كَثِيرَ النَّسْلِ قَوِيًّا عَلَى الْقَمِطِ .

قال الجاحظ : والحمام يبيضُ عشرةَ أشهرٍ من السنة ؛ فإذا صانوه وحفظوه وأقاموا له الكفايةَ أحسنوا تعهدهَ باضٍ فى جميعِ السنة . والفواخت والأطرغلات^(١)

- (١) قال فى اللسان نقلًا عن التهذيب : « ... فى كتاب شمر : الأطرغلات هى الدبابى والفارى والصلاصل ذات الأطواق ، قال : ولا أدرى أمعرب هو أم عريب . »

والحمام البرّي تَبْيَضُ مرتين في السنة . قال : وَيَمَّ خَلْقُ الحمام في أقل من عشرة أيام .
والحمامة في أكثر أمرها يكون أحدُ فرخها ذكراً والآخر أنثى ؛ وهى تَبْيَضُ أَوَّلًا
البيضة التي فيها الذكر ثم تُقيم يوماً ولسلةً وتبيض الأخرى . وتحضن ما بين السبعة
عَشَرَ يوماً إلى العشرين . والأنثى أبرُّ بالبيض ، والذكر أبرُّ بالفراخ . ولقد أظنبت
أبو عثمان الجاحظ وأوغل وبَسَطَ القول في ذكر الحمام وأوصافه ومناقبه والمغالاته
في ثمنه والحرص على آقنائه ، حتى إنه قال : وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمام
الواحد يباع بخمسة دینار ؛ ولم يبلغ ذلك باز ولا شاهين ولا عُقَابٌ . قال : وأنت
إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ثم دخلت بغداد والبصرة ،
وجَدْتَ ذلك بلا معاناة . وهذا يدل على أن قوله فيه كان مشهوراً عندهم في وقته .
ثم قال : والحمام إذا جاء من الغاية يبيع الذكر من فراخه بعشرين دیناراً وأكثر ،
وبيعت الأنثى بعشرة دنانير وأكثر [وبيعت البيضة بخمسة دنانير] ؛ فيقوم الزوج منها
من الغلة مقام ضبيعة ، حتى ينهض بمؤونة العيال وبقضاء الدين ، وتُبْنَى من غلاته
وأثمان رِقايه الدُّورُ والجَنَانُ وتُبتاع الحوانيت . ثم وصف حُجَرَ الحمام ومقاصيرها
المبنية في ذلك الزمان وما يُعانيه أهلها من حديثها والاحتفال بها في المسابقة وغيرها .
وأطال في ذلك . وقال : وللحمام من حُسْنِ الأهتمام ، وجودة الاستدلال ، وثبات
الحفظ والذكور ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلِفِ لوطئه ، أن يكون طائراً من بهائم
الطير يحىء من مسافة كذا إلى مسافة كذا . قال : ولن ترى جماعة طير أكثر طيرانا

(١) في الأصلين : « والحمامة في أكثر أمرها إما أن يكون ... الخ » . ولا يستقيم الكلام

بهذه الزيادة .

(٢) زيادة عن كتاب الحيوان .

(٣) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : « من غلات رقبته ... الخ » .

(٤) لعله محرف عن « خدمتها » .

إذا كُثِرَ من الحمام؛ فإنَّهم كما آلفن وضاق موضعهم كان أشدَّ لطيرانهم .
قال النابغة :

وَأَحْكُمُ كُحْمُ قَنَاقَةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ * إِلَى حَمَامٍ شَرَّاجٍ وَإِرِيدَ التَّمِيدَ^(٣)
يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقِي وَتُبْعُهُ * مَثَلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ^(٤)
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا * إِلَى حَمَامَتَا وَنَصْفَهُ فَقَدِ
خَسَبُوهُ فَالْفَوْهُ كَمَا حَسَبْتُ * تَسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
فَأَكْمَلْتُ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتَا * وَأَسْرَعْتُ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ

قال الأصمعي : لما أراد أن يمدح الحاسب وسُرعة إصابته شدد الأمر وضيقه
عليه ليكون أحمده إذا أصاب؛ فجعله حرر طيراً والطير أخف من غيره؛ ثم جعله

١٣٦

- ١٠ (١) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : « التفنن » .
(٢) قنافة الحى هى بنت الحسن ، عن الأصمعي . وعن أبي عبيدة : هى « زرقاء النعام » . ولقبت
الزرقاء لزرقه فى عينها . قالوا : إنه كان لها قطاة وممر بها سرب من القطاين جليل فالتت :
لبت الحمام ليه * إلى حماميه
ونصفه قديده * تم الحمام فيه
١٥ وهى التى يضرب بحجة بصرها المثل ، وكانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، وقد أئذرت قومها بمعى .
العدو فلم يصبه قوما ولم يستعدوا للافاته حتى صبحهم وأعمل فمهم حتى هلكوا وأخذ كبيرهم الزرقاء فشق عينها
فاذا فيها عروق سود من الإثم ، وكانت أول من اكتعل به من العرب .
(٣) شرع (بالشين المعجمة) : محتمة . ويروى «سراع» بالسين المهملة . والثمد : الماء القليل
الذى يكون فى الشتاء ويحذف فى الصيف .

- (٤) يحفه : يحيط به .
٢٠ (٥) النيق : الجبل . قال الأصمعي : إذا كان الحمام بين جانبي نيق ضاق عليه فركب بعصه بعضا
فكان أشد لعدوه وحزره ، وإذا كان فى موضع واسع كان أسهل لعدوه فكان أحكم لها ، إذا أصابه فى هذه
الحال . ويريد بقوله : « مثل الزجاج » عينا صافية لم يصبا رمدا قط فتحتاج إلى كحل (عن شرح ديوان
النابغة للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطلوسى ضمن مجموعة طبع مصر رقم ١٧٨٥ أدب) .

حماما والحمام أسرع الطير وأكثر اجتهدا في السرعة إذا كثرت عددهن ، وذلك أنه يشتد طيرانه عند المسابقة والمنافسة . وقال : « يحقه جانباً نبي وتبعه » ، فأراد أن الحمام إذا كان في مضيق من الهواء كان أسرع من أن يتسع عليه الفضاء . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما قيل في طوق الحمامة

يقال : إن نوحاً صلى الله عليه وسلم لما كان في السفينة بعث الغراب ليكشف له هل ظهر من الأرض موضع ، فوقع على جيفة فلم يرجع إليه ؛ فبعث بالحمامة ، فاستجعلت على نوح الطوق الذي في عنقها فجعل لها ذلك جُملاً . وفي ذلك يقول أُمَيَّةُ بن أبي الصلت :

وَأُرْسِلَتِ الْحَمَامَةُ بَعْدَ سَبْعِ * تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
(١)
تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا * وَعَيْنُهُ مِنَ الْمَاءِ الْعِيَابِ
(٢) (٣) (٤)
بِفَاءَتٍ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقَطِيفٍ * عَلَيْهِ النَّاطُ وَالطَّيْنُ الْكُجَابُ
(٥)
فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا * لَهَا طَوْقًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ
(٦)
إِذَا مَاتَتْ تُورِثُهُ بَنِيهَا * وَإِنْ تُقْتَلَ فَلَيْسَ لَهَا أَسْتِلَابُ

(١) كذا في الأصلين . على أنه ورد في كل الشعر الذي أورده المؤلف لأُمَيَّة بن أبي الصلت بعض كلمات غير واضحة المعنى ؛ وقد ورد أكثر هذا الشعر في الحيوان للجاحظ (ج ٢ ص ١١٧ — ١٢٠) وأتربا أن تشبها كما وردت في الأصلين لأنها غير واضحة كذلك في الحيوان .

(٢) كذا في اللسان . وفي الأصلين : « عليها » .

(٣) كذا في لسان العرب (مادة ناط) . والناط : الحمامة . وفي الأصلين : « الناط » بالنون ،

وهو تصحيف . (٤) الكجَاب : الثرى والتراب والطين اللازب .

(٥) السخاب : قلادة تتخذ من قرقل وسك ومحب ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء .

(٦) لعله : « فليس له » اذ الظاهر أن مرجع الضمير الطوق .

وقال أيضا فيها :

- سَمِعَ اللهُ لَكَبْرِ آدَمَ نَوْجٍ * رَبُّنَا ذُو الْجَلَالِ وَالْإِفْضَالِ
 حِينَ أَوْفَى بَذَى الْحَمَامَةِ وَالنَّاسِ * سُبْحَانَ جَمِيعَا فِي فُكْرِكِ كَالْعِيَالِ
 حَاسِبًا خَوْفَهُ عَلَيْهِ رَسُولًا * مِنْ خِيفَةِ الْحَمَامِ كَالْتَمَثَالِ
 • فَرَشَاهَا عَلَى الرَّسَالَةِ طَوْقًا * وَخِضَابًا عِلَامَةً غَيْرَ بَالِ
 فَانْتَهَ بِالصَّدَقِ لَمَّا رَشَاهَا * وَبِقَطْفِ لَمَّا بَدَأَ عِنْدَكَالِ^(١)
 قوله : ”فرشاهها“ أى جعل لها جُعلًا .

وقال فيها :

- وَمَا كَانَ أَحْبَابُ الْحَمَامَةِ خِيفَةً * غَدَاةَ غَدَتِ مِنْهُمْ تَضُمُّ الْخَوَافِيَا
 ١٠ رَسُولًا لَهُمْ وَاللَّهُ يُحْكِمُ أَمْرَهُ * يُبَيِّنُ لَهُمْ هَلْ بَرَسَ التَّرْتِبُ بَادِيَا
 بِغِيَاثِ بَقِطْفِ آيَةٍ مُسْتَبِينَةٍ * فَأَصْبَحَ مِنْهَا مَوْضِعُ الطَّيْنِ جَادِيَا^(٢)
 عَلَى خَطْمِهَا وَأَسْتَوْهَبَتْ تَمَّ طَوْقُهَا * وَقَالَتْ أَلَا لَا تَجْعَلِ الطُّوقُ حَالِيَا
 وَلَا ذَهَبًا إِنِّي أَخَافُ نَيْلَهُمْ * يَخَالُونَهُ مَالِي وَلَيْسَ بِمَالِيَا
 وَزِدْنِي عَلَى طَوْقٍ مِنَ الْحَلَى زِينَةً * تُصِيبُ إِذَا أَتَبَعْتَ طَوْقُ خِضَابِيَا
 ١٥ وَزِدْنِي لِطَرْفِ الطَّيْنِ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ * وَوَرَّثَ إِذَا مَا مِثُّ طَوْقٍ حَامِيَا
 يَكُونُ لِأَوْلَادِي جَمَالًا وَزِينَةً * وَعَتَوَانَ زَيْنِي زِينَةً مِنْ تُرَابِيَا

(١) العنكال : الذقن ، وقيل : هو الشمراخ وهو ما عليه البسر من عيدان الكجاسة ، وهو فى النخل

بمِزلة العقود فى الكرم .

(٢) الجادى : الزعفران .

ذكر شيء مما وصف به هذا النوع نظماً ونثراً

قال عبد الواحد بن فتوح الأندلسي يصف حماماً بسرعة الطيران والسبق :

يَحْتَابُ أَوْدِيَةَ السَّحَابِ بِخَافِقِي * كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي السَّحَابِ فَأَبْرَقَا
لَوْ سَابَقَ الرِّيحَ الْجَنُوبَ لَغَايَةَ * يَوْمًا لَجَاءَكَ مِثْلَهَا أَوْ أَسْبَقَا
يَسْتَقْرِئُ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ مَذْهَبًا * وَالْأَفَقَ ذَا السَّقْفِ الرَّفِيعَةِ مُرْتَقِي
وَيَظِلُّ يَسْتَرْقِي السَّمَاءَ بِخَافِقِي * فِي الْجَوِّ تَحْسِبُهُ الشَّهَابَ الْمُحْرِقَا
يَسُدُّو فِعْجَبَ مَنْ رَأَاهُ لِحُسْنِهِ * وَتَكَادُ آيَةُ عُنُقِهِ أَنْ تَنْطَلِقَا
مُتَرَقِّقًا مِنْ حَيْثُ دُرَّتْ كَأَنَّمَا * لَيْسَ الزَّجَاجَةُ أَوْ تَجْلِبَبَ زَيْتُنَا

(١٢٧)

وقال أبو هلال العسكري في حمام أبلق :

وَمُتَّفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ * لَيْسَ ظَلَامًا بِالصَّبَاحِ مُرْقِعَا
أَخَذَنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفًا وَمَنْسِرًا^(١) * وَخَضَبَنَ بِالْحِنَاءِ كَمَا وَإِصْبَعَا
وَتَرَنُوا بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَنَهَا * جَلَوْنَ عَقِيقًا لِلْعَيُونِ مُرْصَعَا
تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْحِلَامِ كَأَنَّمَا * جَنَادِلُ تَدَحُّوْهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعَا
تَبُوعُ^(٢) بِهَا فِي الْجَوِّ مِنْ غَيْرِ قَفَرَةٍ * كَأَنَّ مَجَادِيْفًا تَبُوعُ بِهَا مَعَا
إِذَا هِيَ عَبَتْ فِي الْغَدِيرِ حَسِبَتْهَا * تَزُوقُ فَرَاخًا فِي الْمَغَاوِرِ جُوعَا

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي من رسالة يصف طائراً جاء من غايه :

”وكان هذا الطائر أحد الرسل المسيّرة بل المبشرة، والجنود المجزدة بل المسخرة؛
فإنها لاتزال أجنحتها تحمل من البطائق أجنحه، وتجهز من جيوش المقاصد والاقلام

(١) المنسر : متقار الطائر .

(٢) تبوع بها ، أى تبسطها في الجوّ ، يقال : باع يبيع إذا بسط باعه .

- أسلحه ؛ وتحمل من الأخبار ما تحمل الضائر، وتجاوز الأرض إذا نثرت الجناح الطائر؛ وتزوى لها حتى ترى ما سيبلغه ملك هذه الأئمة، وتقرب بها السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همه ؛ وتكون مراكب للأغراض لما كانت الأجنية قلوغا ، وتركب الجوّ بحراً يصفق فيه هبوب الرياح موجاً مرفوعاً ؛ وتعلق الحاجات على أعجازها، فلا تعرف الإرادات غير إنجازها . ومن بلاغات البطائق استعارت ما هي به مشهورة من السجع ، ومن رياض كتبها ألقت الرياض فهي إليها دائمة الرجوع . وقد سكنت البروج فهي أنجم ، وأعدت في كائناتها فهي للحاجات أسهم . وقد كادت تكون ملائكة إذا نيطت بالرفع ، صارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع . وقد बाद الله بين أسفارها وقربها ، وجعلها طيف الیقظة الذي صدق العين وما كذبها . وقد أخذت عهد الأمانة فهي في أعناقها أطواقا ، فأدتها من أذنانها أوراقا ؛ فصارت خوافي وراء الخوافي ، وغطت سرها المودع بكتان سحبت عليه ذبول ريشها الضواقي ؛ ^(١) ترغم النوى بتقريب العهود ، وتكاد العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود ؛ فهي أنبياء الطير لكثرة ما تأتي به من الأنباء ، وخطباؤها لأنها تقوم على منابر الأغصان مقام الخطباء . والله أعلم بالصواب .

١٥



وأما البيغاء وما قيل فيها — والبيغاء طائر هندي ، وحشي . حسن الخلق، دمث الخلق، ثاقب الفهم، له قوة على حكاية الأصوات بالتلقين والتعليم ؛ يتخذ الملوك وأكابر الناس في منازلهم . وفي لونه الأخضر والأغبر والأسود والأحمر

(١) الصوافي : السافنة الكثيرة .

والأصفر والأبيض . وهذه الألوان كلها نادرة الوجود إلا الأخضر والأغبر .
وقد شاهدت أنا بالقاهرة المعزية دزة بيضاء ^(١) . وحكى أنه أهدي إلى معز الدولة ^(٢)
ابن بويه ببغداد هدية من اليمن كان فيها بغاء بيضاء ، سوداء المنقار والرجلين ، وعلى
رأسها ذؤابة فستقية . وهذا الطائر يتناول الطعام برجله . وله منقار معقف قصير
يكسره ما صلب ويتقرب به ما تسر تقربه . وهو في ما كله ومشربه كالإنسان
الترف الظريف . والناس يحتالون على تلقينه بأن ينصبوا تجاهه امرأة يرى خياله
فيها ويتكلم الإنسان من ورائها ، فيتوهم الطائر أن خياله في المرأة هو المتكلم فيأخذ
نفسه بحكاية ما يسمعه من ذلك الصوت .

وقال المولى تاج الدين عبد الباقي اليماني رحمه الله فيها ملفزا :

ياسبدا أبدع في المقال * وياريسا فاق في المعالي
ما حيوان مشبه الإنسان * مرتل الآيات في القرآن
ذو مبسم صبح من النصار * ومقلبة قد ركبت من قار
ومخلب يكسر الصليب * ومنطوق يفخر الخطيب
ذو حلة بندي البرود * منسوجة من أخضر البنود
كروضة قد أبتعت أزهارها * وأدهشنا بألينا أطيأرها

(١) الدرة : البيضاء .

(٢) هو معز الدولة أحمد بن أبي تجماع بويه أحد ملوك الديلم ، ملك العراق والأهواز . وكانت مدة
ملكه إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا . وكان في أول أمره يحمل الخطب على رأسه ، ثم ملك هو
وأخوه : عماد الدولة على بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه البلاد وآل أمرهم إلى مآل . وكان
معز الدولة أصغر الإخوة الثلاثة . ولد سنة ثلاث وثلاثمائة وتوفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة ودفن في داره ثم
نقل إلى مشهد بنى له في مقابر قریش .

قد جُمعت في ذاته ألوانُ * كأنّه في خلقه بُسنانُ
 فذاتُه من ناصع الزَّبَرَجِدِ * ونوره مُرَكَّبٌ من عَسَجِدِ
 وتارة يُبصرُ من أفاقى * ^(١) خَلَقَتْهُ في سائر النواحي
 وعُرفه من خالص المِدادِ * ونطقه مُستَحِكِمُ الإِرادِ
 يأكل بالكفّ خلافَ الطير * ويقتدى وهو قديرُ السَّيرِ
 إن لَقَطَ الحَبَّ لدى تفريقه * رأيت دُرّاً جال في عَفِيقِه
 يحفظ بيتَ المرء في المغيبِ * ويقتدى كالحارس المَرُوبِ
 سَمِيه في أسفل البحار * مُستودِعٌ في آخر التَّيارِ
 إليه يُعزى الشاعرُ المَجدُ * والكاتبُ التَّحريرُ والمُجدُ
 فاكشف مُعَمّى ما لغزتُ يا إمام * وآسلم على مرِّ الدهور في الدوامِ

(١) في أ : « خلقه » . وفي ب : « خلقه » وكلاهما تحريف .

الباب الخامس من القسم الخامس

من الفن الثالث في الطير الليلي

ويشتمل هذا الباب على ذكر ما قيل في الخُفَّاش ، والكروان ، والبوم ،
والصَّدى .



فأما الخُفَّاش وما قيل فيه — فانخُفَّاش ليس من الطير في شيء؛
فإنه ذو أذنين ظاهرين وأسنان وخطم وخصيتين بارزتين ، ويول كما تبول ذوات
الأربع ، ويحيض ، ويلد ، ويضع ، ولا ريش له . قال بعض المفسرين لكاتب الله
عز وجل : إن الخُفَّاش هو الطائر الذي خلقه عيسى بن مريم عليه السلام بإذن الله
تعالى ؛ ولذلك هو مبان لصنعة الخالق ؛ ولهذا سائر الطير تقهره وتُبغضه ؛ فما كان
منها يأكل اللحم أكله ، وما لا يأكل اللحم قتله ؛ فلذلك لا يطير إلا ليلا . وطعمه
البعوض والفرأش يصيدهما وقت طيرانه ، ولا يبلغ ذلك إلا بما فيه من سرعة
الاختطاف وشدة الطيران ولين الأعطاف . وهو مع ذلك ليس بذى ريش وإنما هو
لحم مُغشَّى بجِلْد صُلْب كأنه جِلْد ضَفَدَع ، وهو بطير بغير ريش ؛ وهذا من العَجَب .
وهو لا يطير في ضوء ولا ظلمة . وسبب ذلك أنه ضعيف حاسة البصر ، قليل
شُعاع العين ؛ فالشمس تُضعِف بصره عن التحديق في شعاعها ، والظلمة تغمُر ضياءَ
بصره ؛ فهو يجعل طيرانه لطلب قوته وقت غروب الشمس وظهور الشفق . [وذلك
وقت هيَج البعوض وانتشاره^(١)] . ومنازله تكون في الجبال وصُدوع الصخور وبسيط

- القيافي وجزائر البحر والأماكن الخربة المهجورة . وهو يطلب قُرب الناس ؛ فإذا كان في بيوتهم قصد أرفع مكان وأحصنه فيكون فيه . ويُذكر بطول العمر ، ويكبر حتى يكون في قدر الحِذاء وأكبر . وهو يلد ما بين الثلاثة إلى التسعة . ويسفد غالباً وهو طائر في الهواء . وهو يحمل ولده تحت جناحه ، وربما قبض عليه بفيه لإشفقه عليه . وربما أرضعت الأثني ولدها وهي طائفة . أخبرني من شاهد ذلك ممن يعتمد على نقله . وهو متى أصابه شجر الدلب خدر .

- قال الجاحظ : والخفّاش يأتي الرّمانة وهي على شجرتها فينتقب عنها ويأكل جميع ما فيها حتى لا يدع إلا القشر وحده . قال : ولحوم الخفافيش موافقة للشواهد والصقور والبوازي ولكن كثير من جوارح الطير ، وهي تسمن عنها وتصبح أبدانها عليها ، ولها في ذلك عمل محمود ناجع عظيم النفع بين الأثر .

وقال بعض الشعراء في الخفّاش مُلغزاً :

وطائر جنّاحه في رجليه * أبعد شيء قصه من وصله^(١)
لم يوصف الله بخلق مثله * وهو على تآلف في شكله^(٢)
لو بيع في سوق له لم أغله

- وقال آخر :

أبى علماء الناس أن يخبروني * وقد ذهبوا في العلم في كل مذهب
بجسدة إنسان وصورة طائر * وأظفار يربّوع وأنياب تغلب

(١) الوصل (الكسر والضم) : كل عظم على حدة لا يكسر ولا يوصل به غيره ، جمعه أوصال .
وقال الجوهري : الأوصال المفاصل . وقال غيره : مجتمع العظام .

(٢) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : «لو يوصف» وهو تحريف .



(١٣٩)

وأما الكروان وما قيل فيه — والكروان طائرٌ من طبعه وعادته
الطيران في الليل، والإذلاج والصباح بالانحار، والإشراف على مواضع العساكر .
ويوصف بالحمق؛ ومن حمقه أنه يقال له : أطرق كراً، فلصق بالأرض حتى يرى .
وتقول العرب : «أطرق كراً أطرق كرا إن النعامة في القرى»^(١) .



وأما البوم وما قيل فيه — ويقال : إنه الصدى، ويقال : بل الصدى
ذكر البوم، وللبوم ذكر له منه . ويقال : إنه خمسة أصناف : منه ما يصيد
الأرنب . ومنه صنف له لوانان يأوى الآكام والبرية . ومنه المدبج بالصفرة ، وله
حواجب وقرون من ريش، ويسكن الجدران . ومنه الهام ويسمى «العيشية»^(٢) .
ومنه «الغن» وهو يصيح كالهام لكن صوته أدق . وكل هذه الأصناف تحب
الخلوة بنفسها . وهي تُبغض الغربان ، وسائر أصناف الطير تُبغضها ؛ فإن الطيور
إذا رأيتها يطرن حولها ويتنقن ريشها ؛ فلذلك صيادو الطيور يجعلونها في مصابدهم ؛
لأن الطيور إذا رأوها اجتمعوا عليها ، فتصاد عند ذلك .

(١) يصرب مثلاً للرجل يخدع بكلام يلطف له ويراد به العائلة . وقيل : يصرب مثلاً للرجل يتكلم
عنده ويطن أنه هو المراد بالكلام ، أى اسكت فاني أريد من هو أتبيل منك وأرفع منزلة . وقال أحمد بن
عبيد : يصرب للرجل الحقير إذا تكلم في الموضع الذى لا يشبهه وأمثاله الكلام فيه ؛ فيقال : اسكت يا حقير
فان الأجلأ أولى بهذا الكلام منك . والمراد بقولهم : «إن النعامة في القرى» تخويفه بأن النعامة حاضرة
فتدوسه بأخفافها . (راجع اللسان مادة كرا وجمع الأمثال) .

(٢) كذا في مباحج الفكر . ولعل العيشية : نسبة الى العشة (بالضم) أى الطلام ، على أن يكون قد
نسب هذا الصرب من البوم الى ظلام الليل . وفى أ : «العشنة» . وفى ب : «العشة» .



وأما الصَّدى وما قيل فيه ~ فالعرب تزعم أن الإنسان إذا مات
أو قُتِلَ تتصوَّر نفسه في صورة طائر تصرُخ على قبره مستوحشةً بلحسدها . وفي ذلك
يقول توبة :

- ولو أن ليلى الأُخيلية سَأَلَتْ * على ودُوني جَنْدَلٌ وصفائحُ
لسَأَلْتُ تسليماً البَشاشةِ أوزَقَا * إليها صدى من جانب القبر صائحُ

- ويحكون على ذلك حكاية ^(١) . وتقول العرب : إن هذا الطائر يكون صغيراً
ثم يكبر حتى يصير في قَدْرِ البُوم ، ويسمونه الهَام ، واحده هَامَةٌ ، وهو يتوحَّش
ويصبح ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ^(٢) وحيث مَصَارِعُ القَتلى وأحداثُ
الأموات . ويقولون : إنه لا يزال عند وَلَدِ المِيتِ ومُخْلِفيه ليعلم ما يكون بعده
فيخبره . وهذا كله أراه من نُحرفات العرب وأكاذيبها . وما زالوا على ذلك حتى جاء
الإسلام فنهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال : ” لا عَدَوَى ولا طِيَرَةَ
ولا هَامَةَ ” الحديث . والله أعلم .

- (١) جاء في الأغاني أن هذا الشمر كان سبباً في مقتل ليل هذه ، وذلك أنها مرت على قبر توبة بن
الجرير وذكرت هذا الشعر وقالت : والله ما عرفت له كذبة قبل هذه فإياه لم يسلم على ! ؛ وكانت يومه
إلى جانب القبر كائمة ، فلما رأت هودجها فزعت وطارت في وجه الجمل فرى بها على رأسها فسات . (انظر
الأغاني ج ١٠ ص ٨٢ طبع بولاق) .
(٢) النواويس : مقابر النصارى ، مفردة ناووس .

الباب السادس من القسم الخامس من الفن الثالث في الهمج

وقد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فيه : إنه ليس من الطير، ولكنه مما يطير كالحشرات مما يمشى . والذي أُطلق عليه اسم الهمج هو مما يشتمل عليه هذا الباب، وهو النحل، والزنبور، والعنكبوت، والجراد، ودود القز، والذباب، والبعوض، والبراغيث، والحرقوص .

فأما النحل وما قيل فيه — قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخى يشتكى بطنه يا رسول الله ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اسقيه عسلاً " . ثم أتاه فقال : قد فعلت ؛ فقال : " اسقيه عسلاً " . ثم أتاه فقال : قد فعلت ؛ فقال : " اسقيه عسلاً " . ثم أتاه في الرابعة ؛ فقال : " صدق الله وكذب بطن أخيك اسقيه عسلاً " ؛ فسقاه فبرئ الرجل .

وقال أرسطو : النحل تسعة أصناف : ستة منها يأوى بعضها إلى بعض ، وذكر أسماءها باليونانية . وغذاء النحل^(١) من المفضول^(٢) الخلووة والرطوبات . والنحل

(١) كذا في حياة الحيوان للدميري ومباح الفكر . وفي الأصلين : « وعذ » وهو تحريف .

(٢) في مباح الفكر : « من الطل الخلو والرطوبات » .

لا تقعد على أزهارٍ مختلفةٍ بل على زهرٍ واحدٍ ؛ وإن قعدت على زهرٍ آخر فإنما تقعد عليه بعد أن تنصرف إلى الخلية . وبيوتها من أعجب المباني ؛ لأنها مبنية على الشكل الذي لا يبتك ولا يتحرق ، كأنه حرٌّ بآلةٍ وقياسٍ هندسيٍّ . وإذا هلك شيء من النحل في باطن الخلايا أخرجه الأحياء إلى خارجها . وهو يعمل في فصل الربيع والخريف . والرَّبيعي أجود من الخريفي . والصغير منه أعمل من الكبير . وهو يشرب من الماء النقي العذب الصافي ، ويطلبه حيث كان . وهو يسلمج جلده كالحيات . وتوافقه الأصوات المطربة . ويجتمع للتصفيق بالأيدي والرَّقص . والسوسُ يضربه . ودواؤه أن يطرح في كل خلية كُفٍّ من الملح ، وأن تُفتح في كل شهر مرةً وتُدخن بأخشاء البقر .

- ١٠ وقد وصف الشعراءُ الشهد والعسل في أشعارها ؛ فمن ذلك قول إبراهيم بن خفاجة الأندلسي يصف شُهدةً بعث بها إليه بعضُ أصدقائه :
- لله ريقَةُ نَحْلٍ * رعى الرُّبى والشَّعَابَا
وجاب أرضاً فارضاً * يَغشَى مصاباً مَصَابَا^(١)
حتى أرتوى من شِفَاءٍ * يَمِجُّ منه رُضَابَا
- ١٥ إن شئتَ كان طعاماً * أو شئتَ كان شراباً

وكتب مع هذه الأبيات رسالة ، جاء منها : ” وكفى النحلة فضيلة ذات ، وجلالة صفات ؛ أنها أوحى إليها ، وأتت في الكتاب عليها ؛ تعلم مساقط الانداء ، وراء البيداء ؛ فتقع هناك على ثؤارة عيقه ، وبهارة أُنْقِه ؛ ثم تصدُر عنها [بما تطبعه

(١) المصاب : موقع النيث .

شَمْعَه، وتُبْدَعُه صَنَعَه؛ وَتَرْتَشِفُ مِنْهَا^(١) مَا تَحْفَظُهُ رُضَابًا، وَتَلْفِظُهُ شَرَابًا؛ وَتُجَافَى بَعْدَ مِنْهُ عَنْ أَكْرَمِ مُجْتَنًى، وَاحْكَمْ مُبْتَنًى .



وَأَمَّا الزُّنْبُورُ وَمَا قَبِيلُ فِيهِ — وَالزُّنْبُورُ يُسَمَّى "الدُّبْرَ" . وَهُوَ جَبَلِيٌّ وَشَهَبِيٌّ . فَالْجَبَلِيُّ يَأْوِي الْجِبَالَ وَالْأَمَاكِنَ الْخَشِيشَةَ، وَقَدْ يَعْبُشُ عَلَى الشَّجَرِ، وَلَوْنُهُ إِلَى السَّوَادِ . وَالشَّهَبِيُّ أَحْمَرُ اللَّوْنِ وَيَتَّخِذُ عَشَهُ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيُخْرِجُ التَّرَابَ مِنْهُ كَمَا يَفْعَلُ النَّمْلُ، وَهُوَ يُخْتَفِي فِي الشِّتَاءِ فَلَا يَظْهَرُ، وَأَكْثَرُهُ يَهْلِكُ . وَمِنَ الشَّهَبِيِّ صِنْفٌ مُخْتَلِفٌ الْأَلْوَانِ مُسْتَطِيلٌ، وَفِي طَبْعِهِ الشَّرُّ يَطْلُبُ الْمَطَايِخَ وَيَأْكُلُ الْلَحْمَ، وَيَطِيرُ مَفْرَدًا وَيَسْكُنُ بَطْنَ الْأَرْضِ .

وَصِنْفُ الزُّنْبُورِ جَمِيعُهُ مَقْسُومٌ فِي وَسْطِهِ، وَهُوَ لِذَلِكَ لَا يَنْتَفِسُ مِنْ جَوْفِهِ أَلْبَتَّةَ . وَمَتَى غُمِسَ فِي الدَّهْنِ سَكَنْتَ حَرَكَاتُهُ وَذَلِكَ لِضَيْقِ مَنَافِذِهِ .

وقد وصفه الشعراء . فَنَ ذَلِكَ قَوْلُ السَّلَامِيِّ :

وَلَا يَسُ لَوْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ طَائِرٌ * مَلُونَةٌ أَبْرَادُهُ وَهُوَ وَإِقْعُ
أَغْرٌ تَرْدَى طَيْلَسَانَا مُدْبِجًا * وَسُودُ الْمَنَايَا فِي حِشَاءِ وَدَائِعِ
إِذَا حَكَ أَعْلَى رَأْسِهِ فَكَأَنَّمَا * بِسَالِفَتِهِ مِنْ يَدَيْهِ جَوَامِعِ
يُخَافُ إِذَا وَلَّى وَيُؤَنَّ مُقْبِلًا * وَيُخْفِي عَنِ الْأَقْرَانِ مَا هُوَ صَانِعِ
بَدَا فَارِسِيَّ الزَّيِّ يَعْقِدُ خَصْرَهُ * عَلَيْهِ قَبَاءُ زَيْتَةِ الْوَشَائِعِ^(٤)

(١) زيادة عن مباحث الفكر .

(٢) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « حل » باللام وهو مخريف .

(٣) الجامعة : النمل لأنها تجمع الدين إلى النمل .

(٤) الوشائع : جمع وشيمة وهي الطريقة في البرد .

فِعْجَرُهُ الْوَرْدِيُّ أَحْمَرٌ نَاصِعٌ * وَمِثْرُهُ التَّبْرِيُّ أَصْفَرٌ فَاقِعٌ
يَرْجِعُ الْحَانَ الْفَرِيضَ وَمَعْبِدٌ * وَيَسْقِي كَوْوَسًا مِلْوَهَا السَّمَ نَاقِعٌ
وقال السري الرفاء يصفه :

وَمُحْطِفُ الْخَصْرِ بُرْدُهُ حَبِيرٌ * تَحْذَرُهُ وَهُوَ خَائِفٌ حَذِرٌ
مُجْتَحِ طَارٍ فِي مَجْتَحِيَةٍ * تَصْعَدُ طَوْرًا بِهِ وَتَنْحَدِرُ
كَأَنَّهَا وَالرِّيَّاحُ تَنْثُرُهَا * غَرَابُ الرُّهْرِ حِينَ تَنْثُرُ^(٤)
لَهَا حُمَاتٌ كَأَنَّهَا شَعْرٌ * تَظْهَرُ مَسْوَدَةٌ وَتَسْتَرُ
قَدْ أَذْهَبَتْ فِي الْحَيْنِ غُرَّتُهُ^(٥) * إِذْ فُضِّضَتْ فِي جِيَادِنَا الْفَرَرِ
سِلَاحُهُ الدَّهْرَ فِي مَوْتَرِهِ * يَطْعَنُ طَوْرًا بِهِ وَيَنْصِرُ
كَأَنَّ شَطْرَ الَّذِي يُحْتَرِدُهُ * مِنْ بَيْنِ فَكَيْهِ حَيَّةٌ ذَكَرُ



وأما العنكبوت وما قيل فيه — قد ضرب الله عز وجل المثل في الوهن
بالعنكبوت ؛ فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . والعنكبوتُ
أصنافٌ : منها صِنْفٌ يُسَمَّى "الرَّيْلَا"^(٦) من ذوات السموم القاتلة ، وهو عنكبوتٌ

(١) المعجر : ثوب تلقه المرأة على استدارة رأسها .

(٢) غططف الخصر : لاحقه وضامره .

(٣) الحبر (ككتف) : الناعم الجديد .

(٤) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « ... تنثرها * ... تنثر » بالسين المعجمة في الكلمتين .

(٥) كذا في ديوانه . وفي أ : « الحين » . وفي ب : « الحين » وكلاهما محريف .

(٦) كذا في الأصلين والمخصص واللسان وشرح القاموس مادة « رتل » . وقد ضبطها الدميري

بالعبارة في كتابه حياة الحيوان (ضم الراء المهملة وفتح التاء المثناة . وهو يمد ويقصر) .

صغير. ومنه صنف طويل الأرجل. ومنه صنف يُسَمَّى "الْبَيْت" يصيد الذباب، وله ست عيون وثمانى أرجل. وقال الجاحظ: ولَدَ العنكبوت يَقْوَى عَلَى النَّسِجِ سَاعَةً يُولَدُ، وذلك من غير تلقين ولا تعليم. وأول ما يولد دودًا صغيرًا، ثم يتغير ويصير عنكبوتًا. وهو يُطَاوِلُ فِي السَّفَادِ. ومنه ما هو كبير ونسجه رديء، ومنه ما هو دقيق. وهو في نسجه يَمْدُ السَّدى ثم يَعْمَلُ الحُمْمَةَ، ويتبدى من الوسط؛ ويهيئ موضعًا لِمَا يصيده يكون له كالحِزَانَةُ. والأنثى منه هي التي تَنسِجُ، والذكر يحل وينقُض. والتي تَنسِجُه لا تُخْرِجُه من جوفها بل من خارج جسدها. وقم العنكبوت مشقوقًا بالطول. وهو إذا صَادَ الذَّبَابَ يَتَبُّ عَلَيْهِ وَتَوَبَّ الْفَهْدَ.

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: إِنْ نَسَجَ العنكبوت يَقَطِّعُ نَزْفَ الدَّمِ إِذَا جُمِعَ عَلَى الجِرَاحَةِ، وَإِذَا وُضِعَ نَسْجُهَ عَلَى القُرُوحِ مَنَعَهَا أَنْ تَرِمَ وَعَلَى الجِرَاحَاتِ. وَإِذَا طُبِخَ العنكبوتُ الذى هو غليظ النَّسِجِ أَبْيَضَ بِهِ ذَنْ الوَرْدِ وَقُطِّرَ فِي الأَذْنِ سَكْنٌ وَجَعَهَا. قال: وقال بعضهم: إِنْ نَسِجَ العنكبوت إِذَا حُلِطَ بَعْضُ المَرَاهِمِ وَوُضِعَ عَلَى الجَبْهَةِ وَالصَّدْغَيْنِ أَبْرَأَ حُمَّى الغِبِّ. قال: وزعم بعضهم أَنَّ نَسِجَ الصَّنْفِ الذى يكون نسجه كثيفًا أبيض إذا شُدَّ فِي خِيْطٍ وَعُلِقَ عَلَى العنقِ والعُضْدِ أَبْرَأَ حُمَّى الغِبِّ.

وقال ابن الرومي يَصِفُ فَهْدَ العنكبوت:

أَعْجَبُ مُسْتَفَادٍ * أَفَادَنِ زَمَانِي
مِنَ الْفُهْدِ فَهْدٌ * فِي آلِاسْمِ وَالْعِيَانِ

(١) إذا أراد العنكبوت السفاد جذب الذكر بعض خيوط نسج الأنثى من الوسط، فإذا فعل ذلك

فعلت الأنثى مثله فلا يزالان يتدائبان حتى يتشابكا فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى.

(٢) كلمة «وعلى الجراحات» ليست في القانون. وهي نافية في السياق، فظهر من زيادات النسخ.

تلك ذوات أربع * وذاك ذو ثمان
 كأنما أرجله * تحالب^(١) الثغران
 سيفاه سيفاً بطل * والدرع درع جان
 مستانس ما إن بنى * والإنس في مكان^(٢)
 وصائد وهو من ال * مصيد في أمان
 ذبابه في كفه ال * طائر مثل العاني
 وليس ينبغي بدلاً * بطائر الحوان
 إذا دنا فلم يكن * بينهما عقدان
 عانقه أسرع من * نعانق الأجفان
 بخفة الوئوب بل * بجراحة الحنان
 فهو عزيز عزة * في غاية الهوان

وقال خلف الأحمر في الرثيلاء .

ابعث له يارب ذات أرجل * في قمها أجمن مثل المنجل
 دهماء مثل العنكبوت المحول * تأخذه من تحته ومن عل



وأما الجراد وما قيل فيه — فالجراد أحد جند الله الذي عذب الله به قوم فرعون ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ

(١) الثغران : جمع ثغر ، وهي فراخ العاصف ، وقيل : الليل أيضاً .

(٢) في مباحج الفكر : « من الصائد » .

(٣) الأجمن : المروج ، ويعني به الشن .

وَالضَّفَادِعَ) . والعرب تقول : سَرَّاءِ الجُرَادَةُ إِذَا بَاضَتْ . فإذا خرج من بيضه فهو "دَبِّي" ، ويخرج دوداً أصهب إلى البياض . فإذا تلوّنت فيه خطوطٌ صُفْرٌ وسُودٌ وبَيَضٌ فهو "المُسَيِّحُ" . فإذا ضَمَّ جناحيه فذاك "الْكَيْفَانُ" ؛ لأنه حينئذ يَكْتِفُ [في] المشي . فإذا ظهرت أجنحته وصار أحمر إلى الغبرة فهو "الغَوَاءُ" (١) والواحدة غَوَاءَةٌ ؛ وذلك حين يستقل فيموج بعضه في بعض ولا [لا] يتوجه إلى جهة . فإذا بدت في لونه الجرمة والصفرة واختلف في ألوانه فهو "الخَيْفَانُ" . فإذا أصفرت الذكور وأسودت الإناث سُمِّيَ حينئذ "جرّادا" .

[وهو إذا أراد أن يديص التمس لبيضه الموضع الصلدة والصخور الصلبة التي لا تعمل فيها الماعول فيصربها بذنبه فتفرج له ، ثم يلقي بيضه في ذلك الصّدع فيكون له كالأخوص ويكون حاضناً له ومرئياً (٢)] .

والجرادة لها ست أرجل : يَدَانِ في صدرها ، وقائمتان في وسطها ، ورجلان في مؤخر جسدها . وطرفا رجلها مِشَارَانِ . والجراد من الحيوان الذي ينقاد إلى رئيس [يجتمع إليه كالعسكر ، إن طَعَنَ أوله تتابع كد ظاعما ؛ وإذا نزل أوله نزل جميعه (٣)] . ولعابه سم على الأشجار ، لا يقع على شيء منها إلا أهلكه . والجرادة فيها شبه من عشرة من جِبَارَةِ الحيوان ، وهي : وجه فرس ، وعينا قمل ، وعنق ثور ، وقرنا لأميل ، وصدر أسد ، وبطن عقرب ، وحناءا نسر ، ولحدا جمل ورجلا نعام ، وذنب حية . قال شاعر (٤) :

لَهَا نَحْدَا بُكْرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ * وَقَادِمَتَا نَمِيرٍ وَجُوجُؤُ صَيْغَمٍ
حَبَّتْهَا أَفَاعِي الرَّمْلِ بَطْنًا وَأَنَعَمَتْ * عَلَيْهَا جِيَادُ الْخَلِيلِ بِالرَّأْسِ وَالْقَمِ

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) زيادة عن مباحث العكر . (٣) هو القاصي محي الدين الشهرزوري المتوفى سنة ست وثمانين وخمسة مائة . (انظر حياة الحيوان للدميري في الكلام على الجراد) .

وقال أبو علي بن سينا : أجودُّ الجراد السمينُ الذي لا جناح له ؛ وأرجلُ الجراد ثقَلُ التَّالِيلِ فيما يقال . قال : يؤخذ من مُسْتَدِيرَاتِهَا اثْنَا عَشْرَةً وتُزَع رُءُوسُهَا وَأَطْرَافُهَا ويُجْعَل معها قَلِيلُ آسِ يَابِسٍ وتُشْرَب للاسْتِسْقَاء كما هي . قال : والجراد نافع لتقطير البول ؛ وإذا مُجِّرُ بِهِ نَفَع عَصْرَهُ وَخُصُوصًا فِي النِّسَاء . وَيُبَخِّرُهُ مِنَ الْبُؤَاسِيرِ .
والذي لا أجنة له يُسَوَّى وَيُكَلَّلُ لِلْسَّعِ الْعَقْرَب .

وقال بعضُ الأعراب وذَكَرَ فسادَهُ : « بَاكَرْنَا وَبَسِي ، ثُمَّ خَلَفَهُ وَبَيَّ ؛ حَتَّى كَانَتِ الْأَرْضُ وَشْيً مُنْشُورٌ ، عَلَيْهِ لَوْلُؤٌ مُنْشُورٌ ؛ ثُمَّ أَتَيْنَا غَيُومَ جَرَادٍ ، بِمَنَاجِلِ حَدَادٍ ، فَأَنْعَرَبَتِ الْبِلَادُ ، وَأَهْلَكَتِ الْعِبَادُ . فَسَبَّحَانَ مِنْ يُهْلِكُ الْقَوِيَّ الْأَكُولَ ، بِالضَّعِيفِ الْمَاكُولِ » .

وقال العسكري يصف جرادة :

أَجْنَحَةٌ كَأَنَّهَا * أَرْدِيَّةٌ مِنْ قَصَبٍ
لَكِنَّهَا مَقْطُوعَةٌ * مِثْلَ صَدُورِ الْكُتَيْبِ
بَارِجِلٍ كَأَنَّهَا * مَنَاشِرٌ مِنْ ذَهَبٍ

وقال أيضا :

وَأَعْرَابِيَّةٌ تَرْتَادُ^(٢) زَادًا * فَتَمُرُّ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ
غَدَّتْ تَمِشِي بِمُنْشَارٍ كَلِيلٍ * تَبُوعُ بِهِ قَرَارَةٌ كُلِّ وَادٍ
وَتَنْشُرُ فِي الْهَوَاءِ رِدَاءَ شَرِي^(٤) * عَلَى أَطْرَافِهِ تُقَطُّ الْمِدَادُ

(١) الوسمي : أول المطر . والولي : المطر بعده .

(٢) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصلين : « تزداد دارا » .

(٣) باع الشيء يبيعه : أدرك غايته .

(٤) كذا في ديوان المعاني . والثري : الحنظل . وفي الأصلين : « وتنفثر في الهواء عذبات شرب » .

وقال يعلى بن إبراهيم الأندلسي :

وخيفانة صفراء مسودة ^(١) القرا * أنتك بلون أسود فوق أصفر
وأجنحة قد ألحقتها لرؤية ^(٢) * تقاصر عن أثناء بُرد محبر

وقال آخر :

جrade حنيت القلوب لها * حين أشارت بناظري ررب
صفراء جسم يشوبها رقط * في ققط من عبيرها الأشهب
كانها والجناح حلتها * رافصة في ممسك مذهب ^(٣)

ووقفت على حكاية عجيبة في أمر الجراد، نقلها ابن حلب راغب في تاريخه

في حوادث سنة اثنتين وتسعين وخمسة ، قال : قال القاضي الفاضل عبد الرحيم
البيسانى : حدثنا القاضي بهاء الدين بن شداد قاضى حلب في يوم الثلاثاء من عشر
[شهر] ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسة ، وقدم علينا في صفر منها ، قال : كان
الجراد بالشام قد زاد أمره وعظم خطبه وأحلت السنة بعد السنة ولم يسلم من الزرع
إلا أقله ، فأعلم الملك الظاهر غازى صاحب حلب عن طائر يسمى "السمندل" ^(٥) ،

(١) القرا : الظهر . (٢) كذا في الأصلين . وفي مباحج الفكر : « كدية » .

والردية : اسم من الارتداء . ولعله « ألحقتها كدية » من ألحقه الخاف : ألسه إياه .

(٣) كذا في مباحج الفكر ، وقد وردت هذه الكلمة مجرمة في الأصلين .

(٤) لم نجد في كشف الطنون فيمن ألفوا في التاريخ هذا الاسم .

(٥) هو أبو الفتح غازى الملقب بالملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . كان

ملكا مهيبا حازما متيقلا ، كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك ، عال الهمة ، حسن التدبير

والسياسة ، باسط العدل ، محبا للعلماء ، محيرا للشعراء ، أعطاه والده مملكة حلب في سنة ٥٨٢ هـ بعد أن

كانت لعنه الملك العادل قتل عنها وتعرض غيرها . ولد بالقاهرة في منتصف رمضان سنة ٥٦٨ هـ وهي

السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية ، وتوفي بقلعة حلب في جمادى الآخرة سنة ٦١٣ هـ

(راجع تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٥٧٢ طبع بولاق) .

- إذا ظهر الجرادُ ببلادٍ أُحْضِرَ إليها ماءٌ من مكانٍ مخصوصٍ فتبعه ذلك الطائرُ ووقع على الجرادِ فألتففه وأستخرج بيضَه من الترابِ ونظَّفَ البلادَ منه . قال : فندب ثلاثة نفرٍ من العجم ذوى قُوَّةٍ فى أبدانهم وصَبَرٍ على مشقَّةِ المَشْيِ فى أسفارهم ، وأزاح عِلَّتْهم بنفقةٍ وسَمَّعَها عليهم ، وساروا على خُوَزِسْتَانَ ، واستندلوا على الضَّبِيعَةِ التى هى من عملها وفيها هذا الماءُ ، فوصلوا إليها وحملوا من الماءِ ، ووجدوا هذه العين على وجه الأرض لا تبلغ إلى أن تَفِيضَ فتسبح ولا إلى أن تَفِيضَ فتُسْتَقَى . ومن تدبير هذا الماءِ إلى أن يَمَّ به المرادُ أن يَحْمِلَه الماشى ولا يركبُ ، وإذا نزل بمنزلةٍ علَّقه ولا يضعه على الأرض ؛ وكان الملك الظاهر قد سَيرَ معهم دوابَّ يركبُها من لم يحمل الماءَ بالتَّوْبَةِ ويمشى من يحمله ؛ ومن عادة من يحمله ألا ينفردَ بنفسه وألا يسيرَ إلَّا فى قافلةٍ وأن يُعلم أهلُها بما معه ويُشهِدَهم أنه ما ركبَ ظهرَ دابةٍ فى حالِ حملِه ، وأنه مشى والماءُ فى إنائه فى يده ؛ وكَتَبَا وصَلَّتْ قافلةٌ إلى بلدٍ أذى شهودُ القافلة ما شَهِدوا به عند الحاكم ؛ ويتَنَجَّزُ حاملُ الماءِ كَتَبًا حُكْمِيَّةً من قُضاةِ البلادِ فى أمرِ الماءِ بصحَّةِ نسبه وكيفيةِ حَمَلِهِ . قال : ولم يزالوا على ذلك إلى أن وصلوا إلى حلب ، فُعُلِّقَ ذلك الماءُ ووصل ذلك الطائرُ فى جمعٍ بجمع الجرادِ وأكثُر ، وهو يشبه السَّمَانِيَّ فى قَدْرِهِ ولونِهِ ، ووقع على الجرادِ فألتففه وأستأصله . قيل : إنَّه كان يأكل الجرادَةَ والثنتين والثلاث والأربع فى دَفْعَةٍ ويرمىها فى الحال من بطنه ، وإنَّه يتتبع مكانَ بيضه فى الأرض فيبحث عنه بمناقيره وأحرجه ، حتى صارت الأرض كالغُرْبَالِ من أثرِ نقره ، وإنَّ الجرادَ أرتفع من الشام وكُشِفَتْ به البلوى . قال : وأمرُ هذا الماءِ مشهورٌ معلومٌ مستفيضٌ .



وأما دود القز وما قيل فيه — ودود القز وإن لم يكن من الهمج الذى له جناح ، فمأل أمره أن يصير له جناح ؛ ولذلك أوردناه فى هذا الباب والحقناه بهذا النوع .

ودود القز أول ما يكون زراً فى قدر حب التين ، وهو البيض الذى يتكون فيه الدود . ويكون خروجه منه فى أول فصل الربيع . ويخرج أصغر من الذر ، وفى لونه . وإذا تأخر خروجه وضعه النساء تحت ثديين فى صرر . فإذا خرج غدى بورق التوت . ويأخذ فى النمو إلى أن تصير الدودة منه فى قدر الإصبع ويتقل من السواد إلى البياض [أولاً فأولاً] ^(١) ، وذلك فى مدة ستين يوماً فما دونها . وله فى غضون هذه المدة ثومات لا يأكل فيها شيئاً آلبنة ، كل نومة يومان ، فإذا استيقظ أكل أضعاف ما كان يأكل قبل النوم . فإذا أكل المدة امتلأ حرياً فلا يبق فيه مساع لما كل ، فيقطع الأكل عند ذلك ويهيج للنسج ؛ فأى شيء تعلق به نسج عليه . وهو ينسج على نفسه بما يخرج من فيه إلى أن يخرج ^(٢) ما فى جوفه ، وهو أرق من العنكبوت ، ويكمل عليه ما ينيه ، فيكون كهيئة اللوزة ^(٣) . ويبقى محبوساً فى غزله قريباً من عشرين يوماً ، ثم يتقب عن نفسه ويخرج فراشاً أبيض ذا جناحين لا يسكنان عن الاضطراب وقرنين وعينين . وهو إذا تقب عن نفسه وخرج لا يتنفع من نسجه بحري لأنه يقطع طاقاته . وعند خروجه

(١) زيادة عن مباح الفكر وحياة الحيوان للدميرى .

(٢) كذا بالأصلين . ولعله يرد : « من نسج العنكبوت » .

(٣) فى مباح الفكر وحياة الحيوان : « اللوزة » .

يهيج للسفاد فيُلصق الذكْر ذنبه بذنب الأُنثى ويلتجان ساعة زمانية ثم يفترقان ،
وتثر الأُنثى البُزْر على الصفة التي ذكرناها على نَحْرِ بِيص تكون قد فُرِشت له .
فإذا نَفِدت ما فيهما من السفاد والبُزْر ماتا . هذا إذا أريد من الدود البُزْر . وإذا
أريد منه الحرير تُرِكَ ذلك النسيج في الشمس بعض يوم فيموت .

• وقد جعله بعض الشعراء مثلاً للحريص على جمع المال ، فقال :

يُفْنِي الحريصُ لجمع المال مُدَّتَهُ * وللحوادث والأوراث ما يَدْعُ
كدودة القَزْمَا تَبْنِيهِ يُهْلِكُهَا * وغيرها بالذي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

وهو كثير العوارض . وأكثر ما يعرض له الفساد إذا اطعم ورق الثُوت
الحامض . وبهلك من صوت الرعد وضرب الطُّسْتِ والمَآوُنِ ، ومن رائحة الخَلِّ
والدُّخان . وكثرة الحُرْطُلِكه وتُذْيِبه ؛ وكذلك البُرْدُ الشديدُ فإنه يبطئ به . ويؤذيه
١٠ مَسُّ الجُنْبِ والحائض ، ويُخَشِّي عليه من الفأر والمصفور والنمل والْوَزَغ .



وأما الذُّبَابُ . وما قيل فيه — فقد ضرب الله عَرَضَ وَجَلٍّ به المثل فقال
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
١٥ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . فهذا مثلُ ضَرْبِهِ اللهُ تَعَالَى لضعف الناس وعجزهم عن الإتيان
بمخلوق . وجاء في الحديث : ”إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ فِي طَعَامِ أَحَدِكُمْ أَوْ شَرَاهُ فَلْيَغْمِسْهُ
فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الْآخَرِ شِفَاءٌ“ . ويقال : إنه يَغْمِسُ جناحَ الداء ويرفعُ
جناحَ الشفاء ، فهذا نُذْبٌ إلى غَمْسِهِ . والعرب تجعل النحل والفَرَّاشَ والدَّبْرَ من
الذُّبَابِ .

قال الجاحظ : "والذبابُ ضروبٌ سوى ما ذكروا من القَرَّاش والنحل والزَّناير" ؛ فمنها الشَّعْرَاءُ . قال الرازي :
* ذبابٌ شَعْرَاءُ ونبتٌ مائلٌ *

وللكلاب ذبابٌ على حدة يتخلق منها فلا يريد سواها . ومنها ذباب الكَلَّاء والزَّيَّاض ؛ وكلُّ نوع منها يألف ما خلُق منه .

ومنها الذباب الذى يقتل الإبل وهو أزرق . والذباب الذى يسقط على الدواب وهو أصفر . ويقال : إن الذباب يكثر إذا هاجت ريحُ الجنوب وأنه يُخلق فى تلك الساعة ؛ وإذا هبت ريحُ الشمال خَفَّ وتلاشى . وهو من ذوات الخراطيم ، وكذلك البعوض . ويقال : إن الذباب لا يُعمر أكثر من أربعين يوما .

قال الجاحظ : "وليس بعد أرض الهند أكثرُ ذباباً من واسط ، وربما رأيت الحائطَ وكأنَّ عليه مسحاً شديد السواد من كثرة [ما عليه من]" الذباب .

ويقال : إن اللَّبَنَ إذا ضُرِبَ بالكُنْدَسِ^(٧) ونُضِجَ به بيتٌ لم يدخله ذُبابٌ . ومن عجيب أمر الذباب أنه يلقي رجيعة على الشيء الأبيض أسود وعلى الأسود

(١) كذا فى الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع مصر، لوحة ١٤٣ من السعة الفوتوغرافية) .
وفى الأصلين : « سوى ذلك » .

(٢) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « ذباب الشعراء » .

(٣) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « قال الشاعر » .

(٤) كذا فى النسخة الفوتوغرافية من الحيوان للجاحظ . وفى النسخة المطبوعة : « وبيت مادل » .
وفى الأصلين : « ونبت مادل » بالبدال المهملة .

(٥) واسط : بلد متوسط بين البصرة والكوفة بناها الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٦) زيادة عن الحيوان للجاحظ .

(٧) الكندس : الخرشف البستاني ، وهو عرق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

أبيض . ويقال : إنه لا يظهر إلّا في مواضع العفونات والقادورات ، ومبتدأ خلقه منها ، ثم يكون من السّفاد .

قال الجاحظ : ويقال : إنّ الذّباب لا يقرب قدراً فيه كمأة .

والذّباب بطيء في سفاده ، وربما بقي الذّكر على ظهر الأنثى تامّة النهار ؛ فهو يتجاوز في ذلك البعير والخنزير . وهو من الحيوان الشمسيّ لأنه يخفى في الشتاء ويظهر في الصيف . وللذّباب يدان زائدتان في مقدّم يديه يتّقي بهما الأذى عن عينيه فإنهما بغير أجفان .

والعرب تضرب به المثل في الزهو فتقول : « أزهى من ذباب » . قالوا : لأنّه يسقط على أنف الملك الجبار وعلى موق عينيه ويطرده فلا ينطرد . ويضرب به المثل في القدر واستطابة النتن . فإذا عجز الذّباب عن شمّ شيء فلا شيء أتن منه .

وقال ابن عبّاد في محمد بن حسان بن سعد ورماه بالبحر :

وما يدينو إلى فيه ذبابٌ * ولو طليت مشافره قنيد^(٢)
يرين حلاوة ويخفن موتاً * دُعافاً إن هممن له بورد

ويقال لكلّ أبحر : أبو ذبّان ؛ وكانت من كُنّى عبد الملك بن مروان .

وقد وصف الشعراء الذّباب ؛ فمن ذلك قول عنترة :

جادت عليها كلّ عين ثرة * فتركن كلّ حديقة كالدرهم^(٣)
فترى الذّباب بها يغنى وحده * هزّ جاكفعل الشارب المتّرمّ
غير دأ يحسك ذراعه بذراعه * فعمل المكبّ على الزناد الأجدم

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين « من » .

(٢) القند (بالفتح) : غسل تصب السكر .

(٣) ويرى « كل قرارة » (انظر اللسان مادتي « ثروحدق » .

وقال العسكري وجمع بين البراغيث والبُعوض والدُّباب :
وبدا ففتاني البعوضُ تَطْرُبًا * فَهَرَقْتُ كَأَسِّ النُّومِ إِذْ غَنَانِي
ثُمَّ أَنْبَرَى الْبُرُغُوثُ يَنْقُطُ أَضْلَعِي * نَقَطَ الْمَعْلَمُ مُشَكِّلَ الْقِرَانِ
حَتَّى إِذَا كَشَفَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهُ * قَرَأْتُ لِي الدُّبَابُ بِالْأَلْحَانِ



وَأَمَّا الْبُعُوضُ وَمَا قِيلَ فِيهِ — وَالْبُعُوضُ صِنْفَانِ : صِنْفٌ يُسَمَّى الْقُرَادَ ،
لَكِنْ أَرْجُلُهُ خَفِيَّةٌ وَرَطُوبَتُهُ ظَاهِرَةٌ ، يُسَمَّى بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ "الْجُرْجَسُ"
وَالْمَسَافِسُ" ، وَبِمِصْرَ "الْبَقَّ" . وَيَسْمُ رَائِحَةَ الْإِنْسَانِ وَيَتَعَلَّقُ بِهِ . وَلَهُ لَسَعٌ شَدِيدٌ .
وَلَدِمِهِ إِذَا قُتِلَ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ . وَيَقَالُ : لَمَّا يَتَوَلَّدُ مِنَ النَّفْسِ الْحَازِ [وَلَشَدَّةٍ رَغْبَتِهِ
فِي الْإِنْسَانِ لَا يَخَالُكَ إِذَا شَمَّ رَائِحَتَهُ ، فَإِذَا كَانَ فِي السَّقْفِ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلَيْهِ فَلَا يَخْطِئُهُ] .
وَهَذَا الصِّنْفُ لَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ . وَالصِّنْفُ الثَّانِي طَائِرٌ وَيُسَمَّى أَهْلُ الْعِرَاقِ "الْبَقَّ"
وَالْبُعُوضُ" . وَيُسَمَّى أَهْلُ مِصْرَ "النَّامُوسَ" . وَهُوَ يَتَوَلَّدُ مِنَ الْمَاءِ الرَّائِدِ ،
إِذَا صَارَ الْمَاءُ رَقْرَقًا اسْتَحَالَ دَعَامِيصُ^(٢) ، ثُمَّ تَسْتَحِيلُ الدَّعَامِيصُ فَرَاشًا . وَالْبُعُوضُ
فِي خِلْقَةِ الْفِيلِ إِلَّا أَنَّهُ أَكْثَرُ مِنْهُ أَعْضَاءٌ ، فَإِنَّ لِلْفِيلِ أَرْبَعَ أَرْجُلٍ وَخُرْطُومًا وَذَنْبًا ،
وَلَهُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ يَدَانِ زَائِدَتَانِ وَأَرْبَعَةُ أَجْنَحَةٍ . وَخُرْطُومُ الْبُعُوضِ [أَجُوفٌ]
نَافِذٌ لِنَحْرِقَ ، فَإِذَا طَعَنَ بِهِ جِلْدَ الْإِنْسَانِ اسْتَقَى بِهِ الدَّمَ وَقَذَفَ بِهِ إِلَى جَوْفِهِ . وَفِيهِ
مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَمْتَصَّ مِنْ دَمِ الْإِنْسَانِ إِلَى أَنْ يَنْشَقَّ وَيَمُوتَ ، أَوْ يَمْتَصَّ إِلَى أَنْ يَمِيزَ
عَنِ الطَّيْرِ . وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ أَنَّهُ رَجَمًا قَتَلَ الْبَعِيرَ وَغَيْرَهُ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ ، فَيَبْقَى

(١) زيادة عن مباح الفكر .

(٢) الدعاميص : جمع واحد دعومص ، وهو دودة سوداء تكون في الفدران إذا نشأت .

طريحا في الصحراء فيجتمع حوله السباع والطير التي تأكل الجيف، فمن أكل منها منه مات لوقته في موضعه . ويقال : إن بعض جبابرة الولاة بالعراق كان يقتل بالبعوض ، فيأمر بمن يريد قتله أن يُجَرَّد من ثيابه ويُربط ويُخرج إلى بعض الآجام التي بالبطائح فيوجد في أسرع وقت عظاما عارية من جلد ولحم .

وقال الجاحظ : بعوض البطائح بكجرات الأهواز وعقارب شهرزور . وربما ظفر بالسكان النائم فلا يبقى فيه إلا العظام العارية .

وقد أكثر الشعراء في وصف البعوض ؛ فمن ذلك قول فرج بن خلف الأندلسي :

بعوض جعلني دمي قهوة * وغنيته بصنوف الأغاني^(٢)
كأن عروقي أوتارهن * وجسمي الرباب وهن القيان^(٣)

(١١٥)

وقال آخر :

إذا البعوض زجلت أصواتها * وأخذ الحسن مغنياتها
لم تطرب السامع خافضاتها * وأزق العينين رافعاتها
صغيرة أذاتها * تنفص عن بنيتها بغاتها
ولا يصيب أبدا رماثها * راحمة خرطومها قناتها

وقال أبو هلال العسكري :

غناء يسخن العين * وينفي فراح القلب
ولا يأتي على الزمري * ولا يحري مع الضرب
غناء البق بالليل * ينافي طرب الشرب

(١) الجزارات ، جمع جرارة : صغير صفراء على شكل الذبابة يجهز ذنبا .

(٢) في الأصلين : « الأغاني » بإياء .

(٣) في مباحث الفكر : « البيان » .

إذا ما طَرَقَ المَرَّةَ * جرى في طَلْقِ الكَرِبِ
إذا ما نَقَبَ الجِلْدَ * عَ أَخْفَى أَثَرَ النَّقَبِ
سوى مُحْسِرِ خَفِيَّاتٍ * تُحَايِ نُقْطَ الكُتُبِ



٥ وأما البراغيث وما قيل فيها — والبرغوث أسودُّ أحَدُبٌ . وهو من

الحيوان الذي لا يَمْشِي ؛ وإنما أوردناه مع ذى الجَنَاحِ لأنه ذو وَثْبٍ لا يَقْصُرُ عن
الطيران ؛ ومنه أيضا ما يَمْشِي ولا يَثْبُ . وقالوا : إنه يُطِيلُ السَّفَادَ ، ويبيض
وَيُفَرِّخُ . وأصلُه متولَّدٌ من التراب في المواضع المظلمة . وهو يكثرُ ويستطيل
ويؤذي في أواخر الشتاء وفصل الربيع . وإذا أشتدَّ عليه الحرُّ هلك .

١٠ ومن جناس الكلام فيه قولهم : أذى البراغيث إذا ألبرى غيث . يَعْنُونَ بِالْبَرَى
التراب إذا نزل عليه المطر .

والبرغوث يَكُنُّ بالنهار ويظهر بالليل . ويشتدُّ أذاه للإنسان إذا أخذ مضجعه .
وهو يطول بُتُّهُ بمصر ؛ ولا يُوجد في البلاد الحارة مثل صعيد مصر ولا في البلاد
الشديدة البرد .

١٥ وقد أكثر الشعراء في وصف البراغيث وأفعالها ؛ فمن ذلك قول أبي الرِّمَّاح
الأسديّ وكان قد سكن مصر :

تَطَاوَلَ بِالْفُسْطَاطِ لَيْلِي وَلَمْ أَكُنْ * يَحْنُو النَّصَى لَيْلَى عَلَى يَطُولُ
يُورِقُنِي حُذْبٌ صَفَارٌ أَذِلَّةٌ * وَإِنِ الَّذِي يُوقِظُنِي لَذَلِيلُ
إِذَا مَا قَتَلْنَاهُنَّ أَضْعَفْنَ كَثَرَةً * عَلَيْنَا وَلَا يُنْصَى لَهُنَّ قَتِيلُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً * وَلَيْسَ لِبَرْغُوثٍ إِلَى سَبِيلُ

وقال العسكري من أبيات :

ومن براغيث تنبني النوم عن بصرى * كأن جفني عن عيني قصيران
يطلبن متى ثارا لست أعرفه * إلا عداوة سودان لبيسان
وقال أبو [الحسن أحمد بن] أيوب البصري المعروف بالناهي :

لا أعدل الليل في تطاوله * لو كان يدري ما نحن فيه نقص
لى في البراغيث والبعوض إذا * يلحفنا حندس الظلام قصص
إذا تقنى بعوضه طرباً * ساعد برغوته الغنا فرقص

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصهباني :

بات البراغيث في الفراش معي * تقسني قسمة المواريث
أكلني بعد ما شرب دمي * فمن مغيثي من البراغيث

وقال أيضا فيها :



إن البراغيث إذا ساورت * من كنها ترقص أو تقرص
وكما غنت بعوض لها * فهي على شرب دمي أحرص
تقفز من ثم إلى هاهنا * كأنها زنجية ترقص

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدينوري :

وحش القوائم حذب الظهور * طرقت فراشي على غيرة
ويتقطنني بخراطيمهن * كنقط المصاحف بالخمرة

وقال ابن المعتز :

وبراغيث إن ظفرك يجسمي * حلت في كل موضع منه خلا

(١) في الأصلين : « أبو أيوب النصري » . والتصحيح والزيادة عن نيفة الدهر :



وأما الحرقوص وما قيل فيه — فقد ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان فقال : وزعموا أنه دويبة أكبر من البرغوث ، وأكثر ما يَنبُت لها جناحان بعد حين . وعَصَةُ الحرقوص أشدُّ من عَصَةِ البرغوث . قالوا : والحرقوص يُسمَّى النِّهْيَك . وأكثر ما يَمُصُّ أَرْحَاحَ النساءِ وخُصَى الرجال . قال أعرابي وقد عَصَّ الحرقوصُ خصيتيه :

لقد منع الحَرَاقِصُ القَرَارَا * فلا لَيْلًا نَقِزَ ولا نَهَارَا
يُنَالِبِنَ الرِّجَالَ عَلَى خُصَاهُم * وفي الْأَخْرَاجِ دَسًا وَأَنْجَحَارَا

وقالت امرأة تشير إلى زوجها :

يَغَارُ مِنَ الحَرْقُوصِ إِنْ عَصَّ عَصَةً * بِفَحْدَيَّ مِنْهَا مَا يَمِجُّ غُيُورُ^(١)
لقد وَقَعَ الحرقوصُ مِنِّي مَوْقِعًا * أرى لَذَّةَ الدُّنْيَا إِلَيْهِ تَصِيرُ

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصلين .

الباب السابع من القسم الخامس من الفن الثالث في أنواع الأسماك

قال ابن أبي الأشعث : السمك يَسْتَنَشِقُ الْمَاءَ بأصدائه فيقوم له مقام الهواء للإنسان . والسمك كله شَرٌّ كثير الأكل ، وحاسة السمع والشم فيه أقوى منها في الإنسان . وأستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها . وحاسة البصر فيه ليست كالسمع والشم وإنما أضعف . ولسانه غليظ قصير شبيه باللسان وليس لسانا . وله أضرار ليست للضغ عليها وإنما لقتل ما يفترسه من حيوان الماء ، ويُفْرِغ فيه سُماً يكون سببا لقتله . وصغار السمك تحترز من بكاره بأن تطلب الماء القليل الذي لا يحمل الكبار .

- ١٠ وأختلف الناس في سِفاد السمك ، فالأكثر على أنه يسفد مثل الحية . وقال الجاحظ : وفي السمك القواطع والأوابد كالطير . ومن أصناف السمك ما هو في شكل الحيات . قال : وهي إما أن تكون كانت بَرِّيَّة أو جَلْبِيَّة فأكتسحتها السيول وألقتها في الماء الدائم فتوالدت فيه ، وإما أن تكون أمهاتها وآباؤها من دواب الماء .

- ١٥ وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في الأدوية المفردة : أفضل السمك في جثته ما كان ليس بكبير جدا ولا صلب اللحم ولا يابس ، لا دُسومة فيه كأنه يتفتت ، والذي لا مخاطية ولا سُهوكة فيه وطعمه لذيق ، فإن اللذيق مناسب ، وما هو دَسِمٌ دُسومة غير مُفَرطية ولا غليظة ولا شحمية ولا حريفة ، والذي لا يُسْرِع إليه التثَن إذا فُصل عن الماء . ويُختار من السمك الصُّلب اللحم ما هو أصغر ، ومن الرخيص

اللحم ما هو أكبر إلى حد ما . وصُلِبَ اللحم مملوحاً خيراً منه طرياً . وأما في الأجناس
فالشبَّابيطُ أفضلها ، ثم البني ، والبياحُ البحرى لا بأس به . وأما في ماواه فالذى
ياوى الأماكِنَ الصخرية ثم الرملية والمياه العذبة الجارية التى لا قَدْر فيها ولا سخاء
وليسَت بِطَيِّحة ولا نَزِيَّة ولا من البحيرات الصغار التى لا تَسْقِيها الأنهار ولا فيها
عيونٌ . قال : والسَمَكُ البحرى محمودٌ لطيف ؛ وأفضلُ أصنافه الذى لا يكون
إلا فى البحر والمِلْحة . والذى ياوى ماءً مكشوفاً ترفرفُ الرياحُ عليه أجودُ من الذى
بخلافه . والذى ياوى ماءً كثير الاضطراب والتموج أجودُ من الذى ياوى الماءَ
الراكِدَ . والسَمَكُ البحرى لطيف اللحم لا سيما إذا كان ماواه فى الشطوط صحراً
أورملاً ؛ والذى يصير من البحر الى أنهارٍ عذبة يعارض حِرْيَةَ الماء بالطبع لطيفٌ
كثيرُ الرياضة .

(١٤٧)

وأما غِذاؤه ، فالذى يقتذى بالحشيش وأصولِ النبات خيراً من الذى يَتَغَذَى
الاقْتِدَارَ التى تطرح من البلاد إلى المستنقعات . وأفضلُ ما يؤكل السمك اسفيداجا
ثم المشوى على الطابق . وأما المَقْلَى فيصلحُ لأصحاب المِعَدِ القوية ومعه الأباذير .
والمشوى أغذى وأبطأ نزولاً ، والمطبوخُ بالصد . وأفضلُ طبيخه أن يُطَبِّخَ الماءَ
حتى يَبْقَى ثم يُلْقَى فيه .

(١) ضبطه فى القاموس ككتاب وتخان .

(٢) كذا فى قانون ابن سينا . وفى الأصلين : « مياهه » .

(٣) الطبيعية : نسبة الى البطيحة وهى الماء المستنقع .

(٤) الاسفيداج : نوع من طعام السمك . (راجع طريقة صنعه فى كتاب الأطعمة النسخة

الفونوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢ علوم معاشية) .

(٥) الأباذير : التوابل التى منها الكسبرة والمصطكا والفلفل والدارسينى والكرارى والزنجبيل

وزر الورد .

وأما المالح، فغيره ما كان طرياً قريب العهد بالتليح . وأحمد المَقْمُورُ ^(١) بالخلل والتَّوَالِيل .

وأما طبعه ، فجميع السمك باردٌ رطبٌ ، لكن بعضه أسخنٌ بالقياس إلى مزاج السمك مثل الكُوجِج ^(٢) والمارماهيح ^(٣) .

وأما أفعاله وخواصه ، فالطَّيرِيّ منه يوَلِّدُ البلغمَ المائيَّ مُرْجٍ للأعصاب ، غير موافقٍ إلا لَلْعِدَّةِ الحَاظِرَةِ جداً . قال : وَجِلْدُ السمك المعروف «بَسْفِيَانُوس» ^(٤) في ناحية بيت المقدس إن دُرِّمَ أَدْ جِلْدِهِ في عيون المواشي أَذْهَبَ بِيَاضَهَا . والمالح من أصناف السمك يُخْرِجُ السَّلاءَ ^(٦) مِنَ الْمَنَاشِبِ ^(٧) . قال : ورأس «سَمَارِيس» ^(٨) مُحَرَّقاً يَقْلَعُ اللَّحْمَ

(١) المَقْمُورُ : المنقوع .

(٢) الكوجج : نوع من السمك له خرطوم كاللشاريترس ، وهو في الماء شَرٌّ مِنَ الْأَسَدِ في البر .
والحيوانات البحرية تمر منه .

(٣) المارماهيح : هو السليناج المعروف بالنون ، وهو حوت طويل .

(٤) كذا في القانون طبع بولاق . وفي الأصلين : «بَسْفِيَانُوس» .

(٥) كذا في القانون . وفي الأصلين : «عق» ، وهو تحريف .

(٦) السلاء : شوك النحل ، الواحدة سلاءة . وذلك أنه إذا تضمد بلغم السمك المالح وخصوصاً «الجرى» منه أُنْجِرَ السلاء من عمق البدن . ويقال : إن لحم «الجرى» قوة قوة جاذبة ، فإذا قُدِّد ودق ووضع من خارج أُنْجِرَ السلاء كما أنه يخرج النصول والزجاج . (راجع مفردات ابن البيطار في اسم «جرى») . وفي الأصلين : «السل» وهي لفة عامة مصر في السلاء .

(٧) المناشب : جمع مشب ، وهو اسم مكان من الشوب .

(٨) وردت هذه الكلمة في الأصلين هنا : «سمارس» ، وفيأى : «سماريوس» . وقد أثبتناها كما وردت في مفردات ابن البيطار (طبع مصر سنة ١٢٩١ هـ) . ووردت في آاب القانون لابن سينا : «سمارييس» و «سماريوس» في أكو من موضع .

الزائد في القروح ويمنع سَعَتًا وَيَقْلَعُ التَّالِيلَ وَالْيُوثَ ^(١) . وماء السمك المالح ينفع من القروح العَفِنَةِ وَيَغْسِلُهَا . قال : وإذا أَحْتَقِنَ ^(٢) بِسُلَاقَةِ الْمَالِحِ مَرَارًا نَفَعَ مِنْ وَجَعِ الْوَرِكِ . وَالسَّمَكُ الصِّغَارُ الَّذِي تَسْمِيهِ أَهْلُ الشَّامِ وَمِصْرَ «الصَّبِرَ» إِذَا تَمَضَّمُضَ صَاحِبُ الْقَلَاعِ الْخَبِيثِ بِالْمُزَيِّ ^(٣) الَّذِي يُتَّخَذُ مِنْهُ نَفْعُهُ . وَ«الرَّعَادُ» الْحَيَّ إِذَا قُرَّبَ مِنْ رَأْسِ الْمَصْدُوعِ أَخَذَرَهُ [عَنِ الْحَسِّ بِالْصَّدَاعِ] ^(٤) . قال : وَجِلْدُ «سِفْيَانُوسَ» تُحَكُّ بِهِ الْأَجْفَانُ الْجُرْبَةُ فَيَنْفَعُ ، وَجِلْدُهُ الْمُحَرَّقُ أَيْضًا يَدْخُلُ فِي أَدْوِيَةِ الْعَيْنِ ، وَيُذْهِبُ الْإِكْتِحَالُ بِهِ مَعَ الْمِلْحِ الظَّفَرَةِ ، وَأَكْلُهُ مَقْلِيًا يُوْرِثُ غِشَاوَةَ الْعَيْنِ بِلِ جَمِيعِ السَّمَكِ ، وَرَوْسُ

(١) التَّالِيلُ : جمع ثُولُول . قال العلامة السمرقدي : هي بنور صغيرة شديدة الصلابة مستديرة ، وهي على ضروب شتى فمنها منكوسة ، ومنها متشقة ذات شطايا ، ومنها مسمارية وهي عليفة الرؤوس مستديرة الأصول تأخذ إلى داخل العنق وكأنها مسمار (ع) قاموس الأطباء للقيصوني المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٣٢ طبع) . (٢) وردت هذه الكلمة في الأصلين غير واضحة الإيجام . وقد أعجمناها كما وردت في مفردات ابن البيطار . ونص عبارته : «... سمائيس وهو صنف من السمك رأس المملوح منه إذا أحرق قطع اللحم الزائد في القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسعى في البدن ، ويقلع التاليل التي يقال لها أبلو واللحم الزائد في الأبدان الذي يقال له باليونانية يوموت وتسميه الأطباء بالعربية اليوث ... » . (٣) كذا في القانون . وفي ١ : «أهل مصر الخ» . وفي ب : «أهل الشام الخ» .

(٤) القلاع (كفراب) : قرحة تكون في جلد اللحم واللسان مع انتشار واتساع ، وتعرض للصبيان كثيرا الرداءة اللبن أو لسوء انفضاضه في المعدة . (ع) قاموس الأطباء للقيصوني) .

(٥) في مفردات ابن البيطار : «المرى المعمول من السمك المالح واللحم الجاف إذا صب على القروح الخبيثة منعها أن تسعى في البدن ويرى غضة الكلب الكلب ويحقن به لقرحة الأمعاء لكونها» .

(٦) زيادة عن القانون . (٧) في القانون : «وينذيب» .

(٨) الظفرة (بالتحريك) : جلدية تنبت عند المآقي وقد تمتد إلى السواد فتغشيها وكذا في كتب الألفه .

وفي كتب الأطباء : الظفرة زيادة من الملتحمة أو من الحجاب المحيط بالعين يتدنى في الأكثر من المآقي الإنسي ، وهي ثلاثة أنواع : نوع منها عشاى رقيق يتدنى من جوانب الملتحمة . والثاني يتدنى من لحة المآقي وينسب إلى أن يلحق حد السواد فيقف هناك و يفلط . والثالث يغشى فيصير بالبصر بل يبطله البتة (ع) قاموس الأطباء للقيصوني) .

(٩) كذا في القانون . وفي الأصلين هكذا : «وأكل طر يفلأ» ، وهو منحرف .

- السّمَكَاتِ الْمَمْلُوحَةِ الْمَجْفُفَةِ تَنْفَعُ اللَّهَاءُ الْوَارِمَةُ ، وَعِلَاجٌ جَيِّدٌ مِنْ شُقَاقِ الْمُقْعَدَةِ .^(٢)
 وَغِرَاءُ السَّمَكِ يُلْقَى فِي الْأَحْسَاءِ فَيَنْفَعُ نَفْتَ الدِّم . قَالَ : وَخَوْصَلَةُ سِيْفَيَانُوسَ تَلْكَيْنِ
 الْبَطْنَ مَعَ صَعُوبَةِ انْهَضَامِهَا . قَالَ : وَرَأْسُ الْمَالِحِ [مِنْ] سِمَارِيسَ مُحَرَّقًا يُجْعَلُ
 عَلَى عَضَةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ وَلَسْعَةِ الْعَقْرَبِ فَيَنْفَعُ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ سِمَكِيَّةٍ . وَمَرْقَةُ
 كُلِّ سِمَكٍ تَنْفَعُ مِنَ السَّمُومِ الْمَشْرُوبَةِ وَالنُّهُوشِ . قَالَ : [وَالسَّمَكُ يَنْفَعُ مِنْ عُسْرِ^(٣)
 النَّفْسِ وَالرَّبْوِ وَالْيَرْقَانِ وَيَسْهَلُ الْبَلْغَمَ وَيَنْفَعُ مِنْ خُنَاقِ الرَّحِمِ] .

وقد وصف الشعراء السمك في أشعارها ؛ فمن ذلك قول ابن الرومي يخاطب
 رئيساً ويستدعي منه سمكاً :^(٥)

- عَسَرَتْ عَلَيْنَا دَعْوَةُ السَّمَكِ * أُنَى وَجُودِكَ ضَامِنِ الدَّرَكِ^(٦)
 ١٠ اِعْلَمْ وَوَقَّيتَ الْجَهْلَ أَنْكَ فِي * قَصْرِ تَلْتَهَ مَطَارِحُ الشَّبَكِ
 وَبَنَاتِ دِجْلَةٍ فِي فَنَائِكُمْ * مَأْسُورَةٌ فِي كُلِّ مُعْتَرَكِ^(٧)

(١) اللّهُاءُ : اللّهُمة المشرقة على الخلق . وقيل : هي لُحمة حمراء في الحنك معلقة على عككة اللسان ،
 ومغمغمة تدرج الهواء لئلا يقرع برده الزرّة بلحاة وتنتع الدخان والغبار وتكون مقرعة للصوت يقوى بها
 ويعظم كأنها باب موصد .

- (٢) كذا في القانون . وفي الأصلين : « المعدة » ، وهو تحريف .
 (٣) التكلّة عن القانون .

(٤) هذه العبارة المحصورة بين مربعين ذكرها المؤلف ضمن منافع السمك ونسبها لابن سينا . وقد راجعنا
 ما قاله ابن سينا عن السمك فلم نجد لها فيه بل ذكرها أثناء كلامه على « سفيدوليون » أو « سفندوليون »
 كما قال ابن البيطار في مفرداته وهو اسم نبات .

- (٥) هو ابن أبي بشر المرندي ، كان في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩١ أدب .
 (٦) كذا في ديوانه وبماج الفكر . وفي الأصلين : « عودة » وهو تحريف .

(٧) قال النعماني في نهار القلوب (ص ٢٢٠ طبع مصر) : وجعل ابن الرومي السمك بنات دجلة
 واستشهد بهذا البيت .

(١) يَبْضُ كَأَمْثَالِ السَّبَائِكِ بَلْ * مَسْحُونَةٌ بِالشَّحْمِ كَالْمَكِّ
حَسَنَتْ مَنَاطِرُهَا وَسَاعَدَهَا * طَعِمَ كُلَّ مَعَاقِدِ الشَّكِّ
فَلْيَصْطِدِ الصَّيَادُ حَاجَتَنَا * يَصْطَدُّ مَوَدَّتَنَا بِلَا شَرِّكَ

وقال أبو الفتح كشاجم :

ومعجوبة بالماء عن كل ناظر * ولكنها في حجبها تُخْطَفُ
أخذنا عليهم السبيل بأعين * رَوَّاحِدٌ إِلَّا أَنَهَا لَيْسَ تَطْرِفُ
بِحَفْنَتِهَا يَبْضُ الْمَتُونِ كَأَنْهَا * خَنَاجِرُ فِي أَيْمَانِنَا تَتَعَطَّفُ (٢)

وقال أبو عبادة البُحْتَرِيُّ وذكر بركة :

(٣) لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَقْصُورَ غَايَتَهَا * لِيُعَدَّ مَا بَيْنَ قَاصِبِهَا وَدَانِيهَا
يَعْمَنُ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مَجْنَحَةٍ * كَالطَّيْرِ تَنْفُضُ فِي جَوْ خَوَافِهَا

وقال أبو طالب المأموني في المَقْلِي منه :

مَاوِيَةٌ فَضِيَّةٌ لِحُمَاهَا * أَلَذُّ مَا يَأْكُلُهُ إِلَّا كُلُّ
يَضْمُهَا مِنْ جِلْدِهَا جَوْشَنٌ (٤) * مُدِيلٌ (٥) فَهُوَ لَهَا شَامِلٌ
لَوْنَتْ مِنْ فَضَّتْهَا عَسْجَدًا * بِالْقَلْبِي لَمَّا ضَافَنِي نَازِلٌ

(١) السمك : جمع عكة ، وهي وعاء للسنن من الجلد .

(٢) في الأصلين : « بلغا بها » وهو لا يلتزم مع بقية الشعر . وقد بحثنا عن هذا الشعر في عدة نسخ خطية ومطبوعة من ديوان كشاجم فلم نجده .

(٣) كذا في الأصلين ومباح الفكر . وفي ديوانه : « المحصور » بلغا المهملة .

(٤) الجوشن : الدرع .

(٥) كذا في قيمة الدهر للتماشي . وفي الأصلين : « مدبل » بالذال المهملة والياء الموحدة .

وقال أيضا :

مائية في النار مَصْلِيَّةٌ ^(١) * يُصْبَغُ من فِطْمَتِهَا عَسَجْدُ
كأَتمَّا جلدُهَا جَوْشَنٌ ^(٢) * مُزْرِقِنُ الصَّنْعَةِ أَوْ مِبْرَدُ

وقال عطاء بن يعقوب يصف سمكة من رسالة يستدعى بها صديقا ، جاء

- منها : ” قد أهدى لنا صديق سمكة ، قد ليست من جلدِها شبكك ؛ تُشْبِهُ حَمَلًا
شَكْلًا وَقَدَا ، أَوْ جَرَابًا قَدْ آمَنَلَا زُبْدًا ؛ كَأَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تَحَارِبَ نَجْمَ السَّمَاءِ ،
أَوْ حَوَتْ الْأَفْلَاقَ ؛ فَلَيْسَتْ مِنْ جِلْدِهَا جَوْشَنًا مَزْرَدًا ^(٣) . وَسَلَتْ مِنْ ذَنَبِهَا سِيفًا
مَجْرَدًا “ .

وقال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب يصف سمكا : ” أَتَيْتُ بَنَاتِ بَيْضِ

- الْبَطُونِ ، زُرْقِ الْعَيُونِ ، سُودِ الْمَتُونِ ، حُذْبِ الظُّهُورِ ، مُعَقَّقَاتِ الْأَذْنَابِ ، صِنَايِرِ
الرَّعُوسِ ، غِلَاطِ الْقَصْرِ ^(٤) ، عِرَاضِ السَّرَرِ “ .

هذا ما اتفق إيراده في السمك المطلق . فلنذكر أصنافا من أنواع الأسماك .

ذكر شيء من أنواع الأسماك

وأنواع الأسماك كثيرة جدًا ، منها ما يعرفه الناس ، ومنها ما لم يعرفوه ، ومنها

- ما يكون في أماكن من البحار دون غيرها . وقد ذهب بعضهم أن كل حيوان

(١) كذا في نية الدهر . وفي الأصلين : « مصلوبة » .

(٢) الزرقين (بالكسر والغم) : حلقة الباب أو هو عام ، والجمع : زرقين . ومه الحديث :

كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرقين إذا طقت بزرقينها سرت وإذا أرسلت مست

الأرض ، وهو معزب كما في الصحاح .

(٣) في الأصلين : « مورد » .

(٤) القصر : جمع قصرة وهي أمل المتق .

في البرّ يكون مثله في البحر . فلتُورد في هذا الفصل ما أمكن إيرادُه ، وهو الدُّلّفين ،
والرَّعاد ، والتَّساح ، والسَّقَنْقُور ، والسَّلْحَفَة ، والْبَجَاء ، والفرس النهرى ، والجندبيدستر
والْقُنْدُس ، والقائم ، والضَّفَادِع ، والسَّرَطَان ، وشيءٌ من عجائب الحيوان المائي^(١) ،
على حكم الاختصار حيث تعدّر الاستيعاب .

٥ . فَأَمَّا الدُّلّفين — وهو كالزَّق المنفوخ ، وله رأس صغير جداً . وهو يُوجد
في بحر النيل يَقْدِفُه البحرُ المِلْحُ إليه . ويقال : ليس في دوابّ البحر ماله رنةٌ غَيْرُهُ ؛
فلذلك يُسمع له التنفّس والتنفّخ ، وهو إذا ظَفِرَ بالغريق كان أقوى الأسباب
في نجاته ؛ فإنه لا يزال يدفعه الى البرّ [حتى ينجيه] . وهو من أقوى الدوابّ المائية .
ولا يؤذِي ولا يَأْكُل غير السمك . وربما ظهر على وجه الماء وهو نائم كاللّيت .
وهو يلد ويُرَضِع . وأولاده تتبعه حيث ذهب ؛ ولا يلد إلا في الصيف . وفي طبعه
الأثْس بالناس وخصوصا الصبيان . وإذا صيد جاءت الدّلافين لقتال صائده ، فإذا
أطلقه لها أنصرفت . وأهل المراكب في البحر الفارسي إذا رأوه استبشروا به وأيقنوا
ببلوغ الأرب سميّا الغزاة .



١٥ . وَأَمَّا الرعاد — ويكون في نيل مصر ، ولم أسمع به في غيره . وفيه من
الخاصية أنه لا يستطيع أحدٌ من الناس أن يَمْسَهُ . ومتى وَضَعَ الإنسان يده عليه

(١) في الأصلين : « القندر » بالراء بدل السين ، وهو تحريف ؛ إذ القندر من أسماء الجندبيدستر ،

فلا معنى إذا تكرر . والتصويب عن مباحج الفكر رحياء الحيوان في كلامهما على « القندس » .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ألية » وهو تحريف .

(٣) زيادة من مباحج الفكر .

نزعها بحركته وصاح صيحةً مُنكرةً ربما دهش الإنسان لها، ويمجد الرجل في فؤاده حَقَقَاناً من ذلك . وهو متى وقع في شبكة الصياد آرتعدت يداه عند إخراج الشبكة من الماء أو جذب الجبل ، فيعلم أنه قد وقع له السمك الرَّعاد .



- وأما التماسحُ — وهو أيضاً لا يكون إلا في نيل مصر؛ وزعم قوم أنه يوجد في مِهْرَانِ السَّنْدِ ^(١)، لِزعمهم أنه من النيل . وهو شديد البطش في الماء . وهو يعظم إلى أن ينتهى في الطول إلى عشرين ذراعاً في عرض ذراعين . ويفترس الفرس والإنسان . ولا يقوى على قتاله من الحيوان إلا الجاموس . وله يدان ورجلان وذنب طويل يضرب به ويلف . وهو لا يُصاد إلا أن يُضرب في إبطيه، ومنهما مقلُّه . ويقال : إنه إذا أراد السَّفَادُ نرجح هو والأثنى إلى البرِّ فيقلبها على ظهرها . ويستبطنها ؛ فإذا فرغ قلبها لأنها لا تملك من الانقلاب لِقَصْرِ يديها ورجليها ويُسَ ظهرها . وهى تبيض في البرِّ ، فما وقع في الماء صار تماسحاً وما بقي في البرِّ صار سَقَنُقُوراً . والتماسحُ يحرك فكَّه الأعلى دون الأسفل ، ولسانه معلقٌ به . ويقال : إنه ليس له مَخْرَجٌ ، وإن جوفه إذا امتلأ نرجح إلى البرِّ وفتح فمه فيجىء طائرٌ صغير أَرْقَطُ فينقر بمقاراه ما في جوفه ويُخرجه ، وذلك غِذاءُ الطائر وراحةٌ للتماسح . (١٤٩)
- وفي رأس هذا الطائر شوكةٌ ^(٢) فإذا غلق التماسحُ فمه عليه نَحَسَ بها فيفتحها . ويقال : إن للتماسح ستين سنّاً وستين عرقاً ، ويسفد ستين مرةً ، ويبيض ستين بيضةً .

(١) مِهْرَانِ السَّنْدِ : نهر عظيم بالسند بقدر دجلة تجرى فيه السفن ويسقى بلاداً كثيرة ويصب في البحر

عند الدَّيْل (مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند) . وماؤه عذب جداً . وهو مثل النيل في الكبر وجريه

مثل حربه ، ويرتفع على وجه الأرض ثم ينصب فيزرع عليه مثل ما يزرع بأرض مصر .

(٢) علق (بالضعيف) كأغلق ، وغلِق (بالتحفيف) لغة نادرة أو رديئة متروكة .

وَيُوجَدُ فِي جُلْدِهِ مِمَّا يَلِي بَطْنَهُ سِلْعَةٌ كَالْبَيْضَةِ فِيهَا رَطوبَةٌ لَهَا رَائِحَةٌ كَالْمَسْكِ، وَتَقْطَعُ رَأْسُهَا بَعْدَ أَشْهُرٍ .

وَوَصَفَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ :

وَذِي هَامَةٍ كَالثَّرِيسِ يَغْفَرُ عَنْ فَمٍ * يُضَمُّ عَلَى مَثَلِ الْحُسَامِ الْمَثَلَمِ
وَيَقْتَرُّ عَنْ مَثَلِ الْمَنَاشِيرِ رُكْبَتٌ * عَلَى مِشْفَرٍ مِثْلِ الْقَلْبِ الْمُهْتَمِ
مَشَى فِي سَوَاةٍ مِنْ فِقَارَةٍ غَيْلِمٍ * وَسَقَفَ لَحْيًا عَنْ مَنَاصِبِ شَيْمٍ



وَأَمَّا السَّقَنْقُورُ — وَيُسَمَّى الْحِرْدَوْنُ الْبَحْرِيَّ . وَيَقَالُ : إِنَّهُ وَرَلٌ مَائِيٌّ .
وَمِنْهُ مَا هُوَ مِصْرِيٌّ ، وَمَا هُوَ هِنْدِيٌّ ، وَمَا يَتَوَلَّدُ فِي بَحْرِ الْقَزْمِ وَبِلَادِ الْحَبْشَةِ . وَهُوَ
يَفْتَنِدِي فِي الْمَاءِ بِالسَّمَكِ وَفِي الْبَرِّ بِالْقَطَا . وَأَنْشَاءُ تَبْيِضُ عَشْرِينَ بَيْضَةً وَتَدْفِنُهَا
فِي الرَّمْلِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ حَضَنَهَا . وَجُلْدُهُ خَشِينٌ مُدْبِجٌ بِالسَّوَادِ وَالصَّفَرِ . وَهُوَ إِذَا
عَضَّ إِنْسَانًا وَسَبَقَهُ الْإِنْسَانُ إِلَى الْمَاءِ فَاعْتَسَلَ مِنْهُ مَاتَ السَّقَنْقُورُ ؛ وَإِنْ سَبَقَ
السَّقَنْقُورُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْمَاءِ مَاتَ الْإِنْسَانُ . وَبَيْنَ السَّقَنْقُورِ وَبَيْنَ الْحَيَّةِ عَدَاوَةٌ
عَظِيمَةٌ ، مَتَى ظَفِرَ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ قَتَلَهُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ الرَّيْسُ : أَجُودُ السَّقَنْقُورِ مَا صِيدَ فِي الرَّبِيعِ وَقَتَ هِجَابِهِ .
وَأَجُودُ أَعْضَائِهِ السَّرَّةُ . وَهُوَ يَنْفَعُ مِنَ الْعِلَلِ الْبَارِدَةِ فِي الْعَصَبِ . وَمِلْحُهُ يَهَيِّجُ الْبَاهَ
فَكَيْفَ لَحْمُهُ ، وَخُصُوصًا لَحْمُ سُرَّتِهِ وَمَا يَلِي كُلِّيَّتَيْهِ وَخُصُوصًا شَحْمَهَا .

(١) السِّلْعَةُ : زِيَادَةٌ تَحْدُثُ فِي الْجَسَدِ مِثْلَ الْفَدَّةِ .

(٢) كَذَا فِي ب . وَوَرَدَ فِي أٍ مَهْمَلِ الْإِنْجَامِ . وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ بِهِ أَنَّهُ طَوَّلَ لَحْيًا مِنْ قَوْلِهِ :

لَحَى سَقَفَ أَى طَوِيلَ مَسْتَرَخٍ وَالْمَسْقَفُ كَمَعْظَمٍ : الطَوِيلُ . وَالنَّعِيمُ : السَّلَاحَةُ الدَّكْرُ . وَالشَّيْمُ : ذَكَرُ
الْقَنَازِلِ أَوْ مَا عَظُمَ شَوْكُهُ مِنْ ذَكَوَرِهَا .



- وأما السُّلَحْفَاءُ وَاللِّجَاءُ - يقال : إنَّ اللِّجَاءَ تبيض في البرِّ ، فما أقام به
سُمِّي سُلَحْفَاءً ، وما وقع في البحر سُمِّي لِحَاءً . فأما ما يبقى في البرِّ فإنه يعظم حتى
لا يكاد الرجل الشديد يحمله . وقد رأيتُ في سنة سبع وسبعائة بالقاهرة المعزِّية
سُلَحْفَاءً تَحْمِلُ الرجلَ وتمشي به وهو قائم على ظهرها . وما ينزل البحر يعظم حتى
لا يكاد الحمار يحمله ؛ وربما وُجد منها ما زنته أربعمائة رطل . وتبيض أثناء
أربعمائة بيضة . وهي تحضن بيضها بالنظر إليه والرَّصْدَ له لا غير . وللدَّكر زَكَانٍ
وللأنثى فرجان . والذكر يطيل المُكْتُ في السَّفَاد . والعرب تَكْنِيها « أمَّ طَبْق » .
ويزعمون أنها تبيض تسعاً وتسعين بيضةً ، وتبيضُ تمامَ المائةِ بيضةً يخرج منها
أسود (أى ثعبان) . وهو مولعٌ بأكل الحيات ؛ وإذا أكل الأفعى أكل صَغَرًا
جَنَابًا ؛ فإذا أكثر من أكل الحيات والصَّغَرِ هَلَكَ . وله تحيُّلٌ فيما يصيده من
الطَّائِر ، وهو أنه يصعد من الماء ويتمرغ في التراب ويأتى موضعاً قد سقط
الطَّيْرُ عليه ليشرَب ، فيخفى على الطَّيْرِ بِكُدْرَةِ لَوْنِهِ التي آكَنَسَهَا من الماء والتراب ،
فيصيد منها ما يكون له قوتاً ويدخل به الماء فيموت الطَّائِرُ فَيَأْكُلُهُ .

١٥

ووصفها شاعر فقال :

وُسُلَحْفَاءُ تَمِجُ * سَكُونُهَا وَالْحَرَكَهَ
شَبَّهْتُهَا بِدَيْلَمِيٍّ سَاقِطٍ فِي مَعْرَكَةٍ
مُسْتَتِرٍ بِرُؤْسِهِ ^(١) * عَمَّنْ عَسَى أَنْ يَهْلِكَهُ

(١) في الأصلين : « يتر به » . والتصويب عن مباحج الفكر .

وقال أبو بكر الخوارزمي يصف لجأة :

بُنْتُ ماءً بَدَتْ لَنَا مِنْ بَعِيدٍ * مِثْلَ مَا قَدْ طَوَى الْحَارَى سَفَرُهُ^(١)
رَأْسُهَا رَأْسُ حَيَّةٍ وَقَرَاهَا * ظَهَرُ رُؤُسٍ وَجِلْدُهَا جِلْدُ صَخْرَةٍ^(٢)
مِثْلُ فِهْرِ الْعَطَارِ دُقْ بِهِ الْعِطْ * رُخِلَتْ طَرَائِقُ الطَّيْبِ ظَهْرُهُ^(٣)
يَقْطَعُ الْخُوفُ رَأْسَهَا فَإِذَا مَا * أَمْسَتْهُ فِرَاسُهَا مَسْتَقَرُّهُ^(٤)

وقال آخر :

لَحَى اللَّهُ ذَاتَ فَيْمٍ أَحْرَسَ * تُطِيلُ مِنَ الْعِيِّ وَسَوَاسِهَا
نَكَبَتْ عَلَى ظَهْرِهَا ثُرْسَهَا * وَتُظْهِرُ مِنْ جُلِّهَا فَاسَهَا^(٥)
إِذَا الْحِذْرُ أَفْلَقَ أَحْشَاءَهَا * وَضَبِقَ بِالْخُوفِ أَنْفَاسَهَا
تَضُمُّ إِلَى تَحْرِهَا كَفَّهَا * وَتُدْخِلُ فِي جَوْفِهَا رَأْسَهَا



وأما الفرس النهرى — وهو عظيم الجثة، وخلقته خلقُ الفرس، إلا أن وجهه أوسع؛ وله أظلاف كالبقرة؛ وذنبه مثل ذنب الخنزير؛ وصوته يُشبه صوت الفرس. وهو لا يوجد إلا في نيل مصر. وهو يخرج من الماء إلى البر، ويرعى

١٥٠

(١) كذا في أ و ب هكذا « الجادى » ولم نقيس المراد منها .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ونفاها » .

(٣) العهر : الحجر الرقيق الذى تسحق به الأدوية على الصلاة .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « بخلت » بالجيم .

(٥) كذا في كتاب الألفاظ الفارسية (ص ٩٢ طبع بيروت) . وفي الأصلين ومباحج الفكر وحياة

الحيوان : « وتظهر من حلقها رأسها » . وقد آثرنا رواية الألفاظ الفارسية لنعاشي الإبطاء الظاهر بين

البيت الثانى والزابع . والفأس : طرف مؤخر الرأس المشرف على القفا .

الزرع . وإذا قصد الزرع لا يتدبى من أوله ، ولكنه يحوز منه قطعة بقدر ما يأكل ويتدبى منها بحيث يكون وجهه إلى البحر . وهو يقتل التمساح ويقهره . وأهل الديار المصرية إذا رأوا أثر حافره في البر تباشروا بزيادة النيل وكثرة الخصب . وفي سنة اثنتين وسبعائة طلع الفرس النهرى إلى البر بالجيزة وأبعد عن البحر ، فتَحِيلَ عليه وقُتِل . وأهل الثوبة يصيدونه كثيرا ، ويتخذون من جلده سياطا . يسوقون بها الإبل .



وأما الجندبيدستر — وهو السَّمُور ، ويسمى ”كَلَبُ الْمَاءِ“ . ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها . وهو على هيئة الثعلب ، أحمر اللون ، لا يدان له ، وله رجلان وذنب طويل ، ورأسه كراس الإنسان ، ووجهه مستدير . وهو ١٠ يمشى متكئا على صدره كأنه يمشى على أربع ، وله أربع خصى : ثنتان ظاهران وثنتان باطنان . وهو إذا رأى الصيادين يجتدون في طلبه لأجل الجندبيدستر، وهو خُصِيَتَاهُ الظاهرتان ، قطعهما بفيه ورمى بهما إليهم ؛ إذ لا حاجة لهم إلا بهما . فإن لم يرمهما الصيادون وداموا في الحد في طلبه استلقى على ظهره ليريهم الدم ، فيعلمون أنه قطعهما فيصرفون عنه . وهو إذا قطع الظاهرتين ظهر الباطنتين وعوض عنهما ١٥ غيرهما . وفي داخل الخصى شبه الدم أو العسل زهيم الرائحة سريع التفرك إذا جف . ويقال : إنه يؤكَّرُ على الأرض ويُولدُ عليها ويرعى فيها ، ويهرب إلى الماء ويعتصم به ؛ ويمكنه أن يلبث في قعره حابسا لنفسه زمانا ثم يخرج [إلى الهواء] .

(١) القفجاق : قوم كانوا يعرفون بالخفشاش غربوا إلى بلاد القسطنطينية وكان لهم ملوك كثيرة في بلاد

المغرب ففرق التترشلهم (عن تقويم البلدان ص ٢٠٦ طبع أوربا) . (٢) وك : اتخذ وكرا . ٢٠

(٣) يقال : أولدت الشاة إذا وضعت . (٤) زيادة عن مباحج الفكر .



وَأَمَّا حَيَوَانُ الْقُنْدُسِ وَالْقَاقِمِ ^(١) — فَالْقُنْدُسُ يَغْتَذِي بِالسَّمَكِ وَالنَّبَاتِ .
 وَيَقَالُ : إِنَّ فِيهِ سَادَةً وَعَبِيدًا ، وَإِنَّهُ يَتَّخِذُ مَسَاكِينَ مَرْتَبَةً عَلَى تَرْتِيبِ مَسَاكِينِ النَّاسِ .
 وَالسَّادَةُ يَتَّخِذُونَ فِي بَيْوتِهِمْ صُفُفًا ^(٢) مُرْتَفَعَةً يَكُونُونَ عَلَيْهَا ، وَفِي أَسْفَلِهَا مَوَاضِعٌ لِلْعَبِيدِ ،
 وَلِبَيْوتِهِمْ أَنْفَاقًا إِلَى الْبَرِّ وَأَبْوَابًا إِلَى النَّهْرِ . وَبَعْضُ هَذَا الْحَيَوَانِ يُغَيِّرُ عَلَى بَعْضِ .
 وَالسَّادَةُ لَا تَتَكَسَّبُ ، وَإِنَّمَا يَتَكَسَّبُ لَهَا الْعَبِيدُ . وَيُعْرَفُ جِلْدُ السَّيِّدِ مِنْ جِلْدِ الْعَبْدِ
 بِحَسَنِ لَوْنِهِ وَبِصَيِّصِهِ ^(٣) . وَأَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ يَسْلُخُونَ خِرَاطِيمَ الْقُنْدُسِ وَالسَّمُورِ وَيَتَعَامَلُونَ
 بِهَا كَمَا يَتَعَامَلُ بِالْذَّنَائِرِ وَالْدِرَاهِمِ بِحَيْثُ يَكُونُ عَلَيْهَا خَتَمُ الْمَلِكِ . وَجِلْدُ هَذَا الْحَيَوَانِ
 هُوَ الَّذِي يُعْمَلُ شَرَايِشُ الْأُمَرَاءِ وَأَطْوَاقُ التَّشَارِيفِ وَدَوَائِرُهَا .

وَالْقَاقِمُ : حَيَوَانٌ يُشَبِّهُ السَّنَجَابَ إِلَّا أَنَّهُ أَهْدُ مِنْهُ وَأَرْطَبُ ، وَلِهَذَا هُوَ أَيْضُ
 يَقُقُ . وَهُوَ يُجَلَّبُ مِنْ بَحْرِ الْخَزَرِ . وَجِلْدُهُ يُشَبِّهُ جِلْدَ الْفَنَكِ ^(٥) .



وَأَمَّا الضَّفَادِعُ — وَهِيَ أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ ، تَكُونُ مِنْ سِفَادٍ وَغَيْرِ سِفَادٍ . وَهِيَ
 تَبْيِضُ فِي الْبَرِّ وَتَعِيشُ فِي الْمَاءِ . وَالَّذِي مِنْ غَيْرِ سِفَادٍ يَتَوَلَّدُ مِنَ الْمِيَاهِ الضَّعِيفَةِ ،
 وَمِنْ الْعَفُونَاتِ ، وَغِبَّ الْأَمْطَارُ الْغَزِيرَةُ ، حَتَّى يَتَوَهَّمَ التَّوَهُّمُ أَنَّهُ يَسْقُطُ مِنَ السَّحَابِ
 لِكَثْرَةِ مَا يَرَى مِنْهُ عَلَى الْأَسْطِخَةِ عَقِيبَ الْمَطَرِ . وَيَقَالُ : إِنَّهُ يُخْلَقُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٣ من هذا الجزء .

(٢) الصفة من البيان : شبه البهو الواسع الطويل السمك .

(٣) البصيص : البريق واللمعان .

(٤) الشرايش : جمع شربش (يكتفر) وهو هذب الثوب .

(٥) الفنك : دابة يؤخذ منها القرو .

والضَّفْدَع من الحيوان الذى لا عظم له . وفيه ما يَبْقُ وما ليس يَبْقُ . وليس صوت ما يَبْقُ من فيه ولكنه من جلود رَقَائِي تكون إلى جانبِ أُذُنَيْهِ ؛ فإذا أراد النقيقَ أُنْفِثَتْ فيخرجُ الصوتُ منها . وهى تُطَبَّقُ فى زمن الشتاء فلا تَتَفَتِّحُ حتى يعتدلَ الجو .

- قال الجاحظ : والضَّفْدَعُ لا يَصْبِحُ ولا يُمْكِنُه الصياحُ حتى يُدْخَلَ حَنَكُهُ الأسفلَ الماءَ ، فإذا صارَ في فيه بعضُ الماءِ صاح ؛ ولذلك لا تَسْمَعُ الضفادعُ نَقِيصًا إذا كنَّ خارجاتٍ من الماءِ . قال : والضفادعُ تَبْقُ ، فإذا أبصرت النارَ أَمْسَكَتْ . وتوصفُ بحَذَّةِ السمعِ إذا كانت خارجَ الماءِ . ويضربُ بها المثلُ فى السمعِ والحذرِ ، فيقال : « أَحَذَرُ من ضِفْدَعٍ » و « أَسْمَعُ من ضِفْدَعٍ » . وقال شاعرٌ يصفُ الضفادعَ :

١٠

وَمُقْعَدَاتٍ زَانِهْنَ أَرْجُلُ * كَقِعْدَةِ النَّاكِحِ حِينَ يُزَلُّ
* يُكْسِنُ وَشَيْبًا وَعَيُونَُ تَكْمَلُ *

وقال آخرُ :

١٥

دَعَتْكَ فى فَاضَةٍ مُدَرَّةٍ ^(١) * لَيْسَ لَهَا طُرَّةٌ وَلَا هُدْبُ
قَدْ نُسِجَتْ من زَبْرَجِدٍ جَرَى * بَيْنَ تَضَاعِيفِ نَسِجِهَا الذَّهَبُ
يَظَلُّ صَمْتًا نَهَارَهُ فَإِذَا * أَدْرَكَه اللَّيْلُ بَاتَ يَصْطَلِحُ
وهو وإنْ لَمْ يَطْطِ مَقْلَتَهُ * جَفَنُ وَلَا أَمْنَدَ خَلَقَهُ ذَنْبُ
يُعْجِبُنِي مَا أَرَاهُ مِنْهُ فَنِي * خِلْقَتِهِ وَأَخْتِلَافِهَا عَجَبُ

(١٥١)

(١) الفاضة : التميمى الواسع البراق . ومدرة : يشبه وشيا الدانير .



وأما السَّرَطَانُ وما قيل فيه — وهو ذوقَيْنِ وَغَالِبَ وَأظْفَارِ حَدَادٍ،
كثيرُ الأسنانِ، صُلْبُ الظَّهْرِ، سريعُ العدو، وعينه على كَتِفِيهِ، وَفَمُهُ فِي صدره،
وفكاه مشقوقانِ من جانبيه . وله تَمَنَانِي أَرْجُلٍ . وهو يمشي على جانبٍ واحدٍ؛
وَيَسْتَنَشِقُ المَاءَ والهَوَاءَ مَعًا . وهو يسلُخُ جلده في السنة سِتِّ مراتٍ . ويَتَّخِذُ
يُجَحِّره بابين، أحدهما إلى المَاءِ والثاني إلى البرِّ . فإذا سلَخَ جلده سدَّ عليه ما يلي
الماءَ خوفاً من السمك وترك ما يلي البرِّ مفتوحاً؛ فإذا جَفَّتْ رطوبتُهُ وآشَدَّتْ، فتَح
ما يلي المَاءَ وطلبَ معاشه .

قال شاعر يصفه :

فِي سَرَطَانِ المَاءِ أُعْجِبَةٌ * ظَاهِرَةٌ لِلخَلْقِ لَا تَخْفَى
مُسْتَضْعَفُ المُنَّةِ لَكِنَّهُ * أَبْطَشُ مِنْ حَارِبَتِهِ كَفَا
يُسْفِرُ لِلنَّاظِرِ عَنْ جَمَلَةٍ * مَتَى مَشَى قَدَرَهَا نِصْفَا

١٠

وقال أبو عبيد البَكْرِيُّ^(١) في كتابه المترجم بالمسالك والممالك : إن يجر الصين
سَرَطَانَاتٍ تخرج كالذراع والشبر، فإذا صارت إلى البرِّ عادت حجارةً وأُنْقَلِبَتْ عن
الحَيَوَانِيَّةِ؛ والأطباء يتخذون منها كُحْلاً يَجْلُو البياضَ .

١٥

(١) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٨٧هـ، وكان مولده سنة ٤٣٢هـ
(١٠٤٠م) . وقد طبع جزء من كتابه المسالك والممالك هذا في الجزائر سنة ١٨٥٧م بعنوان "كتاب
المرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" . وقد نقل إلى الفرنسية وطبع تباعاً في المجلة الأسبوعية البازيلية
في سنتي ١٨٥٨م و١٨٥٩م . وله مؤلفات كثيرة : منها "كتاب معجم ما استعجم" و"أعيان النبات
والشجيرات الأندلسية" وغيرهما . (راجع ترجمته بتفصيل في كتابه "النبية على أوهام أبي علي في أماليه"
طبع دار الكتب المصرية) .

٢٠

ذكرُ شيء من عجائب الحيوان المائيّ

- وعجائبُ البحر كثيرةٌ جداً لا يُستغرب ما نذكر منها؛ ولذلك قيل : «حدثت عن البحر ولا حرج». وقد حكى صاحبُ كتاب مَبَاهِجِ الْفِكْرِ وَمَنَاهِجِ الْعِبَرِ في كتابه، قال : رأيتُ في بعض المجاميع المجهولة أن في بعض البحار شاةٌ شعراء تكون في البرّ مع البهائم حين الرّعي؛ فإذا فرغت من رعيها عادت إلى الماء، وتأكّل السمك .
- قال : وذكر لها خواص . قال : وذكر بعضهم دابةً سماها "نخ الماء" ولم يسمّ المكان الذي تكون فيه ، وقال : إنها مثال آبن عريس أو أكبر قليلاً، سباحتها في الماء بخرّها في البرّ، لها وبرّ ناعم تعمل منه ثياب الخنز، وهذا الوبّر موجودٌ تأتي به التجار من البحر الروميّ يُباع بالقاهرة، ويسمونه صوف السمك؛ وهو أخضر اللون؛ ويقال : إنه إذا طلع من البحر يكون أبيضَ يققاً، فإذا صار إلى البرّ وأصابه النسيم أنقلب إلى الخضرة . وهم يغزلونه ويلحّمون به الثياب المسداة بالحريز، وقيمته لا تقصر عن قيمة الحرير وربما يزيد عليه . وأرخص ما أتبعته أنا حساباً عن وزن كلّ مائة درهم أربعين درهماً . وبه تُحنق الأفاعي بمصر، تُقتل منه خيوطٌ تسمى إذا حنق بها الأفاعي حبال الخنّاق ، لما نفع في تحليل مرض الخنّاق .

١٥

ويقال : إن يجر الزوم — وربما غيره أيضاً — حيواناً يُسمونه "بنات الماء" يُشبهن النساء، لهنّ شعورٌ سباط^(١)، ألوانهنّ إلى السّمرة، ذوات فروج عظام وثديّ، ولهنّ قهقهة وصحك وكلامٌ لا يفهم ؛ وربما يقعن لأصحاب المراكب وغيرهم

(١) في الاصلين ومباهج الفكر : « يشهون » . وفي حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ١٩٦ طبع

٢٠

بولاق) : « شبة بالنساء » .

(٢) في الأصلين : « سبط » .

فَيَنكِحُونَهُنَّ فَيَجِدُونَ لِنِكَاحِهِنَّ لَذَّةً عَظِيمَةً ثُمَّ يَعِيدُونَهُنَّ إِلَى الْبَحْرِ . وَفِي الْبَحْرِ
 أَيْضًا أَمْثَالُ الرِّجَالِ ، يُقَالُ : لَأَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ [بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ ^(١) وَ] بِالْبُرْجِ وَرَشِيدِ
 فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ بِمَجْلُودِ لَزَجَةٍ ، لَهُمْ بَكَاءٌ وَعَوِيلٌ إِذَا وَقَعُوا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، [وَذَلِكَ
 أَنَّهُمْ رُبَّمَا بَرَزُوا عَنِ الْبَحْرِ إِلَى الْبَرِّ يَتَشَمَّسُونَ فَيَقَعُ بِهِمُ الصَّيَّادُونَ ^(١)] ، فَإِذَا سَمِعَ النَّاسُ
 بَكَاءَهُمْ أَطْلَقُوهُمْ رَحْمَةً لَهُمْ .

(١) زِيَادَةُ مَعَ مَبَاهِجِ النُّكْرِ .

الباب الثامن وهو الذيل على القسم الخامس

من الفن الثالث

[ويشتمل هذا الباب] على ذكر شيء مما وُصفت به آلات الصيد في البر والبحر
ووصف رُماة البندق، وما يجري هذا المجرى .

- ذكر شيء مما قيل في رُماة البندق — وما وُصفت به الجُلَاهِقُ^(٢) .
وهو قيمي البندق . من ذلك ما كتب به أبو إسحاق الصّابي من رسالة إلى
[أبي الفرج] محمد بن العباس [بن فُسَّاحِش^(٤)] ، جاء منها : ” أقبلت رُفْقَةُ الرُّمَاءِ^(٣)
قد برزت قبل الذرور والشرور^(٥) ، وشمرت عن الأذرع والسوق ، مقلّدين خرائط^(٦)
شاكلت السيوف بمائلها ونباطاتها ، وناسبت في آثارها ونكاياتها ، تحيل من البندق
المأموم ، ما هو في الصحة والاستدارة كاللؤلؤ المنظوم ؛ كأنما خرط بالجره^(٧) ، بجاء^(٨) .

(١٥٢)

(١) زيادة يقتضيا السياق .

(٢) الخلاهق : قوس تنفذ من القسا ويلف عليها الحرير وتغزى . وفي وسط وزد قطعة دائرة
تسمى الجوزة توضع فيها البندق عند الرمي .

(٣) زيادة عن رسائل الصّابي المخطوطة والمحفوة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٢٧ أدب .

(٤) زيادة عن رسائل الصّابي ومباحث الفكر . ١٥

(٥) كذا في مباحث الفكر . وذرت الشمس تذر درورا (من باب نصر) : طلعت وظهرت . وفي الأصلين :

«الدود» ، وهو تحريف .

(٦) الذي في كتب اللغة أن الباط الذي هو معلق القوس يجمع على أدوعة ودوط .

(٧) كذا في الأصلين . ولعله يريد بالجره الراية العليقة ، ويدات الفهر الحجارة الصغيرة ؛

إذ الفهر : الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه ، وقيل : هو الحجر ملء الكف . ٢٠

كبنات الفِهْر؛ قد أَخْيَرَ طِينُهُ، ^(١) وَمَلِكٌ عَجِينُهُ؛ فهو كالكَافور الْمُصَاعِدِ فِي النَّسِّ ^(٢)
وَالْمَنْظَرِ، وَكَالْعَبْرِ الْأَذْقَرِ فِي الشَّمِّ وَالْمُخْبَرِ؛ مَا خُوذُ مِنْ خَيْرِ مَوَاطِنِهِ، مَجْلُوبٌ مِنْ أَطْيَبِ
مَعَادِنِهِ؛ كَأَقْلٍ بِمَطَاعِمِ حَامِلِيهِ، مُحَقَّقٌ لَأَمَالِ آمِلِيهِ؛ ضَامِنٌ لِحِمَامِ الْحِمَامِ، مُتَنَوِّلٌ لَهَا
مِنْ أَعْدَادِ مَرَامٍ؛ يَعْجُرُ إِلَيْهَا وَهُوَ سَمٌّ نَاقِعٌ، وَيَهْطُ بِهَا وَهِيَ رِزْقٌ نَافِعٌ.

ومنها في وصف القَيْسِي: "وَبِأَيْدِيهِمْ قَيْسِيٌّ مَكْسُوءٌ بِأَغْشِيَةِ السُّنْدُسِ، مُشْتَمِلَةٌ ^(٣)
مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَلَبَسٍ؛ مِثْلُ النُّكَاةِ فِي جَوَاشِنِهَا وَدُرُوعِهَا، وَالْجِيَادِ فِي جِلَالِهَا وَقُطُوعِهَا؛ ^(٤)
حَتَّى إِذَا جُرِّدَتْ مِنْ تِلْكَ الْمَطَارِفِ، وَأَنْتَضَيْتْ مِنْ تِلْكَ الْمَلَاخِفِ؛ رَأَيْتَ مِنْهَا قُدُودًا ^(٥)
مُخْطَفَةً رَشِيقَةً، وَأَلْوَاءًا مُعْجِبَةً أُنِيقَةً؛ صُلْبَةُ الْمَكَاسِرِ وَالْمَعَاجِمِ، نَجِيَّةُ الْمَنَابِتِ وَالْمَنَاجِمِ؛ ^(٦)
خَطِيئَةُ الْأَسْمَاءِ وَالْمَنَاسِبِ، سَمَّهَرِيَّةُ الْأَعْرَاقِ وَالْمَنَاصِبِ؛ رُكْبَتٌ مِنْ شَطَايَا الرِّمَاحِ ^(٧)
الدَّاعِسَةِ، وَقُرُونُ الْأَوْعَالِ النَّاخِسَةِ؛ فَخَازِنُ الشَّرَفِ مِنْ طَرَفَيْهَا، وَأَسْتُولَتْ عَلَيْهِ

(١) ملك العين: يحبه وأدغم محه وأحاده .

(٢) الكافور: هو صمغ شجر ولونه أحمر ملوح أو أسمر، وحشه أبيض رحو يصرب إلى السواد . وهو
يوجد في أجواف قلب الخشب في خروق فيها ممتدة مع طوخا، وهو أنواع، ويكون على قدر الدرهم أو الأوز
أو الحص أو الدول أو السدس . وهو مختلط فيه شطايا من حشب الكافور . وتصفى هذه الكواوير كلها بالتصعيد
ويخرج منها كافور أبيض صفائح يشبه في شكله صفائح الزجاج التي يصعد فيها .

(٣) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين: «فيها» .

(٤) الجلال: جمع حل (بالصم) وهو للدابة كالثوب للانسان تصان به . والقطوع: جمع قطع
(المكسر) وهو ضرب من الثياب المشاة .

(٥) في الأصلين: «انبصت»، وهو تحريف .

(٦) قردود محطفة: ضامرة قليلة اللحم الجنب .

(٧) يقال: فلاں صلب المكسر والمجسم إذا كان قويا شديدا عند المختبر .

(٨) الوعل الناخس: هو الذي نخس قراءه استه من طولها . وفي الأصلين: «الباحسة» (بالباء

الموحدة)، وهو تصحيف .

بِكُنْثَا يَدِيهَا ؛ قَدْ آنَحَتْ آنَحَاءَ الْمَشِيخَةِ النَّسَاكِ ، وَصَالَتْ صِيَالِ الْفَيْتَةِ الْفُتَاكِ ؛
وَأَسْتَبَدَلَتْ مِنْ قَدِيمِهَا فِي عِزِّ الْفَوَارِسِ ، بِجَدِيثِهَا مِنْ نَفِيسِ الْمَلَابِسِ ؛ وَآتَقَلَتْ مِنْ
جِدِّهَا فِي طِرَادِ الْمَغَارَاتِ ، إِلَى هَزَلِهَا فِي طَرْدِ الْمُسْهِرَاتِ ؛ ظَوَاهِرُهَا صَفَرٌ وَارِسُهُ ،
وَدَوَاخِلُهَا سُودٌ دَامِسَةٌ ؛ كَأَنَّ شَمْسَ أَصْبَلٍ طَلَعَتْ عَلَى مُتُونِهَا ، أَوْ جَنَحَ لَيْلٌ أَعْتَكِرَ
فِي بَطُونِهَا ؛ أَوْ زَعْفَرَانًا جَرَى فَوْقَ مَنَاكِبِهَا ، أَوْ غَالِيَةً جَدَّتْ عَلَى تَرَائِبِهَا ؛ أَوْ قَضْبَانًا
فَضِيَّةً أَذْهَبَ شَطْرُهَا وَأَحْرَقَ شَطْرَهُ ، أَوْ حَبَاتٍ رَمَلٍ أَعْتَقَ السُّودَ مِنْهَا صَفَرًا .

وجاء منها في وصف الوتر :

”فَلَمَّا تَوَسَّطُوا تِلْكَ الرُّوضَةَ ، وَأَنْدَشَرُوا فِي أَكْثَافِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ ؛ وَتَبَتَّ لِلزَّمَنِ
أَقْدَامُهُمْ ، وَتَخَصَّصَتْ لِلطَّيْرِ أَبْصَارُهُمْ ؛ وَتَرَوْهَا بِكُلِّ وَتَرٍ فَوْقَ سَهْمِهِ مِنْهُ ، وَهُوَ مُقَارِقٌ
لِلسَّهْمِ وَخَارِجٌ عَنْهُ ؛ مُضَاعَفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ وَتَرَيْنِ ، كَأَنَّهُ شَخْصٌ ذُو جَسَدَيْنِ ، أَوْ عِنَاقٌ ضَمَّ

(١) في مباحث الفكر : « هن الفوارس » نالها .

(٢) المغارات : جمع مغارة (فتح الميم وضمتها) : مصدر بمعنى العزلة . والطراد : أن يحل الأفراس
بعضهم على بعض ، ويقال : هم فرسان الطراد .

(٣) كذا في مباحث الفكر . والطراد : الصيد . والمسهرات : طيور . يلتذ بها كل من يسهر بها ويسهر

عليها ولا يشتهي النوم من لذة سماعها . وفي الأصلين : « جرد المسترعات » .

(٤) أورش النش : أصغر فهور وارس ، وهو من البوادر ، ويقال : وارس .

(٥) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « تراميا » .

(٦) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « أعتق السود منها صفرا » .

(٧) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « أب » ، وهو تعريف .

(٨) وتره : أدركه بمكره وأصابه .

(٩) كذا في الأصلين . ولعله يريد « أوقع سهمه منه » أو « فبق سهمه منه » . فانه يقال : فقت

السهم وأوقعته إذا وضعته في الوتر ليرى به .

(١٠) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « عنانا » ، وهو تعريف .

ضجيعين؛ في وسطه عينٌ كَشْرَجَةٍ كَيْسٍ مَخْنُومٍ، أو سُرةٌ بَطْنٍ تَحْيِصُ مَهْضُومٌ؛ تَرَوُعُ قلب الطير بالإنباض، وتُصِيبُ منها مواقعَ الأغراضِ .

وقال ضياءُ الدين بن الأثير الجَزَرِيُّ من رسالة في وصف الصيِّ : وذكر الرماة، جاء منها :

”وإذا تناولوها بأيديهم قالت : أهلةٌ طالعهنَّ في أكفٍ أقمار ، وإذا مَثَلَتْ غَمَاوُها
وَعَنَّاوُهم قلت : منايا مسوقه في أيدي أقدار ؛ وتلك قِيسٌ وُضِعَتْ لِلْعَبِّ لا لِلنِّضالِ ،
ولرَدَى الطير لا لردى الرجال . فإذا نَعَمَتْ ناعَتْ قال : إنها جَعَمَتْ بين وَصْفَى اللين^(١)
والصلابة ، وصِغَتْ من نوعين غربيين لحازت معنى الغرابه ؛ فهي مَرَكَبَةٌ من حيوان^(٢)
ونبات ، مؤلفَةٌ مِنْهُمَا [على] بُعْدِ الشَّتَاتِ ؛ هذا من سكان البحر وسواحله ، وهذا من
سكان البرِّ ومجاهله . ومن صفاتها أنها لا تَمْتَكِنُ من البطش إلا حين تُشَدُّ ، ولا تتطلق^(٣)
في شأنها إلا حين تُعْطَفُ وترد . ولها بناتٌ أحكم تصويرها ، وصَحَّحَ تدويرها ؛
فهي في لونها صَنْدَلِيَّةُ الإهاب ، وكأنها صِغَتْ لِقَوَّتِها من حجر لا من تراب ؛ فإذا حَدَفَها^(٤)
نحو الأطيَّار [أحد] ، قيل : وتَصَعَّدَ من الأرض من جبال فيها من بردٍ ، فلا ترى حينئذ^(٥)
إلا قَيْلاَ بِالْمَقْتَلِ الذي لا يجب في مثله من قَوْدٍ ، فهي كَأَفْلَةٍ من تلك الأطيَّار بقبض
نفوسها ، ومُتَزِلَّةٌ لها من السماء على أُمِّ رءوسها .“

(١) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « مسوقة » .

(٢) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « وصبت لويس عريين » .

(٣) زيادة عن مباح الفكر .

(٤) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « فأوجد منها نحو الأطيَّار فتد وتصد... الخ » ، والتحرير

ظاهر في العبارة . ٢٠

(٥) لعل هذه الكلمة أرمأ في مدأها ساقطة من العارة .

ومن إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الكاتب —
أمتع الله ببقائه، وزاد في علوه وأرتقائه — رسالةً في رمي البندق، وصف فيها الرماة،
ومواضع الرمي ووقته، والقسي، وأفعال الرماة، وجميع طير الواجب، لم أفف فيها
طالعه لمتقدم ولا متأخر [على] أجمع لهذا الفن منها؛ وهي مما يستعين بها الكاتب
على إنشاء ما يقصده من قدم البندق في أى نوع أراد من طير الواجب. وقد أوردتها
بجملتها بحسن الثنا، وأتسق نظامها، وجودة ترتيبها، وبديع تهذيبها. وهي :

(١٥٣)

«الرياضة — أطل الله بقاء الجناب الفلاني، وجعل حبه كقلب عدوه واجبا،
وسعده كوصف عيده للساخر جالبا وللضار حاجبا — تبعث النفس على مجانبة الدعة
والسكون، وتصونها عن مشابهة الحسائم في الركون إلى الوكون^(١)؛ وتحضها على أخذ
حظها من كل فن حسن، وتحثها على إضافة الأدوات الكاملة إلى فصاحة اللسن؛
وتأخذها طوراً في الحد وطوراً في اللعب، وتصرفها في ملأ السموى في المشاق التي
يستريح إليها الشعب؛ فتارة تحمل الأكبر والعظماء في طلب الصيد على مواصلة^(٢)
السرى، ومقاطعة الكرى؛ ومهاجرة الأوطار، ومهاجمة الأخطار؛ ومكابدة الهواجر،

(١) ضيور الواجب أربعة عشر طائراً وهي على ضربين : انصرف الأول لطيور الشتاء وهي التي يكثر
وجدانها فيه وهي عشرة طيور : الكركي، والإوز، والفلغ، والحرج، والتم، والبناز، والعقاب،
والنسر، والأنيمة. والضرب الثاني طيور الصيف وهي التي يكثر وجودها فيه، وهي أربعة أطيار : الكي،
والمرنوق، والمردم، والشبيطر. (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٢) . (٢) زيادة يقتضها السياق.
(٣) قدم : جمع قدمة (بكسر القاف وسكون الdal المهملة) وهي وسائل تشتمل على حال الرمي
بالبندق وأحوال الرماة وأسماء طير الواجب واصطلاح الرماة وشروطهم. (راجع صبح الأعشى ج ١٤
ص ٢٨٢) . (٤) الوكون : جمع وكن، وهو عش الطائر في جبل أو جدار .
(٥) الهواجر : جمع هاجرة، وهي نصف النهار في القيط خاصة عند زوال الشمس مع الظهر أو من زوالها
إلى العصر، لأن الناس يسكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا .

ومبادرة الأوبد التي لا تُدرك حتى تبلغ القلوب الحناجر؛ وذلك من محاسن أوصافهم التي يُدْمَغُ المَعْرِضُ عنها، وإذا كان المقصودُ من مثلهم جِدَّ الحرب فهذه صورةٌ لِعَب يُخْرَجُ إليها منها؛ وتارةٌ تدعوهم إلى البروز إلى المَلَأَقِ، وتحذوهم في سلوك طريقها مع من هو دونهم على ملازمة الصدق ومجانبة المَلَأَقِ؛ فيَعْتَسِفُونَ إليها الدُّجَى، إذا سَجَى؛ ويقتحمون في بلوغها حُرْقُ النهار، إذا آنهار؛ ويتنعمون بوعثاء السفر، في بلوغ الظفر؛ ويستصغرون ركوبَ الخطر، في إدراك الوَطَرِ؛ ويؤثرون السهر على النوم، والليلَةَ على اليوم؛ والبندق على السهام، والوَحدة على الائتِمام.

ولما عُذِنَا من الصيد الذي آتَصَلَ بعلمه حديثه، وُشِرِحَ له قديمُ أمره وحديثه؛ نُقِنَا إلى أن تَسْقَعَ صَيْدَ السَّوَاحِجِ برَمَى الصَّوَادِحِ، وأن نفعل في الطير الجوانح بأهْلَةِ القِسَى ما تفعل الجوارح؛ تفضيلاً لملازمة الارتحال، على الإقامة في الرِّحال؛ وأخذاً بقولهم:

لا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُدْبَرَّةً * إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
فبرزنا وشمسُ الأصيلِ تجود بِنَفْسِهَا، وتَسِيرُ من الأفقِ الغربيِّ إلى جانب رَمْسِهَا، وتُغَارِزُ عِيُونَُ النُّوَارِ بِمَقْلَةٍ أَرْمَدَ، وتُنْظُرُ إلى صفحاتِ الوردِ نظراً المَرِيضِ إلى وجوهِ العُودِ؛ فكأنها كَتَبَتْ أُنْحَى من الفراقِ على قَرَقٍ، أو عَلِيْلٌ يَقْضِي بَيْنَ صَحْبِهِ بِقَايَا مَدَّةِ الرَّمَقِ؛ وقد أَخْضَلَتْ عِيُونَُ النُّوْرِ لَوْدَاعِهَا، وهم الرُّوضُ بِمَجْلَعِ حَلَّتِهِ الْمُؤَوَّهَةِ بِذَهَبِ شُعَاعِهَا.

(١) الملق: الصفوح اللينة الملتزمة من الجبل، واحدها ملقة، وقيل: هي الآكام المفترشة.

(٢) كذا في صح الأعشى. وفي الأصلين وحسن التوسل إلى ساعة التوسل: «جرف».

(٣) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى. والرحال: جمع رحل وهو المنزل والمأوى.

وفي الأصلين: «الارتحال»، وهو تحريف.

(٤) كذا في صح الأعشى وحسن التوسل. وفي الأصلين: «وهم الروضة نفلع ...».

- والطلُّ في أعين التُّوار تحسَّبه * دمعًا تحيَّر لم يَرَقًا ولم يَكِفْ^(١)
 كُلُّوْلُو ظَلَّ عِطْفُ الغصنِ مُنْشِدًا * يَعْقِدُهُ وَتَبَدَّى مِنْهُ فِي شَنِفِ
 يَضْمُ مِنْ سِنْدَسِ الْأَوْرَاقِ فِي صُرَرٍ * خُضِرَ وَيُحْبَا مِنَ الْأَزْهَارِ فِي صَدَفِ
 وَالشَّمْسُ فِي طَفَلِ الْإِسَاءِ تَنْظُرُ مِنْ * طَرَفِ عَدَا وَهُوَ مِنْ خَوْفِ الْفِرَاقِ خَفِي
 كَعَاشِقِي سَارِ عَنْ أَحِبَّاهِ وَهَقَا * بِهِ الْهَوَى قَرَأَاهُمْ عَلَى شَرَفِ
 إِلَى أَنْ نَضَا الْمَغْرِبُ عَنِ الْأَفُقِ ذَهَبَ فَلَانْدَهَا ، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا مِنَ النُّجُومِ بِخَدَمِهَا^(٢)
 وَلَانْدَهَا ؛ فَلَيْثَمَا بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَضِ ثُبُتَ الْإِهْلَةُ ، وَمَنْعَنَا جَفَوْنَنَا أَنْ تَرِدَ النَّوْمِ
 إِلَّا نَحَلَهُ ؛ وَنَهَضْنَا وَبُرْدُ اللَّيْلِ مُوْشَعٌ ، وَعِمْدُهُ مَرَصَّعٌ ؛ وَلِمَا كَلِيلُهُ مَجُوهَرٌ ، وَأَدِيمُهُ^(٣)
 مُعْتَبَرٌ ؛ وَبَدْرُهُ فِي خِذْرِ سِرَارِهِ مُسْتَكِنٌ ، وَبِفَرْغِهِ فِي حَشَى طَالِعِهِ مُسْتَجِنٌ ، كَأَنَّ
 آمْتِزَاجَ لَوْنِهِ بِشَفَقِ الْكَوَاكِبِ خَلِيطًا مِسْكٍ وَصَنْدَلٍ ، وَكَأَنَّ ثُرَيَّا لَمْ تَسْدَادْهُ مُعَلَّقَةٌ
 بِأَمْرَاسِ كَنَّانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلٍ .

وَلَا حَتَّ نَجُومُ اللَّيْلِ زُهْرًا كَأَنَّهَا * عَقُودٌ عَلَى خَوْدٍ مِنَ الزَّجْجِ تُنْظَمُ^(٤)
 مُحَلَّقَةٌ فِي الْجَوْ تحسَّبَ أَنَّهَا * طَيِّبُورٌ عَلَى نَهْرِ الْمَجْزَةِ حُومٌ
 إِذَا لَاحَ بَازِي الصَّبِيحِ وَلَّتْ يَوْمَهَا * إِلَى الْغَرْبِ خَوْفًا مِنْهُ نَسْرٌ وَمِرْزَمٌ^(٥)

- (١) الشنف (بالفتح ، وأمله حركها لضرورة الشعر) : الذي يلبس في أعلى الأذن ، والذي
 في أسفلها يقال له قرط ورعته ، وقيل : القرط والشفن سواء .
 (٢) الولائد : جمع وليدة وهي الصبية والأمة .
 (٣) وشع الثوب : أعليه .
 (٤) كذا في حسن التوسل . وفي الأصلين : « معفر » .
 (٥) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تنصر نصفها .
 (٦) كذا في مصحح الأعشى . وفي أ : « توفها » . وفي ب : « نومها » بالدون ،
 وكلامها تحريف . والسر : كوكب وهما اثنان يقال لأحدهما : السر الواقع ، وللآخر : السر الطائر .
 والمرزمان : بحام مع الشعرين .

إلى حدائق ملتقى، وجداولاً مُحْتَفَه؛ إذا جَشَّ النسيمُ غصونَهَا اعتنقت اعتناق
الأحباب، وإذا فَرَكَ من المِياه متونَهَا أنسابت في الجداول أنسابَ الحُبَابِ^(١)،
ورقصت في المناهل رقصَ الحِبابِ^(٢)؛ وإن لَمْ تَغورْ نورها حَيْثُ بأنفاس المعشوق،
وإن أيقظ نواغسَ ورقِها غتته بالحن المشوق؛ فنسيمُها وأن، وشميمُها لعرف الجنان
عنوان، ووردها من سَهر نرجسها غيران، وظلُّها في حدود الورد مُنبتٌ وفي طَرَر
الريحان حيران؛ وطائرُها غِرْد، وماؤها مُطَرِد، وغصنُها تارة يعطِفُه النسيمُ إليه
فينعطف، وتارة يعتدل تحت ورقائه فتحسب أنها همزة على ألف؛ مع ما في تلك
الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب؛ إذ كلما اعتلَّ النسيم صحَّ الأرجُ وكلما نحر
الماء شَمَخَ القضيب .

١٥٤

فكأنما تلك الغصونُ إذا نثت * أعطافها رسل الصبا أحبابُ
فلها إذا افترت من استعطافها * ضلُحٌ ومن سَجَّج الحمَام عتابُ
وكانتْ حولَ العيون مَوَاسِئاً * شَرِبٌ وهاتيك المِياه شَرَابُ
فغدِيرُها كَأْسٌ وَعَدْتُ نِطَافِها * رَاحٌ وأضواءُ النجوم حَبَابُ^(٣)

تُحِيط بِمَلَقِ نِطَافِها صَافٍ، وظلال دوحها صَافٍ، وحصاها لصفاء ما فيها في نفس
الأمير راكد وفي رأى العين طاف؛ إذا دغدغها النسيمُ حسبت ماءها بمقابل الظلال^(٤)
فيه يتبرج ويميل؛ وإذا أطردت عليه أنفاسُ الصبا ظننت أفياء تلك الغصون

(١) الحباب (بالهم): الحبة .

(٢) الحباب (بالكسر): القوط من حبة واحدة .

(٣) كذا في حسن التوسل . وفي الأصلين : « مسحت » .

(٤) في صبح الأعشى : « ربح الصبا » .

(٥) الطاف : جمع نطفة، وهى القليل من الماء، وقيل : هى الماء الصافى قل أركثر .

(٦) دغدغها : حشها وزعزعها .

فيه تارة تتوج وتارة تسيل ؛ فكأنه محبٌ هام بانغصون هوى فتلها في قلبه ، وكأت
النسيم كلّف بها غار من دُنوها إليه فيلها عن قر به .

والسرو مثلٌ عرائس * لُفْتُ عليهنّ الملاء

شمرنَ فضلَ الأزر عن * سوقي خلاخلهنّ ماء

والنهرُ كالمرآة تُبّ * صر وجهها فيه آسماء

وكان صَوَافٍ الطير الميضة بتلك الملقى خيام ، أو ظباءً بأعلى الرّقتين قيام ،
أو أباريقُ فضّة رءوسها لما فِدام ، ومناقيرها المحمّزة أوائل ما أنسكب من المدام ؛
وكان رقابها رماحٌ استتّها من ذهب ، أو شموعٌ أسودُ رءوسها ما أنطقاً وأحمره
ما ألتهب . وكأ كالطير الجليل عدّه ، وكطراز العُمر الأوّل جدّه .

١٠ من كلّ أبلج كالنسيم لطافة * عَفّ الضمير مُهدّب الأَخلاق
مثلُ البدر ملاحّة وكُميرها * عدداً ومثلُ الشمس في الإِشراق

ومعهم قيسى كالغصون في لطافتها ولينها ، والأهّلة في نَحَاقها وتكوينها ،
والأزاهير في ترَافقها وتناوينها ؛ بطونها مُدبّجة ، ومتونها مُدرّجة ؛ كأنها الشّولة^(٤)
في أنعطائها ، أو أرواقُ الظّباء في آلتفافها ؛ لأوتارها عند القوادم أوتار ، ولبنادقها^(٥)

١٥ (١) الصواف من الطير : هي التي نصف أجحتا فلا تحركها .

(٢) الفدام (بالفتح وبالكسر) : المصعاة تجعل على فم الإريق ليصمى به ما فيه .

(٣) كذا في صبح الأعشى . وقد وردت في الأصلين محذرة .

(٤) كذا في مسالك الأبحاح ٨ قسم أول ص ١١٨ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية

تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة . وفي الأصل وصبح الأعشى : « كأنها كواكب الشولة الخ » . والشولة :

٢٠ إحدى منازل القمر في برج العقرب ، وهي كوكبان يراان متقابلان ينظما القمر ، يقال لها : حمة العقرب .

(٥) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « الطي » .

(٦) أوتار : جمع وتر (بالكسر ويفتح) وهو الدحل أو الظلم فيه . وأكثراً يستعمل في العداوة بسبب القتل .

في الحواصل أوكار؛ إذا أنتصب لطير ذهب من الحياة نصيبه، وإن أنصت لرمي^(١)
بدا لها أنها أحق به ممن يُصيبه . ولعل ذلك الصوت زجر لبندقها أن يُبطئ^(٢)
في سيره ، أو يخطئ الغرض إلى غيره ؛ أو وحشة لمفارقة أفلاذ كبد^(٣)ها ، أو أسف
على خروج بنينا عن يدها ؛ على أنها طالما نبذت بنينا بالعرءاء ، وشفت لخصمها
التحذير بالإغراء .

مثل العقارب أذنا بآ معقدة * لمن تأملها أو حقق النظرا
إن مدها قمر منهم وعائنه * مسافر الطير فيها أو نوى سفرا^(٤)
فهو المسمى اختيارا إذ نوى سفرا * وقد رأى طالعا في العقرب القمر

ومن البنادق كرات متفككة السرد ، متحدة العكس والطرء ؛ كأنما خرطت من
المنديل الرطب أو عجنت من العبر الورد ؛ تسرى كالشهب في الظلام ، وتسبق
إلى مقاتل الطير مسدات السهام .

مثل النجوم إذا ما سرن في أقي * عن الأهلة لكن نونها راء^(٦)
ماقاتها من نجوم الليل إن رُمقت * إلا ثبات يرى فيها وأضواء^(٧)

(١) أنبض الراى القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوت . وأبيض بالوتر : جذبه ثم أرسله
ليزن وأبيض الوتر : جذبه بغير سهم ثم أرسله .

(٢) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين وحسن التوسل : « بدت لها أنها أحق بها من نصيبه » . ١٥

(٣) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « أولاد كبد » وهو تحريف .

(٤) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين وحسن التوسل : « وآبرى » .

(٥) المنديل : العود ، وقيل : أجوده .

(٦) يريد أن « النجوم » إذا أمدلت بونها راء صارت « رجوما » .

(٧) في الأصلين : « سوى ثبات » . ويرتب عليه أن يكون في الشعر إقواء . والنصوب عن ٢٠

صبح الأعشى وحسن التوسل .

تَسِرَى وَلَا يَشْعُرُ اللَّيْلُ الْبَهِيمَ بِهَا * كَانَتْهَا فِي جَفَوْنَ اللَّيْلِ إِغْفَاءً
وَتَسْمَعُ الطَّيْرَ إِذْ تَهْفُو قَوَادِمُهُ * خَوَافِقًا فِي الدِّيَاجَى وَهِيَ صَمَاءُ
تُصَوِّنُهَا حِرَآؤُهُ كَانَتْهَا جُرْجُ دُرَّرٌ ، أَوْ دُرْجُ غُرَرٌ ، أَوْ كِمَامَةٌ تَمَرٌ ، أَوْ كَانَتْهُ نَبْلٌ ،
أَوْ عَمَامَةٌ وَبِلْ ، حَالِكَةُ الْأَدِيمِ ، كَأَنَّهَا رُحِمَتْ بِالشَّقَقِ حُلَّةً لَيْلَهَا الْبَهِيمُ .
كَانَتْهَا فِي وَصْفِهَا مَشْرِقٌ * تَبَثُّ مِنْهُ فِي الدَّجَى الْأَنْجُمُ^(٢)
أَوْ دِيمَةٌ قَدْ أَطْلَعَتْ قَوْسَهَا * مُلَوَّنًا وَأَبْتَنَقَتْ تَسْجُمُ
فَاتَّخَذَ كُلُّ لَهٍ مَرْكَزًا ، وَتَقَاضَى مِنَ الْإِصَابَةِ وَعَدَا مُنَجِّزًا ، وَصَيَّنَ لَهُ السَّعْدُ
أَنْ يُصْبِحَ لِمُرَادِهِ مُخْرِزًا .

(١٥٥)

كَانَتْهُمْ فِي يُمَيْنِ أَفْعَالِهِمْ * فِي نَظَرِ الْمُنْصِيفِ وَالْجَاهِدِ

١٠ قَدْ وُلِدُوا فِي طَالِعٍ وَاحِدٍ * وَأَشْرَقُوا فِي مَطْلَعٍ وَاحِدٍ

فَسَرَتْ عَلَيْنَا مِنَ الطَّيْرِ عَصَابُهُ ، أَظَلَّتْنَا مِنْ أَجْنَحَتِهَا سَحَابُهُ ، مِنْ كُلِّ طَائِرٍ أَفْلَحَ
يُرْتَادُ مَرْتَعًا ، فَوْجِدَ وَلَكِنْ مَضْرَعًا ، وَأَسْفَ بَيْنِي مَاءٌ جَمَامًا فُورِدَ وَلَكِنْ السَّمُّ مُنْقَعًا ،
وَحَلَقَ فِي الْفَضَاءِ يَتَنَفَّى مُلْعَبًا فَبَاتَ هُوَ وَأَشْيَاعُهُ مُجْبَدًا لِلْقَيْسَى وَرُكْمًا ، فَتَبَرَّكْنَا بِذَلِكَ
الْوَجْهِ الْجَمِيلِ ، وَتَدَارَكْنَا أَوَائِلَ ذَلِكَ الْقَبِيلِ .

(١) الجراوة : آلة من جلد يجعل فيها السدق الطين الذي يرمى به عن الجلاحق (انظر ما كتب عن
الجلاحق في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٤ من هذا الجزء) .

(٢) كنا في حسن التوسل (ص ١٠٥) . والجرح : رءاء من أوعية النساء . وفي الأصلين :

« درج » .

(٣) كذا في صبح الأعشى . وفي أ : « فيها » . وفي ب : « منها » .

٢٠ (٤) سف الطائر وأسف : دبا من الأرض في طيرانه حتى كادت رجلاه تصيبها .

(١) فَاسْتَقْبِلْ أَوْلَنَا "تَمَّ" بَدْرُهُ، وَعَظُمَ فِي نَوْعِهِ قَدْرُهُ؛ كَأَنَّهُ بَرَقَ كَرَعٍ فِي عَسَقٍ؛
أَوْ صَبَحَ عِطْفٌ عَلَى بَقِيَّةِ الدُّجَى عَطَفَ النَّسَقِ؛ تَحَسَّبَهُ فِي أَسْدَافِ الْمُنَى غُرَّةً
نُجْجًا، وَتَخَالَهُ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى طُرَّةً صُبْحٍ؛ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيَاضِ حُلَّةٌ وَقَارٌ، وَلَهُ كُرَّةٌ
مِنْ عُنْبِرٍ فَوْقَ مِيقَارٍ مِنْ قَارٍ. لَهُ عَنُقٌ ظَلِيمٌ، وَالنَّفَاقَةُ رِيمٌ، وَمُرَى غَيْمٍ يُصَرِّفُهُ
نَسِيمٌ.

كَلَوْنِ الْمَشْيِبِ وَعَصْرِ الشَّبَابِ * وَوَقْتِ الْوِصَالِ وَيَوْمِ الظُّلْمِ
كَأَنَّ الدُّجَى غَارَ مَنْ لَوْنُهُ * فَأَمْسَكَ مِيقَارَهُ ثُمَّ فَزَرَ
فَارْسِلْ إِلَيْهِ عَنِ الْهَلَالِ نَجْمًا، فَسَقَطَ مِنْهُ مَا كَبُرَ بِمَا صَغُرَ نَجْمًا؛ فَاسْتَبْشَرَ
بِنَجَاحِهِ، وَكَبُرَ عِنْدَ صَبَاحِهِ، وَحَصَّلَهُ مِنْ وَسَطِ الْمَاءِ بِنَجَاحِهِ.

وتلاد "كُكِّي" نَقَى الْبَاسَ، مُسْتَعِلُّ شَيْبِ الرَّاسِ، كَأَنَّهُ فِي عَرَانِينَ شَيْبِهِ
لَاوِلِهِ كَبِيرٌ أَنَامَ؛ إِنْ أَسَفَ فِي طَيْرَانِهِ فَعَنَامٌ، وَإِنْ خَفَقَ بِنَجَاحِهِ فَقَدَّمَ لَهُ بَيْدَ النَسِيمِ
زِمَامٌ؛ ذَوْغَبِيَّةٌ كَالْجِرَابِ وَمِيقَارٌ كَالْجِرَابِ، وَلَوْ يَغْفِرُ فِي الدُّجَى كَالنَّجْمِ وَيَخْدَعُ
فِي الضُّحَى كَالسَّرَابِ؛ ظَاهِرُ الْهَرَمِ، كَأَنَّمَا يُخْبِرُ عَنْ عَادٍ وَيُحَدِّثُ عَنْ إِرَمٍ.
إِنْ عَامَ فِي زَرْقِ الْغَدِيرِ حَبِيبَتُهُ * مُبِيصٌ غَيْمٍ فِي أُدِيمِ سَمَاءِ

(١) التَّمُّ (فَتْحُ التَّاءِ وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ) : طَائِرٌ فِي قَدْرِ الْإِرْزِ أَيْبَسُ اللَّوْنِ طَوِيلُ الْعُنُقِ أَحْمَرُ الْمُقَارِ
وَهُوَ أَعْظَمُ طَيْرٍ الْوَاجِبِ وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا. (عَنْ صَبْحِ الْأَعَشَى ج ٢ ص ٦٤).

(٢) كَذَا فِي صَبْحِ الْأَعَشَى وَحَسَّ التَّوَسُّلِ. وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «الرَّجَاءُ» بِالرَّاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) الْكُكِّيُّ (بِصَمِّ الْكَافِ) : أَحَدُ طَيْرِ الْوَاجِبِ، وَهُوَ مِنْ طَيْرِ الصَّيْفِ الَّتِي يَكْثُرُ وَجُودُهَا فِيهِ.
وَهُوَ طَيْرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ إِلَى الْبَيَاضِ أَحْمَرُ الْمُقَارِ وَالْحَوْصَلَةُ رَجَاءٌ تَصْرِيحًا بِأَنَّ السَّوَادَ. (عَنْ صَبْحِ الْأَعَشَى

ج ٢ ص ٦٦). (٤) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

كَانَ ثَيْرًا فِي عَرَانِينَ وَبِلَهْ * كَبِيرٌ أَمَاسٌ فِي مَجَادِ مَزْمَلِ

(٥) الْعَبَةُ : الْحَمُّ الْمُنْدَلِ تَحْتَ الْخَنَكِ مِنَ الدِّيكِ وَالْبَقَرِ.

أوطار في أفق السماء ظننته * في الجفوة شيخاً عائماً في ماء
مُتناقض الأوصاف فيه خفة آل * جهال تحت رزاة العلماء
فثنى الثاني إليه عنان بُدِّقه ، وتوخاه فيما بين رأسه وعنقه ، فخر كارد أنقض
عليه نجم من أفضه ؛ فتلقاه الكبير بالتكبير ، وأختطفه قبل مصاحته الماء من وجه
الغدير .

وقارنته "إوزة" حلتها دكاء ، وحليتها حسناء ؛ لها في الفضاء مجال ، وعلى
طيرانها خفة ذوات التبرج وخفر ربات المجال ؛ كأنما عبث في ذهب ، أو خاضت
في لَب ؛ تتأَل في مشيتها كالكاكب ، وتأتى في خطوها كالألعاب ؛ وتغطو بجيدها
كالظبي الغرير ، وتندفع في سيرها مثنى القطة إلى الغدير .

- ١٠ إذا أقبلت تمشي نغطرة كاعب * رداج وإن صاحت فصوله حازم^(٣)
وإن أفلعت قالت لها الريح ليت لي * خفا ذى الخوافى وأقوى ذى القوادم^(٢)
فأنعم بها في البعد زاد مسافر * وأحسن بها في القرب ثمفة قادم
فلوى الثالث جيده إليها ، وعطف بوجه قوسه عليها ؛ فلجّت في ترفعها مُدِّعنه ،
ثم نزلت على حُكمه مُدِّعنه ؛ فأعجلها عن استكمال الهبوط ، وأستولى عليها بعد
استمرار القنوط .

١٥

(١) لعلها اللاعب (بالعين المعجمة) ، وهو الذى أعيا من التعب فيتأنى في خطوه تعباً .

(٢) الرداج : المرأة الثقيلة الأوراك .

(٣) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين : « حادم » بالخاء المعجمة والبدال المهملة ، وهو

وحادثها "لغلة" تحكى لون وشيها ، وتصف حُسن مشيها ، وترى عليها
بُزَّتْها ، وتنافسها في المحاسن كضرتها ؛ كأنها مُدَامَةٌ قُطِبَتْ بِمائها ، أو عمامة شَفَّتْ
عن بعض نجوم سماءها .

بغزة بيضاء ميمونية * تُسْرِقُ في الليل كبدرا أتمام

وإن تبدت في الضحى خلتها * في الحلة الدكاء برق الغمام

فنهض الرابع لاستقبالها ، ورماها عن فلك سعيده بنجم وبالها ؛ بَقَدَتْ في العلو
مُغْدُهُ ، وتطاردت أمام بُدْقِهِ ولولا طراد الصيد لم تك لذه ؛ وانقص عليها من يده
شهاب حَتَفْها ، وأدركها الأجل لَحْفَةً طيرانها من خَلْفِها ؛ فوَقَعَتْ من الأثْق في كَفِّه ،
ونقر ما في بقايا صفِّها عن صفِّه .

وأنت في اثرها "أنيسة" آنسه ، كأنها العذراء العائسه ، أو الأدماء الكائسه ؛
عليها خمر الأبكاء ، [وَحِفَّةٌ ذَوَاتِ الأوكار] وحلاوة المعاني التي تُجَلِّي على الأفكار ؛
ولها أنس الرِّيب ، وإدلال الحبيب ، وتلفت الزائر المريب ، من خوف الرِّيب ؛
ذات عُنِّي كالإبريق ، أو الغُصْن الوديق ، قد جمع صُفْرَةَ البهار إلى حمرة الشَّقِيق ؛
وصدر بهي الملبوس ، شبي إلى النفوس ، كأنما رَقَم فيه النهار بالليل أو نُقِش فيه
العاج بالأنوس ؛ وجَنَاج يُنجيها من العطب ، يحكى لونه المندل الرطب إلا أنه حَطَب .

مُدَيِّجَة الصدر تفويقه * أضاف إلى الليل ضوء النهار

لها عتق حاله من رآه * شقائق قد سيجت بالبهار

- (١) قطبت : مزجت . (٢) مفعلة : سرقة . (٣) في الأصلين :
« بحفة » ؛ وهو تحريف . (٤) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين : « من » .
(٥) الكائسة : التي دخلت في اسمها . (٦) زيادة عن صبح الأعشى . (٧) ضبط في شرح
القاموس بكسر الباء ، وضبط في المصباح المنير بضمها . (٨) في حسن التوسل وصبح الأعشى : « لولا
أنه حطب » . (٩) سيجت بالبهار أى جعل لها البهار سياجا . وفي مباحج الفكر : « وشمجت » .

فوثب الخامس منها إلى الغنيمه، ونظّم في سلك رمية تلك الدرة اليتيمه ؛ وحصل
بتحصيلها بين الرّماة على الرتبة الجسيمه .

وأتى على صوّتها "حُبرج" تسبق همتة جناحه ، ويغلب خفق قوادمه
صياحه ؛ مديح المطا، كأنما خلّع حلّة منكيه على القطا ؛ ينظر من لبّ ، ويخطو على
رجلين من ذهب .

يزور الرياض ويحفو الحياض * ويُشبه في اللون كُدرَ القَطَا
ويهوئ الزروع ويلهو بها * ولا يرد الماء إلا خطّا

فبدره السادس قبل ارتفاعه ، وأعان قوسه بأمنداد باعه ؛ نخر على الآلاءِ
كيسطام بن قيس^(٤) ، وأنقض عليه راميّه ^(٥) فخصله بحديق وحمّله بكيس .

وتعذر على السابع مرّامه ، ونبا به عن بلوغ الأرب مقامه ؛ فصعد هو وترّب
له إلى جبل ، وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقتها قبل . فعن له "نسر"
ذو قوادم شدّاد، ومناير حدّاد، كأنه من نسور لقمان بن عاد ؛ تحسبه في السماء
ثالث أخويه ، وتحالّه في القضاء قبته المنسوبة إليه ؛ قد حلق كالفقراء رأسه ،
وجعل تما قصر من الدلوق الدكن لباسه ؛ وأشتمل من الرياش العسلى لأزارا ، وأختار

١٥ (١) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « فيها » .

(٢) في الأصلين وحسن التوسل : « الثنية » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى .

(٣) الآلاء . (بوزن العلا) : شجر ورقه وحله دباغ ؛ يمدّ ويقصر . وهو حسن المنظر مرّ الطعم .
ولا يزال أخضر شتاءً وصيفا . واحده آلاءة بوزن الآنة . وقال أبو زيد : هي شجرة تشبه الآس لا تتغير
في القبط ولها ثمرة تشبه سنبل الدرة ومنبتها الرمل والأودية .

٢٠ (٤) يشير بذلك إلى قول عبد الله بن عنة الصيّ يرف بسطام بن قيس وقد قتله بنو ضبة :

نخر على الآلاءة لم يوسد * كان جنيته سيف صقيل

(٥) خصله : أصابه .

العزلة فلا يجد له إلا في قُنَنِ الجبال الشواهي مزاراً؛ قد شابت نواصي الليالي وهو لم يَسِبْ، ومضت الدهور وهو من الحوادث في معْقِلِ أَشْب .

مَلِكُ طَيُورِ الْأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً * وَفِي الْأُفُقِ الْأَعْلَى لَهُ أَخَوَانِ

لَهُ حَالُ قِتَالِكِ وَحِلْيَةُ نَاسِكِ * وَإِسْرَاعُ مِقْدَامِ وَقْتُهُ وَإِنْ

فَدَنَا مِنْ مَطَارِهِ، وَتَوَتَّى بُنْدُقَهُ عَنَقَهُ فَوْقَ فِي مِقْدَارِهِ؛ فَكُنَّا هَدْمَهُ مِنْهُ صَخْرًا، أَوْ هَدَمَ بِنَاءً مَشْمُخَرًا؛ وَنَظَرَ إِلَى رَفِيقِهِ، مَبْشَرًا لَهُ بِمَا آمَنَّا بِهِ عَنْ فَرِيقِهِ .

وَإِذَا بِهِ قَدْ أَظْلَنَهُ "عُقَابٌ" كَاسِرٌ، كَأَنَّمَا أَضَلَّتْ صَيْدًا أَقْلَتَ مِنَ الْمَنَاسِرِ؛ إِنْ حَطَّتْ فَسَحَابٌ أَنْكَشَفَ، وَإِنْ قَامَتْ فَكَانَتْ قُلُوبُ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابِ وَالْحَشَفِ؛ بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ، إِذَا أَقْلَعَتْ بَلَحَتْ فِي عُلوِّ كَأَنَّمَا تَحَاوِلُ نَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ .

تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ فِي كَفِّهَا * وَمِنْقَارِهَا ذَا عِظَامٍ مُزَالَةٍ

فَلَوْ أَمَكْنَ الشَّمْسَ مِنْ خَوْفِهَا * إِذَا طَلَعَتْ مَا تَسْمَتْ غَزَالَةٍ

فَوَتَّبَ إِلَيْهَا التَّامَنُ وَثْبَةً لَيْثٍ قَدْ وَثِقَ مِنْ حَرَكَاتِهِ بِنَجَاحِهَا، وَرَمَاهَا بِأَوَّلِ بُنْدُقَةٍ فَمَا أَخْطَأَ قَادِمَةَ جَنَاحِهَا؛ فَأَهْوَتْ كَعْوِدَ صُرْعٍ، أَوْ طَوْدَ صُدْعٍ؛ قَدْ ذَهَبَ بِأُسْهَا، وَتَذَهَبَ بِدُمَاهَا لِأُسْهَا؛ وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ يُجَادِعُ الْجَوْ عَنْ عُقَابِهِ، وَيَسْتَتِرُ الْأَعْصَمُ (٢) مِنْ عُقَابِهِ؛ فَخَمَلَهَا بِجَنَاحِهَا الْمَهِيضِ، وَرَفَعَهَا بَعْدَ التَّرْفَعِ فِي أَوْجِ جَوْهَا مِنَ الْحَضِيضِ؛ وَتَزَلَا إِلَى الرَّفْقَةِ، جَذِلَتَيْنِ بَرِيحِ الصَّفْقَةِ .

(١) فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ : « وَإِنْ طَارَتْ » .

(٢) كَذَا فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ وَصَبَّحَ الْأَعْمَى . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « الْعَصَم » .

(٣) الْمَهِيضُ : الْمَكْسُورُ .

فوجدنا التاسع قد مر به "كركي" طويل السَّقار، سريع النَّفَّار؛ شَهِىَ الفِراق^(١)،
كثيرُ الاغتراب يَشْتُو بمصر ويَصِيف بالعِراق؛ لقَوَّامه في الجَوِّ هَيف^(٢)، ولأَدِيمه
لَوْنُ سماءٍ طَرّاً عليها غيمٌ خفيفٌ؛ تَحِنُّ إلى صوته الجَوَّارح، وتَعَجَّب من قُوَّة الرِّياح
البوارح؛ له أثرٌ حمرة في رأسه كَوَيْضِ جمرٍ تحت رماد، أو بَقِيَّةِ جُرْحٍ تحت
ضِمَاد؛ أو فِصٌّ عَقِيْقٍ شَقَّتْ عنه بقايا ثِمَاد؛ ذو مِنقارٍ كِسَنان، وعُنُقٍ كَعنان^(٣)؛
كأَنما يَتُوَس، على عودين من أبَنوس .

إذا بدا في أَفْقٍ مُقْلِعاً * والجَوُّ كالماء تَفَاوَيْفُهُ
حَسْبَتُهُ في لُجَّةٍ مَرَجاً * رجلاه في الأَفْقِ مَجَادِيفُهُ

فصَبَرَ له حتى جازَهُ مُجَلَّياً، وَعَطَفَ عليه مُصَلِّياً؛ نَحَرَ مُضَرَّجاً بدمه، وَسَقَطَ
مُشْرِفاً على عَدَمِهِ . وطالما أَقَلَّتْ لَدَى الكواسيرِ من أَظْفارِ المُنُون، وأصابه القَدْرُ
بِحَبَّةٍ من حَبِّ مَسْنُون؛ فَكَثُرَ التَّكْبِيرُ من أَجلِهِ، وَحَمَلَهُ راميهِ من على وَجْهِ الأَرْضِ
بِرِجْلِهِ .

وحاذاه "غُرْنُوقٌ" حَكَاهُ في زِيَةِ وَقْدِهِ، وَأَمْتَازَ عَنْهُ بِسَوَادِ رَأْسِهِ وَصَدْرِهِ؛
له رِيشَتان ممدودتان من رأسِهِ إلى خَلْفِهِ، مَعْقُودَتانِ من أُذُنَيْهِ مَكَانَ شَنَفِهِ .

له من الكُرْكِيِّ أوصافُهُ * سَوَى سَوَادِ الصَّدْرِ والرَّاسِ
إن شالَ رِجْلاً وَأَنبَرى قَائِماً * أَلْفِيَّتُهُ هَيْئَةُ رُجاسِ

(١) في حسن التوصل : « شديد العراق » .

(٢) الهفيف : صوت هبوب الريح .

(٣) في الأصلين : « كَقَبان » . وما أُتْبِئاهُ عن حسن التوصل وصحح الأُصْحَى .

(٤) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٣٣٧ من هذا الجزء .

(٥) في حسن التوصل : « حتى حاذاه » .

(٦) في الأصلين : « فكبر الكبير من أَجلِهِ » . والتصويب عن حسن التوصل وصحح الأُصْحَى .

(١) فأنصني العاشر له مُنْصِنَا ، ورماء ملتفنا ؛ فخر كأنه صريعُ الألحان ، أو تَزَيْفُ
بنتِ الحان ؛ فأهوى إلى رجله بيده وأيده ، وأنقص عليه أنقصاً الكسر على
صيده .

(٣) وتبعه في المطار "صوغ" ، كأنه من النضار مصوغ ؛ تحسبه عاشقاً قد مدَّ
صفحته ، أو بارقاً قد بثَّ لَفَحته .

طويلةٌ رجلاه مسودةٌ * كأنما منقاره خنجَرُ
مثلُ عجوزٍ رأسها أشمطُ * جاءت وفي قمتها معجَرُ (٤) (٥)

فاستقبله الحادي عشر ووثب . ورماء حين حاذاه من كُتَب ؛ فسقط كفارسٍ
تقطر عن جواده ، أو وامِقٍ أصيبت حبة فؤاده ؛ فحمله بساقه ، وعدل به إلى رفاقه .
وأقترن به "مُرْزَمٌ" له في السماء سَمِيٌّ معروف ، ذو منقارٍ كُصْدَغٍ معطوف ؛
كأن رياشه فلق أتصل به شفق ، أو ماء صافٍ علق بأطرافه علق .

له جسمٌ من الثلج * على رجلين من نارٍ
إذا ألقه ليلاً قل * مت برق في الدجى سارى

(١) التزييف : السكران الذي ذهب عقله .

(٢) الأيد : القوة .

(٣) ذكره صاحب كتاب صبح الأعشى (ج ٢ ص ٦٤) فقال : « الصوغ — بضم الصاد المهملة
وغين معجمة في الآخر — هو طائر يختلط اللون من السواد والياض أحمر الصدر ، وأكثر ميله إلى
الخضرة والأشجار » .

(٤) كذا في حسن التوسل ، وهو أصح وزناً وأنسب معنى . وفي الأصلين : « وفي رقبتهما » .

(٥) المعجر (بالكسر) : ثوب تستعربه المرأة أى تشده على رأسها .

(٦) الصدغ : الشعر المتدل على ما بين العين والأذن .

(٧) الفلق (محركة) : الصبح ، وقيل : الفجر .

فَاتَّقَاهُ الثَّانِي عَشَرَ مَيْمًا ، ورماء مصمما ؛ فأصابه في زَوْرِهِ ، وَحَصَّلَهُ مِنْ قَوْرِهِ ،
وحصل له من السرور ما خرج به عن طَوْرِهِ .

والتحق به "شَبِيطِر" ^(١) كأنه مُدْيَةٌ مُبَيَّطِرٌ ؛ يَخْطُ كَالسَّيْلِ وَيَكْرَهُ عَلَى الْكَوَاسِرِ
كالخيل ؛ ويجمع من لونه بين ضِدَيْنِ يُقْبَلُ مِنْهُمَا بِالنَّهَارِ وَيُدْبَرُ بِاللَّيْلِ ؛ يَتَلَوَّى
في مِيقَارِهِ الْأَيْمِ ، تَلَوَّى التَّيْنِ فِي النَّعِيمِ .

تراه في الجَوْ مَمْتَدًّا وفي فمه * من الْأَفَاعِي تُجَاعُ أَرْقَمُ ذَكَرُ
كأنه قَوْسٌ رَامٍ عُنُقَهُ يَدُهَا * ورأسه رأسها والحَيَّةُ الْوَتْرُ
فصوب الثَّالِثَ عَشَرَ إِلَيْهِ بِنَدْقِهِ ، فَقَطَعَ حَيَّةَ وَعُنُقَهُ ؛ فَوَقَعَ كَالصَّرْحِ الْمَرْدُ ،
أَوْ الطَّرَافِ الْمَمْدَّدِ ^(٥) .

وَاتَّبَعَهُ "عَنَازُ" ^(٦) أَصْبَحَ فِي اللَّوْنِ ضِدَّهُ ، وَفِي الشَّكْلِ نِدَّهُ ؛ كَأَنَّهُ لَيْلٌ ضَمَّ الصَّبْحَ
إِلَى صَدْرِهِ ، أَوْ أَنْطَوَى عَلَى هَالَةِ بَدْرِهِ .

تراه في الجَوْ عِنْدَ الصَّبْحِ حِينَ بَدَأَ * مُسْوَدَّ أَجْنَحَةٍ مَبِضَّ حَيْزُومِ
كَأَسْوَدٍ حَبَشِيٍّ عَامٍ فِي نَهَرٍ * وَضَمَّ فِي صَدْرِهِ طِفْلًا مِنَ الرُّومِ

(١) الشبيطير (بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة وكسر الطاء المهمله . ويسمى القلق . وكنيته عند

أهل العراق أبو خديج) : هو طائر أبيض أسود طرفي الجناحين وجلاه ومقارحه حر . وهو يأكل
الحيات ويوصف بالعطش والدكا . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٧) .

(٢) المبيطر : معالج الدواب .

(٣) الأيم : الحية .

(٤) في الأصلين : « تقطع الحية ... » والتصويب عن حسن التوسل وصبغ الأعشى .

(٥) الطرف : بيت من آدم .

(٦) العناز (بضم العين المهمله وتشديد النون وزاى معجمة في الآخر) : طائر أسود اللون أبيض

الصدر أحمر الرجلين والمقار . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٤) .

فنهض تسمم القوم إلى التيمم ، وأسفرت عن نُجج الجماعة تلك الليلة المذلمة ؛
وغدا ذلك الطير الواجب^(١١) واجبا ، وكُل المدد به قبل أن تُطْلِع الشمس عينا
أو تُبْرِز حاجبا ؛ فيا لها ليلة حَصَرنا بها الصوادح في الفضاء المتسع ، ولقيت فيها الطير
ما طارت به من قبل على كُل شَمَلٍ مجتمِع ؛ وأضحت أشلاؤها على وجه الأرض
كفرائد خانها النظام ، أو شَرِبَ كَأَن رَقَابَهُم من اللين لم يُخلق لهن عظام ؛ وأصبحنا
مُتَّيْن على مَقَامنا ، مُتَّيْن بِالظَّفَر إلى مستقرنا ومَقَامنا ؛ دَاعِينَ لِلوَلَى جَهْدَنَا ، مُدْعِينَ
له قَبْلَنَا أوردَنَا ؛ حَامِلِينَ ما صرَعْنَا إلى يَمِين يَدَيْهِ ، عَامِلِينَ على التشرّف بخدمته
والانتماء إليه .

فأنت الذي لم يُلَفَّ من لا يودّه * ويدعو له في السرّ أو يدعى له
فإن كان رمي أنت تُوضَح طُرُقهُ * وإن كان جيش أنت تَحِي رَعِيلُهُ^(٢)

والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ، ويجعله كهفا للأولياء وقد جعل .

﴿١٥٨﴾



ومن إنشاء المولى علاء الدين علي بن عبد الظاهر [في] قَدَمَةِ بندق .

ابتدأها بأن قال : « الحمد لله مَهَيَّ أسباب الأرتياح ، ومَهَيَّ أوقاتِ
الانشرّاح ، ومُطَلِّق الأيدي في الاقتناص فليس عليها في صيد ذوات الجناح جُناح ؛

(١) واجبا : ميتا . يقال : ضربه فوجب ، إذا خرمنا .

(٢) الرعيل : مقدمة الجيش والليل .

(٣) هو علاء الدين علي بن فتح الدين محمد بن محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر رئيس الكتاب وسيد
الرؤساء وجليس الملوك . أورد له المؤلف فيا تقدّم من الرسائل البليغة والتقاليد البديعة واليهود الوثيقة
ما جعله يعتذر من التقصير في الانتهاء إلى وصف محاسنه ويعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبه وبما منه .

(راجع الجزء الثامن من هذا الكتاب ص ١٢٦ — ١٤٩) .

ومزِينِ السماء بمصابيح^(١) أنوارها، ومَوْشَى الأرض بَرُوضها ونُوارها ؛ ومنوَّر الأيام
بشموسها والليالي بأفكارها ، ومطرَّز مطاريف الآفاق بمطار أطياريها . والصلاة
والسلام على سَيِّدنا محمد وآله وصحبه الذين أنجدهم الله من ملائكته بأولي أجنحه ،
وأهوى بصرائهم وأوهى قُوى مُمائنهم بعزائمهم المنجيحة .

- وبعد، فإنَّ القنص شَغِفَتْ به قلوبُ ذوى العزائم ؛ وصيرته عنوانًا للحرب إذ
حمام الحمام فيه على الفرائس حوام ؛ تلتذ نفوسهم بالمطاردة فيه وترتاح، وتهواه فلو
تمكنت لركبت اليه أعناق الرياح ؛ ترد منه مورد الطَّفر، وتمتع فيه بئرُه تقسم الحسنُ
فيهن بين السمع والبصر، وتُمَلِّى عند السرور إليه رياض ديجها صَوْبُ من المطر
لا صوب من الفكر، ويَطْوِي من الأرض ما نشرت أيدي السماء به برودًا أبهى من
الحبر؛ فتارة تستنزل من العواصم الطبَّاء العواصي، وآونة تقتنص الطير وقد تحصنت
من بروج السُّحب في الصَّياحبي ببعوثها الدانية من كل قاصي . وأحسن أنواعه
الذى جمع لمعانيه بين رَوْضية ورياضه، وغُدُر مَقاضيه ؛ ومغازلة عيون النور وهى
تدمع حين طرفها بذيله نسيم الصباح، ومباكرة اللذات من قبل أن ترشَف شمس^(٥)
الضحى ريق الغواوى من تغور الأفاح ؛ رعى البندق الذى هو عُقْلة المستوفز،
وأتهاز عُقْلة الطائر المتحرز؛ وزههُ القلوب التى إن طالَت لا تُمَلِّ ، وإن اجتاز
المتنزه بموطنها لم يؤجر . أحلى من صيد الطبَّاء ، وأشهى من لَمَح مَلَح الحسناء ؛

(١) فى الأصلين : « بمصباح » .

(٢) لعله يريد « صرعام » جمع صريع .

(٣) الحبر : جمع حبرة : ضرب من برود اليمن مخطط .

(٤) الصياحى : الحصون وكل شئ امتنع وتحصن به .

(٥) المستوفز : المتجيب للوثوب .

(٦) كذا بالأصلين . ولعلها : « لم يوجل » .

لا يحتاج إلى ركض جواد، ولا يحتاج فيه خفص العيش جواد^(١)، ولا يهاجر متعاطيه إلى المواجر، ولا يحجر على نفسه في الإفضاء إلى المحاجر^(٢)؛ أربابه يرتاضون في الروضة الغناء، ويسمعون من نغمت الأوتار وشدة الأطياف مختلف الألحان والغناء؛ ويمتطون الليل طرفاً، ويستنيرون من النجوم شموخاً لا تقط ولا تطفأ؛ قد اتخذ كل منهم مقاماً أكرم به من مقام، وهام باللذة فترك كرائم كراه وكذا عادة المستهام؛ وسبح في بلج الليل وكرع في نهر النهار، وتجل في حلل الصدق وتجلي عن خلل العار .

يهوون لذة القنص في الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، ويرسلون رسل المنايا إلى صرائعهم فاستنفس . إذا برزوا عند الغروب توارت شمس الأصيل حياء، وذهبت في حلتها الذهبية حين بهروها سناً وسناء؛ تراهم كالزهر أو الأزهار، أو عقيد نظم بالبحرين والزمررد والنضار؛ أوجههم في أفلاك قسيهم أقمار، كولدان جنان، وأعطاف أغصان؛ قد طاف بهم سياج المسرة وأحرق، وحلوا بباب سندس خضر واستبرق؛ كأن الأرض ضاهت بهم السماء، فصيرت قسيهم أفلاكها، وغرهم نجومها، وعزائمهم صواعقها وبنادقهم رجومها؛ يتحقق منهم قلب كل خافقه، وتقدم بعوئهم على ذوات القوادم فبينما هي مترافقة إذا بها متفارقة، وكأن صواف الطير لديهم في جو السماء، سطور في صفيحة زرقاء؛ أو كأنها في أثلاثها، عقود در في نظامها؛ يقرطون سلكها، ويقربون هلكها، ويقعدون بها في القدر، ويمسرون عليها في الجسور، وتقايس بنادقهم صرائعهم فيصير وكر الطير الجراوة وجراوة البنادق حواصل الطيور . وإذا أسقروا وجه صباح، سمعت للطير صياحاً والطرب كلّه في ذلك الصباح؛ وإن عشوا مقاماتهم وجه عشاء رأيت الطير وهي لدى محارب

(١) الجواد (بالضم) : جهد العطش ، يريد أنه عيش ناعم لا يشوبه كدر .

(٢) المحاجر : جمع محجر وهو الحديقة ، أو الموضع فيه رمى كثير موا .

قسيمٌ وهى تُجود وُركٌ، طرائحٌ من بِيضٍ وسُودٍ كأنَّ أديمَ الأرضِ مِنْهُنَّ أُنْقَعَ .
 وإنْ تعلقوا بأذيالِ الليلِ وَبِحُفَّةِ ، واباتوا في عِطْفِهِ ؛ احتَمَى مِنْهُمُ بُشْهُهُ ، وتَسْتَرَّ
 في حُجَّتِهِ ؛ وتوارى عَنْهُمُ البدرُ بِذَيْلِ الغمامِ ، وهالته أنْ تبدوَ لقسيمِهم الموترَ بِالْحِمَامِ .

إلى غير ذلك مما أَلْتَرَمَوْهُ مِنْ محاسِنِ أوصافٍ وأوصافِ محاسنٍ ، ووردوه مِنْ مناهلِ
 مصافاةٍ ماؤها غَيْرُ آسِنٍ ، ووجدوه مِنْ طيبِ عَيْشٍ مالانوا معه ولا آسْتَكَنُوا

(١٥٩)

إلى المساكنِ ؛ وحفظوه مِنْ صناعتهم مِنْ شُرُوطٍ وَأَوْضَاعٍ ، ووقفوا في مقاماتهم
 مِنْ مُطِيعٍ وَمُطَاعٍ ؛ يَرْعُونَ قَدَرَ كِبِيرِهِمْ ، ولا يُرَاعِ بَيْنَهُمْ قَلْبُ صَغِيرِهِمْ ؛ ويتناصفون
 في أحكامهم ، فالحكمُ واحدٌ على أَمْرِهِمْ ومَأْمُورِهِمْ . إنْ تَفَرَّقُوا فهِمْ على قلبِ رجلٍ

واحدٍ ، وإنْ اختلفَتْ مِنْهُمُ المقاعدُ فقد اتَّفَقَتْ مِنْهُمُ المقاصدُ . ما خلا جُوهَهم

مِنْ واجبِ الطاعةِ ، ولا علا بَيْنَهُمْ كِبِيرٌ إِلَّا بَدَلُوا في خدمته جُهْدَ الاستطاعةِ ؛ وأضْحَوْا

وأَمْرُهُمْ عَلَيْهِمْ محتومٌ ، وأمسوا وما فيهِمْ إِلَّا مِنْ لَهُ مَقَامٌ معلومٌ ؛ بأيديهم قِيسٌ قَاسِيهِ ،

قُضْبَانُهَا قَاضِيهِ ؛ منعطفَةٌ جَافِيهِ ، بعوثُها في الخواصِ خَافِيهِ ؛ تَمَثَّلُهَا الأفكارُ في ساحةِ

الفضاءِ ، كزوارقٍ مَبْنُوثَةٍ في لُجَّةِ الماءِ . وكيف لا ! وهى تَحْمِلُ المنايا إلى الطيرِ ،

وإنْ لم تكن سائِرَةً فلها بُعُوثٌ سَريِعَةٌ السَّيرِ ؛ كَأَنَّ صَانِعَهَا قَصَدَ وَضَعَهَا كَالْأَهْلَةِ

واقترَحَ ، أو حَكَّى بِمَدْيَجاتِها قَوْسَ قُرْحٍ ؛ وَكَأَنَّ ظَهْرَهَا وقد تنَوَّعتْ بِهِ مِنَ الغُرُوزِ

مَدَارِجُهُ ، مَدْرُ سَحْيِ وَرْسٍ دَبَّ عَلَيْهِ مِنَ النَّمْلِ دَارِجُهُ ؛ إِذَا حُطَّتْ عَنْهَا أَوْتَارُهَا

كَانَتْ عَصَا لَرَبِّهَا فيها مَأْرَبٌ ومغانمٌ ، يُوجِسُ الطيرُ في نفسه مِنْهَا خِيفَةً وكيف لا !

وهى في شَكْلِ الْأَرَامِ ؛ متضادَّةٌ تَجْفُو وتَلِينُ ، مَوْتُورَةٌ وَغَيْرُهَا حَزِينُ ؛ تَضُمُّهَا أَنَامُلُ

من يُسْترهم هي أَيْمَن من يَمِين عَرَابَةٍ^(١) بن أَوْس ، وَيَطْلُعُ كُلُّ مِنْهُمْ فِي فَلَكِهَا وَالطَّالِعُ
الْقَمَرُ فِي الْقَوْسِ ؛ لَا تَعْتَصِمُ مِنْهَا الطَّرَائِدُ بِالْجَبَاءِ فِي وَكْرِ الدَّجَنَةِ ، وَلَا يُخَفِّفُهَا اتِّخَاذُهَا
الظُّلُمَاءُ جَنَّتْ ؛ وَلَا يُوقِّعُهَا زَقْفُهَا^(٢) ، وَلَا يَنْقِيهَا مَلَقُهَا وَلَا تَنْجَحُ بِخَفَقِ الْجَنَاحِ ،
وَلَا تَسْتُرُوحُ بِمُسَاعَدَةِ الرِّيحِ ؛ لَهَا بِنَادِقُ كَأَنَّهَا حَبَاتِ الْقُلُوبِ لَوْنًا ، وَأَشْكَالُ الْعُقُودِ
كُونًا ؛ كَأَنَّمَا صُيِّغَتْ مِنْ لَيْلٍ وَصِيغَتْ مِنْ شُهْبٍ ، أَوْ صُنِعَتْ مِنْ أَدِيمٍ لِلشُّحْبِ ؛
تُقَرِّدُ مِنَ الطَّيْرِ الثَّوَامَ ، وَتَجْعُ بَيْنَ رُوحِهَا وَالْجَمَامِ ؛ قَدْ تَحَامَاهَا النَّسْرَانُ فَاتَّخَذَا السَّمَاءَ
وَكُرًا ، وَاتَّفَقَا أَنْ يَصْبَحَا شَفْعًا وَيُمْسِيَا وَتَرَا ؛ تَقْبِضُ مِنْهَا الْأَيْدَى عِنْدَ إِطْلَاقِهَا رَاحَةً
رَاجِحَةً ، جَارِحَةً مِنَ الطَّيْرِ كُلِّ جَارِحَةٍ ، لَا تَرَى صَادِحَةً إِلَّا صَبْرَتَهَا صَانِحَةً . قَلْبُ
كُلِّ طَيْرٍ مِنْهَا طَائِرٌ ، وَكَيْفَ لَا وَهِيَ لِلسَّهَامِ ضَرَّاءُ ؛ تُضَرِّمُ النَّارَ لِإِشْوَاءِ الطَّيْرِ
قَبْلَ مَفَارِقَتِهَا لِلْأَوْتَارِ ، وَتَقْنَنُصُ مِنَ الْجَوَارِحِ كُلِّ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارٍ بِالنَّهَارِ ؛
تَبْجِعُ كَامِنَ الْغَنِيمَةِ وَتَسْتَنْتِيرُ ، وَتَبْدُو كَأَنَّمَا تُجْنِتُ مِنْ صَنْدَلٍ وَغَيْرِ .

وَمَا كَانَ مَنْ هُوَ وَاسِطَةٌ عِقْدِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، وَالرَّافِلُ فِي بُرُودِهَا الْمَوْشِيَّةِ
لِلْأَطْرَافِ ؛ وَالْمُبْدِعُ فِي فَنِّهِ ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ فَضِيلَةِ الرَّمْيِ وَحُسْنِهِ ؛ وَالْمُسْتَنْطِقُ لِسَانِ
قَوْمِهِ بِالْإِحْسَانِ ، وَالْحَافِظُ شُرُوطِهِ فِي طَهَارَةِ الْعَرَضِ وَصِدْقِ اللِّسَانِ ؛ وَالرَّامِي الَّذِي

١٥ (١) هُوَ عَرَابَةٌ بَنُ أَوْسَ بْنِ قَيْطَى الْأَصَارِيِّ . وَيُشِيرُ بِهَذَا إِلَى مَدْحِ الشَّيَاحِ بْنِ ضَرَّارِ الْمُرِّي لِعَرَابَةٍ .
وَسَبَبُهُ أَنَّ عَرَابَةً قَدِمَ مِنْ سَفَرِ جَمْعِهِ الطَّرِيقَ وَالشَّيَاحَ فَقَالَ لَهُ عَرَابَةٌ : مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ الْمَدِينَةَ ؟ قَالَ :
قَدِمْتُ لِأَتَارَ مِنْهَا ، فَلَا لَهُ عَرَابَةٌ رَوَّاحِلُهُ بَرًا وَتَمَرًا وَأَتَخَفْتُ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَقَالَ الشَّيَاحُ :

رَأَيْتَ عَرَابَةً الْأَوْسَى يَسْمُو * إِلَى الْخَيْرَاتِ مَقْطَعِ الْقَرْنِ

إِذَا مَا رَأَيْتَ رَفَعْتَ لِحْجَدَ * تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْجَيْنِ

إِذَا بَلَقْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي * عَرَابَةٌ قَاشَرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وَمِثْلُ سَرَاةِ قَوْمِكَ لَمْ يَجَارُوا * إِلَى رَمْعِ الرِّهَانِ وَلَا الْغَيْنِ

٢٠ (٢) كَذَا فِي أ ، وَفِي ب : « وَلَا يَنْقِيهَا » . وَلَعَلَّ كَتَبْتُمَا مَحْرُوقَةً عَنْ : « وَلَا يَنْقِيهَا » .

- بلغ بهجة غاية المرام ، وضاهى بُندُقه السَّهام ؛ وكان يوم كذا وكذا خرج إلى برزته
المباركة وصرح طيرين في وجه واحد ، وأبان عن حُسن الرمي وسَدَادِ الساعد ؛ وأضحى
بينهما كثيراً بين قومه ، وجعلهما لهم وليمةً في يومه ، وهما ” تَم ” كما صيغ من فضه ،
أو تَدَرَّج من النهار حُلَّةً مبيضة ؛ أو غاير بياضه الليلَ فَلَطم وجهه بيد ظلماته ، فاقْتَصَّ
منه وخاض في أحشائه ؛ لجناحه هَفِيفٌ في المطَّار ، تَسْمَعُ منه نغمة الأوتار . و” لَغْلَغَةٌ ”
كانها كُتُوت من شقيق وعَمام ، أو مُزِج لَوْنُها بماءٍ ومُدَام ؛ لها غُرَّةٌ لو بدت في الليل
خَلَّتْها بَدْرًا ، وإن أسفرت عند الصباح حَسِبَتْها جُفْرًا ؛ وحلها فلان وفلان ، وقطع
شَبَقَه فلان وأدعى لفلان ؛ وعاد الرامي قَرِيرَ العين ، مملوءَ اليدين ، إذا فخرَ غيره بواحدة
نَحَرَ بَائِثَيْن ؛ معظماً بين أترابه ، مُكْرَماً لدى أحبابه ؛ ألبسه الله من السرور أزهى
أثوابه . بمنه وكرمه .

ومما ورد في وصف الجُلاهِقِ نَظْماً — قال أبو العرج البَقَاءُ يصفها :

- ومِرْنايَ مُبَسَّيةً مَحْكَوك * مُهْدِيةً الطَّيَّاعِ وَالْكَيَّانِ
مُغَالِيةً وليس بها حَرَاكُ * وباطِشَةٍ وليس لها يَدَانِ
لها في الجَارِحِ النَّسَبُ المَعْلَى * وإن هي خالفتْ في المَعَانِ
تَطِيرُ مع السَّبْزَةِ بلا جَنَاح * قَسَيْفُهَا إلى قَصَبِ الرِّهَانِ
وَتُدْرِك ما تَشَاءُ بغير رِجْلٍ * ولا باجِ يَطُولُ ولا بَنَانِ
وتَلَحَّظُ ما يَكِلُّ الطرفُ عنه * بلا تَظْهِيرٍ يَصْحَ ولا عِيَانِ
لها عُضْوَانٌ من عَصَبٍ وَلَحْمٍ * وسائرُ جِسمِها من خَيْرِ زَانِ

(١) في الأصلين : « صيغ » بالباء الموحدة ، ولعلها مصحفة عما أثبتناه .

(٢) في ب : « سبقه » . (٣) المِرْناي : القوس وصف من رن إذا صَوَّت .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « وعظم » .

يُخَاطَبُ فِي الْمَسَاءِ الطَّيْرُ مِنْهَا * بَلْفِظْ لَيْسَ يَصْدُرُ عَنْ لِسَانٍ
 فَإِنْ لَمْ تُصْخِرْ أَرْدَنْتَهَا بَطْعَيْنِ * يَنْوُبُ الطَّيْنُ فِيهِ عَنِ السَّنَانِ
 مَقْرَطَقَةً مِنْطَقَةً خَلُوبَ * مُهْمَهَقَةً مَخْفَقَةً الْجِرَارِينَ
 مَذْكُورَةٌ مُؤَنَّثَةٌ تَهَادَى * مِنَ الْأَصْبَاغِ فِي حُلِّ الْقِيَانِ
 مُعَمَّرَةٌ تَرَايِدُ كُلَّ يَوْمٍ * شَيْبَتُهَا عَلَى مَرَّةِ الزَّمَانِ
 كَأَنَّ اللَّهَ ضَمَّنَهَا فَبَاتَ * لَنَا فِي الرِّزْقِ عَنْ أَوْفَى ضَمَانِ
 أَعَزَّ عَلَى الْعَيُونِ مِنَ الْمَأَقَى * وَأَحْلَى فِي النَفُوسِ مِنَ الْأَمَانِ
 إِذَا مَا اسْتَوْتُنْتَ يَوْمًا مَكَانًا * تَوَلَّى الْجَدْبُ عَنْ ذَاكَ الْمَكَانِ
 وقال أبو الفتح كُشَّاجِم :

وَنِيقَةً مُدَجَّجَةً الْأَوْصَالِ * نَحْيِيَّةً عَوَجَاءُ كَالِهِلَالِ
 تَعُودُ إِنْ شَتَّ إِلَى أَعْتَدَالِ * بَاطِنُهَا ^(١) لِعَاقِلِ الْأَوْعَالِ
 وَالظَّاهِرُ مِنْهَا لِقَنَّا الْأَبْطَالِ * يَجْمَعُهَا اسْمُ ذُو آفَتَالِ
 فِي وَسْطِهِ مِنْ صِنْعَةِ الْمُحْتَالِ * مِثْلُ عَيْنٍ غَيْرِ ذِي أَحْوَالِ
 تَقْدِزِي بِصَدَقَاتٍ مِنَ الصَّلْصَالِ * أَمْضَى مِنَ السَّهَامِ وَالنَّبَالِ
 قَدَى يُقَرَّرُ أَعْيُنَ الْأَمَالِ * فَاقْعَةُ الصُّفْرَةِ كَالْجُرْيَالِ ^(٢)
 رَخِيصَةً تَقَسَّمُ كُلُّ غَالٍ * تُؤَمِّنُ مِنْهَا وَنِيَّةُ الْكَلالِ
 تَعُولُ فِي الْجَدْبِ وَفِي الْإِنْحَالِ * وَقَدْ يَكُونُ الصُّفْرُ كَالِغِيَالِ ^(٣)

- (١) يريد أن وترها منسوب لعاقل الأوصال كما أن ظهرها منسوب لقنا الأبطال . و يؤيد هذا المعنى بيته الثاني من القصيدة التالية . و يقال : وعل عاقل إذا تحصن بوزره عن الصباد في الجبل العالي .
 (٢) يقال : قذت العين تقذى إذا قذفت ما فيها من قذى . وقد شبه الجوزة التي في وسط الورت بالعين ، فصح له لذلك أن يستعمل القذى في قذف الجوزة لما فيها من بسندق . وفي الأصلين : « تعدى » وهو تحريف .
 (٣) الجريال : الخمر أو لونها .

مَطِيئًا عَوَاتِقُ الرِّجَالِ * فِي غُلْفٍ مَمْدُودَةٍ طَوَالِ
كَمْ أَفْضَلْتُ عَلَى ذَوِي إِفْضَالِ * وَكَمْ أَنَاثُ مِنْ أُنْحَى نَوَالِ
* وَقَرَّبْتُ لِلطَّيْرِ مِنْ أَجَالِ *

وقال أيضا فيها من أبيات :

- وفي يَسَارِي من الخَطَى مُحْكَمَةً * متى طَلَبْتُ بها أَدْرَكْتُ مطلوبِي
لِلْوَعْلِ بَاطِنُ شَطْرِيهَا وَمُعْظَمُهَا * من عُودِ شَجَرَاءِ ظَمِيَاءِ الْأَنَابِي
تَأْتِي الْقَيْنِ فِي تَرْزِينِهَا فَفَدَتْ * تُؤْمِي بِأَحْسَنِ تَفْضِيضٍ وَتَذْهِيبِ
فِي وَسْطِهَا مُقْلَةً مِنْهَا تُبَيِّنُ مَا * بُرِي فَمَا مَقْتُلُ عَنْهَا بِمُحْجُوبِ
فَقَمْتُ وَالطَّيْرُ قَدْ حُمَّ الْجِمَامُ لَهَا * عَلَى سَبِيلِ فِي عَادِي وَتَجْوِي
حتى إِذَا أَكْتَحَلَّتْ بِالطَّيْنِ مُقْتَلَهَا * صَبَّتْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا جَدًّا مَصُوبِ
فَرُحْتُ جَدْلَانِ لَمْ تَكْذُرْ مَشَارِبُ لَذَائِقِي * وَلَمْ تُلْقِ آمَالِي بِتَغْيِيْبِ

ذَكَرْتُ شَيْءَ مِمَّا قِيلَ فِي سَبْطَانَةٍ

قال أبو الفرج البَغَاء :

- وَجَوْفَاءَ حَامِلَةٍ تَهْدِي * إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَقْرُوحِهِ
مُقَوْمَةٍ الْقَدْ مَشُوقَةٍ * مُهَفَّهَةٍ الْجَسِيمِ مَسْرُوحِهِ

(١) كذا في مباحج المكر . وفي الأصلين : «عرائق» ولا معنى لها . (٢) القَيْن :
الحداد ويطلق على كل صانع . (٣) في الأصلين : «مقبل» ولا يستقيم بها المعنى .
(٤) كذا بالأصلين . ولعلها محرفة عن : «في عدى وتجوبي» .

(٥) السبْطَانَةُ (وتسمى أيضا : الزبطانة بالزاي بدل السين) : آلة من آلات الصيد تتخذ من خشب ،
مستطيلة كالرمح محفوفة الداخل يجعل الصائد بندقة من طين صغيرة في فيه ، وينفخ بها فيها فتخرج منها بحدة
فتصيب الطير فترميه ، وهي كثيرة الإصابة (عن صبح الأضنى ج ٢ ص ١٣٨) .



مُتَّقِفَةٌ فُهَا عَيْنُهَا * تُبَشِّرُ قَلْبِي بِتَصْحِيحِهِ
فَإِنْ هِيَ وَالْجَارِحُ اسْتَنْهَضَا * إِلَى الصَّبَدِ عَاقِبَتَهُ عَنْ رِيحِهِ
إِذَا الْمَرْءُ أَوْدَعَهَا مِرَّةً * لَتُخْفِيهِ بَاحَتُ بِتَصْرِيحِهِ
مَوَاتٌ تَعِيشُ إِذَا مَا أَعَادَ * لَهَا النَّائِغُ الرُّوحَ مِنْ رُوحِهِ
هِيَ السَّبْطَانَةُ فِي شَكْلِهَا * فَفَى الْقَلْبِ جِدُّ تَبَارِيحِهِ
تُحْطُّ أَبَا الْفَرْخِ عَنْ وَكْرِهِ * وَتَسْتَزِلُّ الطَّيْرَ مِنْ لُوحِهِ^(١)

وقال أبو طالب المأموني :

مُتَّقِفَةٌ جَوَاءٌ تُحْسَبُ زَانَةٌ^(٢) * وَلَكِنَّا لَا زُجَّ فِيهَا وَلَا نَضْلُ
تُسَدِّدُ نَحْوَ الطَّيْرِ وَهُوَ مُحَلَّقٌ * فَيَنْقُذُ عَنْهَا لِلرَّدَى نَحْوَهُ الرُّسْلُ
يَطِيرُ إِلَى الطَّيْرِ الرَّدَى فِي ضَمِيرِهَا * فَيَجْرِي كَمَا يَجْرِي وَيَعْلُو كَمَا يَعْلُو
فَيَقِيلُ مَا تَنْجُو بِهِ فَكُنَّا * يُمَدُّ إِلَيْهِ مِنْ بِنَادِقِهَا حَبْلُ^(٣)

ذكر شيء مما قيل في عيدان الدبق^(٤)

قال عبد الله بن المعتز فيها مُلَغَزًا :

وَمَا رِمَاحٌ غَيْرُ جَارِحَاتٍ * وَلَسَنٌ فِي الدِّمَاءِ وَالْغَاتِ^(٥)
وَلَسَنٌ لِلطَّرَادِ وَالْفَارَاتِ^(٦) * يُخَضِّنُ لَا مَنْ عَلَيَّ الْكُجَاةِ

(١) اللوح : الفضاء بين السماء والأرض ، يضم ويفتح والضم أعلى .

(٢) كذا في البيئمة . وفي الأصلين « راية » .

(٣) كذا في البيئمة . وفي الأصلين : « إليها » .

(٤) الدبق : شيء يلتصق كالنمراة يصاد به الطير .

(٥) في الأصلين ودويوانه : « وليس » .

بريق حنف منجز العِدات * مَكْتَمَنٌ: ليس بذي إِفْلَاتٍ^(١)
يَنْشَبُ في الصدور واللباتِ * فَعَلَ إِسَارَ فُلُقٍ السَّيَاتِ^(٢)
على عَوَالِيهَا مَرْكَبَاتِ * أَسِنَّةٌ لَسَنَ مَوْقِعَاتِ^(٣)
من قَصَبِ الرِّيشِ مَجْرَدَاتِ * يُحَسِّنُ في الهواءِ شَائِلَاتِ
* أَذْنَابَ حِرْذَانٍ مُنْكَسَاتِ *

وقال أبو الفتح كُشَّاجِمٌ :

وَأَسْرَاتٍ مِثْلَ مَأْسُورَاتِ * مُمَكَّاتٍ غَيْرِ مُمَكَّاتِ
مُؤَمَّلَاتٍ غَيْرِ مُكْذِبَاتِ * صَوَادِقِ التَّعْجِيلِ لِلْعِدَاتِ
نَوَاطِرِ الْأَشْكَالِ ذَاهِبَاتِ * كَوَاسِرِ وَلَسَنَ ضَارِيَاتِ
ولا بِمَا يَصْدُنْ عَالِمَاتِ * بِمِثْلِ رِيْقِ النَحْلِ مَطْلِيَّاتِ
أَقْتُلْ من سَمَائِمِ الْحَيَاتِ * لَوْ صِلَحَتْ شَيْئًا مِنَ الْآلَاتِ
وَوُصِلَتْ بِالزُّجِّ وَالشَّبَاةِ * كَانَتْ مَكَانَ النَّبْلِ لِلرَّمَاةِ
حَوَامِلِ الطَّيْرِ مُمَسَكَاتِ * تَعَلَّقُ الْأَحْبَابَ بِالْحَبَابِ
كَأَنَّهُا فِي النَّعْتِ وَالصَّفَاتِ * أَذْنَابُ مَا دَقَّ مِنَ الْحَيَاتِ
أَغْدَرُ بِالْوُرْقِ الْمَغْرَدَاتِ * فِيهَا مِنَ الْفَتَيَانِ بِالْقَيْنَاتِ
فَهْنٌ مَنْ قَتَلَ وَمِنْ عَنَاءِ * بَلَا فَكَّالِكَ وَبَلَا دِيَابِ

(١) كَذَا فِي دِيَوَانِهِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ :

تَذِيْقُ حَنْفٍ مِنْجَرِ الْعِدَاةِ * مَتَمَكَّنٌ لَيْسَ بِذِي إِفْلَاتِ

(٢) الْإِسَارُ : مَا شَدَّ بِهِ وَهُوَ الرِّبَاطُ . وَسِيَةُ الْقَوْسِ : مَا عَطَفَ مِنْ طَرَفِهَا .

(٣) مَوْقِعَاتٌ : مَحْدَدَاتٌ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ : « أَحَدَةُ غَيْرِ مُنْكَسَاتِ » .



ذكر شئ مما قيل في الشباك

قال السري الرفاء يصف شبكة :

وجدول بين حديقتين * مطرد مثل حسام القين
كسوته واسعة القطرين * تنظر في الماء بألف عين
راصدة كل قريب الحين * تبرزه مجتح الجنين
كذبة مصقولة المتين * كأنما صيغ من الجين

وقال أبو الفرج البيهقي يصف شبكة العصافير :

رفرافة في السراب تحسبها * على الثرى حلة من الزرد
كالدرع لكنها معوضة * عن المسامير كثرة العقيد
سائرها عين مقحة * لا ترتضى نسبة إلى جسد

ذكر ما قيل في الشص ، وهو الصنابير — قال كاتب أندلسي

يصفه من رسالة : « صنابير ، كأظفار السنابير ؛ قد عطفها القين كالراء ، وصيرها
الصقل كالماء ؛ بغامت أحد من الإبر ، وأرق من الشعر ؛ كأنها تحلب ^(١) صرد ،
أو نصف حلقة من زرد » .

وقال أبو الفتح كشاجم :

من كان يحوى صيده الفضاء * وللبراة عنده نواء
وطال بالكلب له العناء * فإن صيدى ما حواه الماء
يخلف ساعده رشاء * يظل والماء له غطاء

(١) الصرد : طائر أبيض البطن أحضر الظهر ضخم الرأس والمقار .

كَمَا طَوْتُ هِلَالَهَا السَّمَاءُ * كَأَنَّهُ مِنْ الْحُرُوفِ رَأً
 فَهُوَ وَنَصْفُ خَاتَمِ سَوَاءٍ * يَحْمِلُ سَمًا أَسْمُهُ غِذَاءُ
 وَعَظْبًا فِيهِ لَنَا إِحْيَاءُ * تَدْعَى بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَحْشَاءُ
 عَادٍ إِذَا سَاعَدَهُ الْقَضَاءُ * أَمْتَعْنَا الْقَرِيرَ^(١) وَالشَّوَاءُ



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

- كل الجزء التاسع^(٢) من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للشيخ العلامة
 شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب البكري التيمي
 القرشي نسباً المعروف بالنويري رحمه الله . ويليه الجزء العاشر المتعلق بالنباتات،
 على يد كاتبه، فقير رحمة ربه المعين، الفقير نور الدين بن شرف الدين بن أحمد العاملي .
 بلداً، الشافعي مذهباً، وذلك في مستهل شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٦٦ هـ .

(١) القريس : سمك يطبخ ويؤخذ له صباغ ويترك فيه حتى يحمى .

(٢) يلاحظ أن الأجزاء المطبوعة من هذا الكتاب اختلفت عن الأجزاء الفتوغرافية المحفوظة
 بدار الكتب المصرية ابتداء من الجزء السابع فليعلم .

استدراكات

صفحة	سطر	خطا	مواب
١١	١٤	قال الشيخ رحمه الله	قال الشيخ رحمه الله ^(٤)
١٤	٧	فصل بعد قوله : « إذا كان أبيض العجز » بثلاث نجوم	ويستحسن اتصاله بالذى بعده بدون فصل .
١٥	٩	فصل بعد قوله : « وقد تقدم ذكره » بثلاث نجوم	ويستحسن اتصاله بالذى بعده بدون فصل .
١٥٢	٢	دواب	ذوات

(مطبعة الدار ١٠٢٠/١٩٣١/٢٥٠٠)

